سلسلة التحقيقات العلمية
لتراث شيخ الإسلام ابن تيمية «١»

# الفرقان

## بين الحق والبطلان

صنفه شيخ الاسلام
تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية النميري الحراني
في سجنه الأخيرة التي مات فيها

راجعه وقدم له فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الرحمن بن صالح المحمود
أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً

دراسة وتحقيق وتعليق
الدكتور/ حمد بن أحمد العصلاني
مدير مندوبية الدعوة والإرشاد بثول



سلسلة التحقيقات العلمية
لتراث شيخ الإسلام ابن تيمية ﴿١﴾

# الفُرقَان

## بَيْنَ الحقِّ والبُطلان

مصنف شيخ الاسلام

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية النميري الحراني

في سجنه الأخيرة التي مات فيها

راجعه وقدم له فضيلة الشيخ الدكتور

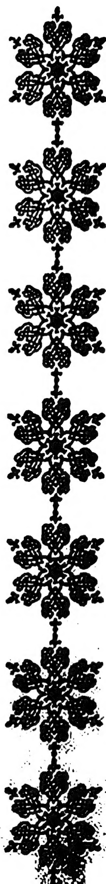
عبد الرحمن بن صالح المحمود

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً

دراسة وتحقيق وتعليق

الدكتور أحمد بن أحمد العصلاني

مدير مندوبية الدعوة والإرشاد بثول



١

عبد العزيز المحمود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فهذه إحدى رسائل أو كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ..
التي كتبها في أواخر عمره، حيث كتبها كما ذكر في بعض النسخ الخطية في
سجنه الأخير في قلعة دمشق.

وقد ضمنها عدة صفحات والمجلد ... وهي في ... فتاوى ... رحمه الله ضمن
مقدمات في التفسير في المجلد الثالث عشر من مجموع الفتاوى، لأنه رأى
شيخ الإسلام قال المحقق في أول الرسالة مبينا معنى (الفرقان)
في كتاب الله تعالى، والآثار الواردة في تفسيره عن السلف والأئمة
رحمهم الله تعالى —

وهذه الرسالة تدخل ضمن رسائل شيخ الإسلام الفذة والجليلة
المتميزة، والتي ينبغي لطلاب العلم الاعتناء بها دراسة
وتدريسا. خاصة في وقتنا هذا حيث كثر الخلط والتخليط
في المنهج والتأصيل، ويسير هذا ... قراءة هذه الرسالة
موقف عند نصوصها ومسائلها

وترجع أهمية هذه الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية لأمور

أحدها: أنها معاصرة على شيخ الإسلام حيث كتبها في آخر
عمره، وبعد معرفة موسوعية بعد الإمام وإحاطة
بالمذاهب والأقوال والفرق والطوائف، وأصول مذاهبها
ونشأتها وتأثرها – أدرك أهمية هذه الخلاصة التي
يختط شيخ الإسلام بيانا للحق ونصحا للأمة

الثاني: أن الشيخ أراد بيان الفرقان بين الحق والباطل، وأكثر
المشاكل العامة في القول والعمل قائمة على التباس الحق
بالباطل، والمعتقدات الجاهلية اليوم ... ترجع لذلك نحو
التفاوت بين ما جاءت به الرسل وخاصة ما جاء به النبي

٢/

إلى أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من الهدى والتوحيد والبينات والنور والشريعة الكاملة الهادية – وبين ما تدعو إليه الجاهليات من الشرك والباطل والضلالات باسم الحرية والمساواة وإلغاء الفوارق الإيمانية والشرعية.

ب – هناك فرقاً كبيراً بين العدل والمساواة، فالإسلام جاء بالعدل في كافة الأحوال، ثم إن العدل قد يكون في المساواة بين الناس في كثير من الأحوال والأحكام الكثيرة في الشريعة، وأحياناً يكون العدل بعدم المساواة. كالتفرقة بين هذا وهذا، والرسالة جاءت لبيان هذه المسألة العظيمة، التي لا يزال يخلط فيها الكثيرون وقد يكون منهم بعض أهل الخير والفضل والنية الحسنة.

الثالث: إن أصل مسألة الفرقان التي شرحها شيخ الإسلام في هذه الرسالة ضرورية لكل مسلم. وطالب العلم بشكل أخص نظراً لما عند الفرق وأصحاب المذاهب من الدعاوى العريضة في أن مذهبهم هو الحق، وكثيراً ما يرد السؤال في ثنايا الدروس العلمية والمحاضرات أو اللقاءات مع بعض طلاب العلم – كيف نعرف أن هذا حق وهذا باطل؟ أو كيف ندلل على أن مذهب السلف أهل السنة والجماعة هو الحق؟. فهذه الرسالة تعين في الجواب على مثل هذا السؤال من الناحية العلمية التأصيلية وإن كان الجواب – إجمالاً – يتم بالجمع بين معرفة الحق بدليله والعمل به المفضي لصلاح القلوب وهذا يتطلب وتنورها العالم به وهداية الأبدان بالعمل والاتباع، فيجمع بين العلم الشرعي الموصل للعبادة والإخلاص. وما من خلل في المناهج

٢/

عن غاية لطائفة إلا وتجد أثر ذلك في أحد هذين الأمرين العلم أو العمل، وهما أساس انحراف المغضوب عليهم والضالين ومن تشبه بهؤلاء وهؤلاء.

الرابع: ذكر الشيخ أنواعاً من الفرقان جاء بها القرآن والسنة وجاءت بها الشريعة منها:

١ - الفرقان بين الخالق والمخلوق في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. وأكثر ضلال الطوائف والفرق مبني على عدم تحقيق هذا الفرقان. فالشرك في الربوبية والشرك في الألوهية، والقول بوحدة الوجود وتعطيل الله عن أسمائه وصفاته ومن ذلك علوه على خلقه واستواؤه على عرشه، وتشبيه الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق، وتعطيل حكمه وشرعه، وغير ذلك من أصول الضلالات العقدية والحديثة مبني على الإخلال بهذا الأصل والفرقان.

٢ - الفرقان بين المعروف والمنكر، والطيب والخبيث، فأمر بهذا ونهى عن هذا وحرمه. واليوم هناك دعوات حتى بين المسلمين تدعو إلى إلغاء هذا الفارق، وهي ضمن مشروع تغريبي علماني يراد تسويقه أو فرضه على المسلمين.

٣ - الفرقان بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات، وأهل الباطل الكفار الضالين المفسدين أهل السيئات. قال تعالى: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) [الجاثية: ٢١]. وقال تعالى: (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) [القلم: ٣٥-٣٦] والآيات في ذلك كثيرة جداً وهذا من أصول شرائع الإسلام.

الخامس : في مثال قاعدة العدل - قرر الشيخ قاعدة : المساواة في الأمور المتماثلة ، يقول شيخ الإسلام في الربط بين القاعدتين أو المسألتين « وهو سبحانه وتعالى كما يفرق بين الأمور المختلفة ، فإنه يجمع ويسوي بين الأمور المتماثلة . فيحكم في الشيء خلقاً وأمراً بحكم مثله ، لا يفرق بين متماثلين ، ولا يسوي بين شيئين غير متماثلين ، بل إن كانا مختلفين متضادين لم يسو بينهما » .

ومن أمثلة هذه المساواة

١ - مساواة الناس في العبودية لله والعمل الصالح ، ~~[illegible]~~ حيث لا فرق فيه بين الملك والمملوك ، والغني والفقير ، والرجل والمرأة ، فالكل في التكليف المقتضي للعبودية لله تعالى وطاعته - كل حسب استطاعته - سواء .

٢ - وأن الكفر والشرك والعمل في أحكامه سواء ، قال تعالى : ( أكفاركم خير من أولئكم ) [ القمر ٤٣ ] وقال تعالى : ( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ) [ الصافات ٢٢ ] . أي : أشباههم ونظراءهم

٣ - أن سنة الله لا تتبدل ولا تتحول ، والسنة هي العادة التي تقتضي أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار ، وقال : ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ) [ يوسف ١١١ ] . وهذا يفيد أن من عمل مثل أعمالهم جوزي مثل جزائهم . وقال تعالى ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ) [ البقرة : ٢١٤ ] .

فكل من التوحيد والعبادة والطاعة ، والإيمان والتقوى والجهاد والبر والمعروف ، وما يقابل ذلك من الشرك والكفر والسنة والاتباع

م/

والعصيان، والانحراف والبدعة والفجور، سنة الله
في ذلك واحدة في المتقدمين والمتأخرين، فهؤلاء من أهل
الإيمان والموالاة والجنة، وأولئك على الضد منهم.
والذي نذكر من نماذج الفرقان والمسائل إنما هو
من باب الأمثلة، وإلا فالتفصيل ذلك يحتاج إلى مؤلفات
مستقلة.

السادس: ذكر الشيخ في هذه الرسالة تحليلاً دقيقاً لأصول
الفرق الضالة، وطرائقها في الاستدلال،
ومواقفها من أدلة الكتاب والسنة، ولوازم
مذاهبهم، ومقالات أفراطها، وما قد يقع فيه
بعضهم من الجمع بين المتناقضات البدعية.
وللشيخ الإسلام في ذلك كلام متين وتحقيق باهر
آمل من طلاب العلم تأمله وتكراره ففائدته كبيرة
جداً.

السابع: والرسالة لا تخلو من لفتات منهجية تربوية عميقة
وقد وقفت عند بعضها - وأتمنى من إخواني وتلامذتي
وحسادهم - أن يقفوا عندها ويتأملوها، ومنها:

١ - في قصة عبادة بني إسرائيل للعجل قال تعالى آخرها
(وكذلك نجزي المفترين) [الأعراف ١٥٢] نقل
قول أبي قلابة - رحمه الله -: هي والله لكل مفتر إلى
يوم القيامة أن يذله الله.

٢ - في قول المغل يقول شيخ الإسلام عن صاحبه: إنه
وإن اعتقده مدة، إلا أنه عند الحقيقة يخونه، كالذي
يشرك بالله، يضل عنه ما كان يدعو من دون الله
وكذلك الأفعال الباطلة يعتقدها الإنسان وعند الحقيقة
تخونه ولا تنفعه، بل هي كالشجرة الخبيثة اجتثت

٦

من قول الأئمة ما لا يحصر ... وكذلك مقالات أهل البدع
ولهذا تحليل دقيق، وهو مشاهد، فما رأينا قولاً
شاذاً، أو بدعة، أو مذهباً شاذاً نفع صاحبه. بل
يخذله ويفضحه أحوج ما يكون إليه
ونظرة إلى ذلك في هذه الأيام كيف يخذل أصحاب
الأقوال الشاذة، أو المقالات البدعية، خاصة إذا كانوا
ممن يقولها إرضاء لأصحاب الأهواء والبدع أو لدعاة المسيرات
نسأل الله [illegible] العفو والعافية، كما نسأله الهداية
للجميع.

٢- يقول شيخ الإسلام ... «ثم من خالف الرسل عوقب بمثل
ذنبه، فإن كان قد قدح فيهم ونسب ما يقولونه إلى أنه جهل
وخروج عن العلم والعقل، ابتلي في عقله وعلمه
وظهر من جهله ما عوقب به، ومن قال: إنهم تعمدوا الكذب
أظهر الله كذبه. ومن قال: إنهم جهال، أظهر الله جهله»
تأمل هذه العبارات [illegible] التي تبين أن الجزاء من
جنس العمل. ثم انظر ما حولك واقرأ تاريخ أهل البدع
قديماً وحديثاً تجد ذلك واقعاً، نسأل الله الهداية والاستقامة
على السنة

- - - - - - - - - -

هذه بعض وقفات مع هذه الرسالة المهمة لشيخ الإسلام —
أكتبها بين يدي هذا التحقيق والتعليق الذي قام به أخونا الفاضل
الشيخ/ حمد بن أحمد العصفوري/ حيث بذل جهداً كبيراً في التحقيق
والتخريج والتعليق، ... وقد قرأت هذه الرسالة وهذا الجهد
وإني آمل أن ينتفع به الباحثون وطلاب العلم، كما آمل من
شيوخ العلم أن تشرح هذه الرسالة في دروسهم العلمية ...
مهمة، وما ... مهمة، وجزى الله أخانا خيراً ... وسدد له ...
... والسداد وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. كتبه ... ٢٩/٨/١٤٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ... وبعد:

فهذه إحدى رسائل - أو كتب - شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى التي كتبها في آخر عمره، حيث كتبها كما ذُكر في بعض النسخ الخطية في سجنه الأخير في قلعة دمشق.

وقد طُبعتْ عِدَّة طبعات والحمد لله، وجعلها ابن القاسم رحمه الله ضمن مقدمات في التفسير في المجلد الثالث عشر ضمن مجموع الفتاوى، لأنه رأى شيخَ الإسلام أطال النَّفَسَ في أول الرسالة مبيناً معنى (الفُرْقان) في كتاب الله تعالى، والآثار الواردة في تفسيره عن السلف والأئمة رحمهم الله تعالى.

وهذه الرسالة تدخل ضمن رسائل شيخ الإسلام التأصيلية المتميزة، والتي ينبغي لطلاب العلم الاعتناء بها، ومدارستها، وتدريسها، خاصة في زمننا هذا حيث كثر الخلط والتخليط في المنهج والتأصيل، وسيرى هذا من أعاد قراءة هذه الرسالة، ووقف عند فصولها ومسائلها.

وترجع أهمية هذه الرسالة لشيخ الإسلام ابن تيميَّةُ لأمور:

أحدها: أنَّها خُلاصة علم شيخ الإسلام حيث كتبها في آخر عمره، ومن عرف موسوعية هذا الإمام وإحاطته بالمذاهب والأقوال والفِرق والطوائف،

وأصول مذاهبها، وتأثرها وتأثيرها، أدرك أهمية هذه الخلاصة التي كتبها شيخ الإسلام بياناً للحقّ، ونُصحاً للأمة.

**الثاني:** أنَّ الشيخ أراد بها بيان الفرقان بين الحق والباطل، وأكثر المشاكل في العلم والقول والعمل قائمة على التباس الحق بالباطل، والدعوات الجاهلية اليوم تريد محو الفارق بين ما جاءت به الرسل وخاصة ما جاء به النبي الخاتم محمد بن عبدالله ﷺ من الهدى والتوحيد والبينات والنور والشريعة الكاملة الهادية، وبين ما تدعو إليه الجاهليات من الشرك والباطل والضلالات باسم الحرية والمساواة وإلغاء الفوارق الإيمانية والشرعية.

إنَّ هناك فرقاً كبيراً بين العدل والمساواة، فالإسلام جاء بالعدل في كافة الأحوال، ثم إنَّ العدل قد يكون في المساواة بين الناس؛ كما في أحوالٍ وأحكامٍ كثيرةٍ في الشريعة، وأحياناً يكون العدل بعدم المساواة؛ بل بالفرقان بين هذا وهذا، والرسالة جاءت لبيان هذه المسألة العظيمة، التي لا يزال يخلط فيها الكثيرون، وقد يكون فيهم بعض أهل الخير والفضل والنيَّة الحسنة.

**الثالث:** أنَّ تأصيل ـ مسألة الفرقان ـ التي شرحها شيخ الإسلام في هذه الرسالة ضرورية لكل مسلم، وطالب العلم بشكل أخص نظراً لما عند الفرق وأصحاب المذاهب من الدعاوى العريضة في أنَّ مذهبهم هو الحق، وكثيراً ما يَرِدُ السؤال ـ أثناء الدروس العلمية، أو المحاضرات، أو اللقاءات مع

بعض طلاب العلم ـ كيف نعرف أنَّ هذا حقٌّ وهذا باطلٌ؟، أو كيف نُدَلِّل على أنَّ مذهب السَّلف أهل السُّنة والجماعة هو الحق؟.

فهذه الرسالة تُعين في الجواب على مثل هذا السؤال من الناحية العلمية التأصيلية، وإن كان الجواب ـ إجمالاً ـ يتم بالجمع بين معرفة الحقِّ بدليله والعمل به المقتضي لصلاح القلوب وهدايتها وتنورها، و هداية الأبدان بالعمل الصالح والإتباع، فيجمع بين العلم الشرعي المؤصل والعبادة والإخلاص.

وما مِن خللٍ في المنهج عند أية طائفةٍ إلاَّ وتجد أثر ذلك في أحد هذين الأمرين العِلم أو العَمل، وهما أساس انحراف المغضوب عليهم والضالين، ومَن تشبه بهؤلاء أو هؤلاء.

**الرابع:** ذكر الشيخ أنواعاً مِن الفرقان جاء بها القرآن والسُّنة، وجاءت بها الشريعة منها:

(١) الفرقان بين الخالق والمخلوق، في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وأكثر ضلال الطوائف والفِرق مبني على عدم تحقيق هذا الفرقان، فالشرك في الربوبية، والشرك في الألوهية، والقول بوحدة الوجود، وتعطيل الله عن أسمائه وصفاته، ومِن ذلك علوه على خلقه، واستواؤه على عرشه، وتشبيه الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق، وتعطيل حكمه وشرعه، وعبر

ذلك من أصول الضلالات القديمة والحديثة مبني على الإخلال بهذا الأصل والفرقان.

(٢) الفرقان بين المعروف والمنكر، والطيِّب والخبيث، فأمر بهذا ونهى عن هذا وحرَّمه، واليوم هناك دعوات حتى بين المسلمين تدعو إلى إلغاء هذا الفارق، وهي ضمن مشروع تغريبي علماني يُراد تسويقه أو فرضه على المسلمين.

(٣) الفرقان بين أهل الحقِّ المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات، وأهل الباطل الكفَّار الضالين المفسدين أهل السيئات، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[2]، والآيات في ذلك كثيرة جداً ساق بعضها شيخ الإسلام.

**الخامس:** في مقابل قاعدة الفرقان قرَّر الشيخ قاعدة المساواة في الأمور المتماثلة، بقول شيخ الإسلام في الربط بين القاعدتين أو المسألتين: «وهو ﷻ كما

---

١) الجاثية: ٢١

٢) القلم: ٣٥-٣٦

يُفرِّق بين الأمور المختلفة، فإنه يجمع ويسوِّي بين الأمور المتماثلة، فيحكم في الشيء خلقاً وأمراً بحكم مثله، ولا يُفرِّق بين متماثلين، ولا يسوِّي بين شيئين غير متماثلين؛ بل إن كانا مختلفين متضادين لم يسوِّ بينهما».

ومن أمثلة هذه المساواة:

(١) مساواة الناس في العبودية لله والعمل الصالح، حيث لا فرق فيه بين الملك والمملوك، والغني والفقير، والرجل والمرأة، فالكل في التكليف المقتضي للعبودية لله تعالى وطاعته ـ كل حسب استطاعته ـ سواء.

(٢) الكفر والشرك أهله في أحكامه سواء، قال تعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾[٢]، أي أشباههم ونظراءهم.

(٣) أنَّ سنة الله لا تتبدل و لا تتحول، والسُّنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول، وقد أمر ﷻ بالاعتبار، وقال: ﴿ لَقَدْ

---

١) القمر: ٤٣

٢) الصافات: ٢٢

﴿ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]، وهذا يُفيد أنَّ مَن عمل مثل أعمالهم جوزي مثل جزائهم، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾[2].

فكل مِن التوحيد والعبادة والطاعة، والإيمان والتقوى، والجهاد والبرّ والمعروف، والسُّنة والإتباع، وما يقابل ذلك مِن الشرك و الكفر والعصيان، والانحراف والبدعة والفجور، سنة الله في ذلك واحدةٌ في المتقدمين والمتأخرين، هؤلاء مِن أهل الإيمان والموالاة والجنّة، وأولئك على الضد منهم.

والذي يذكر في نماذج الفرقان والمساواة إنَّما هو مِن باب الأمثلة، وإلا فتفصيل ذلك يحتاج إلى مؤلفاتٍ مستقلة.

السادس: ذكر الشيخ في هذه الرسالة تحليلاً دقيقاً لأصول الفِرق الضالة، وطرائقها في الاستدلال، ومواقفها مِن أدلة الكتاب والسُّنة، ولوازم مذاهبها، ودرجات انحرافها، وما قد يقع فيه بعضها مِن الجمع بين النفاق والبدعة.

---

١) يوسف: ١١١

٢) البقرة: ٢١٤

ولشيخ الإسلام في ذلك كلامٌ متينٌ وتحقيقٌ باهرٌ آمل من طلاب العلم تأمله وتكراره ففائدته كبيرة جداً.

**السابع:** والرسالة لا تخلو من لفتاتٍ منهجية تربوية عميقة، وقد وقفتُ عند بعضها، وأتمنى من إخواني - وفقهم الله وسددهم - أن يقفوا معها ويتأملوها، ومنها:

(١) في قصة عبادة بني إسرائيل للعجل، قال تعالى في آخرها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [١]، نقل قول أبي قِلابة رحمه الله: «هِيَ وَاللهِ لِكُلِّ مُفْتَرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَنْ يُذِلَّهُ اللهُ».

(٢) قولُ المُبْطِل، يقول شيخ الإسلام عن صاحبه: إنَّه وإن اعتقد مرَّة، إلاَّ أنَّه عند الحقيقة يخونه، كالذي يشرك بالله، يضل عنه ما كان يدعو من دون الله، وكذلك الأفعال الباطلة يعتقدها الإنسان وعند الحقيقة تخونه ولا تنفعه؛ بل هي كالشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، وكذلك مقالات أهل البدع.

---

١) الأعراف: ١٥٢

وهذا تحليلٌ دقيقٌ، وهو مشاهدٌ، فما رأينا قولاً باطلاً، أو بدعةً، أو مذهباً شاذاً نفع صاحبه؛ بل يخونه ويفتضح أحوج ما يكون إليه.

وقارن ذلك ـ في هذه الأيام ـ كيف يُخذل أصحاب الأقوال الشاذة، أو المقالات البدعية، خاصة إذا كانوا ممّن يقولها إرضاءً لأصحاب الأهواء والبدع، أو لدُعاة الشهوات. نسألُ الله العفو والعافية؛ كما نسألهُ الهداية للجميع.

(٣) يقول شيخ الإسلام: «فمَن خالف الرسل عُوقب بمثل ذنبه، فإن كان قد قدح منهم، ونسب ما يقولونه إلى أنّه جهلٌ وخروجٌ عن العِلم والعقل، ابْتلي في عقله وعِلمه، وظهر مِن جهله ما عُوقب به، ومَن قال: إنّهم جهالٌ، أظهرَ اللهُ جهله».

تأمل هذه العبارات التي تُبيّن أنّ الجزاء مِن جنس العَمل، وانظر ما حولك، واقرأ تأريخ أهل البدع قديماً وحديثاً تجد ذلك واقعاً، نسألُ الله الهداية والاستقامة على السُّنة.

هذه وقفاتٌ ـ مع هذه الرسالة المهمة لشيخ الإسلام ـ اكتبها بين يدي هذا التحقيق والتعليق الذي قام به أخونا الفاضل الشيخ/ حمد بن أحمد العصلاني، حيث بذل جهداً كبيراً في التحقيق والتخريج والتعليق، وقد قرأتُ هذه الرسالة، وهذا الجهد، وإنني آمل أن ينتفع به الباحثون وطُلّاب العِلم؛ كما

آمل من طلاب العلم شرح هذه الرسالة في دروسهم العلمية ففيها فوائدُ جَمَّةٌ، وتأصيلاتٌ مُهمةٌ، جزى الله أخانا خير الجزاء، ونسألُهُ تعالى التوفيق والسداد، وصلَّى الله على نبينا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلم.

وكتبه

عبدالرحمن الصالح المحمود

١٤٣٢/٨/٢٩هـ

إلى فارس البنان والميدان
ومقلق الضلالات والبهتان
أبي العباس ابن تيمية النميري

| | |
|---|---|
| قالوا ابنُ تيميةَ في السجنِ قلتُ لهم | لا يعجزنكم الأفكارُ بالقلقِ |
| مات الموفقُ والقاضي الإمامُ أبو | يعلى ومات أبو الخطابِ والخرقي |
| ولابنِ حنبلَ الصديقِ نورُ هدى | حتى القيامةِ مثلُ البدرِ في الغسقِ |
| ونفضلهُ بينَ أهلِ الفضلِ مشتهرٌ | وإضباعهُ من الزنديقِ في الحنقِ[1] |

قال شيخ الإسلام عن نفسه:

«والله إني إلى الآن أجددُ إسلامي كلَّ وقتٍ، وما أسلمتُ بعدُ إسلاماً جيداً»[2].

---

١) رواها ابن عبدالهادي سماعاً من قائلها الشيخ صلاح الدين القواس في مسجد الحنابلة بالشام، كما في العقود الدرية ٣٠٩.

٢) رواها ابن القيم بلفظه عن شيخه ابن تيمية؛ كما في مدارج السالكين ١/ ٥٢٤.



الحمدُ لله ربِّ العالمين، ملك يوم الدِّين، إله الأولين والآخرين، مَن بيده الأمر كُله، وإليه يرجع الأمر كُله، لا معبودَ بحقٍّ غيره، ولا ربَّ حقيقةً سواه، خلق فسوَّى، وقدَّر فهَدَى، تجلَّى لِخلقه بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، فأتمَّ لهم النِعمة، وأكمل لهم المِلَّة، وبعث لهم المُرسلين، وأتبعهم بالمُجدِّدين، وصدق الله ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [١]، وصلِّ اللّهُم وبارِك على النِعمة المُهداة، نبينا أبي القاسم محمَّد بن عبدالله، وعلى آله وأصحابه ومَن أقتفى هُداه، وسلِم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإنَّ أبا العبَّاس ابن تيميَّة عَلمٌ مِن أعلام الأمَّة العُظماء، ومِن عُلمائها النُبلاء، ممَّن أشرقت الدُّنيا باسمه، وتزينت المجامع بذكره، رجلٌ بأُمة، وأمةٌ في رَجُل، اصطفاه الله لنيل المكارم، واجتباه لعلو العزائم.

قَامَ ابنُ تَيميَّةٍ في نَصْرِ شِرعَتِنا ... مُقَامَ سَيِّدِ تَيمٍ إذْ عَصَتْ مُضَرُ

فأظْهَرَ الحَقَّ إذْ آثارُهُ دُرِسَتْ ... وأخْمَدَ الشَّرُّ إذْ طَارَتْ له الشَّرَرُ

كُنَّا نُحدَّثُ عن حَبْرٍ يجيءُ بِها ... أنتَ الإمامُ الذي قد كان يُنتظرُ [٢].

---

١) سورة النحل، آية : ٥٣

٢) قاله إمام النُحاة أبو حيَّان الأندلسي في شيخ الإسلام، كما في الرَّد الوافر ١٢٠، وذيل طبقات الحنابلة ٤/ ٥٠٢، والدُّرر الكامنة ١/ ٤٨، وغيرها.

وإنَّ الدَّارس لحياة شيخ الإسلام وعُلومِه يجد أنه قد أسَّسَ بتوفيق الله بُنياناً عظيماً، وطوداً منيفاً، إذْ أبلغه اللهُ القِمة في شأنه كُلِه، فهو الحَافِظ العَالِمُ المُجاهد العَابِد الزاهد، ولذا فمن علامة استقامة العبد على السنة في السنين الأخيرة أن يوفق إلى التتلمذ في مدرسة شيخ الإسلام إذ هو فارس السَّيف والقلم، وقامع الشرك والبدع، فما رأى الزمان في عصره مثله، ولا بهر النَّاس في وقته شبهه.

| | |
|---|---|
| مَـــاذَا يَقُـــولُ الوَاصِفُـونَ لَـهُ | وَصِفَـــاتُهُ جَلَّـتْ عَـنْ الحَصْـرِ |
| هُــو حُـــجَّـــةٌ لله قَــاهِــرَةٌ | هُــو بَيْنَنَـا أُعْجُـوبَـةُ الدَّهْـــرِ |
| هُـــو آيَـــةٌ لِلخَلْـــقِ ظَـاهِـرَةٌ | أَنْوَارُهَـــا أَرْبَـتْ عَلَى الفَجْـرِ"[1]. |

وقد مَنَّ اللهُ عليَّ بدراسةٍ وتحقيقِ كتابٍ من كُتب شيخ الإسلام أبي العبَّاس ابن تيميَّة، وهو (الفُرْقَانُ بَيْنَ الحَقِّ والبُطْلَانْ)، أفرغ فيه الشيخُ عِلمه، وقمع فيه خصومه، وأبرز اعتقاد السَّلف ونصره، وهو مسجونٌ مظلومٌ في سجنته الأخيرة بدِمَشْقَ التي وافته المَنيَّة فيها.

وقد سلكتُ في تحقيق ودراسة هذا الكتاب المُبارك ما يلي:

---

١) قاله الإمام ابن الزملكاني في شيخ الإسلام، كما في العقود الدُّرية ١١، والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٢، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢، وغيرها.

**خطة البحث:**

قسَّمتُ عملي في تحقيق ودراسة الكتاب إلى قسمين:

**القسم الأول: ويشتمل على فصلين:**

**الفصل الأول:** ترجمة المؤلف[1]، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بعض ما قيل فيه.

المطلب الثاني: اسمه ونسبه، مولده ونشأته، صفاته الخَلقيَّة والخُلقيَّة، عبادته، شعره وأدبه، أمره بالمعروف ونهيه عن المُنكر، جهاده، محنه، موقفه من خصومه، وفاته.

المطلب الثالث: طلبه للعلم، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته.

**الفصل الثاني:** دراسة الكتاب، وفيه إحدى عشر مطالباً:

المطلب الأول: تسمية الكتاب.

---

١) هي ترجمة متوسطة في حياة شيخ الإسلام، أظهرتُ فيها بعض معاليه، والرَّد على بعض الأوهام الواقعة عند بعض المُترجِمين له، ثم ذكرتُ أشهر مُصنفاته العقدية مع بيان مُحققيها حسب إطلاعي، ثم أعقبته بمبحث يحتاجه طالب العلم كثيراً، وهو أبرز الدراسات والبحوث في عِلم شيخ الإسلام العقدي سواء المطبوع منها أو غير المطبوع، وقد مزجت ترجمته بأبيات مُنتقاة لأبي الطَّيب المُتنبي من ديوانه دون الإشارة إلى مرجعها، والله أعلم.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب.

المطلب الثالث: نسبته للمؤلف.

المطلب الرابع: تاريخ تأليف الكتاب.

المطلب الخامس: الفرق بينه وبين الفُرقان بين أولياءِ الرَّحمن وأولياءِ الشَّيطَان.

المطلب السادس: طبعات الكتاب.

المطلب السابع: مخطوطات الكتاب .

المطلب الثامن: مصادر المؤلف في الكتاب.

المطلب التاسع: بعض لطائف المؤلف في الكتاب.

المطلب العاشر: فوائد عِلمية من الكتاب.

المطلب الحادي عشر: السقط والتصحيف في الكتاب.

**القسم الثاني: تحقيق الكتاب وفق المنهج التالي:**

أولاً: جمعتُ النسخ الخطية للكتاب، فتحصلت بفضل الله على نُسختين كاملتين، وهما:

[١] نسخة مكتبة الجامعة الإسلامية، وهي مصورة مِن مكتبة الشيخ محمَّد حامد الفقي، وقد جعلتها الأم، ورمزت لها بـ(س).

[٢] نسخة مركز المخطوطات والتراث والوثائق بدولة الكويت، وهي مصورة مِن دار الكتب المصرية، ورمزت لها بـ(ك).

[٣] لَمَّا كان بين المخطوطتين توافق في الغالب إذ أظنهما منسوختان مِن أصلٍ واحدٍ، والفروق بينهما قليلة، أضفت لهما بالمقارنة المطبوع في مجموع الفتاوى بعناية الشيخ ابن قاسم، ورمزت له بـ(م).

ثانياً: قُمتُ بأمور مُساندة لطالب العِلم في فَهم هذا الكتاب، وهي:

(١) توضيحُ السقط والتصحيف في الكتاب، ومُحاولة سدِّها قدر الاستطاعة.

(٢) تشكيلُ نصِّ الكِتاب كاملاً دون التعليقات لمعرفة قراءته كما ينبغي.

(٣) تظليلُ المسائل واللطائف الهامة باللون الأسود الداكن.

(٤) وضعُ عناوين جانبيه لكل مسألة على حسب إيراد المُصنِّف لها، وذلك حسب فهمي القاصر.

ثالثاً: كتبتُ النصَّ بالرسم الإملائي الحديث، ولا أشير في الحاشية إلى الفرق بين الرسم الإملائي القديم والحديث.

رابعاً: أثبتُ الفروق في الهامش، ما عدا الفروق المختصة بصيغ تعظيم الرب ﷻ، أو الصلاة على النبي ﷺ أو الترضي عن الصحابة ﵃ ونحوها.

خامساً: عزوتُ الآيات مع ذكر أرقامها وسورها.

سادساً: خرّجتُ الأحاديث من مصادرها الحديثية، وأسير في تخريجها على النحو التالي:

(١) إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما، لقبول أهل الحديث الاحتجاج بأحاديث الصحيحين، ولا أزيد في تخريجه عليهما.

(٢) إذا لم يكن فيهما فإنّي أُخرجه من مصادره الأصلية مُرتبة بالسُّنن الأربع، ثم بقية كُتب السُّنة؛ مع الإشارة إلى مَن صححه أو ضعفه من السابقين أو المُعاصرين عند وجوده.

سابعاً: خرّجتُ الآثار وعزوتها إلى مصادرها؛ مع ذكر حُكم العُلماء عليها إن وجدتُ ذلك.

ثامناً: ترجمتُ للأعلام عامّة عدا كبار الصحابة، والملوك، والخلفاء المذكورين في النص المحقق.

تاسعاً: عرَّفتُ بالأماكن والبلدان في النص المحقق.

عاشراً: عرَّفتُ بالفِرق والطوائف والأديان المذكورة في النص المحقق.

الحادي عشر: شرحتُ غريب اللغة من خلال مصادر اللغة المعتمدة.

الثاني عشر: قمتُ بعزو الأبيات إلى قائلها مع ضبطها بالشَّكل.

الثالث عشر: علَّقتُ على النصِّ المُحقق بتعليقات عِلمية أخرى؛ مع مُراعاة التوسط وعدم الإطالة إلاَّ عند الحاجة.

الرابع عشر: ختمتُ الدراسة والتحقيق بخاتمة عِلمية تُلخِّص نفائس العِلم والعَمل التي أثارها شيخ الإسلام وبيَّنها في هذا الكتاب؛ مع بيان بعض التوصيات المتواضعة في حياة شيخ الإسلام العِلمية والعَملية.

الخامس عشر: عملتُ فهرساً للمراجع والمواضيع.

وفي الختام أشكر فضيلة شيخنا الدكتور عبدالرَّحمن بن صالح المحمود على قراءته لهذا الكتاب وتصحيحه والتعليق عليه مع ما أتحفني به مِن مقدمة نفيسة لهذا الكتاب المبارك، جعل الله ذلك في موازين حسناته؛ كما أشكر

الإخوة في مركز ابن تيمية للنشر والتوزيع على خدمتهم لهذا الكتاب، وأسأل الله أن يبارك في جهودهم.

وبعد فهذا جُهد المُقل العاجز، وحسبي أني قد بذلتُ فيه ما استطعتُ ليكون كما أراده مؤلفه، فما كان فيه من صوابٍ فمن عند الله وحده لا شريك له، وما كان من خطأٍ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله منه، وما أُريد إلاَّ خيراً، وقد قال قديماً القاضي الفاضل عبدالرحيم البَيْسَاني: «إنِّي رَأيتُ أنَّهُ لاَ يَكْتُب [إنْسَانٌ] كِتَاباً فِي يَومِهِ إلاَّ قَالَ فِي غَدِه: (لَو غُيِّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَن، وَلَو زِيدَ هَذَا لَكَانَ يُسْتَحسَن، وَلَو قُدِّمَ هَذَا لَكَان أَفْضَل، وَلَو تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أجْمَل)، وهَذَا مِن أَعْظَمِ العِبَرِ، وهَوَ دَلِيلٌ عَلى اسْتِيلاء النَّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ البَشَر»[١].

---

(١) تناقل بعض الباحثين هذه المقولة البديعة منسوبةً للعماد الأصفهاني، وهنا وَهْمٌ منهم، والصحيح أنها لعبدالرحيم البَيْساني؛ وسبب الغلط أنَّ البَيْساني أرسلها للعماد الأصفهاني، فظن بعضهم أنَّ قائلها هو الثاني؛ كما في شرح الإحياء للزبيدي ١/ ٣، وأبجد العلوم لصدِّيق حسن القنوجي ٥٢، والحِطَّة في ذكر الصحاح الستة له أيضاً ٢٢، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ١٧، وما بين المعكوفين [ ] يستبدلها بعضهم بكلمة [أحَدٌ]، ولا أعلم لهم مُستنداً، والصواب ما أثبته كما في الأصول.

والبَيْساني هو: محيي الدين أبو عليٍّ عبدالرحيم بن عليٍّ بن الحسين اللخمي البَيْساني العسقلاني الشهير بالقاضي الفاضل، من وزراء صلاح الدين الأيوبي، قال عنه الذهبي في

وقال ابن قيِّم الجوزية: «فيَا أيُّها القارِئُ لَهُ، والنَّاظِرُ فِيهِ، هَذِهِ بِضاعَةُ صَاحِبِهَا المُزْجَاة مَسُوقَةٌ إِلَيكَ، وَهَذَا فَهْمُهُ وَعَقْلُهُ مَعْرُوضٌ عَلَيكَ، لَكَ غُنْمُهُ، وَعَلَى مُؤلِفِهِ غُرْمُهُ، وَلَكَ ثَمَرَتُهُ، وَعَلَيهِ عَائِدَتُهُ، فَإِنْ عُدِمَ مِنْكَ حَمْداً وَشُكْرَاً، فَلا يُعْدَم مِنكَ عُذْرَاً، وَإِنْ أَبَيتَ إِلاَّ المَلام فَبَابُهُ مَفْتُوحٌ، وَقَدْ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِالثَنَاءِ وَبِالحَمْدِ، وَوَلَّى المَلامَةَ الرِجَالَ»[1].

وقد قال الإمام النَّحوي القاسم بن عليٍّ الحريري[2] في خاتمة منظومته (مُلحة الإعراب):

وَإِنْ تَجِدْ عَيْبَاً فَسُدَّ الخَلَلا فَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فِيهِ وَعَلا.

---

السير ٢١/ ٣٣٩: «العلاَّمة البليغ، القاضي الفاضل، محيي الدِّين، يمين المملكة، سيِّد الفُصحاء»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١٣/ ٣٠: «الامامُ العلاَّمةُ شيخُ الفُصحاءِ والبُلغاءِ .. ولم يكن له في زمانه نظيرٌ، ولا فيما بعده إلى وقتنا هذا مثيل»، مات بمصر سنة ٥٩٦هـ

١) طريق الهجرتين ٢١.

٢) هو أبو محمَّد القاسم بن عليِّ بن محمَّد الحريري، قال عنه ابن الأنباري: «كان أديباً فصيحاً بليغاً، صنَّف كُتباً حسنةً، عذبة العبارة»، وقال عنه السيوطي: «وتصانيفه تشهد بفضله، وتُقِر بنبله، وكفاه شاهداً: المقامات التي أبرَّ بها على الأوائل وأعجز الأواخر»، مات سنة ٥١٦هـ يُنظر: نزهة الألباء ٣٧٩، بُغية الوعاة ٢/ ٢٥٧، شرح مُلحة الإعراب ٣٧٢.

أسألُ الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، مُدخراً لِيَّ عند لقائه، وأن ينفع به الإسلام والمُسلمين، وأن يغفر لكُلِ مَن نبهني لخللٍ به، أو سدَّ ثغرة جهلي وتقصيري فيه، وما أُريد إلاَّ خيراً، واستغفرُ الله سبحانه مما زُل به اللِسان، أو داخله ذهولٌ ونسيان، أو زُل به القلم والبنان، مما يغلب على بني الإنسان، والحمْدُ لله الذي بنعمته يكمل العِلم والبيان، وبفضله تتم الطاعة والإحسان.

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُم رَبَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرَافيل، فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيبِ والشَّهادةِ أنتَ تَحكُمُ بينَ عِبادكَ فيما كانُوا فيهِ يختلِفُونَ، اهْدِنِي لِما اختُلِفَ فيهِ مِن الحَقِّ بإذنكَ إنَّكَ تهدي مَن تشاءُ إلى صِرَاطٍ مُستقِيمٍ.

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الآخِرَةِ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ"[1].

كتبه

**حمد بن أحمد العصلاني**

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمن له حقٌّ عليه

في غُرة رجب لعام ١٤٣٢هـ

بمدينة جدة

---

١) أتقدم بالشُّكر الجزيل لكُلِّ مَن قدَّم لي معروفاً في خِدمة هذا الكتاب النفيس، وأخصُّ مِنهم أحبتي: (مِن أهالي جدة) الشيخ عبداللطيف بن حمد القريقري، والأستاذ مُعين بن خليل الثُّغري، وأخيه الأستاذ محمَّد الثُّغري، (ومِن أهالي المدينة النبوية) الشيخ أشرف بن عبدالله الكنيدري، والشيخ منصور بن مسْلم الصاعدي، والأستاذ عبدالله بن شحات المنذري، (ومن أهالي الكويت) الشيخ عبدالله بن محمَّد الكندري، فجزاهم الله عني خيراً.

# القسم الأول

## الفصل الأول: الترجمة

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بعض ما قيل فيه.

المطلب الثاني: اسمه ونسبه، مولده ونشأته، صفته الخَلْقيّة والخُلُقيّة، عبادته، شعره وأدبه، أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، جهاده، محنه، موقفه من خصومه، وفاته.

المطلب الثالث: طلبه للعلم، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته.

## الفصل الأول: الترجمة

وفيها ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: بعض ما قيل فيه.

اعتاد كثيرٌ مِن الباحثين والمترجمين عن الأعلام أن يذكروا ما قِيل عن ذلك العَلم في ختام ترجمته وسيرته ليُعَلم بروزه في عِلمه أو جِهاده أو زُهده أو غير ذلك، أمّا الحديث عن شيخ الإسلام أبي العبّاس ابن تيميّة فلم أرَ - والله أعلم - أنه قد وُفّي حقَّه، وما زال العُلماء ينهلون مِن فيض عُلومه في شتى الفنون والمعارف، وأمّا المادِحون له فليس لهم عَدٌّ، ولا يستطيع إحصاؤهم مَن أراد إلى ذلك بُدٌّ، فهم في كل زمانٍ ومكانٍ يلبسون لباسه، ويتهادحون بانتسابهم له، وكان مَن أراد ذكره في خِطابه أو كِتابه فيكفيه أن يقول: «قال شيخ الإسلام»؛ حتى أصبح لقبه بذلك أشهر مِن اسمه وكُنيته، فكان رمزاً مِن رموز العِلم والعَمل، ومناراً مِن منارات الصِدق والجِهاد.

ولذا أردتُ أن أُقدِّم بعض ما قاله تلاميذه، وأقرانه الذين رأوه وعاشروه وعرفوا فيه كمال العِلم والعبادة، ثم أذكر بعض أقوال المُعجبين به، والمُنصفين له، ممّن جاءوا بعده، وأفتوا في كثير مِن المسائل بفتواه، والذين شهدوا له بالصِدق والصَبر، والعِلم والجِهاد، والزُهد والعِبادة.

منهم الإمام ابن قيِّم الجوزية ـ مِن تلاميذه ـ حيث قال: «شيخ الإسلام والمُسلمين، القائم ببيان الحقِّ، ونُصرة الدِّين، الدَّاعي إلى الله ورسوله، المُجاهد في سبيله، الذي أضحك الله به مِن الدِّين ما كان عابساً، وأحيى من السنة ما كان دارساً، والنور الذي أطلعه الله في ليل الشبهات فكشف به غياهب الظلمات، وفتح به من القلوب مقفلها، وأزاح به عن النفوس عللها، فقمع به زيغ الزائغين، وشك الشاكين، وانتحال المبطلين، وصدقت به بشارة رسول رب العالمين بقول: (إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)، وبقوله: (يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ، وانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ)، وهو الشيخُ، الإمامُ، العلاَّمةُ، الزَّاهدُ، العابدُ، الخاشعُ، الناسكُ، الحافظُ، المُتبعُ، تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس»[١].

ومنهم الإمام الذَّهبي ـ مِن تلاميذه ـ قال: «ابن تيميَّة: الشيخُ، الإمامُ، العَالِمُ، المفسرُ، الفقيهُ، المُجتهدُ، الحافِظُ، المُحدِّثُ، شيخُ الإسلامِ، نادرةُ العصرِ، ذو التصانيفِ الباهرةِ، والذكاءُ المُفرطُ»[٢].

وقال كذلك: «وصار مِن أئمة النقد، ومِن علماء الأثر مع التدين والنبالة، والذكر والصيانة، ثم أقبل على الفقه، ودقائقه، وقواعده، وحججه،

---

١) الرد الوافر ١٢٢-١٢٣، الشهادة الزكية ٣٤.

٢) ذيل تاريخ الإسلام ٢٦٧ ضمن الجامع.

والإجماع والاختلاف حتى كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة مِن مسائل الخلاف، ثم يستدل ويرجح ويجتهد، وحُقَّ له ذلك فإنَّ شروط الاجتهاد كانت قد اجتمعتْ فيه، فإنني ما رأيتُ أحداً أسرع انتزاعاً للآيات الدَّالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً لمتون الأحاديث، وعزوها إلى الصحيح أو المُسند أو إلى السُّنن مِنه، كأنَّ الكتاب والسُّنن نصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارةٍ رشيقةٍ، وعينٍ مفتوحةٍ، وإفحامٍ للمُخالف»[1].

وقال فيه: «كان قوَّالاً بالحقِّ، نهاءً عن المُنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ذا سطوة وإقدام، وعدم مداراة الأغيار، ومَن خالطهُ وعرفهُ قد ينسبني إلى التقصير في وصفه ... وأنه بحرٌ لا ساحِل لهُ، وكنزٌ لا نظير لهُ، وأنَّ جُودهُ حاتِميٌّ، وشجاعتهُ خالِديةٌ»[2].

وقال عنه أيضاً: «لا يؤتى مِن سوء فهم، بل له الذكاء المُفرط، ولا مِن قِلّة عِلم فإنَّه بحرٌ زخَّار، بصيرٌ بالكتاب والسُّنة، عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدِّين، فلو كان كذلك لكان أسرع شيءٍ إلى مُداهنة خُصومه وموافقتهم ومنافقتهم، ولا هو ينفرد بمسائل بالتشهي ... فهذا الرَّجل لا أرجو على ما قُلْتُه فيه دُنيا ولا مالاً ولا جاهاً بوجه أصلاً؛ مع خبرتي التَّامة به،

---

١) ذيل تاريخ الإسلام ٢٦٨ ضمن الجامع.

٢) ذيل تاريخ الإسلام ٢٦٩ ضمن الجامع.

ولكن لا يسعني في ديني ولا في عقلي أن أكتم محاسنه، وأدفن فضائله، وأبرز ذنوباً له مغفورة في سعة كرم الله تعالى»(١).

وقال فيه كذلك: «وهو أكبر مِن أن يُنبِّه مثلي على نعوته، فلو حلفتُ بين الرُّكن والمقام لحلفتُ أني ما رأيتُ بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نَفْسِه في العِلم»(٢).

وقال الحافظ ابن كثير ـ مِن تلاميذه ـ : «وقد أُفرِدتْ له تراجم كثيرة، وصنَّف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم، وسألخص مِن مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه، وفضائله، وشجاعته، وكرمه، ونصحه، وزهادته، وعبادته، وعُلومه المُتنوعة الكثيرة المجوَّدة، وصفاته الكبار والصغار، التي احتوت على غالب العُلوم ومُفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكِتاب والسُّنة وأفتى بها، وبالجُملة كان ﷺ مِن كِبار العُلماء، وممَّن يُخطئ ويُصيب، ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحرٍ لُجِّي، وخطأه أيضاً مغفورٌ له كما في صحيح البُخاري: (إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ) فهو مأجورٌ»(٣).

---

١) ذيل تاريخ الإسلام ٢٧٠-٢٧١ ضمن الجامع.

٢) العقود الدُّرية ١١٠، الرَّد الوافر ٣٥، الدُّرر الكامنة ١/ ١٦٨، الشهادة الزكية ٢٥

٣) البداية والنهاية ١٤/ ١٤٠، الرَّد الوافر ١٦٦، الشهادة الزكية ٢٧

وقال الإمام ابن عبدالهادي - من تلاميذه -: «هو الشيخُ الإمامُ الربَّانيُّ، إمامُ الأئمة، ومُفتي الأُمة، وبحرُ العُلومِ، سيِّدُ الحفاظِ، وفارسُ المعاني والألفاظِ، فريدُ العصرِ، وقريعُ الدهرِ، شيخُ الإسلامِ، بركةُ الأنامِ، وعلاّمةُ الزَّمانِ، وترجمانُ القرآنِ، علَمُ الزُّهادِ، وأوحدُ العُبَّادِ، قامعُ المُبتدعين، وآخرُ المُجتهدين .. وصاحبُ التصانيف التي لم يُسبق بمثلها»[١].

وقال الإمام المِزِّي - من أقرانه وتلاميذه -: «ما رأيتُ مثله، ولا رأى هو مثل نَفْسِه، وما رأيتُ أحداً أعلم بكتاب الله، وسُنة رسوله، ولا أتبع لهما منه»[٢].

وقال الإمام ابن شيخ الحزاميين الواسطي - من أقرانه وتلاميذه -: «كشفَ اللهُ لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذي أنزله من السماء وارتضاه لعباده ... ما رأينا في عصرنا هذا مَن تُستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلاّ هذا الرجل؛ بحيث يشهد القلب الصحيح أنَّ هذا هو الاتباع حقيقةً»[٣].

وقال الحافظ صلاح الدِّين العلائي - من أقرانه المُعجبين به -: «شيخنا وسيِّدُنا وإمامُنا فيما بيننا وبين الله تعالى، شيخُ التحقيق، السَّالكُ بمَن أتبعه

---

١) العقود الدُّرية ٣

٢) العقود الدُّرية ٩

٣) العقود الدُّرية ٢٤٢ - ٢٤٥

أحسن طريق، ذي الفضائل المُتكاثرة، والحجج القاهرة، التي أقرَّت الأمم كافة أنَّ هممها عن حصرها قاصرة، ومتَّعنا الله بعلومه الفاخرة، ونفعنا به في الدُّنيا والآخرة، وهو الشيخُ الإمامُ، العالِمُ الربَّانيُّ، والحَبْرُ البَحْرُ، القُطْبُ النورانيُّ، إمامُ الأئمةِ، بركةُ الأمةِ، علاَّمةُ العُلماءِ، وارثُ الأنبياءِ، آخرُ المُجتهدين، أوحدُ عُلماءِ الدِّين، شيخُ الإسلامِ، حُجَّةُ الأعلام، قُدوةُ الأنامِ، بُرهانُ المُتعلمين، قامعُ المُبتدعين، سيْفُ المُناظرين، بَحْرُ العُلوم، كَنْزُ المُستفيدين، ترجمانُ القُرآنِ، أُعجوبةُ الزمانِ، فريدُ العَصْرِ، ألاَ وإنْ تقي الدِّين إمامُ المُسلمين، حُجَّةُ الله على العالمين، اللاحقُ بالصالحين، والمُشَبهُ بالماضين، مُفتي الفِرق، ناصرُ الحقِّ، علاَّمةُ الهُدى، عُمْدةُ الحفاظِ، فارسُ المعاني والألفاظِ، ركنُ الشريعةِ، ذو الفنونِ البديعةِ، أبو العبَّاس ابن تيميَّة»[1].

وقال العلاَّمة عبدالباقي اليماني ـ من أقرانه ـ: «شيخُ العلومِ الإسلاميةِ، وأساسُ القواعدِ الدِّينيةِ، وابنُ بَجْدَة الأحاديث النَّبوية، جمعَ بين المعقول والمنقول، وردَّ على فلاسفة الحكماء فيما يتعلق بالمعقول، إذا تكلَّم في مسألة فحدِّث عن البَحْرِ ولا حَرَج، وإذا استمرَّ في معنىً من المعاني لا يكاد سامعه يقول عنه مَخْرَج، مع فصاحةِ لسانٍ، وبلاغةٍ ملكت أَزِمَّة التبيان، وأمَّا الزُّهد في الدُّنيا ورفض زخارفها فإليه الغاية، وعنده يوجد في هذا الشأن النهاية، أجمعَ مَن

---

(١) الدُّرر الكامنة ١/ ٤٨

شاهده معارفه، وتحقق عوارفه، أنه نسيجُ وحدة، وفريد وقته في عِلمه وتجْلِه ...
وعلى الجُملة لم يسمح الزمن له بمثيل، تقصر العبارة عن ذكر صفاته على التَّفصيل، فلذلك جاء لسان العلم بها مسْرودة على طريق الإجمال، ولو شُرع في تفاصيلها لأوقِرَ منها الأحمال فالأحمال.

مَا زالَ يَسْبِقُ حتَّى قَالَ حَاسِدُهُ ... لَـهُ طَرِيـقٌ إلى العَلْيَـاءِ مُختصَرُ»[1].

وقال العلاّمة أبو المعالي ابن الزملكاني ـ من أقرانه ـ: «كان إذا سُئل عن فن من العِلم ظَّن الرَّائي والسَّامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أنَّ أحداً لا يعرفه مثله، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العُلوم سواء أكان من عُلوم الشرع أم غيرها إلاَّ فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطُّولى في حُسْنِ التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين»[2].

وقال كذلك في وصفه والثناء عليه: «الشيخُ الإمامُ، العلاّمةُ الأوحدُ، الحافِظُ المُجتهدُ، الزَّاهدُ العابِدُ القُدوةُ، إمامُ الأئمةِ، قُدوةُ الأُمةِ، عَلاَّمةُ العُلماءِ، وارثُ الأنبياءِ، آخرُ المُجتهدين، أوحدُ عُلماءِ الدِّين، بركةُ الإسلامِ، حُجَّةُ

---

١) لفطة العجلان في مختصر وفيات الأعيان ٢٤٦ ضمن الجامع.

٢) العقود الدُّرية ٩ - ١٠، الرَّد الوافر ١٠٧

الأعلام، بُرهانُ المتكلمين، قامعُ المبتدعين، مُحيي السُّنةِ، ومَن عَظُمتْ به لله علينا المِنَّة، وقامتْ به على أعدائه الحُجَّة، واستبانت ببركته وهديه المَحَجَّة، تقي الدِّين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسَّلام ابن تيميَّة الحرَّاني، أعلى الله مناره، وشيَّد به من الدِّين أركانه»[1].

وكتب فيه قوله:

| | |
|---|---|
| مَاذا يقُولُ الوَاصِفُونَ لَهُ | وصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الحَصْرِ |
| هُو حُجَّةٌ لله قَاهِرَةٌ | هُو بَيْنَنا أُعْجُوبَةُ الدَّهْرِ |
| هُو آيةٌ للخَلْقِ ظَاهِرَةٌ | أنوارُهَا أَرْبَتْ عَلَى الفَجْرِ[2] |

وقال الإمام ابن دقيق العيد ـ من أقرانه ـ: «لمَّا اجتمعتُ بابن تيميَّة رأيتُ رجلاً العُلومُ كُلُّها بين عينيه، يأخذ منها ما يُريد، ويدع ما يُريد»[3].

وقال فيه أيضاً: «ما كنتُ أظُنُّ أنَّ اللهَ تعالى بقي يخلق مثلك»[4].

---

١) الرَّد الوافر ١٠٩

٢) العقود الدُّرية ١١، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٢، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢.

٣) الرَّد الوافر ١١١.

٤) العقود الدُّرية ١١٠، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٢، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٩٢، وقد استنكر هذه الجملة الدكتور سالم الدخيل في تحقيقه للقول الجلي في ترجمة ابن تيميَّة الحنبلي للشيخ محمَّد صفي الدِّين البُخاري ٣٩ وقال: «هذا التعبير لا ينبغي من مثل هذا

وقال الإمام أبو البقاء السُّبكي ـ مِن أقرانه ـ : «والله يا فُلان: ما يُبغِض ابن تيميَّة إلا جاهلٌ أو صاحبُ هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصُدُه هواه عن الحقّ بعد معرفته به»[1].

وقال الإمام محمَّد بن الحريري قاضي قضاة الحنفية ـ مِن أقرانه ـ : «إنَّه مِن ثلاثمائة سنة ما رأى الناسُ مِثلَه»[2].

وقال الحافظ ابن رجب ـ مِن تلاميذ تلاميذه ـ: «الإمامُ الفقيهُ، المُجتهدُ المُحدِّثُ، الحافِظُ المُفسِّرُ، الأصوليُّ الزَّاهدُ، تَقِيُّ الدِّين أبو العبَّاس، شيخُ

---

العالِم، فهو إلى أقوال العَوَام أقرب مِنه إلى أقوال العُلَماء». واستشكلها كذلك الشيخ بكر أبو زيد في مُعجم المناهي اللفظية.

وهذه الجُملة لا تعيب الإمام ابن دقيق العيد فهي مشهورةٌ عند السَّلف، فقد قالها سعيد بن المُسيب في قتادة بن دعامة السدوسي كما في الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٣٠، وتهذيب الكمال للمزي ٢٣/ ٥٠٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٣٣٢، وغيرهم، وقيلت كذلك في الإمام الشافعي كما في الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، نقلاً عن الشيخ بكر في المُعجم، وما رأيتُ أحداً مِن المُتقدمين أنكرها، ولكن الشيخين سالم الدخيل وبكر أبو زيد رحمهما الله كانا مِن العُلَماء المُجتهدين، الذين يتوقفون في الألفاظ، ويتحرون معانيها، وهذه مِن عادة الراسخين في العِلم، والله يُسكنهما فسيح الجنان.

[1] الرَّد الوافر ٩٩

[2] نهاية الإرب في فنون الأدب ١٨٠ ضمن الجامع.

عصرِ الرجُلين بمن شابَهها أو يقاربها»[1].

وسمعتُ شيخنا العلاّمة الشيخ محمد بن صالح العثيمين يقول فيه - مِن المُتأخرين المُعجبين به - : «شيخُ الإسلامِ آيةٌ مِن آياتِ الله».

وسمعتُه كذلك يقول: «أبو العبَّاس شيخ الإسلام حَبْرُ الأُمة في زَمَانِه».

وسمعتُه أيضاً يقول: «رحِم اللهُ شيخ الإسلام لو لم يرُد على الفِرق الضالة، ويبيِّن عوارها، ما عرفنا كيف نردُّ عليهم»، أو نحوها.

وسمعتُه كذلك يقول: «ولهذا الرَّجُل مِن المقامات التي يُشكر عليها، والتي نرجو مِن الله له المثوبة عليها في الدفاع عن الحق، ومهاجمة أهل الباطل، ما يعلمه كل مَن تتبع كُتُبَه وسَبَرَها، والحقيقة أنه مِن نِعَم الله على هذه الأمة، لأنَّ الله سبحانه وتعالى كفَّ به أموراً عظيمة خطيرة على العقيدة الإسلامية».

---

وابن عبدالهادي في ابن تيميةً (العقود الدرية ٣)، وابن الزملكاني في ابن تيميةً (الرَّد الوافر ١٠٩)، والعلائي في ابن تيميةً (الدُّرر الكامنة ١/ ٤٨)، وابن حجر في ابن تيميةً (الدُّرر الكامنة ١/ ٥٢)، والسخاوي في ابن حجر (الضوء اللامع ١/ ٢٦٨)، وغير ذلك كثير، ومقولة الدكتور الفصن جزاه الله خيراً تشير بضرورة الاعتناء بالألفاظ في حقِّ العُلماء؛ حتى لا يُغلى فيهم بغير ما أراد الله عموماً؛ كما نبه إليها، وإن كان في لفظة (إمام الأئمة) بحبوحة مِن القول، وفُسحة مِن الأثر، والله أعلم.

وما بين المعكوفين [ ] الأولى أن يُقال ليلة (الإسراء)، لأن الصلاة بالأنبياء جرت فيها، والإسراء هو الانتقال مِن مكة إلى بيت المقدس، والمعراج جرى ما بعد بيت المقدس إلى نزوله مِن السماوات العُلا، إلا أنَّ مقصود الشيخ واضحٌ أنه يريد بها جُملة الحادثة، والله أعلم.

(١) البدر الطالع ١/ ٩٤ (ت: محمد حلاّق)، و ١/ ٤٦ (ت: خليل المنصور).

**المطلب الثاني: اسمه ونسبه، مولده ونشأته، صفاته الخَلقيّة والخُلقيّة، عبادته، شعره وأدبه، أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، جهاده، محنه، موقفه من خصومه، وفاته.**

**١- اسمه ونسبه:**

هو الإمامُ المُجتهدُ المُجاهدُ الزَّاهدُ أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسَّلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله ابن تيميَّة النُّميْري الحرَّاني الدمشقي الحنبلي السَّلفي[١]، وكُنيته (أبو العبَّاس)، ولقبه (تقي الدِّين)، وأُشتهر بـ (شيخ الإسلام).

أمَّا لقب العائلة بآل تيميَّة فقد ذكر مترجموه ثلاثة أقوالٍ وهي:

(١) أنَّ تيميَّة لقبٌ لجدِّه الأعلى[٢].

(٢) أنَّه اسم والدة جَدِّه (محمد بن الخضر) واسمها (تيميَّة)، وكانت واعظة، فنُسب إليها، وعُرف بها[٣].

---

١) العقود الدرية ٢، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٥

٢) ذكره الذهبي في ذيل تاريخ الإسلام ضمن الجامع ٢٦٧، والصفدي في الوافي بالوفيات ٧/ ١١، وفي أعيان العصر وأعوان النصر ٥٨ ضمن الجامع.

٣) ذكره وما بعده ابن عبدالهادي في العقود الدُّرية ٤، ومرعي الكرمي في الشهادة الزكية ٢٣

(٣) أنّه اسم بِنْتُ جَدِّه (محمد بن الخضر) حيث حج على درب تَيْمَاء[١]، فرأى هناك طفلةً قد خرجت مِن خبائها، فلمَّا رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً له تُشبه الطفلة التي رآها في تَيْمَاء، فقال: يا تيميَّة!! يا تيميَّة!! فلُقِّب بذلك.

---

١) بفتح التاء المثناة مِن فوقها، وسكون الياء المثناة مِن تحتها، وفتح الميم مع همزة ممدودة، هي الأن محافظة كبيرة تتبع منطقة تبوك، وتقع جنوب شرق تبوك على بُعد (٢٤٠) كم تقريباً، وشمال المدينة النبوية على بُعد (٤٢٠) كلم تقريباً، وكانت تحت ولاية الصحابي يزيد بن أبي سُفيان ا في عهد النبي ﷺ، وهي موطنٌ لليهود مِن قَبل بعثة النبي ﷺ، وجاء في كُتب السِّيرة أن بَحِيرَى الرَّاهب الذي لقي النبي ﷺ قَبل البعثة كان مِن أحبار يهود تيماء، ويُقال لهم (يهودُ تَيْم) لتعريفهم عن يهود (المدينة، أو خيبر، أو فدك، أو أريحاء)، وقد أجلاهم عمرُ ابن الخطاب ا مِن الحجاز وقتَ خلافته إليها، وكانت تيماء ليست مِن بلاد العرب يومئذٍ كما قاله الإمام مالك لِما رواه أبو داود في سُننه في كتاب الخراج، باب: في إخراج اليهود مِن جزيرة العرب، رقم (٣٠٣٥) عن مالكٍ بلفظ: «عُمَرُ أجْلَى أهلَ نجران ولم يُجلوا مِن تَيْمَاءَ لأنَّها ليست مِن بلاد العرب ..».

أمَّا تسميتُها بتيماء فالأمور منها:

(١) أنَّ فيها عينٌ جاريةٌ تخرج مِن أصل جبل؛ كما عند الواقدي في المغازي ٧١٣، وابن الأثير في النهاية ٥/ ٣٢١.

(٢) أنَّ طُرُقها مُذللةٌ مُعبَّدةٌ؛ كما نقله النووي عن أبي الفتح الهمذاني كما في تهذيب الأسماء واللُّغات ٣/ ٣٢٥ حيثما قال: «والتيم في العربية العبد، ومنه قولهم تيم الله أي عبدُ الله، وقد تيَّمه الحبُّ أي استعبده، فكأن هذه الأرض قيل لها تيماء لأنها مُذللةٌ مُعبدةٌ».

أمّا قبيلة العائلة التي يرجعون إليها فإنّ أكثر ممّن ترجم لشيخ الإسلام ابن تيميّة يذكرون مولده في (حرّان)، وأمّا القبيلة فلم ينص عليها إلاّ بعض المؤرخين، ولذا التبس على بعضهم مرجع قبيلة شيخ الإسلام؛ حتى عدّوه من غير العرب، وهذا غلطٌ منهم[1]، وإلاّ فقبيلته مُتفقٌ عليها عند المُؤرخين، ومَن خالف فخلافه شاذٌ لا عِبرة به، وقبيلة الشيخ هي (بنو نُمَيْر) العربية[2]، والتي

---

١) والمُخالف هو الشيخ محمّد أبو زهرة في (ابن تيميّة حياته وعصره) ١٨، ولم يجزم في ذلك؛ كما يظنّه بعض المُترجمين لشيخ الإسلام ابن تيميّة، وإنّما قال: «ولذلك نستطيع أن نفهم، أو نعلم علماً ظنياً أنّه لم يكن عربياً، ولعلّه كان كُردياً».

٢) ذكره الإمام ابن ناصر الدّين الدمشقي في (التبيان لبديعة الزمان) ضمن الجامع ٤٢٦، والقاضي محمود العدوي في (الزيارات) ضمن الجامع ٦٢٧، المؤرخ ابن تغري بردي في (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) ١/ ٢٧١، والمؤرخ خير الدين الزركلي في (الأعلام) ١/ ١٤٤، والأستاذ زهير الشاويش في تحقيقه (شرح حديث النزول) ٦، والعلاّمة بكر أبو زيد في (معجم المناهي اللفظية) ٣٢٢، وفي مقدمته لـ(الجامع لسيرة ابن تيميّة)، ووهِم الشيخان أحمد القطّان ومحمّد الزين في كتابهما (شيخ الإسلام ابن تيميّة) ٣٨ حيث أدرجا القبيلة (النُّميري) ضمن كلام ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن الذّهبي، وهذا وهمٌ عليهما، فليس هو من كلام ابن كثير ولا الذّهبي، والله أعلم.

وهذه القبيلة عربية كما قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ٢/ ٤٨٢: «وبنو نُمير: ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس

يرجع نسبها إلى (قيس عَيلان بنْ مُضَرْ) القبيلة العربية الكبيرة المشهورة، لِما ذكره النسّابون عنه.

عَلاَّمَــةُ العُلَمَــاءِ واللُّـجُّ الـذي لا يَنْتَهي ولِكُلِّ لُـجٍّ ساحِــلُ
لَـوْ طَـابَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلِهِ وَلَـدَ النِّسَـاءُ وما لَهُـنَّ قَوابِـلُ.

## ٢- مولده ونشأته:

ولد شيخُ الإسلامِ أبو العبّاس ابن تيميَّة في يوم الاثنين العاشر[١] من ربيع الأول سنة ستمائة وإحدى وستون من الهجرة النبوية (١٠/ ٣/ ٦٦١هـ)،

---

عيلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان»، ووافقه السمعاني في الأنساب ٥/ ٥٢٧، وابن الأثير في الألباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٣٢٧، والقلقشندي في نهاية الأرب ١٤٠.

١) وهو الأظهر لأنَّ كُل مَن ترجم للشيخ جزم بذلك، ومنهم ابن عبدالهادي في العقود الدُّرية، وفي مختصر طبقات علماء الحديث، وابن الوردي في تتمة المختصر في أخبار البشر، والذهبي في تاريخ الإسلام، وفي العِبَر في خَبَر مَن غَبَر، وفي معجم الشيوخ، وابن كثير في البداية والنهاية، والبزّار في الأعلام العليّة، وابن مفلح في المقصد الأرشد، والنُّويري في نهاية الإرب في فنون الأدب، وابن سيِّد النَّاس في أجوبته عن سؤالات ابن أيبك، وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، وابن الجزري القرشي في تاريخ حوادث الزمان ووفيات الأكابر والأعيان، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة، وابن حجر في الدُّرر الكامنة، وابن ناصر الدِّين في الرَّد الوافر، والعليمي في المنهج الأحمد، وفي الدُّر المُنَضَّد، والداوودي في طبقات المُفسرين، وباخرمة في قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، والعدوي

في مدينة حَرَّان[1]، وهي مَهْدُ الفَلاسفة والصَّابئة قبل الإسلام.

وقد أُختلف هل هي بأرض (تُركيا)[2]، أم بأرض الشَّام

---

في الزيارات، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب، والصفدي في الوافي بالوفيات، والكتبي في فوات الوفيات، ومحمد صفي الدِّين البُخاري في القول الجلي، وصدِّيق حسن خان في أبجد العلوم، والألوسي في جلاء العينين، ومحمَّد أبو زهرة في ابن تيميَّة حياته وعصره، وإبراهيم العلي في ابن تيميَّة رجل الإصلاح والدعوة، وغيرهم كثير. وقيل في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وقد ذكره ابن عبدالهادي في العقود الدُّرية ٤، وفي مختصر طبقات علماء الحديث ٢٤٩ ضمن الجامع، ولم ينسه لأحد، ونقله عنه الكشميري في نُزُل مَن أتقى يكشف أحوال المُتقى ٦٥٨ ضمن الجامع، وقد وهم الدكتور محمَّد العواجي في كتابه إعجاز القرآن الكريم عند ابن تيميَّة ٢٨ حيث نسب هذا القول للصفدي !! ولم أجده كذلك.

١) قال الحموي في معجم البلدان ٢/ ٢٣٥-٢٣٦: (حرَّان: بتشديد الراء وآخره نون .. وهي: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مُضر، بينها وبين الرُّها يوم وبين الرَّقَّة يومان، وهي على طريق الموصل والشَّام والروم .. وفتحت في أيام عمر بن الخطاب ا على يد عياض بن غنم نزل عليها قبل الرُّها)، وكان فتح حرَّان والرُّها والرَّقة سنة ١٨هـ كما ذكره ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٢/ ٤٠٣، وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ١/ ٣١٥: (والحرَّاني: نسبة إلى حرَّان، وهي مدينة مشهورة بالجزيرة)، ووافقه السيوطي في لب الألباب ١/ ٦٠، والمُرادي في سلك الدرر ١/ ٥٥.

٢) كما رجح ذلك الأستاذ محمَّد بهجة البيطار في كتابه (حياة شيخ الإسلام ابن تيميَّة) ٨، والأستاذ زهير الشاويش في تحقيقه (الأعلام العلية في مناقب ابن تيميَّة) للإمام البزَّار ١٦،

(سوريا)[١]، لأنَّ في كليهما يوجد أرضٌ تُسمى حرَّان.

والأظهر أنَّها مِن أرض (العِراق)[٢] قديماً قبل التحديد الجغرافي الحديث، إذا كانت العِراق أكبر ممَّا هي عليه الآن، ولذلك غالب مَن ذكر أرض العِراق مِن المؤرخين، فإنَّه يذكر (حرَّان، والموصل، والرُّها، والرَّقَّة) ويجعلها متقاربة، وأنها مِن مُدن الجزيرة التي بين دِجْلة والفُرات، وسكانها خليطٌ بين قبائل العرب كمُضر وبكر، وقبائل الأكراد، وهم كذلك إلى الآن.

وقد حدَّدَ المُرادي[٣] مكانها وأنَّها قريبةٌ مِن بغداد، فقال: (حرَّان: وهي بالفتح والتشديد مدينة بالجزيرة بالقُرب مِن بغداد).

---

والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط في مقدمة تحقيقه (الفرقان بين الحقّ والباطل) صفحة هـ والدكتور محمَّد العجلان في تحقيق (التسعينية) ١/ ٢٥، والدكتور عبدالرَّحمن اليحيى في تحقيقه (الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان) ٢٩، والدكتور علي بن بخيت الزهراني في تحقيقه (الإيمان الأوسط) ١٨، والدكتور صالح بن غرم الله الغامدي في كتابه (موقف شيخ الإسلام ابن تيميَّة مِن آراء الفلاسفة) ١٤، والدكتور أحمد الحليبي في كتابه (أصول الحكم على المُبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيميَّة) ٤٣، والشيخ إبراهيم محمَّد العلي في كتابه (ابن تيميَّة رجل الإصلاح والدعوة) ٣٧، وغيرهم.

١) كما رجح ذلك الدكتور يحيى الهنيدي في تحقيقه (التحفة العراقية) ٣٣.

٢) وهو محض اجتهادٍ وتأمُّلٍ، ولا أعلمُ هل سُبقتُ إلى ذلك أم لا، والله المُستعان.

٣) في سلك الدرر ١/ ٥٥

وقال الحموي(١): (جزيرة أَقُور: بالقاف وهي التي بين دجلة والفُرَات مجاورة الشَّام، تشتمل على ديار مُضر وديار بَكْر، سُميت الجزيرة لأنها بين دِجْلة والفُرَات وهما يقبلان مِن بلاد الروم .. وهي صحيحة الهواء جيدة الريع والنماء واسعة الخيرات بها مُدنٌ جليلةٌ، وحُصونٌ وقِلاعٌ كثيرةٌ، ومِن أمهات مُدنها حرَّان والرُّها والرَّقَّة ورأس العَين ونصيبين وسنجار والخابور ومَارْدِين آمد ومَيَّافارقين والموصل وغير ذلك، ... وقد صُنِّف لأهلها تواريخ، وخرج منها أئمة مِن كُل فن)، وهذه المُدن كُلها عِراقية.

وقال الطاهر بن عاشور: «ودين الصَّابئة كان معروفاً للعرب في الجاهلية، بسبب جوار بلاد الصَّابئة في العِراق والشَّام لمنازل بعض قبائل العرب مثل ديار بَكْر وبلاد الأنباط المجاورة لبلاد تَغْلب وقُضاعة، ألا ترى أنَّه لما بُعث محمدٌ ﷺ وصفه المُشركون بالصَّابئ، وربما دَعَوه بابن أبي كبشة الذي هو أحد أجداد آمِنَة الزُّهْرِيَّة أمّ النبي ﷺ كان أظهر عبادة الكواكب في قومه، فزعموا أنَّ النبي ورث ذلك مِنه، وكَذَبُوا»(٢).

أمَّا الآن فإنَّ حَرَّان مِن أرض (تُركيا)، وهي كذلك مجمع للقبائل السابقة إلى الآن، والله أعلم.

---

١) معجم البلدان ٢/ ١٣٤

٢) التحرير والتنوير ١/ ٣٢٥

وهكذا نعلم أنَّ شيخ الإسلام قد عاش في حرّان منذ عام ٦٦١هـ إلى غزو التتار بلاد المسلمين عام ٦٦٧هـ، مُدَّة سِتّ سنين مِن عُمره، ثم هاجر والده بأسرته إلى الشّام، فساروا باللّيل، ومعهم الكُتب الثمينة على آلةٍ ذات عجلات، لعدم وجود الدّواب، فكاد العدو يلحقهم، ووقفتْ بهم العجلة، فابتهلوا إلى الله، واستغاثوا به، فنجوا مِن كَرْبهم، وسلِموا بأمر ربهم"[1].

انتقل الشيخ مع أبيه وإخوته إلى دِمَشق، وهناك ترعرع ونشأ في كنف أسرته المباركة، والمكونة مِن:

(١) والده (عبدالحليم بن عبدالسّلام ابن تيميَّة)[2].

(٢) والدته (سِتُّ النِّعَم بنت عبدالرَّحمن بن علي بن عبدوس الحرّاني)[3].

---

١) العقود الدُّرية ٤

٢) ولد بحرّان سنة ٦٢٧هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٨٢هـ وعُمر شيخ الإسلام آنذاك واحدٌ وعشرون عاماً تقريباً. (البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٣، الذيل على طبقات الحنابلة ٣/ ١٦٧).

٣) رُزقت بتسعة أبناء ولم تُرزق بِنتاً قط، ولم أقف على سنة مولدها، وتوفيت بدمشق سنة ٧١٦هـ وعُمر شيخ الإسلام آنذاك خمسة وخمسون عاماً تقريباً، وقد جاء في بعض النُّسخ أنَّ اسمها (سِتُّ المُنعم) بميمٍ مضمومةٍ؛ كما في البداية والنهاية ١٤/ ٩٠ (ت: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي)، بينما أثبت الشيخ التركي الاسم الأول، وأشار للخلاف في الحاشية (البداية والنهاية ١٤/ ٧٩).

(٣) أخوه (عبدالله بن عبدالحليم بن عبدالسّلام ابن تيميّة)[١].

(٤) أخوه (عبدالرّحمن بن عبدالحليم بن عبدالسّلام ابن تيميّة)[٢].

(٥) أخوه مِن أمه (محمّد بن خالد بن إبراهيم الحرّاني)[٣].

وذكر المؤرخون عنه أنّه لم يتزوج أبداً، ولا تسرّى[٤]، لإنشغاله بالعِلم والجِهاد، وكثرة تردده على السجون، ومكوثه فيها، والله أعلم.

وقد نشأ في بيت عِلمٍ وزُهدٍ وكفاحٍ، طامح دوماً لكل ما فيه خيرٌ وفلاح، وقد قال الذّهبي عنه: «نشأ ـ يعني الشيخ تقي الدّين رحمه الله ـ في تصَوّن تامّ، وعفاف، وتألّه وتعبّد، واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك

---

١) ولد بحرّان سنة ٦٦٦هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٢٧هـ وعُمر شيخ الإسلام آنذاك ست وستون عاماً تقريباً. (شذرات الذهب ٦/ ٧٦، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٢).

٢) ولد بحرّان سنة ٦٦٣هـ وتوفي بدمشق سنة ٧٤٧هـ بعد شيخ الإسلام بتسعة عشر عاماً تقريباً. (البداية والنهاية ١٤/ ٤٣٧، الدُّرر الكامنة ٢/ ٤٣٧).

٣) ولد بحرّان سنة ٦٥٠هـ وتوفي بدمشق سنة ٧١٧هـ وعُمر شيخ الإسلام آنذاك ست وخمسون عاماً تقريباً. (شذرات الذهب ٦/ ٤٥-٤٦).

٤) ذكره الذّهبي الدُّرة اليتيمية في السيرة التيمية، ونقلها عنه ابن الوردي في تتمة المُختصر ضمن الجامع ٣٣٦، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة ٤/ ٥٠٨

الوقت وأكب على الاشتغال، ومات والده ـ وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ـ فدَرس بعده بوظائفه، وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره، وبعُد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجُمَع على كرسي من حفظه، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم، وكذا كان الدرس بتؤدة، وصوت جهوري فصيح»[١].

وقال ابن عبدالهادي: «وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا ـ وقد ذكر نبذةً مِن سيرته ـ أمّا مبدأ أمره ونشأته فقد نشأ مِن حين نشأ في حجور العُلماء، راشفاً كؤوس الفهم، راتعاً في رياض التفقه، ودوحات الكُتب الجامعة لكل فنٍ مِن الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، خصوصاً عِلم الكتاب العزيز والسُّنة النبوية ولوازمها، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاً سَلفيّاً مُتألهاً عن الدُّنيا، صَيِّناً تقيّاً، بَرّاً بأمه، وَرِعاً عفيفاً، عابداً ناسِكاً، صوّاماً قوّاماً، ذاكراً لله تعالى في كل أمر، وعلى كل حال رجّاعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقّافاً عند حدود الله تعالى، وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف ناهياً عن المُنكر بالمعروف، لا تكاد نفسه تشبع مِن العِلم، فلا تروى مِن المطالعة، ولا تَمَلُّ مِن الاشتغال، ولا تَكِلُّ مِن البحث، وقلَّ أن يدخل في علمٍ مِن العُلوم مِن باب مِن أبوابه إلاَّ ويُفتح له مِن ذلك الباب أبواب،

---

١) العقود الدُرية ٧-٨

ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حُذّاق أهله مقصوده بالكتاب والسُّنة.

ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: (إنَّه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تُشْكِل عليَّ فأستغفر الله تعالى ألفَ مرَّة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكل)، قال: (وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي)...أجِدُ لكلامِهِ صَوْلَةً على القُلوب، وتأثيراً في النفوس، وهيبةً مقبولة، ونفعاً يَظْهَرُ أثرهُ، وتَنْفَعِلُ لهُ النفوسُ التي سمعتهُ أياماً كثيرةً بعَقِبه؛ حتى كأن مَقَالُه بلسان حَالِهِ، وحَالُهُ ظاهرٌ لهُ في مَقَالِهِ، شَهِدتُ ذلك مِنه غير مرَّةٍ»[1].

٣- صفاته الخلقية:

أمّا صفة شيخ الإسلام الخلقيَّة فقد أوردها الذهبي بالتفصيل حين قال: (وكان أبيضَ، [أعْيَنَ][2]، أسودَ الرَّأس واللحية، قليلَ الشيب، شَعره إلى شحمة

---

١) العقود الدُّرية ٨-٩

٢) هذه الكلمة أضافها الذهبي في الدُّرة اليتيمية في السيرة التيمية كما في تتمة المُختصر لابن الوردي ضمن الجامع ٣٣٧، وتابعه صدِّيق حسن خان في أبجد العلوم ٦٤٤، وهي مُخالفة لما ورد من صفته ﷺ في المصادر التي ذكرت ذلك، وقد وهم الشيخ الشيباني في كتابه أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ٢٦، وتابعه الدكتور العواجي في كتابه إعجاز القرآن الكريم

أذنيه، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، رَبْعَةٌ مِن الرجال، بعيدُ ما بين المنكبين، جهوريُّ الصوتِ، فصيحُ اللسانِ، سريع القراءة، تعتريه حِدَّةٌ ثم يقهرها بحلم وصفح)[1].

وما زِلْتُ حتى قادني الشَّوْقُ نحوَهُ ... يُسايِرُني في كُلِّ رَكْبٍ لهُ ذِكْرُ

واستكْبِرُ الأخبارَ قَبْلَ لِقائِهِ ... فلَمَّا التَقَيْنا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ

فجنابكَ دونَ الشَّمْسِ والبَدْرِ في النَّوَى ... ودُونَكَ في أحوالِكَ الشَّمْسُ والبَدْرُ

كأنكَ بَرْدُ الماءِ لا عَيْشَ دونَهُ ... ولوْ كنتَ بَرْدَ الماءِ لم يَكُنِ العِشْرُ

٢- صفاته الخُلُقية:

أولاً: سريع الحفظ:

قال البزّار: «وقلَّ كتابٌ مِن فنون العلم إلاَّ وقف عليه، كأنَّ الله قد خصَّه بسرعة الحفظ، وإبطاء النسيان، لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء - غالباً - إلاَّ ويبقى على خاطره، إمَّا بلفظه أو معناه، وكان العلم كأنه قد اختلط

---

عند ابن تيميَّة ٥٧ حينها سا هذه الزيادة للحافظ ابن حجر في الدُّرر الكامنة !! وليس كذلك، والله أعلم.

ومعنى الأعين: الواسع العينين مع جمالها، كما في صفة الحور العين.

[1] ذيل تاريخ الإسلام ٢٧١ ضمن الجامع، ونقلها عنه الصفدي في الوافي بالوفيات ٢/ ٣٧٦، والكُتبي في وفيات الأعيان ١/ ٧٥، وابن حجر في الدُّرر الكامنة ١/ ١٦١، والشوكاني في البدر الطالع ١/ ٦٤.

بلحمه ودمه وسائره، فإنَّه لم يكن مُستعاراً، بل كان له شعاراً ودثاراً، ولم يزل آباؤه أهل الدراية التَّامة والنقد، والقدم الراسخة في الفضل، لكن جمع الله له ما خرق بمثله العادة، ووفقه في جميع عمره لأعلام السعادة، وجعل مآثره لإمامته أكبر شهادة»[1].

ثانياً: قوي الفهم والحجْة مع سرعة البديهة:

قال البزّار: «وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية، وإبراز الدلائل منها على المسائل، وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه، وإيضاح المخصص للعام، والمقيد للمطلق، والناسخ للمنسوخ، وتبيين ضوابطها، ولوازمها وملزوماتها، وما يترتب عليها، وما يحتاج فيه إليها، حتى إذا ذكر آية أو حديثاً، وبين معانيه، وما أريد فيه، يَعْجَبُ العَالِمُ الفَطِن مِن حُسن استنباطه، ويُدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه»[2].

ثالثاً: ذكيٌ مُبهر لكل مَن رآه:

قال ابن عبدالهادي عنه في صغره: «سمعَ مُسند الإمام أحمد بن حنبل مرّات، وسمع الكتب السّتة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير، وعني بالحديث وقرأ ونسخ، وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ

---

١) الأعلام العلية ٢٢

٢) الأعلام العلية ٣١-٣٢

القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبدالقوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً؛ حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك، هذا كله وهو بعدُ ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه»[١].

رابعاً: كريمٌ سَجِيَّة:

قال البزّار: «كان ! مجبولاً على الكرم، لا يتطبعه ولا يتصنعه؛ بل هو له سَجِيَّة، وقد ذكرتُ فيما تقدم أنه ما شدَّ على دينارٍ ولا درهمٍ قط؛ بل كان مهما قدر على شيء من ذلك يجود به كله، وكان لا يرد مَن يسأله شيئاً يقدر عليه من دراهم ولا دنانيرٍ ولا ثيابٍ ولا كُتبٍ ولا غير ذلك؛ بل ربَّما كان يسأله بعض الفقراء شيئاً من النفقة، فإن كان حينئذ متعذراً لا يدعه يذهب بلا شيء؛ بل كان يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إليه، وكان ذلك المشهور عند النَّاس من حاله.

حدثني الشيخ العالم الفاضل المقرئ أبو محمَّد عبدالله ابن الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن سعيد قال: كنتُ يوماً جالساً بحضرة شيخ الإسلام ابن تيميَّة ! فجاء إنسانٌ فسلَّم عليه، فرآه الشيخ محتاجاً إلى ما يعتم به، فنزع الشيخ عمامته

---

(١) العقود الدُّرية ٦

مِن غير أن يسأله الرجل ذلك، فقطعها نصفين، وأعتم بنصفها ودفع النصف الآخر إلى ذلك الرجل، ولم يحتشم للحاضرين عنده.

قلتُ: وربّما توهم بعض مَن يحتاج إلى التفهيم أنْ هذا الفعل مِن الشيخ فيه إضاعة المال، أو نوعٌ مِن التبذل الذي يشين المروءة، وليس الأمر كذلك، فإنه لم يكن عنده حينئذ معلومٌ غير ثيابه، ورأى أن قطع غير العمامة مِن بقية لباسه مما يفسده، ولا يحصل به المقصود، ولم يكن عليه ولا عنده حينئذٍ ثوبٌ صحيحٌ لا يحتاج إليه حتى يدفعه إليه، فسارع إلى قطع ما يستغني ببعضه عن كله فيما وضع له وهو العمامة، فنفع أخاه المسلم، وسدَّ حاجته حينئذ ببعضها، واستغنى هو بباقيها، وهذا هو أكمل التصرف الصالح، والرُّشد التَّام»[١].

وقال أيضاً: «وحدثني مَن أثق به أن الشيخ ا كان مارّاً يوماً في بعض الأزقة، فدعا له بعض الفقراء، وعرف الشيخ حاجته، ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه فنزع ثوباً على جلده، ودفعه إليه، وقال: بعه بما تيسر، وأنفقه، واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة.

وهذا أيضاً من المبالغة في عدم اكتراثه في غير ما يقرب إلى الله تعالى، وجُوده بالميسور كائناً ما كان، وهذا من أبلغ إخلاص العمل لله عز وجل، فسبحان الموفق مَن شاء لما شاء.

---

١) الأعلام العلية ٥٩

وحدثني مَن أثق به أن الشيخ ! كان لا يَرُد أحداً يسأله شيئاً كتبه؛ بل يأمره أن يأخذ هو بنفسه ما يشاء منها.

وأخبرني أنه جاءه يوماً إنسانٌ يسأله كتاباً ينتفع به، فأمره أن يأخذ كتاباً يختاره، فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مُصحفاً قد اشترى بدراهم كثيرة، فأخذه ومضى، فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك، فقال: أيحسن بي أنْ أمنعه بعد ما سأله، دعه فلينتفع به، وكان الشيخ ! ينكر إنكاراً شديداً على مَن يسأل شيئاً من كُتب العلم التي يملكها، ويمنعها من السائل، ويقول: ما ينبغي أن يُمنع العِلم ممَّن يطلبه»[1].

وقال الذَّهبي: «هذا كُلُّه مع ما كان عليه من الكرم الذي لم أُشاهد مثله قط»[2].

---

١) الأعلام العلية ٦٠

٢) ذيل تاريخ الإسلام ٢٦٨ ضمن الجامع، الوافي بالوفيات ٣٦٨ ضمن الجامع.

خامساً: شجاعٌ شجاعةً مُذهلة:

قال البزّار: «كان ا مِن أشجع الناس وأقواهم قلباً، ما رأيتُ أحداً أثبت جأشا مِنه، ولا أعظم عناء في جهاد العدو مِنه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ولا يخاف في الله لومةً لائم.

وأخبر غير واحد أنّ الشيخ ا كان إذا حضر مع عسكر المُسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتهم، وقطب ثباتهم، إن رأى مِن بعضهم هلعاً أو رقة أو جبانة شجعه، وثبّته، وبشّره، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبيّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة.

وكان إذا ركب الخيل يتحنك ويجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، ويُكبر تكبيراً أنكى في العدو مِن كثير مِن الفتك بهم، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت.

وحدثوا أنّهم رأوا مِنه في فتح عكّة أموراً مِن الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره .. وكان يقول: (لن يخافَ الرجلُ غير الله إلاَّ لمرض في قلبه، فإنَّ رجلاً شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه مِن بعض الولاة، فقال: لو صَحَحْتَ لم تخف أحداً)، أي خوفك مِن أجل زوال الصحة مِن قلبك.

وأخبرني مَن لا أتهمه أنَّ الشيخ[1] حين وشِي به إلى السلطان المعظَّم الملك الناصر محمَّد، فأحضره بين يديه: قال فكان من جملة كلامه: (إنني أُخبرت أنك قد أطاعك الناس، وأنَّ في نفسك أخذ الملك)، فلم يكترث به!! بل قال له بنفسٍ مطمئنةٍ، وقلبٍ ثابتٍ، وصوتٍ عالٍ سمعه كثيرٌ ممن حضر: (أنا أفعل ذلك!! والله إن مُلكك ومُلك المُغل لا يساوي عندي فِلْسَين)، فتبسم السلطان لذلك، وأجابه ـ في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة ـ: (إنك والله لصادقٌ، وإنَّ الذي وشى بك إليَّ كاذبٌ)، واستقر له في قلبه من المحبة الدِّينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل، من كثرة ما يُلقى إليه في حَقِّه من الأقاويل الزور والبُهتان ممَّن ظاهرُ حالِه للطغام العدالة، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة»[1].

وقال الذَّهبي: «هذا كُلُّه مع ما كان عليه من ... الشجاعة المفرطة التي يضرب بها المثل»[2].

وقال كذلك: «وأما شجاعته فبها تُضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام،

---

١) الأعلام العلية ٢٩

٢) ذيل تاريخ الإسلام ٢٦٨ ضمن الجامع، الوافي بالوفيات ٣٦٨ ضمن الجامع.

وقعد، وطلع، وخرج، واجتمع بالملك مرتين. .. وله حِدّة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليثٌ حَرِب»[1].

سادساً: جامعٌ لفضائل الأخلاق:

قال ابن عبد الهادي: «ثم لم يبرح شيخنا رحمه الله في ازدياد مِن العُلوم وملازمة الاشتغال والإشغال، وبث العِلم ونشره، والاجتهاد في سبل الخير حتى انتهت إليه الإمامة في العِلم والعَمل، والزُّهد والوَرَع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم والإنابة، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وسائر أنواع الجِهاد مع الصِدق والعِفة والصِيانة، وحُسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله، وحُسن الأخلاق، ونفع الخلق، والإحسان إليهم، والصبر على مَن آذاه، والصفح عنه، والدعاء له، وسائر أنواع الخير»[2].

وقال البزّار: «وحكى غير واحد ما اشتهر عنه مِن كثرة الإيثار، وتفقد المُحتاجين والغُرباء ورقيقي الحال مِن الفُقهاء والقُرّاء، واجتهاده في مصالحهم، وصِلاتهم، ومساعدته لهم؛ بل ولكل أحدٍ مِن العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه، وإسداء المعروف إليه بقوله وفعله، ووجهه وجاهه.

---

1) العقود الدُرية ٦٨، الشهادة الزكية ١٣

2) العقود الدُرية ٩

وأما تواضعه فما رأيتُ ولا سمعتُ بأحدٍ مِن أهل عصره مثله في ذلك، كان يتواضع للكبير والصغير، والجليل والحقير، والغني الصالح والفقير، وكان يُدْنِي الفقير الصالح، ويُكرمه، ويؤنسه، ويُباسطه بحديثه المُسْتَحلى زيادة على مثله مِن الأغنياء؛ حتى أنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته جبراً لقلبه، وتقرباً بذلك إلى ربه.

وكان لا يسأم ممَّن يستفتيه، أو يسأله؛ بل يُقْبِل عليه ببشاشة وجه، ولِين عريكة، ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه، كبيراً كان أو صغيراً، رجلاً أو امرأة، حُرّاً أو عبداً، عالماً أو عامياً، حاضِراً أو بادياً، ولا يجبهه ولا يحرجه، ولا ينفره بكلام يوحشه؛ بل يجيبه ويفهمه، ويعرفه الخطأ مِن الصواب بلطف وانبساط، وكان يلزم التواضع في حضوره مِن الناس ومغيبه عنهم في قيامه، وقعوده، ومشيه، ومجلسه، ومجلس غيره..

وكان هذا حاله في التواضع، والتنازل، والإكرام لكل مَن يَرِد عليه، أو يصحبه، أو يلقاه؛ حتى أنَّ كل مَن لقيه يحكي عنه مِن المُبالغة في التواضع نحواً ممَّا حكيته، وأكثر مِن ذلك، فسبحان مَن وفقه وأعطاه، وأجراه على خلال الخير وحَبَاه»[1].

---

(١) الأعلام العلية ٥٢

وقال ابن كثير مُبيِّناً أخلاق الشيخ: «وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان دَرَّسَ الشيخُ الإمامُ العلامةُ شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة الحرَّاني بالمدرسة الحنبلية عِوَضاً عن الشيخ زينُ الدِّين بن المنجا توفي إلى رحمة الله، ونَزَلَ ابن تيميَّة عن حلقةِ العِماد بن المنجا لشَمْسِ الدِّين بن الفَخْر البَعْلَبَكّي»[1].

كُـلُّ يَـوْمٍ لـكَ احْتِمـالٌ جَديـدٌ ومَسِـيرٌ للمَجْـدِ فيهِ مُقَـامُ

وإذا كـانَتِ النُّفُـوسُ كِبَـاراً تَعِبَتْ في مُرادِهـا الأجْسـامُ

وكَـذا تَطْلُـعُ البُـدورُ عَلَيْنَـا وكَـذا تَقْلَـقُ البُحُـورُ العِظـامُ

٥- عبادته:

قال البزَّار: «أمَّا تعبده فإنَّه قلَّ إن سُمع بمثله، لأنه كان قد قطع جُلَّ وقته وزمانه فيه حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلةً تشغله عن الله تعالى، ما يراد له لا مِن أهلٍ ولا مِن مالٍ، وكان في لَيلِهِ مُنفرداً عن الناس كلهم خالياً بِرَبِّه عز وجل ضارعاً، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم، مُكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا ذهب الليل، وحضر مع الناس، بدأ بصلاة الفجر يأتي بسُنَّتها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يُميله يمنة ويسرة، وكان إذا قرأ يمد قراءته مدَّاً كما صح في قراءة رسول الله ﷺ، وكان ركوعه

---

١) البداية والنهاية ١٣/ ٤٠٦

وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفرض، وكان يخفف جلوسه للتشهد الأول خفة شديدة، ويجهر بالتسليمة الأولى حتى يسمع كل مَن حضر.

فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عزَّ وجل هو ومَن حضر بما ورد من قوله «اللَّهُم أنت السَّلام، ومنك السَّلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام» ثم يُقبل على الجماعة، ثم يأتي بالتهليلات الواردات حينئذٍ، ثم يسبح لله ويحمده ويكبره ثلاثاً وثلاثين، ويختم المائة بالتهليل كما ورد ... وكان قد عُرِفت عادته لا يكلمه أحدٌ بغير ضرورة بعد صلاة الفجر، فلا يزال في الذكر يُسمع نفسه، وربما يَسمع ذكره مَن إلى جانبه؛ مع كونه في خلال ذلك يكثر من تقليب بصره نحو السماء، هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس، ويزول وقت النهي عن الصلاة ... ثم يعود إلى مسجده فلا يزال تارة في إفتاء الناس، وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلِّي الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه... ثم يصلِّي المغرب ثم يتطوع بما يسره الله ثم أقرأ عليه من مؤلفاته أو غيري، فيفيدنا بالطرائف، ويمدُّنا باللطائف؛ حتى يُصلِّي العشاء ثم بعدها كما كُنَّا، وكان من الإقبال على العُلوم إلى أن يذهب هوي من الليل طويل، وهو في خلال ذلك كله في النهار والليل لا يزال يذكر الله تعالى ويوحده ويستغفره.

وكان ا كثيراً ما يرفع طرفه إلى السماء لا يكاد يفتر من ذلك، كأنه يرى شيئاً يُثبته بنظره، فكان هذا دابة مدة إقامتي بحضرته.

فسبحان الله ما أقصر ما كانت، يا ليتها كانت طالت، ولا والله ما مرَّ على عُمري إلى الآن زمان كان أحب إليَّ من ذلك الحين، ولا رأيتني في وقت أحسن حالاً مني حينئذٍ، وما كان إلا ببركة الشيخ ا... وأخبرني غير واحدٍ ممن لا يُشك في عدالته أن جميع زمن الشيخ ينقضي على ما رأيتُهُ فأيُّ عبادةٍ وجهادٍ أفضل من ذلك فسبحان الموفق مَن يشاء لما يشاء»[1].

وقال ابن القيِّم: «وشاهدتُ شيخَ الإسلام ابن تيميَّة ـ قدس اللهُ روحه ـ إذا خرج إلى الجمعة يأخذُ ما وجد في البيت من خبزٍ أو غيره، فيتصدق به في طريقه سِرًّا، وسمعته يقول: إذا كان الله قد أمرنا بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ، فالصدقة بين يدي مناجاته تعالى أفضلُ وأولى بالفضيلة»[2].

وقال أيضاً: «وحضرتُ شيخَ الإسلامِ ابن تيميَّة مرَّة صلَّى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ هذا الغداء لسقطت قوَّتي، أو كلاماً قريباً من هذا، وقال لي

١) الأعلام العلية ٥٦

٢) زاد المعاد ١/ ٣٩٤

مرَّة: لا أترك الذكر إلا بنيَّة إجمام نفسي وإراحتها؛ لاستعد بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلاماً هذا معناه»[1].

وقد أيضاً واصفاً حال الشيخ في عبادته وذكره لله أثناء سجنه، فقال: «وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ قدس الله روحه ـ يقول: (إنَّ في الدُّنيا جنَّةً مَن لم يدخلها لا يدخل جنَّة الآخرة).

وقال لي مرَّة: (ما يصنع أعدائي بي !! أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة).

وكان يقول في محبسه في القلعة: (لو بذلتُ لهم مِلأ هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة)، أو قال: (ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه مِن الخير)، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: (اللَّهُم أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبَادَتِك) ما شاء الله، وقال لي مرَّة : المحبوسُ مَن حُبس قلبه عن رَبِّه تعالى، والمأسور مَن أسره هواه، ...

وعَلِمَ اللهُ ما رأيتُ أحداً أطيب عيشاً منه قط؛ مع كل ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس

---

[1]) الوابل الصيِّب ٩٦

والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نُضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منّا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها»[1].

ولقد كان من أمره وهو محبوسٌ في القلعة التي مات فيها أنّه بعدما مُنع القلم والقرطاس والأداة أقبل على الذكر والمناجاة والقُرآن والصلاة، قال ابن عبدالهادي: «وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة، والتلاوة، والتذكر، والتهجد حتى أتاه اليقين، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين، أو إحدى وثمانين ختمة، انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝ ﴾ ثم كُمّلت عليه بعد وفاته، وهو مسجّى، كان كُل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء يختم في عشرة أيام»[2].

---

1) الوابل الصيب ١٠٩-١١٠
2) العقود الدرية ٢٩٠-٢٩١

عَلى قَـدْرِ أهْلِ العَزْمِ تأتِي العَزائِـمُ ... وتَـأتِي عَلَى قَـدْرِ الكِـرامِ المَكَـارِمُ

وتَعْظُـمُ في عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَـا ... وتَصْغُـرُ في عَيْنِ العَظِيـمِ العَظَائِـمُ

## ٦- شعره وأدبه:

كان شيخ الإسلام شاعراً طليقاً، يعرف مداخل الشعراء، ويُميز بعضهم عن بعض، ولكنه غير مكثرٍ مِن الشعر، ولرُبما كان ينهج مذهب الشافعي في عدم الإكثار مِن الشعر للعُلماء حيث قال:

وَلَـوْلا الشِّعْـرُ بِالعُلَمَـاءِ يُـزْرِي ... لَكُنْـتُ اليَـوْمَ أشْعَـرَ مِـنْ لَبِيـدِ

وأشْجَـعَ في الوَغَـى مِن كُـلِّ لَيْثٍ ... وآلِ مُهَلَّـبٍ وَبَنِـي يَزِيـدِ"[1]

وقد قال عنه تلميذه الصفدي: «ومِن نظم الشيخ تقي الدِّين على لسان الفقراء المُجردين، وغيرهم:

وَالله مَـا فَقْرُنَـا اخْتِيَـارُ ... وإنَّمَـا فَقْـرُنَـا اضْطِـرَارُ

جَمَاعَـةٌ كُلُّنَـا كُسَـالَى ... وأكْلُنَـا مَـا لَـهُ عَيَـارُ

تَسْمَـعُ مِنَّـا إذَا اجْتَمَعْنَـا ... حَقِيقَـةً كُلُّهَـا فُشَـارُ

وله قصائد مُطوَّلة أجوبةً عن مسائل كان يُسأل عنها نظماً مثل: مسألة اليهودي، وجوابه عن اللُّغز الذي نظمه الشيخ رشيد الدِّين الفاروقي، وغير ذلك»[2].

---

١) ديوان الشافعي ٢٤

ومسألة اليهودي هي القصيدة التي سمّاها ابن عبدالهادي (تَقْدِيرُ القَدَر) والتي يُطلق عليها بعض المُعاصرين (التَّائيةُ في القَدَر)، وقد ذكر ابن حجر ذلك فقال: «فوقف عليها ابن تيميّة، فثنّى إحدى [رُكبتيه] على الأخرى، وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائةٍ وتسعة عشر بيتاً»[1].

ومطلعها:

سُؤَالُـكَ يا هَــذَا سُـؤَالُ مُعَانِـدٍ ... مُخَاصِمِ رَبِّ العَرْشِ بَارِي البَرِيـةِ

فَهَــذَا سُــؤَالٌ خَاصَمَ المَلأَ العُـلَا ... قَدِيمـاً بِهِ إِبْلِيـسُ أَصْـلُ البَلِيَّـةِ

وَمَنْ يَـكُ خَصْمـاً لِلْمُهَيْمِنِ يَرْجِعَنْ ... عَلَى أُمِّ رَأْسٍ هَـاوِيـاً فِي الحُفِـيرَةِ[2]

قال ابن قيِّم الجوزية: «وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أَنَـا المُكَـدِّي وابْـنُ المُكَــدِّي ... وهَكَــذَا كَـانَ أَبِي وجَـدِّي»[3]

وقال الصفدي: «ويُنْشد أيضاً:

مَـنْ لَمْ يُقَدْ ويُـدَسُّ فِي خَيْشُومِـهِ ... رَهَجُ الخَمِيسِ فَلَنْ يَقُودَ خَمِيسـاً»[4]

---

١) أعيان العصر وأعوان النصر ٣٥٩ ضمن الجامع، فوات بالوفيات ١/ ٨٠

٢) الدُّرر الكامنة ١/ ١٦٦ بلفظه، وفي البدر الطالع ١/ ١٠١ ما بين المعكوفين (برجليه).

٣) مجموع الفتاوى ٨/ ٢٤٦، العقود الدُّرية ٣٠٠، القصيدة التائية في القدر (ت: الحمد).

٤) مدارج السالكين ١/ ٥٢٤

٥) أعيان العصر وأعوان النصر ٣٥٩ ضمن الجامع.

ولرُبما تمثل بشعر بعض الشُعراء كما قال تلميذه الصفدي: «وعلى الجملة فما رأيتُ ولا أرى مثله في اطّلاعه وحافظته، ولقد صدّق ما سمعنا به عن الحُفّاظ الأول، وكانت هِمّتُه عليّة إلى الغاية، لأنه كان كثيراً ما ينشد:

تموتُ النُّفوسُ بأوْصَابِها ... ولم تَشْكُ عُوَّادُها ما بِها

وما أنصَفَتْ مُهجةٌ تشتكي ... هواها إلى غير أحبابها»[1].

وقال ابن قيِّم الجوزية: «وبعثَ إليَّ في آخر عمره - أي في القلعة - قاعدةً في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه مِن نظمه:

أنا الفَقيرُ إلى رَبِّ [البَرِيَّاتِ] ... أنا المُسَيْكِين في مَجْمُوعِ حالاتي

أنا الظَّلُومُ لنَفْسي وَهِي ظالِمَتي ... والخيرُ إنْ [يأتِنا] مِنْ عِنْدِه يَاتِي

لا أسْتَطِيعُ لنَفْسي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... ولا عَنِ النَّفسِ في دَفْعِ المَضَرّاتِ

وَلَيْسَ لي دُونَهُ مَوْلىً يُدَبِّرُني ... ولا شَفِيعٍ [إذَا حَاطَتْ خَطِيئاتي]

إلاّ بإذْنٍ مِنَ الرَّحمنِ خَالِقِنا ... [إلى الشَّفِيعِ] كَما قَدْ جَاء في الآياتِ

---

١) الوافي بالوفيات ٧/ ١٥ (ت: أحمد الأرناؤوط)، و ٧/ ٢٢ (ت: إحسان عبّاس)، والبيتان لأبي منصور الكاتب علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي، المشهور بابن صُرَّدُرّا كما قرره الصفدي في أعيان العصر وأعوان النصر ٣٥٢ ضمن الجامع، وفيه كلمة (أفاها) بدل (هواها)، ونقلها ابن حجر عنه في الدُّرر الكامنة ١/ ٤٨ بلفظ أعيان العصر كذلك، باستثناء كلمة (تَشْكُ) أبدلها بكلمة (تَدْرِ)، وتابعه الشوكاني في البدر الطالع ١/ ١٠٢، والله أعلم.

وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئاً دُونَهُ أَبَداً     وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِي

وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ [كَي يَسْتَعِينَ بِهِ]     كَمَا يَكُونُ لأَرْبَابِ الوِلَايَاتِ

وَالفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَداً     كَمَا الغِنَى أَبَداً وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي

وَهَذِهِ الحَالُ حَالُ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ     وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي

فَمَنْ بَغَى مَطْلَباً مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ     فَهُوَ الجَهُولُ الظَّلُومُ المُشْرِكُ العَاتِي

[وَإِنْ قَدِمْتُ عَلَى الرَّبِّ الكَرِيمِ فَقَدْ     نِلْتُ النَّعِيمَ الَّذِي فِيهِ مَسَرَّاتِي]

[فَلَا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا     وَأَنْهِمْ مَعَانِيَ كَلَامِي فِي أَمَارَاتِي]

وَالحَمْدُ للهِ مِلْءَ الكَوْنِ أَجْمَعِهِ     مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي

[ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ     خَيْرُ البَرِيَّةِ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ آتِي]»[1]

وقال ابن عبدالهادي: «وَلَهُ أيضاً:

إِنَّ للهِ عَلَيْنَا أَنْعُمَاً     يَعْجِزُ الحَصْرُ عَنْ العَدِّ لَهَا

فَلَهُ الحَمْدُ عَلَى أَنْعُمِهِ     وَلَهُ الحَمْدُ عَلَى الشُّكْرِ لَهَا»[2]

وقال ابن كثير: «ومنها قوله ـ أي المتنبي ـ:

لا يجبر الناسُ عظماً أنتَ كاسره     ولا يهيضون عظماً أنت جابره

---

١) مدارج السالكين ١/ ٥٢٥ بلفظه، العقود الدرية ٣٧٥، وما بين المعكوفين خلافٌ بينهما، أمّا الأبيات التي بين معكوفين فهي زيادةٌ عند ابن عبدالهادي، والله أعلم.

٢) العقود الدرية ٢٩٦

وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان يُنكِرُ على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق، ويقول: (إنما يَصلُحُ هذا لجَنَابِ الله سُبحانَهُ وتَعَالى).

وأخبرني العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله أنه سمعَ الشيخَ تقيَّ الدين المذكور يقول: (ربُّما قلتُ هذين البيتين في السجود أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع)»[1].

وإليه تُنسب القصيدة الرائعة في بعض مُعتقد أهل السُّنة، والتي تُسمَّى (اللامية)، والتي يقول في مطلعها:

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي ... رُزِقَ الهُدَى مَنْ لِلهِدَايَةِ يَسْأَلُ

اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِه ... لا يَنْثَنِي عَنْهُ وَلا يَتَبَدَّلُ

حُبُّ الصَّحابَةِ كلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ[2]

### ٧- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

كان الشيخ قوياً في شخصيته، جريئاً مع خُصُومه، لا يستطيع على المُدارة، ولا يتقن المُحاباة، إذ تحقيق الإخوة الإسلامية شيء، والغَيرة على محارم الله شيءٌ آخر، ولذلك كان الشيخ باذلاً نفسه في تحقيق أمر الله ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ

---

١) البداية والنهاية ١١/ ٢٩٢

٢) الألي البهيّة في شرح لاميّة ابن تيميّة ١٢، جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين ٧٦-٧٧

أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴿١٠٤﴾ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴿١٠٥﴾ ﴾[1]، راغباً في الدخول تحت رحمة الله ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴿٧١﴾ ﴾[2].

ولذلك كانت حياته كُلها في أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المُنكر، وقد قال: «إنَّ صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر، فإنَّ صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أُخرجت للنَّاس»[3].

وقال: «فمعلومٌ أنَّ الأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أُمرنا به، ولهذا قيل ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المُنكر غير منكر، وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لا بُد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بُعثت

---

١) سورة آل عمران، آية ١٠٤-١٠٥

٢) سورة التوبة، آية ٧١

٣) مجموع الفتاوى ٢٨-٣٠٦

الرُّسل ونُزِّلت الكتب، والله لا يُحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صَلاح، وقد أثنى الله على الصَّلاح والمُصلحين، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم المُفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهى أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباده، وليس عليه هُدَاهُم»[1].

فَتَىً تَتْبَعُ الأَزمانُ في النَّاسِ خَطْوَهُ ... لِكُلِّ زَمَانٍ في يَدَيْهِ زِمَامُ

وَكُلُّ أُناسٍ يَتْبَعُونَ إمَامَهُمْ ... وَأَنتَ لأَهلِ المَكْرُمَاتِ إمَامُ

وبذلك نستطيع أن نُقسِّم جهوده في الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر إلى ثلاثة أقسام، وهي على النحو التالي:

(١) إنكارهُ الشرك والبدع بتاليف الكُتب والرسائل:

قام شيخ الإسلام بِرَدٍ وتفنيد كثيراً من شبهات المُخالفين من أهل المِلَّة وغيرهم، وألف في عقائدهم الفاسدة وأبطلها، وهذا من أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، فلا تكاد طائفة من الطوائف إلاَّ وبيَّن ما عندها من الحق أو الباطل، بل وما مقصدهم من ذلك الاعتقاد، فمنهم مَن عذرهُ لجهله كـ(أوائل الصُّوفية، وأوائل الشيعة، والخوارج، والمُرجئة، والمُعتزلة، والأشاعرة، والكرَّاميَّة، والكُلابيَّة، والماتريدية)، مع بيان ضلالهم وفساد معتقداتهم، ومنهم

---

١) مجموع الفتاوى ٢٨-١٢٦

مَن لم يعذُره في ذلك، واعتبرهم مُعاندين مُستكبرين كـ (غُلاة الصُّوفية، وغُلاة الشِّيعة، والجَهْمِيَّة، والفلاسفة، والباطنية).

وقد قال عنه الذَّهبي: «وأمَّا أصول الدِّين، ومعرفة أقوال الخوارج، والروافض، والمُعتزلة، والمُبتدعة، فكان لا يشقّ فيها غُباره»[1].

فألف في دحض شبهات اليهود والنصارى في كثيرٍ من كتبه منها (الجواب الصحيح لمن بدَّل دِين المَسيح)، و(الصارم المسلول على شاتم الرسول)، و(اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم)، و(إيضاح الدلالة في عموم الرسالة)، و(مسألة في الكنائس)، وغيرها.

وألف في دحض شبهات الفلاسفة والمنطقيين والباطنية في كثيرٍ من كتبه منها (بُغية المرتاد في الرد على المُتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد)، و(الرَّدُّ على المنطقيين)، و(الصفدية)، و(النبوات)، وغيرها.

وألف في دحض شبهات الرَّافضة في كثيرٍ من كتبه منها (منهاج السُّنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية)، و(الفُرقان بين الحقّ والبُطلان)، و(الرَّد على أهل كسروان الرافضة)، وغيرها.

---

١) نقلها عنه الصفدي في الوافي بالوفيات ٧/ ١١ (ت: الأرناؤوط)، وذكرها الكُتبي في فوات الوفيات ١/ ٧٤ (ت: إحسان عبَّاس) بدون عزوها للذَّهبي.

وألَّف في دحض شبهات الجَهْمِيَّة والخوارج والمُرجئة في كثيرٍ مِن كتبه منها (بيان تلبيس الجَهْمِيَّة)، و(الإيمان الكبير)، و(الإيمان الأوسط)، و(الفُرقان بين الحقّ والبُطلان)، (التُحفة العراقية في الأعمال القلبية)، وغيرها.

وألَّف في دحض شبهات المُعتزلة والأشاعرة والكرَّامية والكُلَّابية في كثيرٍ مِن كتبه منها (درء تعارض العقل والنقل)، و(شرح الأصفهانية)، و(الحموية)، و(التدمرية)، و(التسعينية)، و(الإكليل في المُتشابه والتأويل)، و(النبوات)، و(شرح حديث النزول)، وغيرها.

وألَّف في دحض شبهات الصوفية في كثيرٍ مِن كتبه منها (الفُرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان)، و(الرَّدُّ الأقوم على ما في كتاب فُصوص الحِكم)، و(قاعدة في المحبة)، و(الاستقامة)، و(الجواب الباهر في زُوار المقابر)، و(حقيقة مذهب الاتّحاديِّين القائلين بوحدة الوُجُود)، وغيرها.

وقد استفسر الحافظ البزَّار - تلميذ ابن تيميَّة - مِن شيخه عن الإكثار في التصنيف في العقيدة، والرَّد على المُخالفين فيها، فقال: «ولقد أكثر ا التصنيفَ في الأصول فضلاً عن غيره مِن بقية العُلوم، فسألته عن سبب ذلك، والتمستُ منه تأليف نصٍّ في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته؛ ليكون عمدةً في الإفتاء، فقال لِي ما معناه: الفروع أمرُها قريب، ومَن قلَّد المسلمُ فيها أحد العُلماء المُقلَّدين جاز له العمل بقوله، ما لم يتيقن خطأه، وأمَّا الأصول فإنِّي رأيتُ أهل

البدع والضلالات والأهواء؛ كالمتفلسفة، والباطنية، والملاحدة، والقائلين بوحدة الوجود، والدهرية، والقدرية، والنُصيرية، والجهْمِيَّة، والحلولية، والُمعطلة، والُمجسمة، والُمشبْهة، والرَّاوندية، والكُلأبية، و[السُليمية] [1]، وغيرهم مِن أهل البدع قد تجاذبوا فيها بأزَمة الضلال، وبان لِيِّ أنَّ كثيراً مِنهم إنَّما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية، الظاهرة العلية على كل دِين، وأنَّ جمهورهم أوقع النَّاس في التشكيك في أصول دينهم، ولهذا قلَّ أن سمعتُ أو رأيتُ مُعرِضاً عن الكتاب والسُّنة، مُقبلاً على مقالاتهم إلاَّ وقد تزندق، أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده، فلمَّا رأيتُ الأمر على ذلك، بان لِيِّ أنَّه يجب على كُل مَن يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم، وقطع حُجتهم وأضاليلهم أن يبذل جهده، ليكشف رذائلهم، ويزيف دلائلهم، ذبَّاً عن المِلَّة الحنيفية، والسُّنة الصحيحة الجليَّة ... فهذا ونحوه هو الذي أوجب أني صرفتُ جُلَّ همي إلى

---

١) هكذا في نُسخة الشاويش، وفي نُسخة المنجد ٢٤ (السُلميَّة)، وأظنه تصحيفاً لفِرقة (السَّالِميَّة) أتباع أبي عبدالله محمَّد بن سالم البصري، وابنه أبي الحسن أحمد، وهم فِرقةٌ مِن المُشبهة، وسيأتي التعريف بهم ضمن النَّص المُحقق، أو يُريد فِرقة (السُليمانية) أتباع سليمان ابن جرير، وهم فِرقةٌ مِن الزيدية، والله أعلم

الأصول، وألزمني أن أوردتُ مقالاتهم، وأجبتُ عنها بما أنعم اللهُ تعالى به من الأجوبة النقلية والعقلية»[1].

**(٢) إنكارهُ الشرك والبدع بمناظرة اهلها:**

قام شيخ الإسلام بمناظرات مُفحمة لأعداء الشريعة، بيّن فيها حقيقة الشرع المُطهر، وبُطلان الضلالات الشيطانية، وهذه المناظرات تختلف عن تأليف الرسائل إذ يحتاج صاحبها إلى قوة عِلمية، وشجاعة قلبٍ، وسُرعة بديهة، وقُوة حُجّة، وبُعد نظر، ومعرفة حِيل الخصم، ربما لا تتوفر في تأليف رسالة عِلمية، ولذلك خاضها شيخ الإسلام بجراءة نَفْسٍ، وثقةٍ بالله، وكان لا يُعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علمٍ من العلوم سواء كان من علوم الشرع أم من غيرها إلاَّ فاق فيه أهله والمُنتسبين إليه، ومن تلك المُناظرات:

١ـ أنّه ناظر يهودياً في حال صغره، فقد كان إذا أراد المضي إلى الكُتّاب يعترضه يهودي جارٌ لهم، وكان يسأله عن مسائل، فيجيبه عنها سريعاً حتى تعجب منه، ثم إنّه صار كلما اجتاز به يخبره بأشياء مما يدُلّ على بطلان ما هو عليه، فلم يلبث أن أسلم هذا اليهودي، وحسن إسلامه»[2].

---

١) الأعلام العلية ٣٢-٣٥

٢) الأعلام العلية ٦

٢ـ أنه ناظر ثلاثة نصارى قدموا من صعيد مصر، وأقام عليهم الحجة بأنهم كفار، وما هُم على دِين إبراهيم ولا المَسيح، فقالوا له: «نحن نعمل مثل ما تعملون أنتم، تقولون بالسيدة نفيسة ونحن نقول بالسيدة مريم، وقد أجمعنا نحن وأنتم على أن المَسيح ومريم أفضل من الحسين ومن نفيسة، وأنتم تستغيثون بالصالحين الذين قبلكم ونحن كذلك»، فقال لهم: «وأي مَن فعل ذلك ففيه شبه منكم، وهذا ما هو دِين إبراهيم الذي كان عليه، فإن الدِّين الذي كان عليه إبراهيم ﷺ أن لا نعبد إلاَّ الله وحده لا شريك له، ولا نِدَّ له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، ولا نشرك معه ملَكاً، ولا شمساً، ولا قمراً، ولا كوكباً، ولا نُشرك معه نبيّاً من الأنبياء، ولا صالحاً... والأنبياء ﷺ نؤمن بهم، ونعظمهم، ونوقرهم، ونتبعهم، ونصدقهم في جميع ما جاءوا به، ونطيعهم؛ كما قال نوح وصالح وهود وشعيب ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ ﴾[1] فجعلوا العبادة والتقوى لله وحده، والطاعة لهم، فإنَّ طاعتهم من طاعة الله، فلو كفر أحدٌ بنبي من الأنبياء وآمن بالجميع، ما ينفعه إيمانه حتى يؤمن بذلك النبي، وكذلك لو آمن بجميع الكتب وكفر بكتاب، كان كافراً حتى يؤمن بذلك الكتاب، وكذلك الملائكة واليوم الآخر»، فلما سمعوا ذلك منه قالوا:

---

١) سورة نوح، آية: ٣

«الدِّين الذي ذَكرتَهُ خيرٌ مِن الدِّين الذي نحن وهؤلاء عليه» ثم انصرفوا من عنده"[1].

٣ـ أنّه ناظر غيرَ واحدٍ مِن اليهود والنصارى في الكتب التي بأيديهم، وأثبت لهم أنهم بدَّلوها، وأنَّ شريعتهم تُنسخ، بل وأن كُتبهم تُبيِّن صحة رسالة النبي ﷺ، وأثبت لهم ما فيها مِن التناقض والاختلاف، وأسلم من علمائهم وخيارهم طوائف، وصاروا يناظرون أهل دِينهم، ويُبينون ما عندهم من الدلائل على نبوة النبي ﷺ"[2].

٤ـ أنّه ناظر طائفة الرفاعية الصوفية حينما زعموا أنهم يدخلون في نارٍ مُحرقة، فلا تُحرقهم، فقال لهم شيخ الإسلام: «من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام، ثم يُدْلِكهُ بالخل، ثم يدخل»، فرفضوا لأنهم يجعلون على أجسامهم مادةً لا تُحرقها النار، وكانوا يتحايلون على النّاس بأنهم أولياء لله، فلم يستطيعوا أن يفعلوا كما أمرهم شيخ الإسلام، فبُهتوا أمام نائب السلطنة بالقصر، وحضرها جمعٌ كبير"[3].

---

١) مجموع الفتاوى ١/ ٣٧٠-٣٧١

٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٠٨-٢٠٩

٣) العقود الدُّرية ١٠٧

٥ـ أنّه ناظر الإمام كمال الدّين الزملكاني الأشعري أكثر من مرّة، وكان ابن الزملكاني يعترف بإمامة شيخ الإسلام ولا ينكر فضله، وكانت سبباً بعد الله في انتهاء الإمام ابن الزملكاني لشيخ الإسلام، ومُدافعته عنه[1].

٦ـ أنّه ناظر علماء زمانه الأشاعرة في إثبات الصفات الخبرية، وأحضرت رسالته (الواسطية)، فقُرئت عليهم، وناقشوه في كثيرٍ منها، فرد عليهم وأفحمهم بأن كل ما فيها إنما هو مِن كتاب الله وسُنّة نبيه ﷺ ومما أجمع عليه سلف الأمة، وقال لهم: «كُل مَن خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه»، فظهر عليهم، وبان حسدهم له، وافتراؤهم عليه[2].

٧ـ أنّه ناظر عُلماء زمانه الأشاعرة أمام نائب دمشق بعد عثورهم على كتاب الشيخ (الحموية الكبرى)، واتهموه بالتشبيه والتجسيم، فرد عليهم كذبهم وافتراءهم، وأفحمهم بأنّ هذا هو اعتقاد النبي ﷺ، وليس هو مِن عند الإمام أحمد، أو مِن عنده، وإنما هذا هو الثابت في القُرآن والسُّنة، فرفضوا ذلك واستكبروا، فألّف فيه شهاب الدّين ابن جهبل الشافعي الأشعري رسالته المشهورة بـ (الرّد على ابن تيميّة)، أوردها الإمام السُّبكي في طبقات الشافعية

---

١) الرّد الوافر ٣٩

٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١٦٠-١٩٣

٥/ ١٨١، ثم طبعت مُفْرَدَة بعناية طه الدسوقي، وقد سمّاها (الحقائق الجليّة)، وقد ملأها ابن جهبل بالكذب والافتراء»[1].

(٣) إنكارهُ المعاصي باليَد:

انتشر في عهد شيخ الإسلام ابن تيميَّة كثيراً مِن المعاصي الظاهرة كالتهاون في الصلاة، وشرب الخمر، والغش في التجارة، والرِّبا، والميسر، والقِمار، والاحتكار، والاستهزاء بالقُرآن والرسالة، وغيرها.

وكان الشيخ يحرص أن يقوم بالحِسبة مَن هُم مِن أهلها كالعُلماء، والقُضاة، ومَن عيَّنهم الوالي بذلك، وكان يقول: «فعلى المُحتسب أن يأمر العّامة بالصلوات الخمس في مواقيتها، ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس، وأما القتل فإلى غيره، ويتعهد الأئمة والمؤذنين، فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة، أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بذلك، واستعان فيما يعجز عنه بوالي الحرب والحكم، وكل مُطاعٍ يعين على ذلك»[2]، ومِن ذلك أنَّه كان يقوم بإنكار بعض المُنكرات بيده، ومنها:

---

١) مجموع الفتاوى ٦/ ١٥-١٧، العقود الدُّرية ٩٤، الحموية الكبرى (ت: التويجري) ٧٨

٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٦٩-٧٠

١ـ أنه خرج يطلب الجامع العتيق بمصر، فمرَّ في طريقه على قومٍ يلعبون بالشطرنج على مسطبة بعض حوانيت الحدادين، فنفض الرقعة وقلبها، فبُهت الذي يلعبُ بها والنَّاسُ مِن فعله ذلك!(١).

٢ـ أنه لما أُعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر بعد زوال قازان منها، فرح الناس بذلك كثيراً، وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ وأصحابه على الخمَّارات والحانات فكسروا آنية الخمور، وأراقوها، وعزروا جماعةً مِن أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش، ففرح النَّاس بذلك(٢).

٣ـ أنه في فترة مكوثه في دمشق انتشر التعلق بالمُردان، فأخذ الشيخ يُقيم التعزير على مَن يفعل ذلك، ويحلق رؤوس الصبيان، لأنَّها كانت تزيدهم جمالاً، فيتعلق بهم الفُسَّاد(٣).

٤ـ أنه كان هناك رجل يُدعى (محمَّد الخباز البلاسي) يأكل المُحرمات، ويُخالط أهل الذِّمة، ويُعبِّر الرؤى للنَّاس بهواه، فأخذه الشيخ واستتابه مِن ذلك، ومنعه مِن الكلام في الرؤى وغيرها عمَّا لا عِلم له به(٤).

---

١) العقود الدُّرية ٢٢٥-٢٢٦

٢) البداية والنهاية ١٤/ ١١

٣) البداية والنهاية ١٤/ ١٩

٤) البداية والنهاية ١٤/ ١١٩

٥- أنّه كان هناك رجل من الصُوفية المُولهين اسمه (إبراهيم القطَّان) يعيش بين القمائم، ولا يُصلي، وربما كاشف بعض العوام بخيالاته، فاستتابه شيخ الإسلام، وضربه على ترك الصلوات، ومخالطة القاذورات، وجمع النساء والرجال حوله في الأماكن النجسة!!؛ بل وحلق رأسه، وقلّم أظافره التي كانت طويلة جداً.[1]

٦- أنّه كان في مسجد النارنج صخرة تُزار ويُنذر لها، فذهب الشيخ مع أصحابه إلى المسجد ومعهم حجارة، فأمرهم الشيخ بقطع تلك الصخرة، فتسابق لها أصحابه حتى أبادوها، فأزاح عن المسلمين شبهةً كان شرهاً عظيماً[2].

٧- أنّه كان يطوف بالأسواق فوجد بعض التتار يشربون الخمر، فهَمَّ بعض أصحابه بإنكار ذلك عليهم، فرفض الشيخ ذلك، وأخبرهم أنهم «إذا شربوا لم يصدُّهم ذلك عن ذكر الله، وعن الصلاة؛ بل عن الكفر والفساد في الأرض، ثم أنّه يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وذلك مصلحة للمُسلمين، فصَحْوهم شرٌ من سُكْرِهم، فلا خير في إعانتهم على الصحو؛ بل قد يستحب أو يجب دفع شر هؤلاء بما يمكن من سُكْرٍ وغيره»[3].

---

١) البداية والنهاية ١٤/ ٣٣-٣٤

٢) البداية والنهاية ١٤/ ٣٣-٣٤

٣) الاستقامة ٤٢٦

٨ـ أنّه كان في زمنه رجل اسمه (ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيتي) يستهتر بآيات الله ويستهزئ بها، ويصحبُ الزنادقة الملعونين، مع ما كان عليه من العلم والفقه، فأعلن الشيخُ ومعه جمعٌ من العُلماء كُفرَه المُعين عليه، وأمر الوالي بضرب عُنقه، فضُربت عُنقه بسُوق الخيل، وحضر قتله العُلماء والأكابر وأعيان الدولة"[1].

أعَزُّ مَكَانٍ في الدُّنَى، سَرْجُ سابحٍ ... وَخَيرُ جَلِيسٍ في الزّمانِ كِتابُ

وَبَحْرُ أَبِي العَبّاسِ الخِضَمُّ الذي لَهُ ... عَلى كُلّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبَابُ

تجَاوَزَ قَدْرَ المَدْحِ حتى كأنّهُ ... بأحْسَنِ مَا يُثْنى عَلَيْهِ يُعَابُ

أيَا أسَداً في جِسْمِهِ رُوحُ ضَيغَمٍ ... وَكَمْ أُسْدٍ أرْوَاحُهُنّ كِلابُ

**٩- جهاده:**

الجهاد ذروة سنام الإسلام، ومَن ماتَ وهو لا يُحدِّث نَفْسَه به ففيه شُعبة مِن النفاق، ولم يسبق أصحاب النبي ﷺ غيرهم بمثل الصُحبة والنُصرة، ولهذا مكّن اللهُ لشيخ الإسلام في أداء ما أوجب الله عليه مِن الجهاد العملي لمن كفر بالله واليوم الآخر، وقد كانت بلاد المُسلمين يومئذٍ يحيط بها المُشركون مِن ثلاث جهات، ففي العراق والشام استولى التتار عليها، وفي الشام استوطن الدروز فامتنعوا عن بعض شعائر الإسلام، وفي لبنان تواجد بعض النُصيرية

---

١) البداية والنهاية ١٤/ ٣٣-٣٤

والرافضة الإمامية وتعاونوا مع التتار والنصارى، وفي فلسطين تواجد النصارى بأعداد مهولة يمدون العُدّة والعتاد للتتار والرافضة والباطنية، فخاض شيخ الإسلام الجهاد مع هذه الطوائف المُشركة في عِدّة مواطن مِنها:

١ـ في سنة ٦٩٠هـ شارك المُسلمين في قتالهم للإفرنج النصارى في (معركة عكّا)، وهي مدينة حصينة على ساحل بحر الشّام، إذ تجمع فيها النصارى واستولوا عليها، فنُودي في دمشق للجهاد في سبيل الله إلى عكّا، وخرج العُلماء والعُبّاد والعامة يتسابقون لرفع راية الإسلام، راغبون فيما عند الله مِن الثواب لِمن اغبرت قدماه في سبيله، وقد رأى الناس مِن شيخ الإسلام في فتحها أموراً مِن الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا: «ولقد كان السبب في تملك المُسلمين إياها بفعله، ومشورته، وحسن نظره»[١].

٢ـ وفي سنة ٧٠٥هـ شارك المُسلمين في قتالهم للرافضة والباطنية في (معركة الكسروان)، وهو جبلٌ كانت تسكنه طوائف مختلفة مِن النصيرية والدروز والشيعة الإمامية، حيث أنّه في عام ٧٠٤هـ امتنعوا عن أداء شرائع الإسلام الظاهرة، فذهب إليهم شيخ الإسلام ومَن معه وألزموهم شرائع الإسلام، واستتابوا خلقاً منهم، ولكنهم رفضوا الطاعة، فكانت معركة

---

١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٠، الأعلام العلية ٦٨

الكسروان بين جيش المُسلمين والرافضة، فنصر اللهُ جنده، وكُسرت شوكة الرافضة يومئذٍ فلم تُرفع لهم راية حتى تملكُوا البلاد فيما بعد.

٣ـ وفي سنة ٧٢٥هـ شارك المُسلمين في قتالهم للتتار في (معركة شَقْحَب)، وكان الشيخ يحلف للأمراء وللمُسلمين جميعاً «إنكم في هذه الكرَّة منصورون»، فيقول له الأمراء: «قل إن شاء الله»، فيقول: «إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً»، وقد تكلم الناس في كيفية قتال التتار من أي قبيلٍ هو، فإنهم يُظهرون الإسلام وليسوا بُغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقتٍ ثم خالفوه، فقال الشيخ: «هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ ومعاوية، ورأوا أنَّهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المُسلمين، ويعيبون على المُسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة»، فتفطن العُلماء والناس لذلك، وكان يقول للناس: «إذا رأيتموني من ذلك الجانب، وعلى رأسي مصحف فاقتلوني»، وأفتى الناس بالفطر مُدَّة قتالهم، وأفطر هو أيضاً، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه في يده، ليُعلمهم أنَّ إفطارهم أفضل لهم ليتقووا على القتال، فأكل الناس لمَّا رأوه يُفطر معهم، فكان ذلك سبباً في تشجعهم للقتال، فقويت قلوبهم ونياتهم، ونصرهم الله نصراً عظيماً[1].

---

١) مجموع الفتاوى ٢٧/ ٥٠٥، البداية والنهاية ١٤/ ٢٨-٣٠

وَقَفْتَ وَما في المَوْتِ شكٌّ لِوَاقِفٍ كأنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وهْوَ نائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأَبْطالُ كَلْمَى هَزِيمَةً وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمُ
ضَمَمْتَ جَناحَيهِمْ على القَلْبِ ضَمَّةً تَمُوتُ الخَوَافي تَحْتَها وَالقَوَادِمُ
بِضَرْبٍ أتَى الهاماتِ وَالنّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إلى اللَّبّاتِ وَالنّصْرُ قَادِمُ
حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيّاتِ حتى طَرَحْتَها وَحتى كأنَّ السّيفَ للرّمحِ شاتِمُ
وَمَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجَليلَ فإنَّما مَفاتِيحُهُ البِيضُ الخِفافُ الصَّوَارِمُ
نَثَرْتَهُمُ فَوْقَ الأُحَيْدِبِ كُلِّهِ كمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الدَّرَاهِمُ.

**٩- محنته:**

نظر شيخُ الإسلام إلى هذه الدُّنيا بأنها دارٌ فانية، ولا يبقى فيها إلاَّ ما أبتغي به وجه الله، فباع نفسَهُ لله جل في عُلاه، فأشغله الثَّمن عن كُل متاع الدُّنيا، فلم تأنس نفْسُه لطعامٍ ولا لشرابٍ ولا لنكاحٍ، وهو يرى حال أمة نبيه ﷺ في غياهب الجهل والضلال، فنذر نفسَهُ لحمل الدِّين ورايته، وزهد فيما في أيدي الناس لنيل بُغيته، فأوذي كثيراً، وأُفتري عليه كبيراً، وهو صابرٌ في نفْسِه، عاذرٌ لغيره، لأنه يعلمُ ما لا يعلمون، ويدرك ما لا يُدركون، وهو يُصيحُ بقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1]، ويُمسِي بقوله:

---

[1] سورة الأعراف، آية ٦١-٦٢

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[1].

فعاش رحمه الله تتخلله الفتنة بعد الفتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، ومن تلك المحن التي جرى مقاديرها عليه ما يلي:

(١) في سنة ٦٩٣هـ أُهين الشيخ وضُرب وسُجن لمّا غار على النبي ﷺ وانتصر له، لأن نصرانياً يُدعى عسّافاً شتم النبي ﷺ في ملإٍ من الناس، فشهدوا عليه بذلك، فقام الشيخ باجتماع مع الشيخ زين الدّين الفَارِقي شيخ دار الحديث بدمشق، فدخلا على الأمير عز الدّين أيبك نائب السلطان، فكلماه في أمره فأجابهما إلى ذلك، وأرسل ليحضره فخرجا من عنده ومعهما خلقٌ كثيرٌ من الناس، فرأى الناسُ عسّافاً حين قدم ومعه رجل من العرب فسبوه وشتموه، فقال ذلك الرجل: هو خيرٌ منكم ـ يعني عسّافاً ـ فرجمهما الناسُ بالحجارة، وأصابت عسّافاً، فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيميّة والفَارِقي فضربهما بين يديه، وقدم النصراني فأسلم، فحُقن دمه، ثم استدعى الأميرُ الشيخين فأرضاهما وأطلقهما، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، فاتفق قتله قريباً

---

١) سورة الحشر، آية ١٠

من مدينة رسول الله ﷺ، قتله ابن أخيه هنالك، وصنَّف الشيخ في هذه الواقعة كتابه (الصارم المسلول على ساب الرسول)»[1].

(٢) وفي سنة ٦٩٨هـ كتب الشيخ (العقيدة الحموية)، فأثارت حوله الأمراء والعُلماء والعامّة، واتهموه بمخالفة عقيدة أهل السُّنة، فأُبتلي أصحابه وأشتد الكرب عليهم حتى صُفع بعضهم، ونودي بدمشق من اعتقد عقيدة ابن تيميَّة حل دَمُه ومَالُه خصوصاً الحنابلة، فنودي بذلك وقُرئ المرسوم في الجامع، ثم جمعوا الحنابلة واشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي[2].

(٣) وفي سنة ٧٠٥هـ عُقد له مجالس في دمشق لمناقشة (الحموية)، والتي زعموا بأنه مُخالفٌ للأمة فيها، وحيث لم يكن لمخالفيه حجة، ولا هُم على بيِّنة ولا محجَّة، فأتهم ظُلماً، وحُجِر عليه الفُتيا، وسُجن في مصر، ومكث في سجنه إلى شهر ربيع الأول سنة ٧٠٧هـ[3].

(٤) وفي آخر سنة ٧٠٧هـ ـ التي أخرج فيها من السجن ـ صاح صُوفية مِصْر بطلب إسكات الشيخ عن الكلام في أئمتهم كابن عربي وغيره لما ألَّف كتابه (الرَّد الأقوم على ما في فصوص الحكم)، فكان أن خُيِّر الشيخ بالذهاب

---

١) البداية والنهاية ١٣/ ٣٥٥ باختصار.

٢) الدُّرر الكامنة ١/ ٤٦، البدر الطالع ١/ ٦٠

٣) العقود الدُّرية ١٦٢-١٩٢

إلى ثلاث بقاع. دمشق، أو الإسكندرية، أو السجن بالقاهرة، فاختار السجن، إلاّ أنّ طُلابه ومُحبيه أصرُّوا عليه أن يقبل الذهاب إلى دمشق، ففعل نزولاً عند رغبتهم، وما إنْ خرج الشيخ من القاهرة متوجهاً إلى دمشق، حتى لحق به وفد السلطان فردوه إلى مصر، وأخبروه بأن السلطان لا يرضى إلا السجن، فحُبس بسجن الحاكم في حارة الدَّيلم، فوجد المساجين في لهوٍ ولعبٍ، فأنكر عليهم وأمرهم بالانشغال بالصلاة والدعاء والاستغفار؛ حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعِلم والدِّين خيراً من الزَّوايا والمدارس، وأصبح المساجين إذا أُطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتلئ منهم، فنُبهت أعداؤه وخصومه إذْ أرادوا من حبسه إبعاده عن طُلابه ومناصريه، فهيأ اللهُ له في السجن مَن يُحبه ويطلب العِلم بين يديه، فأرسلوه إلى سجن الإسكندرية في صفر سنة ٧٠٩هـ.

(٥) وفي سنة ٧٠٩هـ نُفي الشيخ مِن سجن القاهرة إلى سجن الإسكندرية، وبعد سبعة أشهر مِن انتقاله طلبه الناصر قلاوون إلى القاهرة بعد أن عادت الأمور إليه، واستقرت الأمور بين يديه، إذ كان مِن مناصري شيخ الإسلام، وعاد فيها الشيخ مُعززاً مُكرَّماً إلى دروسه وطُلابه.

(٦) وفي سنة ٧١١هـ في مطلع شهر رجب جاء رجلٌ إلى أخي شيخ الإسلام الشيخ عبدالله، وهو في مسكنه بالقاهرة، فقال له: إنّ جماعةً بالجامع قد

تعصبوا على الشيخ، وتفردوا به وضربوه، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقام الشيخ عبدالله وجاء إلى الجامع فوجد الشيخ بالجامع، وقد اجتمع عنده جماعةٌ وتتابع الناس.

فقال الشيخ عبدالله: قد جاء خلقٌ معي لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا، فقال شيخ الإسلام: لأي شيء، قال: لأجلك، فقال لهم هذا ما يجوز. فقالوا: نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم، ونخرب دورهم، فإنهم شوشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس، فقال لهم: هذا ما يحل.

قالوا: فهذا الذي قد فعلوه معك يحل، هذا شيء لا نصبر عليه، ولا بُد أن نروح إليهم، ونقاتلهم على ما فعلوا.

والشيخ ينهاهم ويزجرهم، فلما أكثروا في القول، قال لهم: إمَّا أن يكون الحق لي أو لكم أو لله، فإن كان الحقُّ لي فهُم في حِل منه، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا منّي فلا تستفتوني، فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحقُّ لله فاللهُ يأخذ حقه إن شاء كما يشاء.

قالوا: فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم؟!

قال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه، مأجورين فيه.

قالوا: فتكون أنتَ على الباطل، وهم على الحق، فإذا كنتَ تقول إنَّهم مأجورين فاسمع منهم، ووافقهم على قولهما؟.

فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون !!، فإنهم قد يكونون مُجتهدين مُخطئين، ففعلوا ذلك باجتهادهم، والمُجتهد المُخطئ له أجر"[1].

(٧) وفي سنة ٧١١هـ في أوسط شهر رجب وقع أذىً في حق الشيخ بمصر، وظفر به بعض المبغضين له في مكانٍ خالٍ، وأساء عليه الأدب، وحضر جماعةٌ كثيرةٌ من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له، فلم يُجبهم إلى ذلك، قال: أنا ما أنتصرُ لنفسي"[2].

(٨) وفي سنة ٧٢٠هـ امتحن الشيخ بسبب فتواه في مسألة الطلاق، وهي أن الطلاق الثلاث بلفظٍ واحدٍ يقعُ طلقةً واحدةً، وكتب في ذلك بعض الرسائل منها (تحقيق الفُرقان بين التطليق والأيمان)، و(الفرق المُبين بين الطلاق واليمين)، وأُلزمَ بأن يمتنع عن الإفتاء بها فلم يلتزم، فسُجن في القلعة لمدة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً[3].

---

١) العقود الدُّرية ٢٢٤-٢٢٥

٢) العقود الدُّرية ٢٢٧

٣) العقود الدُّرية ٢٥٦-٢٥٧

(٩) وفي سنة ٧٢٦هـ أفتري عليه بأنه يُحرِّم زيارة قبر النبي ﷺ، لمّا كتب فُتيا في زيارة قبور الأنبياء والصالحين[١]، فسُجن في شعبان مع بعض أتباعه، فقام الشيخ بتأصيل المسألة في أعجوبة كُتب (الرَّدُّ على الإخنائي).

(١٠) وفي سنة ٧٢٨هـ أثناء سجنه أُمر بمصادرة ما كان عند الشيخ مِن الكتب والأوراق والأقلام، ومُنع مِن الكتابة والتأليف، وبل ومُنع مِن ملاقاة الناس، وتوفي وقد نَزَعهُ اللهُ له ليقرأ كِتابه، ويكون خِتامه، فقد ختم أكثر مِن ثمانين ختمة في غياهب السجن، وهو مُنشرح الصدر، مُبتسم الفُؤاد.

### ٤- موقفه مِن خصومه:

كان شيخ الإسلام عَجباً مِن العُجاب، ونادرةً على مَرِّ الزمان، فمع كُل ما يَـنميتُ إليه خُصومه مِن العِداء والبهتان، إلاَّ أنّه يُحسِنُ إليهم، ويعتذر لهم؛ بل يصفح ويَذُبّ عنهم، وما حالُنا مع حالته إلاَّ كما قال عبدالله بن عمرو بن العاص لمّا حَرِص على سبب دخول الرَّجل الذي أخبر عنه النبي ﷺ أنّه مِن أهل الجنّة، فلمّا وجده كثيرَ عملٍ إلاَّ أنّه لا يَجِدُ في نَفْسِه لأحَدٍ مِن المُسلمينَ غِشّاً ولا حَسَداً، فقال كلمته العظيمة: (هذهِ التي بَلَغَتْ بكَ، وهي التي لا نُطيقُ)، أي لا نقوى على إسقاط حظ النَّفس دوماً، فإنَّ النَّفس ضعيفة، راغبة في مطامع الدُّنيا، ولا مُلتجأ مِن نزغاتها إلاَّ إلى الله العظيم المُتعال.

---

١) ونقلها بتمامها الإمام ابن عبدالهادي في العقود الدُّرية ٢٦١-٢٦٨

وقد بذل شيخ الإسلام لخصومه مِن الاعتذار ما شهدوا به على أنفسهم أنهم كانوا خاطئين، فهذا القاضي زين الدِّين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول: «ما رأينا أتقى مِن ابن تيميَّةَ لم نُبْقِ مُمكناً في السعي فيه، ولَمَّا قَدِر علينا عَفَا عنَّا»[1]، وفي لفظ: «ما رأينا مثل ابن تيميَّةَ حرضْنا عليه، فلم نَقْدِر عليه، وقَدِر علينا فصَفَح عنَّا، وحاجَّج عنَّا»[2].

وسأذكر بعض المواقف التي وقفها شيخ الإسلام تجاه خُصومه بكُلِّ نُبْل وشهامة، وكُلِّ عِزَّة وكرامة:

(١) قال ابن عبدالهادي: «جاء رجلٌ - فيما بلغني - إلى أخيه الشيخ شرف الدِّين، وهو في مسكنه بالقاهرة، فقال له: (إنَّ جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ وتفردوا به وضربوه) !!

فقال: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، وكان بعض أصحاب الشيخ جالساً عند شرف الدِّين، قال: فقمتُ مِن عنده، وجئت إلى مصر، فوجدتُ خلقاً كثيراً مِن الحسينية وغيرها رجالاً وفرساناً يسألون عن الشيخ، فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب المماليك على البحر، واجتمع عنده جماعة، وتتابع الناس،

---

١) العُقود الدُّرية ٢٢١

٢) البداية والنهاية ١٤/ ٥٤

وقال له بعضهم: (يا سيدي قد جاء خلق من الحسينية، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا) !!

فقال لهم الشيخ: (لأي شيء) !!، قال: (لأجلك)، فقال لهم: (هذا ما يحل) !!، فقالوا: (نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم، ونخرب دورهم، فإنهم شوشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس)، فقال لهم: (هذا ما يحل) !!، قالوا: (فهذا الذي قد فعلوه معك يحل، هذا شيء لا نصبر عليه، ولا بد أن نروح إليهم، ونقاتلهم على ما فعلوا)!!

والشيخ ينهاهم ويزجرهم، فلما أكثروا في القول، قال لهم: (إما أن يكون الحق لي، أو لكم، أو لله، فإن كان الحق لي فهم في حل منه، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا مني فلا تستفتوني، فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه إن شاء كما يشاء)»[1].

(٢) قال ابن عبدالهادي: «وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية يذكر أن السلطان لما جلسنا بالشباك أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم.

قال: ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقاً شديداً عليهم، لما خلعوه، وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير، فشرعت في مدحهم،

---

١) العقود الدرية ٢٢٤-٢٢٥

والثناء عليهم، وشكرهم، وأنَّ هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم حِلٍ مِن حقِّي، ومِن جهتي، وسكَّنت ما عنده عليهم»[1].

(٣) قال ابن القيِّم: «وما رأيتُ أحداً قطُّ أجمع لهذه الخصال مِن شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ قدَّس الله روحه ـ وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: (وددتُ أنِّي لأصحابي مثله لأعدائه وخُصومه).

وما رأيتُهُ يدعو على أحدٍ مِنهم قَطُّ، وكان يدعو لهم، وجئتُ يوماً مُبَشِّراً له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكَّر لي، واسترجع، ثم قام مِن فوره إلى بيت أهله، فعزَّاهم، وقال: (إنِّي لكم مكانه، ولا يكون لكم أمرٌ تحتاجون فيه إلى مساعدة إلاَّ وساعدتكم فيه) ونحو هذا مِن الكلام، فسُرُّوا به، ودعوا له، وعظَّموا هذه الحال مِنه، فـ﷫ ورضي عنه»[2].

(٤) قال البزَّار: «أخبرني غير واحد ممَّن كان حاضراً بدمشق حين وفاته ﷺ، قالوا: إنَّ الشيخ ـ قدَّس اللهُ روحه ـ مرض أياماً يسيرة، وكان إذ ذاك الكاتب شمس الدِّين الوزير بدمشق المحروسة، فلمَّا علِم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته، فأذن الشيخ له في ذلك، فلمَّا جلس عنده أخذ يعتذر له عن نَفْسِه، ويلتمس مِنه أن يُحلله ممَّا عساه أن يكون قد وقع مِنه في حقه مِن تقصير أو

---

١) العُقود الدُّرية ٢٢١

٢) مدارج السالكين ٤/ ١٩٠

غيره، فأجابه الشيخ ﷺ: (بأنِّي قد أحللتك، وجميع مَن عاداني، وهو لا يعلم أنِّي على الحق)، وقال ما معناه: (إنِّي قد أحللت السُّلطان الملك الناصر مِن حبسه إيَّاي، لكونه فعل ذلك مُقلداً غيره معذوراً، ولم يفعله لحظ نفسه؛ بل لما بلغه ممَّا ظنه حقاً مِن مُبلغة، والله يعلم أنَّه بخلافه، وقد أحللتُ كُل واحدٍ ممَّا كان بيني وبينه إلاَّ مَن كان عدواً لله ورسوله)»[1].

## ١١- وفاته:

مكثَ الشيخُ سجيناً في سجن القلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً، ألَّف فيها رسائل عِدَّة مِن أهمها (الفُرقانُ بينَ الحقِّ والبُطلانُ)، وراسل أُمه وإخوانه وتلاميذه برسائل تُكتب بماء الذَّهب، لِما فيها مِن رِقةٍ وأُلفةٍ ومحبةٍ ووداعٍ، فلمَّا كان قبل وفاته بأشهر مُنع الدواة والقلم، وصُودرَتْ كُتُبه، ومُنع مِن التأليف، فأثَّر ذلك في نفْــه، وتكدر خاطره، وإن كان يعلمُ أن ذلك مِن أمر الله وقدره، ولكنه نفسُه الأبيَّة، وشغفه بالعلم والتأليف، أثرَّ تأثيراً شديداً على بدنه، فأصبح عليلاً، وكانت مُدَّة مرضه بضعةً وعشرين يوماً، بعد أن أتمَّ الله لهُ مِن العُمر سبعٌ وستون عاماً، وقد كان أكثر الناس ما علموا بمرضه، فلم يفجأ الخلق إلاَّ نَعْيُه، فاشتد التأسف عليه، وكثر البُكاء والحزن، ودخل إليه أقاربه وأصحابه،

---

١) الأعلام العليّة ٣٦

وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات، وامتلأ جامع دمشق بخلقٍ لا يحصيهم إلاَّ الله.

| | |
|---|---|
| خَطْبٌ دَنَا فَبَكَى لَهُ الإِسْلامُ | وَبَكَتْ لِعِظَمِ بُكَائِهِ الأَيَّامُ |
| وَبَكَتْ لَهُ بِعَبْرَتِهَا السَّمَاءُ فَأَمْطَرَتْ | فِي غَيْرِ فَصْلٍ تَسْمَحُ الأَعْوَامُ |
| وَبَكَتْ لَهُ الأَرْضُ الجَلِيلَةُ بَعْدَمَا | أَضْحَى عَلَيهَا وَحْشَةٌ وَقَتَامُ |
| وَتَزَلْزَلَتْ كُلُّ القُلُوبِ لِفَقْدِهِ | وَتَوَاتَرَتْ مِنْ بَعْدِهِ الآلامُ |
| وَلِمُؤْمِنِيَّ الجِنِّ حُزْنٌ شَامِلٌ | وَنِيَاحَةٌ نَطَقَتْ بِهَا الأَحْلامُ |
| وَتَفَجَّعَ الدِّينُ القَوِيمُ لِفَقْدِهِ | وَبَقَى غَرِيبَاً يُبْتَلَى وَيُضَامُ |
| مُذْ مَاتَ نَاصِرُهُ الَّذِي أَوْصَافُهُ | أَبَدَاً تَكُونُ عَلَى سِوَاهُ حَرَامُ"[1] |

وكان هذا الأمر يوماً مشهوداً لا يُنسى، إنه يوم الاثنين لعشرين مِن شهر ذي القعدة مِن سنة ٧٢٨هـ.

وقد تشارك في غُسْله جماعة مِن كبار العُلماء والصالحين الأخيار مِنهم الحافِظ أبو الحجَّاج المِزّي[2].

وقد صُلِّي عليه ثلاث مرَّات:

---

١) قالها الرجل الصالح محمَّد المغيثي في شيخ الإسلام؛ كما في العقود الدُّرية ٣٨١

٢) البداية والنهاية ١٤/ ١٣٨

الأولى: في القلعة، وتقدم في الصلاة عليه الشيخ الزّاهد محمّد بن تمّام الصّالحي الحنبلي، عُقيب صلاة الظهر، ثم أُخرجت الجنازة وضعت في الجامع، والجند يحفظونها مِن الناس مِن شدة الزحام.

الثانية: في المسجد الأموي بعد صلاة الظهر، وتقدم في الصلاة عليه الشيخ علاء الدّين الخرّاط، ثم خرج الناس مِن كُل مكان وتضاعفوا بأعداد مهولة.

الثالثة: في السُّوق، وذلك أنّه لمّا تضاعف الناس وازدحموا على الجنازة، ولم يتمكن كثيرٌ منهم في الصلاة عليه، وضعت لهم الجنازة في السُّوق، وصَلّى عليه جمع كبير جداً، أمّ الناسَ أخوه عبدالرّحمن، ثم حُملت الجنازة، واشتد الزحام، فقد أغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل مِن الناس، وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير، وحضرها نساءٌ كثير بحيث قُدرن بخمسة عشر ألفاً، وأمّا الرجال فقُدروا بمائتي ألف.

وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً، ووقتاً معلوماً، ضاقت به البلد وظواهرها، وتذكرت به أوائل الرزايا وأواخرها، وأغلق الناسُ حوانيتهم، وتعطلت

مصالح كثيرٍ منهم، وهم خلف الجنازة سائرون، وفي لحدها وضعوها وهم باكون، وعلى مثل أبي العبّاس فلتبك البواكي هكذا يرددون"[1].

كُلُّ حَيٍّ لَهُ المَمَاتُ وُرُودُ ... لَيْسَ فِي الدُّنيا لِمَرْءٍ خُلُودُ

كُلُّ خِلٍّ مُفَارِقٌ لِخَلِيلٍ ... كُلُّ وَصْلٍ إِلَى انْفِصَالٍ يَعُودُ

لَيْسَ يَبْقَى إِلاَّ إِلهُ البَرَايَا ... دَائِمُ المُلْكِ وَالبَقَا لا يَبِيدُ

قَدْ رُزِئْنَا إِمَامَ عِلْمٍ وَدِينٍ ... عَدِمَ المِثْلَ فِي الزَّمَانِ فَرِيدُ

بَالحُزْنِ عَلَيْهِ عَمَّ البَرَايَا ... بِالنَّارِ لَهَا بِقَلْبِي وُقُودُ"[2]

قال بعض المؤرخين: "لم يُسمع في جنازةٍ بمثل هذا الجمع إلاّ جنازة الإمام أحمد بن حنبل"[3].

وصُلِّي عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة؛ حتى في اليمن والصين، وأخبر المسافرون: أنّه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة (الصلاة على ترجمان القرآن)[4].

---

1) قال الشيخ عبدالفتّاح أبو غُدّة في كتابه (العُلماء العُزّاب ١٠٠): "وما يزالُ قبرهُ معروفَ المكان إلى الآن، وهو في ساحة كُلّيّة الطّب بجامعة دمشق، وبجواره قبرُ شقيقه وصاحبه الإمام الحافظ أبي الحجّاج المِزّي، داخل سياجٍ من حديدٍ يحيط بهما..".

2) قالها الفقيه عبدالوهاب بن سلار الشّافعي في شيخ الإسلام؛ كما في العقود الدُّرية ٣٠٧

3) نقله الشيخ مرعي الكرمي في الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيميّة ٦٦

قال البرزالي: «ولا شك أنَّ جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة بسبب كثرة أهل بلده، واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقي الدِّين ابن تيميَّة رحمه الله توفي ببلدة دمشق وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعاً لو جمعهم سلطانٌ قاهرٌ، وديوانٌ حاصرٌ لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته، وانتهوا إليها؛ هذا مع أنَّ الرجل مات بالقلعة محبوساً من جهة السلطان، وكثيرٌ مِن الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة ممَّا ينفر منها أهل الأديان فضلاً عن أهل الإسلام»[١].

وقال ابن حجر: «ولو لم يكن مِن الدَّليل على إمامة هذا الرجل إلا ما نبه عليه الحافظ الشهير عَلم الدِّين البرزالي في تاريخه: أنه لم يوجد في الإسلام مَن اجتمع في جنازته مما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدِّين، وأشار إلى أنَّ جنازة الإمام أحمد كانت حافلةً جداً شهدها مئات ألوف، ولكن لو كان بدمشق مِن الخلائق نظير مَن كان ببغداد بل أضعاف ذلك لما تأخر أحدٌ منهم عن شهود جنازته، وأيضاً فجميع مَن كان ببغداد إلاَّ الأقل كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد، وكان أمير بغداد خليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم،

---

١) قاله الحافظ ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٧

٢) الرَّد الوافر ٢٢١، الشهادة الزكية ٢٨

بخلاف ابن تيميَّة فكان أمير البلد حين مات غائباً، وكان أكثر مَن بالبلد مِن الفقهاء قد تعصبوا عليه حتى مات محبوساً بالقلعة، ومع هذا فلم يتخلف عن حضور جنازته، والترحم عليه والتأسف، إلاَّ ثلاثة أنفُس تأخروا خشيةً على أنفسهم مِن العَّامة، ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلاَّ اعتقاد إمامته وبركته لا بجمع سلطان ولا غيره، وقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: (أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ)»[1].

١) الرَّد الوافر ٢٤٦-٢٤٧، الشهادة الزكية ٣٢، والحديث أخرجه البخاري في كتاب الوحي، باب: ثَنَاءِ النَّاسِ على المَيِّتِ، رقم (١٣٦٧)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب: فِيمَنْ يُثْنَى عليه خَيْرٌ أو شَرٌّ مِن المَوْتَى، رقم (٢٢٤٣) كلاهما عن أنس بن مالك.

**المطلب الثالث: طلبه للعلم، شيوخه، تلاميذه، مؤلفاته.**

**١- طلبه للعلم:**

عُرف آل تيميةَ بفرط الذكاء، وقوة الحفظ، وكثرة التعبُّد، فنشأ شيخ الإسلام بين هذه الكوكبة إذ كان جدُّه ووالده وبعض أعمامه من كبار العُلماء في زمانهم، والبهم المنتهى في الجِدّ والاجتهاد، فكأن الله أراد بشيخ الإسلام خيراً إذ المرء يلتمس من أهله الخير والفضل، فتضلع من الجِدّ والسمتِ، ونُبل الأخلاق وعلو الهيبة، ومع ذلك فكُل مَن يعرف شيخ الإسلام حقيقةً يجزم بأن الله اصطفاه وحباه، وفتح عليه من العلوم والفنون ما لم يُفتح على أحدٍ من أهل زمانه، وإنَّ صدره الذي أُشرِب من تلك العلوم قد نَقُل من الاتساع، وإنَّ لسانه الذي يلهج بها ليُقِّر بأنها من الفتَّاح الوهَّاب.

وذلك أنَّه لمَّا انتقل الشيخ رحمه الله مع أسرته إلى الشَّام هرباً من التتار، تفرَّغ حينئذٍ للطلب فسَمِع الحديث من كبار عُلماء أهله، وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرَّات، وسمع الكتب السِّتة الكبار والأجزاء، وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية وضبطها،

ثم تملكَ قلبه بعِلم التفسير حتى حاز فيه قصب السبق، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة !![1].

وكان الشيخ رحمه الله لا يفتر عن قول: «يا مُعلم آدمَ وإبراهيمَ علِّمني»، ولرُبما ذهب لبعض المساجد المهجورة فمرَّغ وجهه في التُّراب، وهو يدعو بالعِلم والفَهم[2]؛ حتى قال بعض أحبابه وأقرانه: «لا تكاد نفسه تشبع من العِلم فلا تروى مِن المطالعة، ولا تمل مِن الاشتغال، ولا تكل مِن البحث، وقلَّ أن يدخل في عِلم مِن العلوم مِن بابٍ مِن أبوابه إلا ويُفتح له مِن ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العِلم على حُذَّاق أهله، مقصوده الكتاب والسُّنة، ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: (إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تُشكل عليَّ فأستغفر الله تعالى ألف مرَّة أو أكثر أو أقلَّ حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكل)»[3].

بل «وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويُناظر ويُفحم الكبار، ويأتي بما يتحيَّرُ مِنه أعيان البلد في العِلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال، ومات والده

---

١) العقود الدُّرية ٦

٢) العقود الدُّرية ٢٥

٣) العقود الدُّرية ٨-٩

ـ وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ـ فدرّس بعده بوظائفه، وله إحدى وعشرون سنة، واُشتهر أمره، وبَعُدَ صيته في العالم»[1].

فَلا زَالَتِ الشَّمسُ الَّتي في سَمَائِهِ مُطالِعَةَ الشَّمسِ الَّتي في لِثَامِهِ
وَلا زَالَ تجتازُ البُدُورُ بِوَجْهِهِ فَتَعجَبُ مِن نُقصانِها وَتمامِهِ

## ٢- شيوخه:

تتلمذ الشيخ على كبار شيوخ زمانه، وقد لا يحصيهم مُحصي لكثرتهم حتى قال ابن عبدالهادي: «وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ»[2]،

ومن أشهرهم:

(١) الإمام أحمد بن عبدالدائم المقدسي الحنبلي (٦٦٨هـ).

(٢) الإمام محمَّد بن إسماعيل ابن عساكر الشافعي (٦٦٩هـ).

(٣) الإمام إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسر التنوخي (٦٧٢هـ).

(٤) الإمام عبدالله بن محمَّد بن عطاء الحنفي (٦٧٣هـ).

(٥) الإمام محمَّد بن علي الصابوني (٦٨٠هـ).

(٦) الإمام إبراهيم بن إسماعيل القرشي الحنفي (٦٨١هـ).

(٧) والده الإمام عبدالحليم بن عبدالسّلام ابن تيميَّة الحنبلي (٦٨٢هـ).

---

١) العقود الدُّرية ٨ نقلاً عن الإمام الذهبي.

٢) العقود الدُّرية ٦

(٨) الإمام عبدالرحمن بن محمد المقدسي الحنبلي (٦٨٢هـ).

(٩) الإمام علي بن أحمد الصالحي الحنبلي (٦٩٠هـ).

(١٠) الإمام أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي الشافعي (٦٩٤هـ).

(١١) الإمام المُنجّى بن عثمان التنوخي الحنبلي (٦٩٥هـ).

(١٢) الإمام محمّد بن عبدالقوي المرداوي (٦٩٩هـ).

**٣- التلاميذ:**

بلغ شيخ الإسلام القِمة، وتنافس عليه الطُّلاب بِهمَّة، فتكاثروا عليه حتى بلغوا الآلاف، ولم يعد يسعهم مكتوب حتى خطَّت يَرَاعُ بعضهم بقوله: «لعل الجيل الذي عاش فيه ابن تيميّة لم يعرف شيخاً كَثُر تلاميذه ومُريدوه كما كَثُر تلاميذ الشيخ تقي الدّين ا.هـ»[١]، ومن أشهرهم:

(١) الإمام أحمد بن إبراهيم الحزامي الحنبلي (٧١١هـ)

(٢) الشيخ سعد الله بن عبدالأحد بن نجيح الحرّاني (٧٢٣هـ)

(٣) الإمام محمّد بن محمّد بن سيِّد النَّاس اليعمري الشافعي (٧٣٤هـ)

(٤) الإمام القاسم بن محمّد البرزالي الشافعي (٧٣٩هـ)

(٥) الإمام يوسف بن عبدالرحمن المِزّي الشافعي (٧٤٢هـ)

(٦) الإمام محمّد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي الحنبلي (٧٤٤هـ)

---

١) من كلام الشيخ محمّد أبو زهرة في ابن تيميّة حياته وعصره ٤١٨

(٧) الإمام محمَّد بن أحمد الذهبي الشافعي (٧٤٨هـ)

(٨) الإمام عُمَر بن علي البزَّار الحنبلي (٧٤٩هـ)

(٩) الشيخ محمَّد بن عبدالله بن رُشيْق المغربي (كاتبه) (٧٤٩هـ).

(١٠) الإمام محمَّد بن أبي بكر الزَرَعِي (ابن قيِّم الجوزية) (٧٥١هـ)

(١١) الإمام محمَّد بن مُفلح المقدسي الحنبلي (٧٦٣هـ)

(١٢) الإمام أحمد بن الحسن المقدسي الحنبلي (٧٧١هـ)

(١٣) الإمام إسماعيل بن عُمَر بن كثير القرشي الشافعي (٧٧٤هـ)

(١٤) الإمام محمَّد بن عبدالله السعدي المقدسي الحنبلي (٧٨٨هـ)

**٤ - مؤلفاته:**

مؤلفات الشيخ كثيرة يصعب إحصاؤها، وعلى كثرتها فهي لم توجد في بلد معين في زمانه إنَّها كانت مبثوثة بين الأقطار، حتى قال ابن عبدالهادي: «ولا أعلمُ أحداً مِن مُتقدمي الأُمة ولا مُتأخريها جمع مثل ما جمع، ولا صنَّف نحو ما صنَّف، ولا قريباً مِن ذلك، مع أنَّ أكثر تصانيفه إنما أملاها مِن حفظه وكثيرٌ منها صنفه في الحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب»[١].

ولذلك أعتذر البزَّار عن تعدادها فقال: «وأما مؤلفاته ومصنفاته، فإنها أكثر مِن أن أقدر على إحصائها، أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه

١) العقود الدُّرية ٢٤

غالباً أحد، لأنها كثيرة جداً، كباراً وصغاراً، أو هي منشورة في البلدان فقَلَّ بلدٌ نزلتُهُ إلاَّ ورأيتُ فيه مِن تصانيفه»[1].

ووافقه ابن عبدالهادي في العجز عن إحصاء كُتب الشيخ أو معرفة أسمائها فقال عنه: «ويكتبُ قواعد كثيرة في فنون من العِلم في الأصول والفروع والتفسير وغير ذلك، فإن وجد مَن نَقله مِن خطه، وإلا لم يُشتهر، ولم يُعرف، وربما أخذه بعض أصحابه، فلا يقدر على نقله، ولا يرده إليه، فيذهب، وكان كثيراً ما يقول: قد كتبتُ في كذا، وفي كذا، ويُسأل عن الشيء فيقول: قد كتبتُ في هذا. فلا يدري أين هو فيلتفت إلى أصحابه، ويقول: ردوا خطي، وأظهروه ليُنقل، فمِن حرصهم عليه لا يردونه، ومن عجزهم لا ينقلونه، فيذهب ولا يُعرف اسمه.

فلهذه الأسباب وغيرها تعذر إحصاء ما كتبه، وما صنَّفه، وما كفى هذا إلاَّ أنَّه لَمَّا حُبس تفرق أتباعه، وتفرقت كتبه، وخوفوا أصحابه مِن أن يظهروا كتبه، ذَهَبَ كُل أحد بما عنده وأخفاه، ولم يظهروا كتبه، فبقي هذا يهرب بما عنده، وهذا يبيعه، أو يهبه، وهذا يخفيه ويودعه؛ حتى إن منهم مَن تُسرق كتبه، أو تُجحد فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر على تخليصها، فبدون هذا تتمزق الكُتب والتصانيف كُل مُمزق.

---

١) الأعلام العلية ٢٥

ولولا أنَّ الله تعالى لطف وأعان، ومَنَّ وأنعم، وجرت العادة في حفظ أعيان كتبه وتصانيفه، لما أمكن لأحد أن يجمعها، ولقد رأيتُ مَن خَرَق العادة في حفظ كتبه، وجمعها، وإصلاح ما فسد منها، وردِ ما ذهب منها ما لو ذكرته لكان عجباً»[1].

وقال الذهبي: «جمعتُ مصنفاتِ شيخ الإسلام تقي الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن تيميَّة فوجدتهُ ألف مصنَّف، ثم رأيتُ لهُ أيضاً مصنفاتٍ أُخر»[2].

وقال ابن رجب: «وأما تصانيفه ﷺ فهي أشهر من أن تُذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت سير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حدَّ الكثرة فلا يمكن أحدٌ حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعدِّ المعروف منها، ولا ذِكرها»[3].

ولذا أردتُ أن أذكر أبرز مؤلفاته في (العقيدة فقط) دون غيرها لما يتعلق به غالب مسائل هذا الكتاب، ومنها:

(١) الإِخْنَائِيَّة (الرَّد على الإخنائي).[4]

---

١) العقود الدُّرية ٧٣

٢) الرَّد الوافر ٧٢

٣) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٣

٤) حققه الشيخ أحمد بن مونس العنزي، طبع بدار الخرَّاز. (رسالة ماجستير)

(٢) الاستقامة.[٢]

(٣) الاستغاثة في الرد على البكري.[٣]

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم.[٤]

(٥) أقوم ما قيل في المشيئة والحكمة والقضاء والقدر والتعليل.[٥]

(٦) الإيمان الأوسط (شرح حديث جبريل).[٦]

(٧) الإيمان الكبير.[٧]

---

١) حققه الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود ثم بدار الفضيلة.

٢) حققه الشيخ عبدالله بن دجين السهلي، طبع بدار الوطن. (رسالة ماجستير)، وحقق الشيخ محمد بن علي عجال (تلخيص كتاب الاستغاثة) لابن كثير، طبع بمكتبة الغرباء الأثرية، وذكره أنه من مؤلفات شيخ الإسلام، وهذا غلطٌ منه، وخلطٌ بين الكتابين، والله أعلم.

٣) حققه الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل، طبع بدار الرشد. (رسالة دكتوراه)

٤) حققه الشيخ ابن قاسم ضمن المجموع ٨/ ٨١

٥) حققه الشيخ محمود أبوسن، طبع بدار طيبة، ثم حققه الدكتور علي بن بخيت الزهراني، طبع بدار ابن الجوزي. (رسالة دكتوراه)

٦) حققه الدكتور محمد سعيد إبراهيم (رسالة دكتوراه)، ولم أراه مطبوعاً، وله عِدّة طبعات أخرى من أشهرها بتخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني، بالمكتب الإسلامي، وبتخريج الدكتور محمد خليل هراس، طبع بدار الطباعة المحمدية بمصر.

(٨) بُغية المُرتاد في الرد على المُتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد.[1]

(٩) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية.[2]

(١٠) التُحفة العراقية في الأعمال القلبية.[3]

(١١) التدمرية.[4]

(١٢) التسعينية.[5]

(١٣) جواب الاعتراضات المصرية على الفُتيا الحموية.[6]

---

١) حققه الدكتور موسى الدويش، طبع بمكتبة العلوم والحكم. (رسالة دكتوراه)

٢) صححه وأكمله الشيخ محمد بن قاسم، بدار القاسم، ثم حققه تحقيقاً علمياً الدكتور يحيى الهنيدي، والدكتور رشيد حسن، والدكتور أحمد معاذ حقي، والدكتور محمد اللاحم، وشيخنا الدكتور سليمان الغفيص، والدكتور عبدالرحمن اليحيى، والدكتور محمد البريدي، والدكتور راشد الطيار، وطبع بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف. (رسائل دكتوراه)

٣) حققه الدكتور يحيى الهنيدي، طبع بمكتبة الرشد. (رسالة ماجستير)

٤) حققه الدكتور محمد بن عودة السعوي، طبع بمكتبة العبيكان. (رسالة ماجستير)

٥) حققه الدكتور محمد العجلان، طبع بمكتبة المعارف. (رسالة دكتوراه)

٦) حققه الشيخ محمد عُزير شمس، طبع بدار عالم الفوائد. (قطعة منه)، وهو كبيرٌ في حجمه كما ذكره مَن وصفه بن المزرخي، وأكثره في عِداد المفقود.

(١٤) جواب أهل العِلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به الرسول ﷺ مِن أنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثُلث القرآن.[1]

(١٥) الجواب الباهر في زُوار المقابر.[2]

(١٦) الجواب الصحيح لمن بدَّل دِين المَسيح.[3]

(١٧) الحموية الكُبرى.[4]

---

١) حققه شيخنا المبارك الدكتور سليمان الغفيص (رسالة ماجستير)، ولم أره مطبوعاً، وهو ضمن مجموع الفتاوى ١٧/ ٥، وحققه مُفرداً فواز أحمد زمرلي، بدار الكتاب العربي، وحققه كذلك مُفرداً عبدالعزيز فتحي السيِّد، بدار القاسم.

٢) حققه الشيخان سليمان الصنيع وعبدالرَّحمن المُعلمي، وطبع بمطابع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ثم حققه الدكتور إبراهيم بن خالد المخلف، طبع بدار المنهاج (رسالة ماجستير).

٣) حققه الدكتور علي الألمعي، والدكتور عبدالعزيز العسكر، والدكتور حمدان الحمدان، طبع بدار الفضيلة. (رسائل دكتوراه)

٤) حققه الدكتور حمد التويجري، طبع بمكتبة دار المنهاج. (رسالة ماجستير)، وحققه كذلك الشيخ شريف هزّاع، بدار فجر للتراث.

(١٨) الحُجج العقلية والنقلية فيما يُنافي الإسلام مِن بدع الجَهمِيَّة والصُّوفية.[١]

(١٩) درء تعارض العقل والنقل.[٢]

(٢٠) الرَّدُّ الأقوم على ما في كتاب فصوص الحِكَم.[٣]

(٢١) الرَّدُّ على أبي الحسن الشاذلي في حزبه.[٤]

(٢٢) الرَّدُّ على المنطقيين.[٥]

(٢٣) الرسالة البَعْلَبَكِّيَّة.[٦]

(٢٤) الرسالة المدنيَّة في الأسماء والصفات.[٧]

(٢٥) رسالة في المعيَّة والنزول وإثبات الصفات.[٨]

---

١) حققه الشيخ ابن قاسم ضمن مجموع الفتاوى ٢/ ٢٩٩

٢) حققه الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود ثم طبع بدار الفضيلة.

٣) حققه الشيخ ابن قاسم ضمن مجموع الفتاوى ٢/ ٣٦٢

٤) حققته الدكتورة سُمَيَّة علي أحمد، بدون دار.

٥) حققه الشيخ عبدالصمد الكتبي، طبع بدار الريان، وحققه الدكتور عبدالله بن ظافر الشهري (رسالة دكتوراه)، ولم أره مطبوعاً.

٦) حققته الأستاذة مريم الصاعدي، طبع بدار الفضيلة. (رسالة ماجستير)

٧) حققه الدكتور الوليد الفريَّان، طبع بدار طيبة، وكذلك حققه فواز زمرلي، ضمن كتابه جامع الرسائل، دار ابن حزم.

(٢٦) شرح حديث النزول.[1]

(٢٧) شرح العقيدة الأصفهانية.[2]

(٢٨) الصارم المسلول على شاتم الرسول.[3]

(٢٩) الصفدية.[4]

(٣٠) العُبودية.[5]

(٣١) فُتيا في الزيارة الشرعية والبدعية.[6]

(٣٢) الفُرقانُ بين أولياءِ الرَّحمنِ وأولياء الشَّيطانِ.[7]

---

١) حققه الدكتور علي الشبل، طبع بمكتبة الرشد.

٢) حققه الدكتور محمَّد الخُميِّس، طبع بدار العاصمة. (رسالة ماجستير)

٣) حققه الشيخ مُصطفى عبدالهادي، طبع بمكتبة ابن تيميَّة، والشيخ فوزي الأبشالي، بدار الإمام أحمد، والدكتور محمَّد بن عودة السعوي، طبع بدار المنهاج. (رسالة دكتوراه)

٤) حققه الشيخان محمَّد الحلواني ومحمَّد كبير شودري، طبع بدار رمادي. (رسالة ماجستير)

٥) حققه الدكتور محمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود ثم طبع بدار الفضيلة، ثم حققه الأستاذان سيِّد الجليمي وأيمن عارف الدمشقي، طبع بدار أضواء السَّلف.

٦) حققه الشيخ محمَّد حامد الفقي، طبع بمطبعة أنصار السُّنة، وحققه الشيخ علي حسن عبدالحميد الحلبي، طبع بدار المُغني، وغيرهما كثير.

٧) حققه الدكتور علي الشبل، طبع بمكتبة الرشد.

٨) حققه الدكتور عبدالرَّحمن البحيي، طبع بدار الفضيلة. (رسالة ماجستير)

(٣٣) الفُرقانُ بين الحقِّ والبُطلانْ.[1]

(٣٤) قاعدةٌ جامِعةٌ في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة.[2]

(٣٥) قاعدةٌ جليلةٌ في التوسل والوسيلة.[3]

(٣٦) قاعدةٌ عظيمةٌ في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشرك والنفاق.[4]

(٣٧) قاعدةٌ في الرَّد على الغزالي في التوكل.[5]

(٣٨) قاعدةٌ في الرَّد على مَن قال بفناء النار.[6]

(٣٩) قاعدةٌ في المحبة.[7]

---

١) وهو هذا الكتاب الذي أقوم بتحقيقه.

٢) حققه الدكتور عبدالله البصيري، طبع بدار العاصمة.

٣) حققه الدكتور ربيع بن هادي المدخلي، طبع بدار لينة.

٤) حققه الشيخ سليمان الغصن، طبع بدار العاصمة.

٥) حققه الدكتور علي الشبل، طبع بمكتبة الرشد.

٦) حققه الدكتور محمد السمهري، طبع بدار بلنسية.

٧) حققه الدكتور محمد رشاد سالم، طبع بدار المدني ضمن (جامع الرسائل)

(٤٠) القاعدةُ المراكشية.[1]

(٤١) قاعدةٌ في الوسيلة.[2]

(٤٢) اللُّمعة في الأجوبة السبعة.[3]

(٤٣) الماتريدية.[4]

(٤٤) مسألة في الكنائس.[5]

(٤٥) منهاج السُّنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.[6]

(٤٦) النبُوَّات.[7]

(٤٧) نقض أساس التقديس.[1]

---

١) حققه الشيخ دغش العجمي، طبع بدار ابن حزم.

٢) حققه الدكتور علي الشبل، طبع بمكتبة الرشد، وحققه كذلك الشيخ محمَّد عُزير شمس في جامع المسائل ٥/ ٩٧، وطبع بدار عالم الفوائد.

٣) حققه الشيخ سليمان الغصن، طبع بدار الصميعي.

٤) ذكره ابن عبد الهادي في العقود الدُّرية ٤١، وهو في عِداد المفقود.

٥) حققه الدكتور علي الشبل، طبع بمكتبة الرشد.

٦) حققه الدكتور محمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود ثم طبع بدار الفضيلة.

٧) حققه الدكتور عبدالعزيز الطويان، طبع بدار أضواء السَّلف. (رسالة دكتوراه)

(٤٨) الواسطة بين الحقِّ والخلق.[١]

(٤٩) الواسطية.[٢]

(٥٠) الوصِيَّةُ الكُبرى.[٣]

وله من الكتب والرسائل والفتاوى الكثير جداً مما طُبع بعضه في المجاميع أو مستقلاً، والكثير منه ما زال مخطوطاً، ومنها الموجود في المكتبات العامة أو الخاصة، ومنه ما عُدَّ في عداد المفقود.[٤]

---

١) حقق جزءاً منه الدكتور موسى الدويش، طبع بمكتبة العلوم والحكم وهو الكتاب (بيان تلبيس الجهمية) السابق برقم (٩).

٢) حققه الشيخ ابن قاسم ضمن مجموع الفتاوى ١/ ١٢١

٣) حققه الشيخ عبدالرّحمن بن صالح السديس ضمن عنايته بكتاب (توضيح مقاصد شرح الواسطية) للشيخ عبدالرّحمن البرّاك، طبع بدار التدمرية.

٤) حققه الشيخ ابن قاسم ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ٣٦٣، واعتنى به مُفرداً الشيخان محمّد النمر وعثمان ضميرية، طبع بدار الصدّيق.

٥) وهناك رسائل علمية خدمت علم شيخ الإسلام ابن تيميّة في (العقيدة)، وها أنا أذكر لك بعضها؛ مع بيان المطبوع منها حسب إطلاعي القاصر:

[١] منهج ابن تيميّة في تقرير عقيدة التوحيد، للدكتور إبراهيم البريكان [مطبوع].

[٢] جهود ابن تيميّة في توضيح توحيد العبادة، للدكتور أحمد بن عبدالله الغنيمان [طبع].

[٣] توحيد الألوهية عند ابن تيميّة، للأستاذ عدنان خطاطبة [لم يطبع].

---

[٤] الإلهيات عند ابن تيميَّة، للأستاذ زهير بن عمر [لم يطبع].

[٥] الأسماء والصفات والأفعال عند ابن تيميَّة، للدكتور أحمد الزهادي [لم يطبع].

[٦] الصفات الخبرية عند ابن تيميَّة، للأستاذ محمَّد جوادي [لم يطبع].

[٧] قضية الصفات الخبرية عند ابن تيميَّة، للأستاذة آلاء عيدروس [لم يطبع].

[٨] موقف ابن تيميَّة من قضية الصفات الإلهية، للأستاذ محمَّد هارون [لم يطبع].

[٩] جهود ابن تيميَّة في توضيح المسائل الكلية للأسماء والصفات عند السَّلف، للأستاذ ذياب العلوي [لم يطبع].

[١٠] الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة، للدكتور عبدالقادر صوفي [مطبوع].

[١١] قواعد الأسماء والأحكام عند ابن تيميَّة، للدكتور محمَّد بن يسيس السفياني [لم يطبع].

[١٢] قواعد ابن تيميَّة في الرَّد على المخالفين، للدكتور حمدي بن حميد القريقري [مطبوع].

[١٣] جهود ابن تيميَّة في الرَّد على القبوريين، للشيخ إبراهيم المخلف [لم يطبع].

[١٤] جهود ابن تيميَّة في نقض استدلالات أهل الأهواء بالنصوص الشرعية على بدعهم، للأستاذ منير السيمي [لم يطبع].

[١٥] جهود ابن تيميَّة في نقض استدلالات أهل الأهواء بالنصوص الشرعية على بدعهم، للدكتور لطفي أبو خشيم [لم يطبع]

[١٦] جهود ابن تيميَّة في تقرير الإمامة والرَّد على المخالفين فيها، للشيخ شرف الدِّين حامد البدوي [لم يطبع].

[١٧] العقيدة السُّلفية بين الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيميَّة، للدكتور سيِّد عبدالعزيز السِّيلي [مطبوع].

[١٨] تحرير منشأ الخلاف في مسائل العقيدة عند ابن تيميَّة، للشيخ عبداللطيف بن حيد الفريفري [لم يطبع].

[١٩] ابن تيميَّة السَّلفي ونقده لمسالك المُتكلمين والفلاسفة في الإلهيات، للدكتور محمد خليل هرَّاس [مطبوع].

[٢٠] موقف ابن تيميَّة من آراء الفلاسفة، للدكتور صالح بن غرم الله الغامدي [مطبوع].

[٢١] موقف ابن تيميَّة من المسائل التي كفَّر بها الغزاليُّ الفلاسفةَ، للدكتورة هيا آل الشيخ [لم يطبع].

[٢٢] العقيدة في كتب ابن تيميَّة، للدكتور عبدالسَّلام السفياني [لم يطبع].

[٢٣] الفرق بين الألوهية والربوبية عند ابن تيميَّة، للأستاذة عائشة الغشاوي [لم يطبع].

[٢٤] قضية التأويل عند ابن تيميَّة، للدكتور محمَّد الجليند [مطبوع].

[٢٥] النبوة بين الغزالي وابن تيميَّة، للدكتور محمَّد الداه أحمد [لم يطبع].

[٢٦] النبوة عند ابن تيميَّة والرَّد على المخالفين، للدكتور سعيد إبراهيم خليفة [لم يطبع].

[٢٧] موقف ابن تيميَّة من الأشاعرة، لشيخنا الدكتور عبدالرَّحمن المحمود [مطبوع].

[٢٨] موقف ابن تيميَّة من الأشاعرة، للأستاذ محمَّد الحاج [لم يطبع].

[٢٩] موقف ابن تيميَّة من التصوف والصوفية، للدكتور أحمد بناني [مطبوع].

[٣٠] موقف ابن تيميَّة من الصوفية، للدكتور محمَّد العريفي [مطبوع].

[٣١] موقف ابن تيميَّة من التصوف، للدكتور محمَّد مصطفى حلمي [مطبوع].

[٣٢] موقف ابن تيميَّة من الرازي في الإلهيات، للدكتورة إبتسام محمَّد أحمد جمال [لم يطبع].

[٣٣] موقف ابن تيميَّة من الرافضة، للدكتور عبدالله الشمسان [مطبوع].

[٣٤] موقف ابن تيميَّة من الكرَّامية في الإلهيات، للأستاذ عبدالقادر محمَّد عبدالله [لم يطبع].

[٣٥] منهج ابن تيميَّة في مسألة التكفير، للدكتور عبدالمجيد المشعبي [مطبوع].

[٣٦] موقف ابن تيميَّة من المعتزلة في العقيدة، للدكتورة قدرية شهاب الدِّين [لم يطبع].

[٣٧] موقف ابن تيميَّة من مفهوم النبوة والولاية عند الصوفية، للأستاذ باني أماكي [لم يطبع].

[٣٨] منهج ابن تيميَّة في بيان البدع والرد عليها، للدكتور فهد المفرد [لم يطبع].

[٣٩] موقف ابن تيميَّة ومدرسته من التصوف، للأستاذ شوقي بشير [لم يطبع].

[٤٠] موقف ابن تيميَّة من تقديس الأماكن والأزمان، للأستاذ أبي بكر صار [لم يطبع].

[٤١] موقف ابن تيميَّة من الآمدي، للدكتور يحيى الهنيدي [لم يطبع].

[٤٢] نقد ابن تيميَّة للكسب الأشعري، للأستاذ لخضر بوزرارة [لم يطبع].

[٤٣] آراء المرجئة في مُصنفات ابن تيميَّة، للدكتور عبدالله السند [مطبوع].

[٤٤] آراء الباطنية عند ابن تيميَّة، للدكتور حمود بن غزاي الحربي [لم يطبع].

[٤٥] آراء الجَهْمِيَّة والمُعتزلة عند ابن تيميَّة، للدكتور يوسف السعيد [لم يطبع].

[٤٦] آراء الخوارج والشيعة عند ابن تيميَّة، للدكتور محمَّد السحيباني [لم يطبع].

[٤٧] آراء الكُلابية والسالمية عند ابن تيميَّة، للدكتور عبدالرحمن الشدي [لم يطبع].

[٤٨] موقف ابن تيميَّة من فلسفة ابن رشد، للأستاذ الطيلاوي محمود [لم يطبع].

[٤٩] بين ابن تيميَّة وابن رشد في الإلهيات، لشيخنا الدكتور منيف العتيبي [لم يطبع].

[٥٠] جهود ابن تيميَّة في الرَّد على ابن سينا في المسائل الإلهية، للدكتور سعيد إبراهيم سيِّد [لم يطبع].

[٥١] جهود ابن تيميَّة في تقرير المسائل المتعلقة بأسماء الله الحسنى وشرحها والرَّد على المخالفين، للدكتور أرزقي بن محمَّد سُعيداني [لم يطبع].

[٥٢] جهود ابن تيميَّة في توضيح الإيمان بالقدر، للدكتور تامر متولي [لم يطبع].

[٥٣] موقف ابن تيميَّة وابن القيِّم من الألفاظ المُجملة المُتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر، للشيخ عبدالسميع بن عبدالأول [لم يطبع].

[٥٤] المنطق عند ابن تيميَّة، للدكتورة عفاف الغمري [مطبوع].

[٥٥] موقف ابن تيميَّة من قضية قِدم العالم، للأستاذ فِراس الشباب [لم يطبع].

[٥٦] دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، للدكتور عبدالله الغصن [مطبوع].

[٥٧] منهج ابن تيميَّة في دراسة النصرانية، للأستاذ عبدالراضي محمد عبدالمحسن [لم يطبع].

[٥٨] منهج ابن تيميَّة في الرَّد على النصارى، للأستاذ كريمة بن جاب الله [لم يطبع].

[٥٩] موقف ابن تيميَّة من النصرانية، للدكتورة مريم الزَّامل [مطبوع].

[٦٠] جهود الإمامين ابن تيميَّة وابن القيِّم في دحض مفتريات اليهود، للدكتورة سميرة سانيِ، [مطبوع].

[٦١] ابن تيميَّة وموقفه من أهم الفِرق والديانات في عصره، للدكتور محمد حربي [مطبوع].

[٦٢] آل البيت عند ابن تيميَّة، للدكتور عمر صالح القرموشي [لم يطبع].

[٦٣] جهود ابن تيميَّة في الدفاع عن آل البيت، للشيخ خالد الرباح [لم يطبع]

وقد هيأ الله جل في عُلاه لهذه النوادر الغالية، والجواهر الثمينة مَن يُخرجها من مَرْقَدِها، ومِمَّن وفقه الله لإخراج هذه الكنوز أفراداً من الأمة دعماً وتحقيقاً، فممن كان داعماً الشيخ العلامة محمود الألوسي، والشيخ محمّد جمال الدّين القاسمي، والشيخ محمّد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ محمّد نصيف، والدكتور بكر أبو زيد، وشيخنا الدكتور عبدالرّحمن المحمود، ورجل الأعمال المُبارك سليمان بن عبدالعزيز الراجحي، ومِمّن كان مُحققاً الشيخ محمّد رشيد رضا، والشيخ محمّد حامد الفقي، والشيخ عبدالرّحمن بن قاسم، وابنه الشيخ محمّد، والشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، والشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، والدكتور محمّد رشاد سالم، والدكتور علي بن عبدالعزيز الشِّبل، والشيخ علي ابن محمّد العمران، والشيخ محمّد عُزير شمس، وغيرهم كثير، فجزاهم الله عن الإسلام والمُسلمين خيراً، وأعظم أجرهم في الدُّنيا والآخرة.

---

[٦٤] جهود ابن تيميّة في تقرير مسائل الإيمان باليوم الآخر والرّد على المخالفين، للدكتور عبدالله آل الشيخ [لم يطبع].

[٦٥] المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيميّة الإجماع في التوحيد والإيمان، للشيخ خالد الجعيد، والشيخ علي العلياني، والشيخ ناصر الجهني [مطبوع].

[٦٦] الموارد العلمية لابن تيميّة في تقرير عقيدة أهل السُّنة والرّد على المُخالفين، للدكتورة هيا الخميس [لم يطبع].

[٦٧] منهج ابن تيميّة في تقرير أحكام السّب من خلال كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول، للشيخ صالح بن سعود الجيش [لم يطبع].

[٦٨] موافقة ابن تيميّة لأئمة السّلف في تقرير القواعد والضوابط المتعلقة بباب الأسماء والصفات، للدكتور أحمد النجّار [لم يطبع]، والله أعلم.

# القسم الأول

## الفصل الثاني: الدراسة

وفيها أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: تسمية الكتاب.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب.

المطلب الثالث: نسبته للمؤلف.

المطلب الرابع: تاريخ تأليف الكتاب.

المطلب الخامس: الفرق بينه وبين الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

المطلب السادس: طبعات الكتاب.

المطلب السابع: مخطوطات الكتاب.

المطلب الثامن: مصادر المؤلف في الكتاب.

المطلب التاسع: بعض لطائف المؤلف في الكتاب.

المطلب العاشر: فوائد علمية من الكتاب.

المطلب الحادي عشر: السقط والتصحيف في الكتاب.

## الفصل الثاني: الدراسة

وفيها أحد عشر مطلباً:

### المطلب الأول: اسم الكتاب.

قد يصعب أحياناً تحديد اسم بعض كتب شيخ الإسلام ﷺ؛ وذلك أنَّ الشيخ لا يحرص كثيراً على مُسميات كُتبه، وإنَّما يصفها بما ورد فيها، وربما سمَّى بعض كُتبه بأسماء مُتغايرة، وكذلك غالب تلاميذه فهم يختلفون في اسم كتاب للشيخ لأن كلاً منهم لم يبلغه اسمٌ مُعين في الغالب.

ولذلك ورد خِلافٌ يسير في اسم هذا الكتاب على النحو التالي:

**أولاً:** أقدمُ مَن بلغني ممن سمى هذا الكتاب هو تلْميذُ وكَاتِبُ شيخ الإسلام الشيخ أبو عبدالله محمَّد بن رُشَيِّق المغربي، ويُعد مِن أثبت النَّاس في معرفة كُتب شيخ الإسلام وأسمائها، كما قال ابن عبدالهادي: «وكان مِن أخص أصحاب شيخنا، وأكثرهم كتابةً لكلامه، وحِرصاً على جمعه»[١]، وقال ابن كثير: «وكان أبصرُ بخط الشيخ مِنه، إذا عَزب شئٌ مِنه على الشيخ استخرجه أبو عبدالله هذا»[٢]، وقد سمَّاه (الفُرقانُ بينَ الحقِّ والبُطلانِ)، وقال: «في ستين

---

١) العقود الدُّرية ٢٥

٢) البداية والنهاية ١٤/ ٢٦٤

ورقة٦"[1]، وتابعه على هذا الاسم العلاَّمة ابن رجب[2]، وقال: (مُجلدٌ لطيف)، وكذلك مؤرخ الحنابلة العلاَّمة عبدالرَّحمن العليمي[3]، وقال: (مُجلدٌ لطيف)، والعلاَّمة عبدالرشيد الكشميري[4]، والعلاَّمة إسماعيل باشا البابانِي[5]، والأستاذ يوسف الدمشقي[6]، وهكذا جاء الاسم في طُرَّة المجموع الذي حوى نُسخةٍ منه في مكتبة الشيخ محمَّد حامد الفقي؛ كما هو واضحٌ في (مخطوطات الكتاب).

**ثانياً:** انفرد العلاَّمة إسماعيل باشا البابانِي[7] فسمَّاه (**الفرق بين الحق والبُطلان**)، وأظنه تصحيفاً، لأنه هو أورده في هدية العارفين كما سبق بنفس الاسم الأول، وهو أقرب.

---

١) في كتابه أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام ٣١١، وهي كذلك في أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة المنسوب لابن القيِّم، وهي لابن رُشيق المغربي ٣٠ (ت: صلاح الدِّين المنجد).

٢) في ذيل طبقات الحنابلة ٤/ ٥٢٣

٣) في المنهج الأحمد ضمن الجامع ٦١٠، وفي الدُّر المُنَضَّد ضمن الجامع ٦١٩

٤) في نُزُل مَن أتقى بكشف أحوال المُتقى ضمن الجامع ٦٩٨

٥) في هدية العارفين ١/ ١٠٦

٦) في مُعجم الكتب ١٢١

٧) في إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون ٢/ ١٨٧

**ثالثاً:** انفرد العلاَّمة الكتاني[1] حيث سمَّاه (**الفُرقان بين الحقِّ والباطل**)، ومنه أُشتهر بهذا الاسم.

**رابعاً:** أمَّا الشيخ عبدالرَّحمن بن قاسم فقد أشكل عليه ذلك، لأنه اطلع على اسم المخطوط الذي حققه، وإذا بالاسم مُختلفٌ جداً، وهو (**الفُرقان بين الحقِّ والباطل في إعجاز القُرآن لأهل الفصاحة والبيان**)، فاختصر الاسم على ما سمَّاه الكتاني، ولم يجزم بالاسم، وقال: (**تُسمى: الفُرقان بين الحقِّ والباطل**)، وجعله في قِسم التفسير؛ مع أنَّ الناظر في الكتاب يجده في بيان عقيدة أهل السُّنة والرَّد على المخالفين فيها، كالرافضة، والخوارج، والمُعتزلة، والمُرجئة، والكرَّامية، والكُلاَّبية، والأشاعرة، والصُّوفية، وغيرهم.

وقد سمَّاه الدكتور محمد العواجي[2]: «**الفُرقان بين الحقِّ والباطل في إعجاز القُرآن**، مطبوع ضمن الفتاوى ١٣/ ٥ !!، فكيف عرف اسم الكتاب وهو غير مُسمى بذلك في الفتاوى، إلاَّ أن يكون قد رجع لبعض المخطوطات، ولم يُشر إليها، ومع تغليب رجوعه لاحدى المخطوطتين فالعنوان ناقصٌ عنها حيث حذف الجُملة الأخيرة (**لأهل الفصاحة البيان**)، والله أعلم.

---

١) في نظم المتناثر في الحديث المتواتر ١٩ (ت: شرف حجازي)

٢) في كتابه إعجاز القرآن الكريم عند ابن تيميَّة ٤٢

وقد سمّاه الدكتور علي الشبل (**الفُرقان بين الحقّ والباطل في إعجاز القُرآن لأهل الفصاحة**)[١]، وقد حذف الكلمة الأخيرة (**البيان**) مع أنّه نقل العنوان من المخطوطات التي أشار إليها، وهذه الكلمة موجودة هناك، فلعله سهو منه، والله أعلم.

**خامساً:** انفرد الدكتور عبدالرّحمن اليحيى[٢] حيث سمّاه (**الفرق بين الحقّ والباطل**)، حيث قال: «وهذا الكتاب في اسمه قد يشتبه بكتابٍ آخرٍ للمؤلف نفسه ﵀ اسمه (الفَرق بين الحقّ والباطل، أو الفُرقان بين الحقّ والباطل)»، وأظنه التبس عليه تعريف العلاّمة إسماعيل باشا البغدادي[٣] حينما تُصُحِّف عنده الكتاب، حيث سمّاه (الفَرق بين الحقّ والبُطلان)، أو هو خطأٌ طباعي، والله أعلم.

ولذلك رأيتُ تسمية الكتاب (**الفُرقانُ بين الحقّ والبُطلانُ**) لأمورٍ ثلاثة:

(١) أنّه هكذا سمّاه الشيخ مُحمّد بن رُشيِّق المغربي، وهو أعرف تلاميذ شيخ الإسلام بكتبه وأسمائها، وقد تابعه بعض المؤرخين كما سبق.

---

١) في كتابه الماتع (الإثبات في مخطوطات الأئمة) ١٨١

٢) في الفرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان ٨

٣) في إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون ٢/ ١٨٧

(٢) أنَّه هكذا جاء في طُرَّة المجموع الذي في مكتبة الشيخ محمَّد حامد الفقي، والذي منه نُسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وهي واضحة جداً، بلفظ (كتاب الفُرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان، تأليف شيخ الإسلام، بركة الأنام، تقي الدِّين ابن تيميَّة الحرَّاني، قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه، آمين، ويليه كتاب الفُرقان بين الحقِّ والبُطلان له أيضاً ..)

(٣) أنَّه أوفق في السَّجع، كما سمَّى كتابه الآخر (الفُرقان بين أولياءِ الرَّحمن وأولياءِ الشَّيطان)، وغيرها من كتبه، والله أعلم.

### المطلب الثاني: موضوع الكتاب.

الكتاب يتحدث عن مسائل كثيرة في العقيدة، حيث ذكر شيخ الإسلام جملة من أهمها:

أولاً: أوضح الشيخ أنَّ الله لمَّا طلب من عباده عبادته جعل بينهم فُرقاناً يميزون به بين صحيح الاعتقاد من فساده، وهو القرآن العظيم وما ثبت عن النبي ﷺ في ذلك، وهذا من أهم قواعد أهل السُّنة في التلقي والاستدلال، وهو الاعتماد على الوحي، لا على العقول والظنون والأهواء، وهذه مُقدمة ما أراده من الخوض في مسائل الاعتقاد.

ثانياً: فسَّر الشيخ معنى لفظ الفرقان في لغة العرب، ومن كلام السَّلف؛ حتى لا يزعم بعض المُخالفين أن ما عليه هو الفرقان الذي يتعبدون الله به،

وبيّن لهم أن ما يدّعونه عندهم فُرقاناً إنما هو الجهل والضلال، وأنه ليس عندهم من أهل اللُّغة أو الشريعة مَن يُناصر مذهبهم.

ثالثاً: أوضح الشيخ أنَّ سبب ظهور البدع الأولى هو سوء فهمهم للقرآن، وأنهم لم يقصدوا معارضته، فالذي أوقعهم في الضلال أولاً هو الجهل لا العناد، ثم استكبروا فخرجوا عن الصراط المُستقيم، ومن هذه الطوائف (الخوارج، والشيعة الأولى، والمُرجئة).

رابعاً: بيَّن الشيخ أن القرآن والحديث إذا عُرف تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللُّغة.

خامساً: بيَّن الشيخ حقيقة (الخوارج، والشيعة، والقدرية، والمُرجئة، والجهميَّة)، متى حدثوا، وما سبب ضلالهم.

سادساً: أوضح الشيخ تنازع الناس في مسألة (الأسماء والأحكام)، وحكم مُرتكب الكبيرة عند (الخوارج والمُعتزلة)، وما هو الحق في ذلك.

سابعاً: بيَّن الشيخ أقوال (المُرجئة) في الإيمان، وبيَّن فسادها، مع بيانه منهجهم في الاستدلال وهو أنهم ساروا على أصول ابتدعها شيوخهم، هم لها مقلدون، وعلى نهجهم مُتبعون.

ثامناً: بيَّن الشيخ حُجَّة (الصُّوفية) في تعلقهم بالمكاشفات والإلهامات، وأوضح أنهم لم يفهموها على هدي السلف، فدخل بعضهم في الزندقة، أو في اعتناق دين الكُفار جهاراً على أنه من القدر السابق.

تاسعاً: أوضح الشيخ تعلق (الصُّوفية) بالجن، وارتباطهم بهم، وأنَّ الجن يُزينون لهم ما هم فيه من الغي والضلال، وربما أمروهم بمخالفة الشريعة علانية.

عاشراً: أوضح الشيخ الفرق الكبير بين مُعجزة الأنبياء وكرامات الأولياء، والفرق بين أولياءِ الرَّحمن وأولياءِ الشَّيطان، وأنَّ (الصُّوفية) لم يُميزوا ذلك لأنَّهم اعتمدوا على الكَلامِ والذَّوْقِ والكَشْفِ وغيرها.

الحادي عشر: أوضح الشيخ أصول (المُعتزلة) الخمسة، وأبطلها، وأنَّهم خيرٌ من الخوارج والرافضة في الإقرار بخلافة الأربعة الخلفاء، وتولي غالبهم للشيخين أبي بكر وعمر، وأنَّ المُعتزلة من أبعد النَّاس عن طريق الكشف والخوارق، ويذمون الصُّوفية ويعيبونها.

الثاني عشر: بيَّن الشيخ الأطوار التي مرَّ بها (أبو الحسن الأشعري)، وكيف فعل لنصرة ما رآه أنَّه الحق، وهل وافقه أم لا، وهل سار أتباعه على طريقه أم سلكوا طريقةً أخرى.

الثالث عشر: ردُّ الشيخ بعض مزاعم (النصارى) في صلب المَسيح ﷺ، وأنهم مُختلفون في الأناجيل، مُتناقضون في التأويل، وأنَّ في الأرض نسخاً صحيحة مِن التوراة والإنجيل بقيت إلى عهد النبي ﷺ، ونسخاً كثيرة محرَّفة، ومَن قال: إنه لم يحرف شيء مِن النُّسخ، فقد قال ما لا يمكنه نَفْيُه، ومَن قال: أنَّ جميع النسخ بعد النبي ﷺ حُرِّفت، فقد قال ما يُعلم أنَّه خطأ.

الرابع عشر: أوضح الشيخ القصد مِن هجر أهل البدع، وعدم قبول شهادتهم، وما هي الأسباب التي أدت إلى الاختلاف والافتراق.

الخامس عشر: بيَّن الشيخ أن (الجهْمِيَّة والمُعتزلة) مُشتركون في نفي الصفات، بخلاف (الكُلاَّبية) الذين لم يثبتوا الصفات الاختيارية فقط.

السادس عشر: بيَّن الشيخ تنازع الفِرق في العلم بالمعاد، وبحُسن الأفعال وقُبحها، وما هو الحقُّ في ذلك.

السابع عشر: أوضح الشيخ موقف (الجهْمِيَّة) مِن المُحكم والمُتشابه، وأنَّ المُحكم عندهم هو ما ابتدعوه برأيهم، وإن لم يكن معهم مِن الأنبياء والكتاب والسُّنة ما يوافقه، ويجعلون ما جاءت به الرُّسل وإن كان صريحاً قد يُعلم معناه بالضرورة هو المُتشابه، ولهذا كانوا أعظم مخالفةً للأنبياء مِن جميع أهل البدع.

الثامن عشر: أوضح الشيخ مذهب (أهل وحدة الوجود)، وهو انتقاصهم للأنبياء، وتعظيمهم للملاحدة والأصنام، ويبغضون القرآن، وهم مُتابعون للفلاسفة الملاحدة في كثير من معتقداتهم.

التاسع عشر: بيّن الشيخ ظهور (القدرية) في آخر عصر الصحابة، وأنَّ أصل ضلالهم هو نفي القدرة والحكمة عن الله تعالى، بخلاف (الجبرية) الذين يرون إثبات القدرة لله تعالى وينفون الحكمة عنه سبحانه.

العشرون: ختم الشيخ هذا الكتاب في الإشارة إلى أمرين:

أحدهما: وجوب الذَّب عن التوحيد، وبيان طريقة الأنبياء في دعوة أقوامهم، وذلك في تعريفهم بربهم وصفاته، ومقت أديانهم الباطلة، وهو ما يسلكه الشيخ في تصانيفه من العرض لدين الله الحق، والرد لدين غيره الباطل.

ثانيهما: اعتذاره لبعض المُخالفين والدعاء لهم بالهداية، وأنهم لجهلهم غلطوا، وإن كان بعضهم لا يقصد مخالفة الشريعة، ولكن هذا مبلغ علمهم، وبعض الفرق أفضل من بعض في بعض الجوانب، وأصبح يقول: «نسأل الله العظيم أن يهدينا، وسائر إخواننا الصراط المُستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم، ولا الضالين، آمين»، «والله يهدينا وسائر إخواننا المؤمنين إلى صراطه المُستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصدِّيقين والشُّهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا»، فكأنها دعوات مِن مُودِّع مُشفق، ومِن مُلْهَم مُبصِر.

هذا بعض ما احتواه هذا الكتاب النفيس من مسائل، وفوائد، وقواعد، وهو يُعتبر خلاصة جهاد الشيخ البَنّاني، ووصيَّته قبل موته في الاستمساك بالذي أُوحي إلينا، وأنَّ مَن اعتصم بحبل الله حقيقةً فهو الناجي في الدُّنيا والآخرة.

وقد قسَّم الشيخ كتابه إلى ثلاثة عشر فصلاً هي:

الفصل الأول: أنَّ معرفة الفرقان بين الحقِّ والباطل لازمةٌ، وأنَّ الله قد بيَّن ذلك في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ.

الفصل الثاني: أنَّ الله لا يُفرِّق في كتابه بين مُتماثلين، ولا يُسوِّي بين شيئين غير مُتماثلين، ومعنى لفظ الاختلاف في القُرآن.

الفصل الثالث: أنَّ معاني القُرآن والسُّنة إذا جاءت مُفسرة فيها لم يحتج لكلام أهل اللغة، والتحذير مِن مُعارضة الوحي بالمصطلحات غير الواردة في الشرع.

الفصل الرابع: أنَّ مُخالفة الرسول ﷺ توجب سوء الظَّن في المُشرِّع، واتباع الهوى، والتخرص في الدِّين بالباطل.

الفصل الخامس: تلبيس الشَّيطان للنصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام.

الفصل السادس: مسالك الفرق في اتباعهم للظن في دين الله.

الفصل السابع: أحكام الظن في الشريعة.

الفصل الثامن: مسالك الفرق في إثبات الصفات أو نفيها.

الفصل التاسع: الجامع في الفرقان بين الحقّ والباطل.

الفصل العاشر: مسالك الفرق في الافتراق، وأنواعهم.

الفصل الحادي عشر: من أسباب ضلال الفرق مشاركتهم الفلاسفة.

الفصل الثاني عشر: بداية افتراق الفرق وأصولهم.

الفصل الثالث عشر: بداية ظهور القدرية وأصل مذهبهم.

## المطلب الثالث: نسبته للمؤلف.

الكتاب مشهورٌ بأنه من مُصنفات شيخ الإسلام، سواء من طريق التواتر والاستفاضة، أو من طريق الأسلوب والنَّفَس العِلمي، ولا أعرف أحداً من أهل العِلم قدح في نسبته إليه، ويدُلُّ على ذلك أمور منها:

**أولاً:** ما هو مصرَّح ومكتوب على طرة مخطوطته.

**ثانياً:** تصريح شيخ الإسلام بذكر بعض مُصنفاته الأخرى فيه، مثل (الإيمان) و (شرح حديث جبريل).

**ثالثاً:** تصريح تلميذ الشيخ وكاتبه الشيخ مُحمَّد بن رُشيِّق المغربي بذلك، وتعداده من مصنفات الشيخ كما في رسالته (أسماء مؤلفات شيخ الإسلام).

رابعاً: تصريح المؤرخين والمختصين بأنَّ للشيخ كتاباً اسمه (الفُرقان بين الحقِّ والبُطلان ـ أو الباطل) كالحافظ ابن رجب، والشيخ العليمي، والعلاَّمة عبدالرشيد الكشميري، والعلاَّمة إسماعيل باشا البغدادي، والعلاَّمة الكتاني، والشيخ عبدالرَّحمن بن قاسم، والدكتور علي الشبل، وغيرهم كما سبق.

**المطلب الرابع: تاريخ تأليف الكتاب.**

أشار الناسخ للكتاب في مطلعه بأن الشيخ ألَّفه في (قلعة دمشق)، وزاد على ذلك بكلمة (أخيراً)، ونحن نُدرك بأن الشيخ قد سُجن في دمشق مرتين:

الأولى: من ١٢/٧/٧٢٠هـ إلى ١٠/١/٧٢١هـ ، (أي خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً).

والثانية: من ٦/٨/٧٢٦هـ إلى أن مات في ٢٠/١١/٧٢٨هـ ، (أي سنتان وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً).

وإذا فسرنا كلمة (أخيراً) بمعنى (الأخيرة) استفدنا أنه ألَّفه في المرة الثانية، والتي توفي فيها رحمه الله، وهذا الأظهر، والله أعلم[1].

---

[1] فائدة: من الكُتب التي صنَّفها شيخ الإسلام في سجنه الأخيرة التي مات فيها:

(١) الرَّدُّ على الإخنائي.

(٢) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة.

(٣) معارج الوصول في بيان أنَّ أصول الدِّين وفروعه قد بيَّنها الرسول.

## المطلب الخامس: الفرق بينه وبين الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

اعتنى بعض العُلماء بكتاب شيخ الإسلام المُسمَّى بالفُرقان بين أولياءِ الرَّحمن وأولياءِ الشَّيطان، بينما لم يحظ الفُرقان بين الحقِّ والبُطلان بشيء مِن ذلك، وذلك لأنَّ بعضهم لا يعرف الثاني أصلاً، أو لا يُفرق بينهما، والحقيقة التي رأيتها بعد قراءة الثاني ودراسته أنَّه أكثر فائدةً مِن الأول عِلمياً ومنهجياً، وهو أولى بمدارسته لطُلَّاب العِلم في الجامعات أو حِلق المساجد، وقد ظهر لي بعض الفروق بينهما مع كثرتها، ومنها:

(١) مِن الناحية التاريخية: أنَّ الفُرقان بين أولياءِ الرَّحمن وأولياءِ الشَّيطان قد ألَّفه الشيخ قديماً في صراعه مع الصُّوفية، وذلك تقريباً ما بين عام ٧١٠هـ إلى ٧١١هـ بينما الفُرقان بين الحقِّ والبُطلان ألَّفه مُتأخراً حينما حُبس في قلعة دمشق الأخيرة، وذلك تقريباً ما بين عام ٧٢٧هـ إلى ٧٢٨هـ والله أعلم.

(٢) مِن ناحية المصادر الشخصية: أنَّ الفُرقان بين أولياءِ الرَّحمن وأولياءِ الشَّيطان ذكر فيه كتاباً واحداً له وهو (جواب أهل العِلم والإيمان بتحقيق ما

---

(٤) الفُرقان بين الحقِّ والبُطلان.

(٥) فصول في الإيلاء والظهار.

(٦) رسائل صغيرة بعثها لأمه وبعض إخوانه وتلاميذه.

أخبر به الرسول ﷺ من أنَّ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثُلث القرآن) فقط، بينما الفُرقان بين الحقِّ والبُطلان ذكر فيه كتابين هما (الإيمان الكبير) و(الإيمان الأوسط) فقط.

(٣) مِن الناحية العِلمية: أنَّ الفُرقان بين أولياءِ الرَّحمنِ وأولياءِ الشَّيطان مُخصص في الرَّد على الصُّوفية، بينما الفُرقان بين الحقِّ والبُطلان يرد على كبار الفِرق كالخوارج والمُرجئة والمُعتزلة والجهْميَّة والرَّافضة والأشاعرة والصُّوفية والنصارى.

## المطلب السادس: طبعات الكتاب.

للكتاب طبعات كثيرة، أُشتهر منها قديماً اثنتان، وهما (ط: مجموعة الرسائل الكبرى بعناية الشيخ محمَّد رشيد رضا) ١/ ٥، و(ط: مجموع الفتاوى بعناية الشيخ عبدالرَّحمن بن قاسم وابنه) ١٣/ ٥، وأمّا التي أُشتهرت حديثاً فهما (ط: دار البيان بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط)، و(ط: دار الجيمى بتحقيق الشيخ أبي الأشبال الزُّهيري)، ولذلك سأذكر جميع ما بلغني مِن الطبعات، وأُنبه على بعض المُلاحظات في الطبعتين المشهورتين حديثاً فقط، وهي على النحو التالي حسب تاريخ طباعتها:

(١) طبعة لجنة التراث العربي ١/ ٥ بتحقيق الشيخ محمَّد رشيد رضا، بدون تاريخ الطبع، ثم طبعتها مرة أخرى المطبعة العامرة بمصر سنة ١٣٢٣هـ

(٢) طبعة مجموع الفتاوى ١٣/ ٥ - ٢٢٩، بعناية الشيخ ابن قاسم.

(٣) طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة، سنة ١٣٨٩هـ وهذه الطبعة بدون تحقيق أو تخريج أو تعليق.

(٤) طبعة مكتبة عبدالعزيز السَّلفية بالإسكندرية، بدون سنة الطباعة، وهذه الطبعة بدون تحقيق أو تخريج أو تعليق.

(٥) طبعة دار العاصمة بمصر، بتعليق الأستاذ محمّد أبو الوفا عيد، قام بنشرها زكريا علي يوسف، بدون سنة الطباعة.

(٦) طبعة دار إحياء العُلوم، تحقيق الشيخ حسين غزال، عام ١٤٠٣هـ.

(٧) طبعة دار البيان، تحقيق المُحدِّث الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، عام ١٤٠٥هـ ثم طبعت ثلاث مرَّات بدون تعديل.

وملاحظاتي عليها باختصار:

١ـ أن الشيخ أعتمد كُلياً على نُسخة الشيخ محمد رشيد رضا، مع أنه اطلع على نُسخة الشيخ ابن قاسم، فلم يقارن بينهما إلاَّ في موطن واحدٍ فقط.

٢ـ اجتهد الشيخ في تخريج الآيات، وأما الأحاديث فهو يخرجها من جميع مواضعها في البخاري ومسلم، بل ويزيد عليها إن كانت في الصحيحين فيخرجها من الكتب التسعة، وهذا فيه إسهاب في غير محله إذ المقصود صحة الحديث للعمل بموجبه، أمّا إذا كان في غير الصحيحين فالأمر واسعٌ.

٣ـ أمّا الآثار عن الصحابة والتابعين فلم يبذل الشيخ في تخريجها شيئاً.

٤ـ أمّا التعريف بالأعلام فلم يعرّف إلا بثلاثة فقط، وهم (الوالبي، وابن الهيصم، وسارية بن زنيم)، مع أنّه ترجم لابن الهيصم بقوله: «هو علي بن عبدالله بن محمّد بن الهيصم البهروي ـ أضاف الباء ـ مِن عُلماء القرن لثالث ـ أنقص الألف ـ الهجري»، وهذا غلطٌ، فإنَّ شيخ الإسلام يقصد بابن الهيصم شيخ الكرّامية في زمانه، وهو أبو عبدالله محمّد بن الهيصم، أمّا المُعرَّف به فهو أديبٌ شاعرٌ مِن أئمة الصوفية[1]، ومِن كُتبه مفتاح البلاغة، ونهج الرشاد، وعقود الجواهر، وتصفية القلوب، وهذه الترجمة الخاطئة نقلها الشيخ أبو الأشبال الزهيري في تحقيقه بحذافيرها!!، مع تعديل الأخطاء الإملائية، ولم يعزها إلى الأرناؤوط أو غيره.

٥ـ وأمّا الأديان والفرق فقد اجتهد الشيخ في التعريف ببعضها كـ (الخوارج، والرافضة، والقدرية، والمُرجئة، والمُعتزلة، والكُلابية، والهشامية، والكرّامية) بإيجاز، وأغفل منها (الجَهْمِيَّة، والصُّوفية، والفلاسفة، والأشاعرة، والنجّارية، والضرّارية، واليونسية، والسّالمية، والباطنية).

---

١) يُنظر: هدية العارفين ١/ ٦٩٧، مُعجم المؤلفين ٧/ ١٤١

٦ـ أمّا التعريف بالكلمات المُشكلة فلم يرجع الشيخ إلى معاجم اللُّغة العربية، ليفك معاني هذه الكلمات، وأمّا مُصطلحات المتكلمين أو الصوفية، فلم يجتهد الشيخ في إيضاحها، وهي كثيرة.

(٨) طبعة دار الجِمّى، تحقيق الشيخ أبي الأشبال الزهيري، عام ١٤١٥هـ

وملاحظاتي عليها باختصار:

١ـ أنَّ الشيخ قال بأنّه أعتمد في تحقيقه على الجمع بين نسخة مكتبة عبدالعزيز السّلفية ونسخة مجموع الفتاوى مع مقارنتها بالأصل المخطوط، وهذا لم يظهر لي كما قال؛ بل الظاهر أنه أعتمد كُلياً على نُسخة مجموع الفتاوى بأخطائها القُرآنية!!، وقارنها بالأصل المخطوط في بعض المواضع فقط؛ مع أنه في كامل تحقيقه لم يُشر إلى الأصل المخطوط من حيث (عدد ألواحه، صفته، خطه، مِن أين بدأ، وأين ينتهي في كل لوح، وإثبات ذلك في التحقيق) إلى غير ذلك.

٢ـ اجتهد الشيخ في تخريج الآيات، ولكنه أخطأ في أمورٍ منها: أنه عزا بعض الآيات إلى غير رقمها الصحيح، مثاله في صفحة ١٣٣ عند آية طه قال: (١١)، وإنما هي (١١٠)، وفي صفحة ١٤٩ عند آية الروم قال: (٣٧)، وإنما هي (٢٧)، وفي صفحة ١٦٤ عند آية القصص قال: (٣٥)، وإنما هي (٣٨)،

وفي صفحة ١٦٥ عند آية النمل قال: (١٤-١٥)، وإنما هي (١٣-١٤)، وكذلك عزا بعض الآيات إلى غير سورها، مثاله في صفحة ١٧٧ قال: (الأنعام: ٨٠)، وإنما هي (آل عمران ٨٠).

وكذلك أورد بعض الآيات خطأً، لأنه نَسَخَ طبعة الشيخ ابن قاسم في المجموع بتمامها فوقع في هذه الأخطاء، والتي هي أخطاءٌ كذلك في النُّسخة التي في المجموع، ومثاله كما في صفحة ١٢٥ في قوله تعالى ﴿بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ كما في سورة البقرة (١٤٣)، وسورة الحج (٦٥) فأضاف قبلها كلمة (إنَّه)، وهي خطأ، فلا يوجد في القرآن هذه الآية، وإنما ورد ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ البقرة (١٤٣)، و﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ الحج (٦٥)، و﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ الحديد (٩)، وفي صفحة ١٥٤ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ غافر (٢٣-٢٤)، أسقط قوله ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ منها، وفي صفحة ١٢٨ في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة (١٥٢) أسقط منها الفاء في كلمة ﴿فَاذْكُرُونِي﴾، وفي صفحة ١٧٧ في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ العلق (٢) فأضاف كلمة (خَلَق) قبلها، وهي ليست في المطبوع أو المخطوط، وفي صفحة ١٧٨ في

قوله تعالى ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء (٢١٣) كتبها (فَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَٰهاً آخَرَ ..) !! كُل ذلك تبعاً لنُسخة مجموع الفتاوى.

٣ـ وأمّا الأحاديث فقد سلك فيها طريقة الشيخ عبدالقادر وزاد عليه، فهو يخرِّج الحديث مِن الكتب المسندة عموماً، فلا حرج عنده أن يضيف تخريجه مِن موطأ مالك، أو مسند أحمد، أو سنن الدارمي، أو السنن الكبرى للنسائي، أو المستدرك للحاكم، أو شرح السُّنة للبغوي، أو التاريخ الكبير للبخاري، أو تفسير الطبري، أو تاريخ بغداد للخطيب، أو غيرها مع أن الحديث مروي في الصحيحين !!، وكذلك في صفحة ١٢٨ عند حديث (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) فقد خرَّجه عند مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وأحمد والطيالسي عن حذيفة ابن اليمان، ولم يتنبه أنه مروي عند البخاري في ثلاثين موضعاً عن أنس بن مالك والبراء بن عازب وأبي هريرة وابن عُمر ورفاعة بن رافع وعائشة ومالك ابن الحويرث، مع أنَّ شيخ الإسلام لم ينص على الرَّاوي حتى يلتزمه الشيخ الزهيري، وإنما أورد الحديث بدونه، وكذلك في صفحة ١١٨ عند قول شيخ الإسلام: «وَأَنَّهُ أَمَرَ أَنْ لا يَخْرُجَ أَحَدٌ حَتَّى يُوَدِّعَ الْبَيْتَ» خرَّج الحديث عند أبي داود وابن ماجة وأحمد، والحديث بنفس لفظ الثلاثة أخرجه مُسلمٌ في صحيحه، ولم يتنبه له الشيخ، وكذلك أيضاً في صفحة ١٤٧ عند حديث (مرَّ يهُوديٌّ بالنبيِّ ﷺ فقال: يا أبا القاسم؛ ما تقُولُ إذا وضعَ اللهُ السَّماءَ على ذِهِ؟..)

قال: «أخرجه الترمذي (٣٢٤٠) وأحمد (١/ ٢٥١) وفي إسناد أحمد ضعف يتقوى بطريق الترمذي»، فما هو الضعف في إسناد أحمد؟! وما هي القوة التي في إسناد الترمذي؟!، ولعلك تدرك ذلك إذا راجعت تخريج الشيخ الأرناؤوط الذي قال: «رواه الترمذي (٣٢٤١) في التفسير، باب: ومن سورة الزمر، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وأبو كُدينة ـ أحد الرواة ـ اسمه يحيى بن المهلب، ورأيتُ محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ روى هذا الحديث عن الحسن بن شجاع عن محمد ابن الصلت، ورواه أحمد في المسند رقم (٢٢٦٧) من رواية حسين الأشقر عن أبي كُدينة عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عبّاس، وإسناده ضعيف، لكن طريق الترمذي تقويه»، ولتعلم أنَّ الشيخ الزهيري اعتمد على تخريج الأرناؤوط، ولكن بتلخيصٍ وعدم إشارة.

٤ـ أمّا تخريج الآثار عن الصحابة والتابعين فلم يُخرّج منها إلا القليل، وعند أثر علي بن أبي طالب ؛: (خيرُ هذه الأمةِ بعد نبيها أبو بكرٍ ثم عمر)، قال في تخريجه: «قارن فضائل الصحابة للإمام أحمد ٣٩٦-٤٠٠»، فهل المقارنة تعتبر تخريجاً ؟!.

٥ـ أمّا التعريف بالأعلام فلم يذكر منهجه في ذلك، فمرّة يُعرِّف بالصحابة كـ (الحسن، والحسين)، ومرّة يتركهم كـ (ابن عبّاس، وابن عُمر،

وابن الزبير، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص)، وكذلك كبار التابعين وتابعيهم فمرةً يُعرف بهم كـ (علي بن أبي طلحة [عرَّفه مرتين ١٦، ١٤٦]، وعبيدالله بن عبدالله [أضاف ١٠٠ سنة في تاريخ وفاته على الخلاف فيه]، والضَّحاك [عرَّفه بالضَّحاك بن مخلد بن الضَّحاك المشهور بأبي عاصم النبيل!!، وإنَّما هو الضَّحاك بن مُزاحم الهلالي])، ومرَّة يتركهم كـ (أبي عمران الجوني، وزيد بن علي بن الحسين، وسفيان بن عيينة، وعمر بن عبدالعزيز، ويوسف بن أسباط، وابن المبارك، ومالك بن أنس)، وكذلك علماء الإسلام فمرَّة يُعرِّف بهم كـ (البغوي، وابن الجوزي، وابن قتيبة، وأبي يوسف [عرَّفه مرتين ٥١، ٩٠]، ومحمد بن الحسن الشيباني)، ومرَّة يتركهم كـ (الخلال، وابن بطة، والخِرقي، والقاضي أبي يعلى، وأبي الوليد الباجي)، وكذلك دُعاة البدع فمرَّة يعرف بهم كـ (المُختار بن أبي عُبيد، وابن الهيصم [نقلها من الأرناؤوط بحذافيرها]، والجهم بن صفوان، وعمرو بن عبيد [حَذَفَ واو عَمرو]، والجُبَّائي)، ومرَّة يتركهم كـ (عبدالله بن سبأ، والرَّازي، والآمدي، والجويني، والحلاَّج، والدسوقي، والحسين النجار، وضرار بن عمرو، والجعد بن درهم، وأحمد بن أبي دؤاد، ونافع بن الأزرق، ومحمد بن كرَّام، وابن سينا، وابن سبعين، وابن عربي، والتلمساني، والطوسي، والقاضي عبدالجبار)، وتعاريفه

للأعلام لا تخرج عن جهد الحافظ ابن حجر في التقريب أو الشيخ عبدالقادر في التحقيق، مع الأخطاء الحرفية أو الأوهام.

وقد حاول في إيجاد ترجمة لأبي اللوبي كما في صفحة (٢٧) فقال: «لم أقف على ترجمته، ولم أعرف مَن هو، وهو هكذا بالمطبوع، وفي الأصل غير واضح»، بينما أغفله الشيخ الأرناؤوط، والصحيح فيه أنّه مُصحَّفٌ عن أبي بكر بن العربي المالكي كما سيأتي.

٦ـ أمّا الأديان والفرق فقد اجتهد الشيخ في التعريف ببعضها كـ (الخوارج، والرّافضة، والقدرية، والمُرجئة، الجهْميّة، والمُعتزلة، والكرّاميّة)، وأغفل (الكُلاّبية، والهشامية، والصُّوفية، والفلاسفة، واليهود، والنصارى، والأشاعرة، والنجّارية، والضرّارية، واليُونسية، والسّالمية، والباطنية).

٧ـ أمّا التعريف بالكلمات المُشكِلة فلم يرجع الشيخ إلى معاجم اللغة العربية إلاّ في موضعين هما (السّنان، والقَصُّ)، وأمّا مُصطلحات المتكلمين أو الصُّوفية، فلم يجتهد الشيخ في إيضاحها، وهي كثيرة.

٨ـ اجتهد الشيخ في وضع عناوين لكل مسألة في الكتاب، فجزاه الله خيراً، ولكنه وضعها في وسط كلام شيخ الإسلام، فكأنها من أصل الكتاب، والأولى أن يضعها على الجوانب؛ كما صنع الدكتور محمد رشاد سالم في الكتب التي حققها لشيخ الإسلام، والله أعلم.

(٩) طبعة دار القلم، تحقيق خليل الميس، بدون تاريخ الطباعة.

(١٠) طبعة دار عالم الكتب، تحقيق محمد رياض الأحمد، عام ١٤٢٦هـ.

## المطلب السابع: مخطوطات الكتاب.

**الأولى:** نُسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ورقمها (٧١٤٥/ ٢)، وعدد ألواحها ٨٢ لوحاً، من مكتبة الشيخ محمد حامد الفقي الخاصة، وهي بخط نسخي جميل واضح إلى حد كبير بمعدل ٢٥ سطراً في الصفحة الواحدة، وتاريخ نسخها سنة ١٢٠٩هـ، ولم يظهر لي ناسخها، وهي ضمن مجموع فيه عِدَّة رسائل لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، بدايتها بكتاب الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان، ثم كتاب الفرقان بين الحقِّ والباطل، وكُتب على طُرة المخطوطة (**الفُرقان بين الحقِّ والباطل في إعجاز القرآن لأهل الفصاحة والبيان**).

**الثانية:** نسخة مصورة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق بدولة الكويت، ورقمها (٦٤/ ١٢٨/ ١)، وعدد ألواحها ١٢٣ لوحاً، وهي بخط الرقعة الرفيع، وهي واضحةٌ جداً، وأظُن أنَّ ناسخها هو الشيخ العلاَّمة محمَّد جمال الدِّين القاسمي، وهو يعتمد عليه، وينقل منه كثيراً في تفسيره (محاسن التأويل)، وهي بمعدل ١٦ سطراً في الصفحة الواحدة، وكُتب على طُرة المخطوطة (الفُرقان بين الحقِّ والباطل في إعجاز القرآن لأهل الفصاحة

والبيان)، وبها أثر رطوبة من أطرافها طمست بعض الكلمات، وهي ظاهرةٌ في النُسخة الأخرى، عِلماً أنها ليست منسوخة تماماً مِن نسخة مكتبة الجامعة الإسلامية؛ بل الذي ظهر لي أنهما نُسختا من أصلٍ واحد.

وقد ذكر الدكتور علي الشبل[1] أنَّ للكتاب أربع نُسخ، وعدُّها:

نُسخةٌ في دار الكتب المصرية، ومصورتها في مركز المخطوطات والوثائق بالكويت، ونُسخةٌ في مكتبة الشيخ محمَّد حامد الفقي، ومصورتها بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ونُسخةٌ في الجامعة الإسلامية، ونُسخةٌ في المكتبة السليمانية بتركيا.

والذي ظهر لي بعد البحث والتحقيق أنَّ في الجامعة الإسلامية نُسخةً واحدةً فقط، وهي المصورة مِن نُسخة مكتبة الشيخ محمَّد حامد الفقي، ونُسخة دار الكتب المصرية هي التي بخط العلاَّمة القاسمي، ومصورتها في مركز المخطوطات والتراث والوثائق بدولة الكويت، أمَّا نُسخة المكتبة السليمانية فإنها هي طبعة قديمة للكتاب، طبعته المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ[2]، وهكذا ترجع الأربع نُسخ إلى نُسختين فقط، والله أعلم.

---

١) في كتابه المُبارك (الإثبات في مخطوطات الأئمة ...) ١٨١

٢) يُنظر: مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة المخطوطة (الأصلية والمطبوعة) المحفوظة في المكتبة السليمانية بإستانبول، ترجمة وإعداد محمَّد بن إبراهيم الشيباني ٢٧

## المطلب الثامن: مصادر المؤلف في الكتاب.

لقد استفاد شيخ الإسلام في تصنيف هذا الكتاب من عِدَّة مصادر، سواء مِن كُتب أهل السُّنة والجماعة أو كُتب المُخالفين لهم، وهي تدُل على سِعة إطلاعه، وقوة حفظه، إذ كان الشيخ غالباً يُصنف مِن حفظه، وربَّما في جلسةٍ واحدة، فسبحان الله كيف جمع صدره هذه الأقوال بحروفها، فَقَلَّ أنْ يأتي بقولٍ إلاَّ وهو ضابطٌ له، عارفٌ بمداخله، فما هو إلاَّ الفتح مِن الله، والعمل بمرضاته، وفي مُقدمة هذه المصادر القُرآن الكريم، والسُّنة المُطهرة، وأمَّا بقيتها فهي على النحو التالي:

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم الرازي.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي.

(٣) معالم التنزيل للإمام البغوي.

(٤) الإيمان الكبير له.

(٥) شرح حديث جبريل (الإيمان الأوسط) له.

(٦) الفُرقان بين أولياءِ الرَّحمن وأولياءِ الشَّيطان له.

(٧) الجواب الصحيح لمن بدَّل دِّين المَسيح له.

(٨) السُّنة للإمام أحمد بن حنبل.

(٩) الرَّد على الزنادقة والجهْميَّة للإمام أحمد بن حنبل.

(١٠) السُّنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل.

(١١) السُّنة للإمام الخلال.

(١٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية للإمام ابن بطة العكبري.

(١٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة للإمام اللالكائي.

(١٤) منازل السائرين للإمام أبي إسماعيل الهروي.

(١٥) القدر للإمام البيهقي.

(١٦) شعب الإيمان للإمام البيهقي.

(١٧) دلائل النبوة للإمام البيهقي.

(١٨) البعث والنشور للإمام البيهقي.

(١٩) الأسماء والصفات للإمام البيهقي.

(٢٠) الإبانة للإمام أبي الحسن الأشعري.

ومن الكتب التي انتقدها شيخ الإسلام:

(١) مصنف لابن الهيصم الكرّامي.

(٢) هداية المُسترشدين للإمام الباقلاني الأشعري.

(٣) السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم للرازي الأشعري.

(٤) الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية للرازي الأشعري.

(٥) المطالب العالية للرازي الأشعري.

(٦) فُصوص الحِكم لابن عربي الصوفي.

(٧) فكُّ الأزرارِ عن أعناق الأسرار لابن أبي المنصور الصوفي.

## المطلب التاسع: بعض لطائف المؤلف في الكتاب.

هذا الكتاب كما هو معلوم من آخر مُصنفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة، ولذلك ففيه من اللطائف العِلمية ما لا يكاد يوجد في كُتبه الأخرى، وهذا لِمن أمعن فيها وتدبَّر، وهي تُعتبر من كنوز الشيخ العِلمية والدعوية، والتي يحتاج طالب العِلم أن يجعلها نبراساً له في دراسة كُتب العقيدة، ومنها:

(١) أن الذي فرَّق بين الحق والباطل هو الله عز وجل، وذلك بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، قال: «فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالرَّشَادِ وَالغَيِّ، وَالصِّدْقِ وَالكَذِبِ، وَالعِلْمِ وَالجَهْلِ، وَالمَعْرُوفِ وَالمُنْكَرِ، وَطَرِيقِ أَوْلِيَاءِ اللهِ السُّعَدَاءِ وَأَعْدَاءِ اللهِ الأَشْقِيَاءِ؛ وَبَيَّنَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الاخْتِلَافِ، وَكَذَلِكَ النَّبِيُّونَ قَبْلَهُ».

(٢) أنَّ أقرب النَّاس للحقِّ هم المُعظمون الكتاب والسُّنة والتابعون لهما، قال: «فَمَنْ كَانَ أَعْظَمَ اتِّبَاعاً لِكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ، وَنَبِيِّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ كَانَ أَعْظَمَ فُرْقَاناً، وَمَنْ كَانَ أَبْعَدَ عَنْ اتِّبَاعِ الكِتَابِ وَالرَّسُولِ كَانَ أَبْعَدَ عَنْ الفُرْقَانِ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ الحَقُّ بِالبَاطِلِ».

(٣) أنَّ الله فرَّق في الأمور المختلفة، وجمع بين الأمور المُتماثلة، قال: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَإِنَّهُ يَجْمَعُ وَيُسَوِّي بَيْنَ الأُمُورِ الْمُتَمَاثِلَةِ، فَيَحْكُمُ فِي الشَّيْءِ خَلْقاً وَأَمْراً بِحُكْمِ مِثْلِهِ، لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ مُتَمَاثِلَيْنِ، وَلَا يُسَوِّي بَيْنَ شَيْئَيْنِ غَيْرِ مُتَمَاثِلَيْنِ؛ بَلْ إِنْ كَانَا مُخْتَلِفَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ لَمْ يُسَوِّ بَيْنَهُمَا».

(٤) أنَّ معرفة أقوال السَّلف ومُتابعتها خيرٌ وأنفع مِن أقوال المُتأخرين، قال: «وَلِهَذَا كَانَ مَعْرِفَةُ أَقْوَالِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَأَعْمَالِهِمْ خَيْراً وَأَنْفَعَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَقْوَالِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ وَأَعْمَالِهِ، كَالتَّفْسِيرِ وَأُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالأَخْلَاقِ وَالْجِهَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ خَيْرٌ مِنَ الِاقْتِدَاءِ بِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمَعْرِفَةُ إِجْمَاعِهِمْ وَنِزَاعِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ خَيْرٌ وَأَنْفَعُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا يُذْكَرُ مِنْ إِجْمَاعِ غَيْرِهِمْ وَنِزَاعِهِمْ».

(٤) أنَّ أصول المُتأخرين مُحدثةٌ مُبتدعةٌ، قال: «أَنَّ كَثِيراً مِنْ أُصُولِ الْمُتَأَخِّرِينَ مُحْدَثٌ مُبْتَدَعٌ فِي الإِسْلَامِ، مَسْبُوقٌ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ عَلَى خِلَافِهِ، وَالنِّزَاعُ الْحَادِثُ بَعْدَ إِجْمَاعِ السَّلَفِ خَطَأٌ قَطْعاً».

(٥) لا يوجد مسألة مِن مسائل الدِّين إلاَّ وقد تكلم فيها السَّلف، قال: «لَمْ يَبْقَ مَسْأَلَةٌ فِي الدِّينِ إِلَّا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا السَّلَفُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَوْلٌ

يُخَالِفُ ذَلِكَ القَوْلَ أَوْ يُوَافِقُهُ، وَقَدْ بَسَطْنَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ أَنَّ الصَّوَابَ فِي أَقْوَالِهِمْ أَكْثَرُ وَأَحْسَنُ، وَأَنَّ خَطَأَهُمْ أَخَفُّ مِنْ خَطَإِ المُتَأَخِّرِينَ، وَأَنَّ المُتَأَخِّرِينَ أَكْثَرُ خَطَأً وَأَفْحَشُ، وَهَذَا فِي جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ؛ وَلِهَذَا أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ يَضِيقُ هَذَا المَوْضِعُ عَنِ اسْتِقْصَائِهَا».

(٦) لا يوجد في كلام أحدٍ مِن السَّلف أنه عارض القُرآن، قال: «وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ عَارَضَ القُرْآنَ بِعَقْلٍ وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ، وَلَا بِذَوْقٍ وَوَجْدٍ وَمُكَاشَفَةٍ، وَلَا قَالَ قَطُّ قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا العَقْلُ وَالنَّقْلُ؛ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَقُولَ: فَيَجِبُ تَقْدِيمُ العَقْلِ، وَالنَّقْلُ ـ يَعْنِي القُرْآنَ وَالحَدِيثَ وَأَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ـ إِمَّا أَنْ يُفَوَّضَ وَإِمَّا أَنْ يُؤَوَّلَ !!، وَلَا فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ لَهُ ذَوْقاً أَوْ وَجْداً أَوْ مُخَاطَبَةً أَوْ مُكَاشَفَةً تُخَالِفُ القُرْآنَ وَالحَدِيثَ؛ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَدَّعِيَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ حَيْثُ يَأْخُذُ المَلَكُ الَّذِي يَأْتِي الرَّسُولَ، وَأَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ ذَلِكَ المَعْدِنِ عِلْمَ التَّوْحِيدِ، وَالأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ يَأْخُذُونَ عَنْ مِشْكَاتِهِ !!، أَوْ يَقُولُ: الوَلِيُّ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ !!، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ مَقَالَاتِ أَهْلِ الإِلْحَادِ».

(٧) تفسير مقاصد بعض المُبتدعة، وأنهم يريدون خيراً[١]، قال: «وَكَانَتِ البِدَعُ الأُولَى مِثْلُ بِدْعَةِ الخَوَارِجِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ لَكِنْ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يُوجِبُ تَكْفِيرَ أَرْبَابِ

---

١) قال شيخنا المحمود: «وهذا لم يمنع من تبديعهم والرّد عليهم».

الذُّنوبِ؛ إذْ كَانَ المُؤمِنُ هُوَ البَرُّ التَّقِيُّ»، «وَهُمْ مَعَ هَذَا الذَّمِّ إنَّمَا قَصَدُوا اتِّبَاعَ القُرآنِ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَكُونُ بِدْعَتُهُ مُعَارَضَةَ القُرآنِ وَالإعْرَاضَ عَنْهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُكَفِّرُ المُسْلِمِينَ كالجَهْمِيَّةِ، ثُمَّ الشِّيعَةُ لَمَّا حَدَثُوا لَمْ يَكُنْ الَّذِي ابْتَدَعَ التَّشَيُّعَ قَصْدُهُ الدِّينَ؛ بَلْ كَانَ غَرَضُهُ فَاسِدًا»، «وَكَذَلِكَ هُمْ وَالخَوَارِجُ قَالُوا بِإنْفَاذِ الوَعِيدِ لِيُثْبِتُوا أَنَّ الرَّبَّ صَادِقٌ لا يَكْذِبُ؛ إذْ كَانَ عِنْدَهُمْ قَدْ أَخْبَرَ بِالوَعِيدِ العَامِّ فَمَتَى لَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ لَزِمَ كَذِبُهُ، وَغَلِطُوا فِي فَهْمِ الوَعِيدِ»، «وَهُمْ قَصْدُهُمْ إثْبَاتُ تَوْحِيدِ اللهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَصِدْقِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَأُصُولُهُمْ الخَمْسُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الخَمْسِ؛ لَكِنَّهُمْ غَلِطُوا فِي بَعْضِ مَا قَالُوهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُصُولِهِمْ الخَمْسِ»، «ثُمَّ صَارَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُكَذِّبُ بِهَذِهِ الحِكَايَاتِ إنْكَارًا لِمَوْتِ الخَضِرِ، وَالَّذِينَ قَدْ عَرَفُوا صِدْقَهَا يَقْطَعُونَ بِحَيَاةِ الخَضِرِ، وَكِلا الطَّائِفَتَيْنِ مُخْطِئٌ، فَإنَّ الَّذِينَ رَأَوْا مَنْ قَالَ إنِّي أَنَا الخَضِرُ هُمْ كَثِيرُونَ صَادِقُونَ، وَالحِكَايَاتُ مُتَوَاتِرَاتٌ؛ لَكِنْ أَخْطَأُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَإنَّمَا كَانَ جِنِّيًا، ... وَفِي ذَلِكَ مِنَ الحِكَايَاتِ الصَّادِقَةِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ هَذَا المَوْضِعُ، يُبَيِّنُ صِدْقَ مَنْ رَأَى شَخْصًا، وَظَنَّ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَأَنَّهُ غَلِطَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَإنَّمَا كَانَ جِنِّيًا».

(٨) أنَّ الشيعة مِن أكذب الناس، قال: «وَلِهَذَا لا يُوجَدُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ مِنَ الكَذِبِ أَكْثَرَ مِمَّا يُوجَدُ فِيهِمْ .. وَالشِّيعَةُ لا يَكَادُ يُوثَقُ بِرِوَايَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مِنْ شُيُوخِهِمْ لِكَثْرَةِ الكَذِبِ فِيهِمْ».

(٩) أنَّ الشيعة والخوارج يجمعهما سفك الدِّماء، وتكفيرُ ولاة الأمور، قال: «وَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ تَطْعَنُ بَلْ تُكَفِّرُ وُلَاةَ الْمُسْلِمِينَ، وَجُمْهُورُ الْخَوَارِجِ يُكَفِّرُونَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَمَنْ تَوَلَّاهُمَا، وَالرَّافِضَةُ يَلْعَنُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَمَنْ تَوَلَّاهُمْ، وَلَكِنَّ الْفَسَادَ الظَّاهِرَ كَانَ فِي الْخَوَارِجِ: مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَالْخُرُوجِ بِالسَّيْفِ».

(١٠) أن بعض الفرق أفضل من غيرها في جانب دون جانب، قال: (وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ خَيْرٌ مِنَ الرَّافِضَةِ وَمِنَ الْخَوَارِجِ؛ فَإِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ تُقِرُّ بِخِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَكُلُّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَكَذَلِكَ الْمَعْرُوفُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ عَلِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَضِّلُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ).

(١١) أنَّ أئمة السَّلف كفَّروا مَن قال بأن الإيمان هو التصديق فقط، قال: «وَأَمَّا جَهْمٌ فَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ مُجَرَّدُ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ، وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، وَهَذَا الْقَوْلُ لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا؛ بَلْ أَحْمَدُ وَوَكِيعٌ وَغَيْرُهُمَا كَفَّرُوا مَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ».

(١٢) أنَّ الخوارج لم يُعرف لهم مُصنَّفٌ بأقوالهم وآرائهم، قال: «وَأَقْوَالُ الْخَوَارِجِ إِنَّمَا عَرَفْنَاهَا مِنْ نَقْلِ النَّاسِ عَنْهُمْ، لَمْ نَقِفْ لَهُمْ عَلَى كِتَابٍ مُصَنَّفٍ كَمَا وَقَفْنَا عَلَى كُتُبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالزَّيْدِيَّةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ، وَالْأَشْعَرِيَّةِ،

والسَّالِمِيَّةِ، وَأَهْلِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ، وَالظَّاهِرِيَّةِ، وَمَذَاهِبِ أَهْلِ الحَدِيثِ، وَالفَلَاسِفَةِ، وَالصُّوفِيَّةِ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ».

(١٣) أنَّ منشأ النزاع في مسائل الأسماء والأحكام هو الظن بأن الإيمان لا يتبعض، قال: «أَنَّ مَنْشَأَ النِّزَاعِ فِي الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ فِي الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ أَنَّهُمْ لَمَّا ظَنُّوا أَنَّهُ لَا يَتَبَعَّضُ قَالَ أُولَئِكَ: فَإِذَا فَعَلَ ذَنْباً زَالَ بَعْضُهُ، فَيَزُولُ كُلُّهُ، فَيَخْلُدُ فِي النَّارِ، فَقَالَتْ الجَهْمِيَّةُ وَالمُرْجِئَةُ: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ يَخْلُدُ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَافِراً مُرْتَدّاً؛ بَلْ هُوَ مِنْ المُسْلِمِينَ، وَإِذَا كَانَ مِنَ المُسْلِمِينَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً تَامَّ الإِيمَانِ لَيْسَ مَعَهُ بَعْضُ الإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ عِنْدَهُمْ لَا يَتَبَعَّضُ، فَاحْتَاجُوا أَنْ يَجْعَلُوا الإِيمَانَ شَيْئاً وَاحِداً يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ أَهْلِ القِبْلَةِ».

(١٤) أنَّ دخول بعض الكفار في البدعة خيرٌ لهم من بقائهم على الكفر، قال: «وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ مُبْتَدِعَةِ المُسْلِمِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ وَالجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى بِلَادِ الكُفَّارِ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَانْتَفَعُوا بِذَلِكَ، وَصَارُوا مُسْلِمِينَ مُبْتَدِعِينَ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونُوا كُفَّاراً ... وَهَذَا كَالرَّجُلِ يُسْلِمُ رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا، وَرَهْبَةً مِنَ السَّيْفِ، ثُمَّ إِذَا أَسْلَمَ، وَطَالَ مُكْثُهُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ دَخَلَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، فَنَفْسُ ذُلِّ الكُفْرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَانْقِهَارُهُ، وَدُخُولُهُ فِي حُكْمِ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَبْقَى كَافِراً، فَانْتَقَلَ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَخَفَّ الشَّرُّ الَّذِي كَانَ فِيهِ، ثُمَّ إِذَا أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ أَدْخَلَ الإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ». «وَالأَشْعَرِيَّةُ مَا رَدُّوهُ مِنْ بِدَعِ

الْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَبَيَّنُوا مَا بَيَّنُوهُ مِنْ تَنَاقُضِهِمْ، وَعَظَّمُوا الْحَدِيثَ وَالسُّنَّةَ وَمَذْهَبَ الْجَمَاعَةِ، فَحَصَلَ بِمَا قَالُوهُ مِنْ بَيَانِ تَنَاقُضِ أَصْحَابِ الْبِدَعِ الْكِبَارِ، وَرَدِّهِمْ مَا انْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ».

(١٥) أنَّ المُعتزلة أقرب لليهود مِن غيرهم، والصوفية أقرب للنصارى مِن غيرهم، قال: «وَالْمُعْتَزِلَةُ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الْكَشْفِ وَالْخَوَارِقِ، وَالصُّوفِيَّةُ يَذُمُّونَهَا وَيَعِيبُونَهَا، وَكَذَلِكَ يُبَالِغُونَ فِي ذَمِّ النَّصَارَى أَكْثَرَ مِمَّا يُبَالِغُونَ فِي ذَمِّ الْيَهُودِ، وَهُمْ إِلَى الْيَهُودِ أَقْرَبُ كَمَا أَنَّ الصُّوفِيَّةَ وَنَحْوَهُمْ إِلَى النَّصَارَى أَقْرَبُ؛ فَإِنَّ النَّصَارَى عِنْدَهُمْ عِبَادَةٌ وَزُهْدٌ وَأَخْلَاقٌ بِلَا مَعْرِفَةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ فَهُمْ ضَالُّونَ، وَالْيَهُودُ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ وَنَظَرٌ بِلَا قَصْدٍ صَالِحٍ، وَلَا عِبَادَةٍ، وَلَا زُهْدٍ، وَلَا أَخْلَاقٍ كَرِيمَةٍ، فَهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ».

(١٦) لا يجوز الكذب على الفرد أو الطائفة ولو كانوا مُخالفين في الاعتقاد، قال: «وَقَالَتِ الْكَرَّامِيَّةُ: هُوَ الْقَوْلُ فَقَطْ ... وَلَمْ يَسْبِقْهَا أَحَدٌ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَهُوَ آخِرُ مَا أُحْدِثَ مِنَ الْأَقْوَالِ فِي الْإِيمَانِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَحْكِي عَنْهُمْ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ غَلَطٌ عَلَيْهِمْ».

(١٧) الدُّعاء بالهداية للحَقِّ لأهل السُّنة ومَن خالفهم ممَّن تشمله الإخوة الإيمانية، قال: «نَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ،

آمين»، وقال: «وَاللهُ يَهْدِينَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ؛ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا».

## المطلب العاشر: فوائد علمية من الكتاب.

لشيخ الإسلام رحمه الله منهجيةٌ في عِلميته سواء مِن خلال هذا الكتاب أو غيره، وقد تظهر لطالب العِلم المتمرس في كُتُبه، وربما يغفل عن بعضها، وقد يسر الله لي الوقوف على شيءٍ منها، وهي:

(١) أنَّ الشيخ مِن حُفَّاظ السُّنة الكِبار في زمانه، ولكنه يروي بعض الأحاديث بالمعنى ولا يلتزم لفظ المُحدِّث صاحب الكِتاب المنقول عنه، وهو مِن المعدودين الذين يحفظون مُسند الإمام أحمد، ولربما خرَّج الحديث مِن الصحيحين أو أحدهما وجاء بلفظ المُسند، وهكذا.

(٢) أنَّ مِن أهم مصادر الشيخ في التفسير تفسير ابن أبي حاتم وتفسير البغوي، وأظنه ينقل منهما حرفيًّا، أو هو يحفظهما، فإن ذكر روايةً مِن تفسير ابن أبي حاتم ولم توجد في المطبوع فيُراجع لها غالباً تفسير الدُّر المنثور للسيوطي، فإنَّه قد حوى أكثره بأسانيده، ولا يغرنك المطبوع من تفسير ابن أبي حاتم، فإنَّ فيه سقطاً وتصحيفاً كثيراً، وأما تفسير البغوي فإن ذكر روايةً لم

توجد في المطبوع فيُراجع فيها تفسير الثعلبي، الذي هو أصلٌ لتفسير البغوي، فإنَّك ستجد بُغيتك إن شاء الله.

(٣) أنَّ للشيخ قواعد عِلمية ينطلق منها في الرَّد على الطوائف المُخالفة لأهل السُّنة، ومنها (أنَّ الأدلة الشرعية لا تخرج عن الكتاب والسُّنة وأقوال الصَّحابة وأفعالهم، وأنَّ صحيح النقل لا يُخالف العقل السَّليم، وأنَّ القُرآن والسُّنة إذا جاء تفسيرها عن النبي ﷺ فلا يُحتاج لأهل اللُّغة فيها، وأنَّ اللُّغة تُؤخذ عمَّن نطقها في زمانها، أو نقلها عنهم دون دخوله في شوائب الأهواء، وأنَّ الكذب على الأفراد أو الطوائف مُحرَّم نقلاً وعقلاً ولو على مَن أجازه) وغيرها.

(٤) أنَّ للشيخ منهجية فريدة في سرد بدايات الطوائف ومنشئها، فهو يركز دائماً على تاريخ الطوائف، فإذا أراد الرَّد على المُتأخرين ربطهم بتاريخهم، فيربط البدع اللاحقة بالسابقة، وأنَّ أقوالهم لا تخرج عن الجهل أو الكذب، ومع ما هُم فيه مِن الباطل إلاَّ أنَّه يعذر بعضهم أنهم لا يقصدون إلاَّ خيراً، ولكن باطلهم يُرد، وبعضهم أفضل مِن بعض في شيءٍ دون شيءٍ.

(٥) أنَّ الشيخ جمع اللهُ له معرفة الحقِّ بدليله، ومعرفة مواطن فساد الباطل ـ وهما نادراً ما تجتمعان ـ وأنَّ الحقَّ لا يخرج عن الكتاب والسُّنة وآثار

الصَّحابة، وأنَّ إبطال بعض الباطل يكون عقلياً أكثر ممَّا يكون نقلياً عند مَن يعظمون العقل على النقل.

## المطلب الحادي عشر: السقط والتصحيف في الكتاب.

يُعتبر هذا الكتاب من نفائس كتب شيخ الإسلام، وقد لخَّص فيه كثيراً من المسائل التي ناقشها في كُتبه الأخرى، سواء في ردِّه على الخوارج أو المُرجئة أو المُعتزلة أو الأشاعرة أو الكُلاَّبية أو الكرَّامية أو الرافضة أو الصوفية، ومع ذلك ما رأيتُ أحداً مِن أهل العِلم اعتنى به تحقيقاً أو دراسة، ولا حتى شرحاً أو مُدارسة، وما أظن ذلك إلاَّ لنُدرة مخطوطاته، وكثرة تصحيفاته، فاجتهدتُ قدر استطاعتي في تحقيقه التحقيق العِلمي، والاجتهاد في إخراج الكتاب على مُراد مؤلفه، وهو مِن أشق الأمور على المُحقق، الذي يخشى الخطأ والزلل.

وفرقٌ كبيرٌ عند أهل العِرفان بين العزو والتخريج وبين الضبط والتحقيق، والقارئ لتحقيقات أئمة هذا الفن وأربابه كأحمد شاكر، ومحمود شاكر، وعبدالسَّلام هارون، وأحمد صقر، ومحمود الطناحي، وغيرهم، يُدرك صعوبة ذلك، ولذا فإنَّ المُحقق قد تمُّر به العبارة التي تُشكل عليه في رسمها أو معناها فيقف مُتأملاً عندها أياماً بل أشهراً، ولربما يعجز في نهاية المطاف إلاَّ أن يقول: «لم يظهر ـ لم أقف ـ لم أدرك»!!، ولو كانت مِن مقوله لم يعجز أن يأتي

بأفصح عبارة، وأضبط إشارة، ولكن المِسكين قد أراد أن يأتي بعبارات غيره، وأنَّى له ذلك، ولكن لا يأس مع فضل الله، ولا قنوط مِن فتح الله جل في عُلاه.

وقد قام بعض أهل العِلم بسدِّ بعض هذا السقط والتصحيف عند شيخ الإسلام في هذا الكِتاب، والحقيقة أنهم لم يبلغوا العُشْرَ مِن ذلك، وقد حصرتُ السقط والتصحيف، وقد تجاوز الخمسين موضعاً، ولذا فقد حاولتُ جاهداً سدَّ ذلك وتصحيحه على حسب طاقتي، وما يَسَّره الله لِيْ، سواء في هذا الكتاب الذي بين أيدينا، أو في مصادره التي أستمد منها، وظهر فيها كذلك بعض السقط أو التصحيف، وهي على النحو التالي:

(١) عنوان الرسالة (الفُرقان بين الحقِّ والبَاطِل) فيه تصحيفٌ في كلمة (البَاطِل) كما قرره ابن رُشيِّق وابن رجب والعُليمي وغيرهم.

(٢) جملة: «وَرَوِيَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ شَيبَانَ عَنْ قَتَادَةَ» فيها تصحيفٌ في تفسير ابن أبي حاتم المطبوع، وقد أتممته منه.

(٣) جُملة: «وَفِي آخِرِ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ والسُّدِّي: نَجَاةً»، وهُنا تصحيفٌ في جُملة (وَفِي آخِرِ).

(٤) جُملة: «وَذَكَرَ البَغَوِيُّ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: «مَخْرَجاً فِي الدُّنْيَا مِنَ الشُّبُهَاتِ»، وهُنا تصحيفٌ في كلمة (الدُّنيا).

(٥) جُملة: «ثُمَّ قَالَ: وَالمَعْنَى يَجْعَلْ لَكُمْ مَخْرَجاً فِي الدُّنيا مِنَ الضَّلَالِ»، وهُنا تصحيفٌ في كلمة (الدُّنيا).

(٦) جُملة: «وَعَنْ مُغَالَبَتِهِ، أَعْجَزَ وَأَعْجَزُهُ»، وهُنا تصحيفٌ في كلمة (وأعجَزُ).

(٧) جُملة: قَالَ قَتَادَةُ: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ المُنَافِقِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ ...» فيها سقطٌ في مواضع، وقد أتممته من تفسير ابن أبي حاتم.

(٨) جُملة: «كَانَ النِّفَاقُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: نِفَاقٌ مِثْلُ نِفَاقِ عَبْدِالله بْنِ أُبَيٍّ، وَعَبْدِالله بْنِ نُفَيل»، وهُنا تصحيفٌ في كلمة (نُفيل).

(٩) جُملة: «قَالَ: الزُّنَاةُ إِنْ وَجَدُوهُ عَمِلُوهُ، وَإِنْ لَمْ يَجِدُوهُ لَمْ يَبْتَغُوهُ»، وهُنا تصحيفٌ في كلمتي (الزُّنَاة، و يَبْتَغُوهُ).

(١٠) جُملة: «يَجْلِسُونَ عَلَى الطَّرِيقِ» فيها سقطٌ وتصحيفٌ، وصوبته وأتممته من تفسير ابن أبي حاتم.

(١١) جُملة: «فَمَنْ كَابَرَ امْرَأَةً عَلَى نَفْسِهَا ... فَقُتِلَ، فَلَيْسَ عَلَى قَاتِلِهِ دِيَةٌ، لِأَنَّهُ مُكَابِرٌ»، فيها سقط كلمة (فَغَلَبَهَا)، وأتممتها من تفسير ابن أبي حاتم.

(١٢) جُملة: «وقَالَ السُّدِّي: قَدْ قَالَهُ غَيْرُهُ»، وهنا تصحيفٌ في جملة (وقَالَ السُّدِّي).

(١٣) جملة: «وَذَكَرَ أَبُو اللُّوبِيِ أَنَّ هَذِهِ جَرَتْ عِنْدَهُ، وَرَأَى أَنَّ هَؤُلَاءِ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا مُحَارِبِينَ»، وهنا تصحيف في كلمة (أَبُو اللُّوبِيِ).

(١٤) جملة: «أَنَّ مِثْلَ هَذَا هَلْ يَرْفَعُ النِّزَاعَ، ... مَشْهُورٌ، فَنِزَاعُ السَّلَفِ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِهِ إِذَا كَانَ مَعَهُ حُجَّةٌ؛ إِذْ ... عَلَى خِلَافِهِ، وَنِزَاعُ الْمُتَأَخِّرِينَ لَا يُمْكِنُ ...، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُ قَدْ تَقَدَّمَ الْإِجْمَاعُ عَلَى خِلَافِهِ» فيها بياض، اجتهدتُ في تعيينه.

(١٥) جملة: «وَإِنْ كَانَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْآيَةِ؛ بَلْ قَدْ ...، وَقَدْ فَهِمَهُ مِنْهَا قَوْمٌ فَيُسَمُّونَ مَا رَفَعَ ذَلِكَ الْإِبْهَامَ وَالْإِفْهَامَ نَسْخًا، ... هَذِهِ التَّسْمِيَةُ لَا تُؤْخَذُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ» فيها سقطٌ أتممته من (م).

(١٦) جملة: «وَأَصْلُ ذَلِكَ ... الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ» فيها سقطٌ أتممته من (م).

(١٧) جملة: «نَاسِخًا لِقَوْلِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾» فيها تصحيفٌ في كلمة (فَاتَّقُوا) بزيادة حرف الفاء.

(١٨) جملة: «السَّائِبَةُ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَنْ أَبِي السَّوْدَاءِ»، وهنا تصحيفٌ في جملة (أَبِي السَّوْدَاءِ).

(١٩) جملة: «وَكَأَنَّهُ يُعَرِّضُ بِالْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ حَيٍّ، فَإِنَّ الزَّيْدِيَّةَ الصَّالِحَةَ، وَهُمْ أَصْلَحُ طَوَائِفِ الزَّيْدِيَّةِ يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ»، وهنا تصحيفٌ في كلمة (الصَّالِحَةَ).

(٢٠) جملة: «وَلَوْ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَفِيهِ نِزَاعٌ مَشْهُورٌ» فيها سقطٌ أتممته من (م).

(٢١) جملة: «تَقُولُ: (إِنْ جَاءَ زَيْدٌ) كَانَ كَذَلِكَ {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} فيها تصحيفٌ في قوله {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ}.

(٢٢) جُملة: «وَإِذَا أُرِيدَ الْمَاضِي دَخَلَ حَرْفُ (إِنْ)»، وهنا تصحيفٌ في الحرف (إِنْ).

(٢٣) جملة: «وَكَانَ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: أَلَا تَنْهَاهُ عَنْ هَذَا، فَإِنَّهُم مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ»، وهنا تصحيفٌ في كلمة (فَإِنَّهُم).

(٢٤) جُملة: «وَقَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ: هُوَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ فَقَطْ، وَقَالَتِ الْكَرَّامِيَّةُ: هُوَ الْقَوْلُ فَقَطْ» فيها سقطٌ أتممته مِن (م).

(٢٥) جُملة: «وَانْقَرَضَ عَصْرُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا ... الْآيَةِ، وَلَكِنْ طَائِفَةٌ ...: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ هَذَا الْمَعْنَى » فيها سقطٌ في كلمتين أتممته مِن (م).

(٢٦) جُملة: «تَقَدَّمُوا مَعْنَاهُ: تَتَقَدَّمُوا، وَهُوَ فِعْلٌ لَازِمٌ، وَقَدْ قُرِئَ: يَقْدمُوا، يُقَالُ: قَدَّمَ وَتَقَدَّمَ كَمَا يُقَالُ: بَيَّنَ وَتَبَيَّنَ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ قَدَّمَ مُتَعَدِّيًا، أَيْ قَدَّمَ غَيْرَهُ»، وهُنا تصحيفٌ في كلمة (يَقْدمُوا) صححتها مِن كُتب القراءات.

(٢٧) جُملة: «وَكَذَلِكَ سَمِعَ الإِجَابَةَ كَقَوْلِهِ. (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)، وَقَوْلِ الخَلِيْلِ: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾»، وهُنا التصحيف في كلمة (الخليْل)، وفي الآية الثانية.

(٢٨) جُملة: «كَمَا قَالَ الشَّيْخُ المُلَقَّبُ بالكَبِيرِي»، وهنا تصحيفٌ في كلمة (الكَبِيرِي).

(٢٩) جُملة: «قَالَ بَعْضُهُمْ: اسْتِمْتَاعُ الإِنْسِ بِالجِنِّ مَا كَانُوا يُلْقُونَ لَهُمْ مِنْ الأَرَاجِيفِ وَالسِّحْرِ وَالكَهَانَةِ، وَتَزْيِينُهُمْ لَهُمْ الأُمُورَ الَّتِي يُحِبُّونَهَا، وَيُسَهِّلُ سَبِيلَهَا عَلَيْهِمْ» وهنا تصحيفٌ في كلمة (يُحِبُّونَهَا).

(٣٠) جُملة: «اسْتِمْتَاعُ الإِنْسِ بِالجِنِّ اسْتِعَاذَتُهُمْ بِهِمْ، وَاسْتِمْتَاعُ الجِنِّ بِالإِنْسِ أَنْ قَالُوا: قَدْ أَسَرْنَا الإِنْسَ مَعَ الجِنِّ حَتَّى عَاذُوا بِنَا، فَيَزْدَادُونَ شَرَفًا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَعِظَمًا فِي نُفُوسِهِمْ» وهنا تصحيفٌ في كلمتي (أَسَرْنَا، و أَنْفُسِهِمْ).

(٣١) جُملة: «وَكَانَ أَبُو أَبْرَقَ الأَسْلَمِي أَحَدَ الكُهَّانِ»، وهنا تصحيفٌ في كلمة (أَبُو أَبْرَقَ).

(٣٢) جُملة: «وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي الأَعْرَافِ»، وهنا تصحيفٌ في كلمة (الأَعْرَافِ).

(٣٣) جُملة: «فَقَالَ عُمَرُ: ذَاكَ أَبُو الهَيْثَم بَرِيدُ الجِنِّ، وَسَيَجِيءُ بَرِيدُ الإِنْسَانِ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ» وهنا تصحيفٌ في كلمة (أَبُو الهَيْثَم).

(٣٤) جملة: «وَأَمَّا مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ ... السُّنَّةِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْمُعْتَزِلَةِ بَلْ هُوَ مِنَ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَهْمِيَّةِ» وهنا سقطٌ لكلمة قبل كلمة (السُّنَّةِ) اجتهدتُ في تعينها.

(٣٥) جملة: «وَرَوَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي رَوْقٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ» هنا سقطٌ لراوي الإسناد عن ابن عباس وهو (الضَّحَاكِ)، وأتممته مِن تفسيري ابن أبي حاتم والطبري.

(٣٦) جملة: «وَهُنَا السُّؤَالُ الْمَشْهُورُ فِي حَدِّ الْفِقْهِ: أَنَّهُ الْعَمَلُ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ» وهنا تصحيفٌ في كلمة (الْعَمَلُ).

(٣٧) جملة: «قُلْتُ: الْمُجْتَهِدُ إِذَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ مُشَارَكَةُ صُورَةٍ لِصُورَةٍ فِي مَنَاطِ الْحُكْمِ قَطَعَ بِوُجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ ظَنُّهُ، فالعِلْم حَاصِلٌ قَطْعًا، وَالظَّنُّ وَاقِعٌ فِي طَرِيقِهِ» وهنا التصحيف في جملة (فالعِلْم حَاصِلٌ) والتصحيح من المحصول للرازي.

(٣٨) جملة: «وَهَذَا جَوَابُ الْحَسَنِ الْبَصْرِي وَأَبِي وَغَيْرِهِمْ» وهنا تصحيفٌ في جملة (الحَسَن البَصْرِي وأَبِي) وصححته مِن كُتب أصول الفقه.

(٣٩) جملة: «وَهَذَا رَاجِحٌ عَلَى الاسْتِحْبَابِ النَّافِي لِلتَّحْرِيمِ، فَعَمِلُوا بِهَذَا الرَّاجِحِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ قَطْعًا أَنَّ النَّهْيَ أَوْلَى مِنَ الاسْتِحْبَابِ؛ لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ

يَكُونَ مَعَ الاسْتِحبَابِ دَلِيلٌ خَاصٌّ» وهنا تصحيفٌ في كلمة (الاسْتِحبَابِ) في المواضع الثلاثة.

(٤٠) جُملة: «وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ مَنْ يَجْهَرُ بِبِدْعَةٍ أَوْ مُنْكَرٍ أَعَادَ» وهنا تصحيفٌ في كلمة (مُنْكَرٍ)، والتصحيح من مختصر الخِرَقِي.

(٤١) جُملة: «كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجَوْنِيِّ قَالَ: مَا نَظَرَ اللهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا رَحِمَهُ، وَلَكِنَّهُ قَضَى أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ» وهنا وقع تصحيف في كلمة (الجَوْنِي) عند ابن أبي حاتم في تفسيره، ووقع تصحيفٌ في كلمة (أَبِي عِمْرَانَ) عند الثعلبي في تفسيره، والتصحيح من كتب الأعلام.

(٤٢) جُملة: «وَقَدْ فَسَّرُوا هَذَا النِّسْيَانَ بِأَنَّهُ ....، وَهَذَا النِّسْيَانُ ضِدُّ ذَلِكَ الذِّكْرِ» هنا بياض في (م)، واستظهرته من (ك) فقط.

(٤٣) جُملة: «وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «حَدَّثَنَا أَبِي ثنا عَمْرُو بْنُ رَافِعٍ ثنا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِالله عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: تَكَلَّمَتْ اليَهُودُ فِي صِفَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فَقَالُوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا وَلَمْ يَرَوْا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾... ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾، فَجَعَلَ صِفَتَهُ الَّتِي وَصَفُوهُ بِهَا شِرْكًا»، هُنا سقطٌ في وسط الآية من كلام سعيد بن جُبير، أتممته من تفسير الطبري.

(٤٤) جملة: «هُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ، مُتَّفِقُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ ... يَحْتَجُّونَ بِالْمُتَشَابِهِ مِنَ الْكَلَامِ، وَيُضِلُّونَ ... النَّاسَ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ» هنا سقطٌ أتممته من الرّد على الزنادقة والجهمية.

(٤٥) جملة: «قَوْلُنَا الَّذِي نَقُولُ بِهِ، وَدِيَانَتُنَا الَّتِي نَدِينُ بِهَا: التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَمَا جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، ... وَبِمَا كَانَ يَقُولُ بِهِ أَبُو عَبْدِالله أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ... قَائِلُونَ، وَلِمَا خَالَفَ قَوْلَهُ مُجَانِبُونَ، فَإِنَّهُ الْإِمَامُ الْكَامِلُ، وَالرَّئِيسُ الْفَاضِلُ؛ الَّذِي أَبَانَ اللهُ بِهِ الْحَقَّ، ...، وَأَوْضَحَ بِهِ الْمَنَاهِجَ، وَقَمَعَ بِهِ بِدَعَ الْمُبْتَدِعِينَ، وَزَيْغَ الزَّائِغِينَ، وَشَكَّ الشَّاكِّينَ؛ فَرَحْمَةُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ مُقَدَّمٍ، ...، وَكَبِيرٍ مُفْهِمٍ، وَعَلَى جَمِيعِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ» هنا سقطٌ أتممته من الإبانة عن أصول الدِّيانة.

(٤٦) جملة: «إِلَى أَنْ أَخَذَتْ مِصْرُ مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ أَخَذَهَا صَلَاحُ الدِّينِ ... بْنِ شَادِي»، وهنا سقطٌ وتصحيفٌ في كلمتي (صَلَاحُ الدِّينِ بن شَادِي).

(٤٧) جملة: «فَمِنْ حِينَئِذٍ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بِمِصْرَ بَعْدَ أَنْ مَكَثَتْ بِأَيْدِي الْمُنَافِقِينَ الْمُرْتَدِّينَ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ مِائَةَ سَنَةٍ»، وهُنا تصحيفٌ في جُملة (مِائَة سَنَةٍ).

(٤٨) جملة: «صَنَّفَهُ لِأُمِّ السُّلْطَانِ عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ لكش بْنِ جَلَالِ الدِّينِ خَوَارِزْم شاه»، وهُنا تصحيفٌ في كلمة (لكش).

(٤٩) جملة: «ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، ....، وأنه جارٍ في العرف الناموسي؛ لذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ أي وإن كان الكل أربابًا بنسبةٍ ما، فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم، قال: ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه، وأقروا له بذلك، وقالوا له: {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}، ....، قال: فصح قول فرعون ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾، وإن كان فرعون عين الحق» هنا سقط أتممته من فصوص الحكم.

(٥٠) جملة: «قال أبو قلابة: هي ... لكل مفترٍ إلى يوم القيامة أن يذله الله» هنا سقط لفظ الجلالة، وقد أتممته من تفسيري ابن أبي حاتم والطبري.

(٥١) جملة: «قال ﷺ لرجل (قل: أسلمت ... لله وتخليت)» هنا سقط كلمة (وجهي)، وقد أتممته من كتب السنة.

(٥٢) جملة: «فإذا عبده الإنسان فقد وحده من لم يجعل معه إلهًا آخر، ولا اتخذ إلهًا غيره، قال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾» هنا تصحيفٌ في كلمة (تجعل) من الآية.

(٥٣) جملة: «وكان غير هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران أن هولاكو ـ ملك المشركين ـ لما دخل بغداد رأى ابن السكران شيخًا

مَحْلُوقَ الرَّأْسِ عَلَى صُورَةِ شَيْخٍ مِنْ مَشَايِخِ الدِّينِ وَالطَّرِيقِ آخِذاً بِفَرَسِي

هُولَاكُو» هنا تصحيفٌ في كلمة (السُّكْرَان).

(٥٤) جُملة: «وَحَدَّثَنِي الثِّقَةُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الأَنْبِيَاءُ ضَيَّعُوا الطَّرِيقَ.

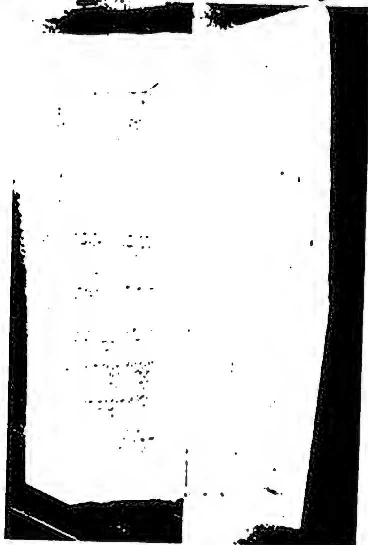
وَلَعَمْرِي لَقَدْ ضَيَّعُوا طَرِيقَ الشَّيَاطِينِ»، وهُنا تصحيفٌ في كلمتي (ضَيَّعُوا).

هذا ما تيسر لِيْ وظهر - على قِلَّة عِلمي - مِن السقط والتصحيف، والتي منها ما هو ظاهرٌ لكل طالب عِلم، ومِنها ما لا يظهر إلاَّ بِشِقِّ الأنفُس، وما أخرني عن طباعة هذا الكتاب وقد أنهيتُ تحقيقه ودراسته مُنذ زمن إلاَّ المراجعة الدائمة لهذه المواضع، والله يجزي شيخ الإسلام أبا العبَّاس ابن تيميَّة عن المُسلمين خيراً كثيراً، فقد أتعب مَن بعده، وحمَّلهم أمانة العِلم والجِهاد، والصبر والاستشهاد، في دُروبٍ حاسمة، وطُرقٍ هائجة، ونسأله أن يبعث لنا رُجلاً مِثله أو أكمل يَرُد الأمة على الجادَّة، ويُبصِّرها بما هي عنه حادَّة، وصلَّى الله وبارك على نبينا محمدٍ وآله وسلم.

# نماذج من
# صور المخطوطات

غلاف المجموع من نسخة مكتبة الجامعة الإسلامية

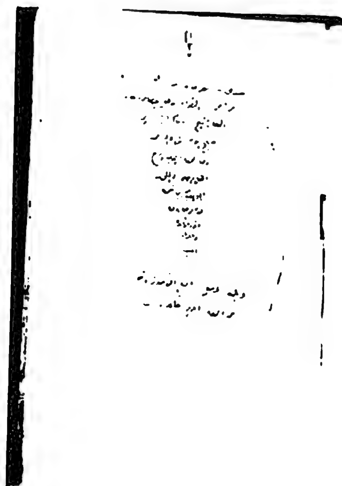
ويظهر عليه اسم الكتاب (الفُرقان بين الحقِّ والبُطلان)



الورقة الأولى من نسخة مكتبة الجامعة الإسلامية

الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة الجامعة الإسلامية

الورقة الأولى من نسخة مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت



الورقة الأخيرة من نسخة مركز المخطوطات والتراث والوثائق بالكويت

# القسم الثاني

# التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

[قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ[١] - فِيمَا صَنَّفَهُ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ أَخِيرًا:

الحَمْدُ للهِ نَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا][٢].

---

١) عبارة (قدّس الله روحه) أو (نوّر الله قبره) من الدّعاء الطيب لعلماء المسلمين وعامتهم، أما عبارة (قدّس - أو نوّر - الله ضريحه) والتي رأيتُ كثيراً من المؤرخين الأفاضل فضلاً عن النُسّاخ يستعملونها في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيميّة أو غيره، فأجد في نفسي منها حرج، وذلك لأنّ الأضرحة من فعل الرافضة وغلاة الصُوفية بأئمتهم، وهي من المُنكرات العظيمة المُنتشرة بين المسلمين، وربما يكون فيها نوع تشبه بهم في الألفاظ، والله أعلم.

٢) هذا المقطع من جزئين: أولهما: بيان أنّ هذا المصنّف لشيخ الإسلام ابن تيميّة، وأنّه ألّفه في سجنه الأخيرة بقلعة دمشق، وثانيهما: جزء من خطبة الحاجة

## فَصْلٌ

الفرقان بين الحق والباطل هو باتباع القرآن والسنة

فِي الفُرْقَانِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَأَنَّ اللهَ بَيَّنَ ذَلِكَ بِكِتَابِهِ وَنَبِيِّهِ، فَمَنْ كَانَ أَعْظَمَ اتِّبَاعًا لِكِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ، وَنَبِيِّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ كَانَ أَعْظَمَ فُرْقَانًا، وَمَنْ كَانَ أَبْعَدَ عَنِ اتِّبَاعِ الكِتَابِ وَالرَّسُولِ كَانَ أَبْعَدَ عَنِ الفُرْقَانِ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ الحَقُّ بِالبَاطِلِ، كَالَّذِينَ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ عِبَادَةُ الرَّحْمَنِ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ، وَالنَّبِيُّ الصَّادِقُ بِالمُتَنَبِّي الكَاذِبِ، وَآيَاتُ النَّبِيِّينَ بِشُبُهَاتِ الكَذَّابِينَ حَتَّى اشْتَبَهَ عَلَيْهِمُ الخَالِقُ بِالمَخْلُوقِ.

فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ؛ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى [النُّورِ][١]، فَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالرَّشَادِ/ وَالغَيِّ، وَالصِّدْقِ وَالكَذِبِ، وَالعِلْمِ وَالجَهْلِ، وَالمَعْرُوفِ وَالمُنْكَرِ، وَطَرِيقِ أَوْلِيَاءِ اللهِ السُّعَدَاءِ وَأَعْدَاءِ اللهِ الأَشْقِيَاءِ؛ وَبَيَّنَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ

[١٧٥/أ]

---

وفي ترتيبهما خلافٌ ففي (س) و(ك) تقديم خطبة الحاجة على البيان، بينما في (م) تقديم البيان على خُطبة الحاجة، ويظهر أنَّ ما جاء في (م) أوجه بأن تكون خطبة الحاجة مِن كلام شيخ الإسلام أبي العبَّاس، ولو جعلناها مُتقدمة لكانت مِن كلام الناسخ، ولكان الكتاب بلا مُقدمةٍ للمُؤلِّف، ولم يُشر لذلك الشيخ الزهيري في تحقيقه مع أنه اعتمد على نسخة (س) كما يقول، والله أعلم.

(١) في (ك) بياض.

تفسير السلف للفرقان

الإختلاف، وكذلك النبيون قبله. قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[4]. قال جماهير المفسرين: هو القرآن[5].

---

١) سورة البقرة، آية: ٢١٣

٢) سورة النحل، آية: ٦٣-٦٤

٣) سورة الفرقان، آية: ١

٤) سورة آل عمران، آية: ١-٤

٥) هو قول قتادة والحسن البصري والرّبيع بن أنس وغيرهم، وما رأيتُ مُخالفاً لهم إلاّ ما جاء عن أبي صالح مولى أمّ هانئ بنت أبي طالب أنه فسّر الفُرقان بأنّه (التوراة)، كما عند ابن أبي حاتم في تفسيره مُسنداً ٢/ ٥٨٩، وقد ضعّف هذا القول ابن كثير في تفسيره ٢/ ٥.

رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[1] بِإِسْنَادِهِ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ[2] قَالَ: «الفُرْقَانُ: [القُرْآنُ][3]، فَرَّقَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ»[4].

---

١) هو أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، كان والده من كبار علماء الحديث، واشتهر بـ(أبي حاتم الرازي)، وقد تتلمذ ابن أبي حاتم على أبيه وعلى غيره حتى أصبح من عظماء الأمة، ومن الثقات الحفاظ، ومن أشهر كتبه (تفسير القرآن)، و(الجرح والتعديل)، قال فيه أبو يعلى الخليلي: «أخذ أبو محمد علمَ أبيه، وأبي زُرْعَة، وكان بحراً في العُلوم ومعرفة الرِّجال، صنَّف في الفقه، وفي اختلاف الصَّحابة والتَّابعين وعلماء الأمصار، وكان زاهداً، يُعَدُّ من الأبدال»، مات سنة ٣٢٧هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢٥/ ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٦/ ٩٣، طبقات الحفاظ ٦٨

٢) هو الرَّبيع بن أنس بن زياد البكري، بصري نزل خراسان، وكان عالم مرو في زمانه، صدوقٌ له أوهام، وذلك أنه سُجن بمرو ثلاثين سنة، قال الذهبي: «ولَقِيَهُ سُفيان الثَّوريُّ .. سَجَنَه أبو مُسلِم تسعةَ أعوامٍ، وتَحَيَّل ابنُ المبارك حتَّى دخل إليه، فسَمِعَ منه»، مات سنة ١٣٩هـ أو التي تليها.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢١٥، تقريب التهذيب ٢٩٣

٣) ساقطة من (س) و(ك) و(م) وأثبتها من تفسير ابن أبي حاتم وتفسير الطبري.

٤) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٨٨، تفسير الطبري ٦/ ١٦٣

قَالَ: وَرُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ(١)، وَمُجَاهِدٍ(٢)، وَمِقْسَمٍ(٣)، وَقَتَادَةَ(٤)، وَمُقَاتِلِ بْنِ

١) هو عطاء بن أبي رَبَاح ـ بفتح الراء والباء الموحدة ـ واسم أبي رَبَاح أسلم القرشي المكي، ثقةٌ فقيهٌ، كان بن أوعية العِلم، وقد انتهت إليه فُتيا أهل مكة، مات سنة ١١٤هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٨٦، تقريب التهذيب ٦٧٤

٢) هو مُجاهد بن جَبْر ـ بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة ـ المخزومي مولاهم، أبو الحجّاج المكي، ثقةٌ إمامٌ في التفسير وغيره، قال أبو نُعيم: «مات مُجاهدٌ وهو ساجدٌ»، واختلف في سنة وفاته بين سنة ١٠١هـ إلى سنة ١٠٤هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٦، تقريب التهذيب ١٥٩

٣) هو مِقْسم ـ بكسر أوله ـ بن بُجْرة ـ بضم الموحدة وسكون الجيم وقيل بفتحها ـ أبو القاسم مولى عبدالله بن الحارث، ويقال له مولى ابن عبّاس للزومه له، وثّقه ابن أبي حاتم والعجلي ويعقوب بن سفيان والدّارقُطني، وضعّفه ابن سعد وابن حزم، وقال ابن حجر فيه «صدوقٌ»، مات سنة ١٠١هـ

يُنظر: من تُكُلِّمَ فيه وهو موثق أو صالح الحديث ٣٤٧، تقريب التهذيب ٢١١

٤) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطّاب البصري، ثقةٌ ثبتٌ، حافظ العصر وقدوة المُفسرين والمُحدثين، قال فيه الذّهبي: «هو حُجّةٌ بالإجماع إذا بيّن السّماع»، قال عنه سُفيان الثوري: «وهل كان في الدُّنيا مِثْل قتادة»، مات سنة ١١٣هـ تقريباً.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٢٣، تقريب التهذيب ٢٦

حَيَّانَ(١) نَحْوَ ذَلِكَ»(٢).

وَرُوِيَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ شَيْبَانَ(٣) عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، قَالَ: «هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَفَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيَّنَ فِيهِ

---

١) هو مقاتل بن حَيَّان النَّبَطي ـ بفتح النون والباء الموحدة ـ أبو بسطام البلخي، الإمام العالِمُ المحدِّثُ الثِّقَةُ، قال عنه الذَّهبي: «وكان من العُلماء العاملين، ذا نُسُكٍ وفضل، صاحب سُنَّة، هرب من خُراسانَ أيَّام أبي مُسلِم صاحب الدَّولة، إلى بلاد كابُل، فدعاهُم إلى الله، فأسلم على يده خَلْقٌ»، مات سنة ١٥٠هـ تقريباً.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٤٤، تقريب التهذيب ٢١٠

٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٨٨

٣) هو شيبان بن عبدالرَّحمن التميمي مولاهم، أبو معاوية المؤدب البصري الكوفي، الإمام الحافظ، قال عنه الإمام أحمد: «شيبانُ ثبتٌ في كُلِّ المشايخ» مات سنة ١٦٤هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٥٤، تقريب التهذيب ٤٢٤.

وقد وقع في تفسير ابن أبي حاتم قوله: (شيبان بن محمَّد المروزي، عن قتادة) وهذا تصحيفٌ من النُّساخ لا ريب، وذلك لأمور أربعة:

الأول: أنَّه لا يُعرف راوي بهذا الاسم عن قتادة.

الثاني: أنَّه لا يوجد في تفسير ابن أبي حاتم كما سبرته بهذا الإسناد إلاَّ في هذا الموضع فقط.

الثالث: أنَّ من أشهر تلاميذ شيبان (الحُسَيْنُ بن مُحمَّد المروذيُّ) المُطابق للاسم المُصحَّف في الأب واللقب، وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق الحسين بن محمَّد المروذيُّ عن شيبان عن قتادة قرابة ٨٢ رواية.

دِينَهُ، وَشَرَعَ فِيهِ شَرَائِعَهُ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَحَدَّ حُدُودَهُ، وَأَمَرَ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ»[1].

وَعَنْ عَبَّادِ بْنِ مَنْصُورٍ[2] سَأَلْتُ الحَسَنَ[3] عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾، قَالَ: «هُوَ كِتَابٌ بِحَقٍّ»[4].

---

الرابع: أنَّ شيخ ابن أبي حاتم عن الحسين بن مُحمد المروذي هو (مُوسى بن هارون الطُّوسي) وقد صرَّح ابن أبي حاتم بأنَّ موسى بن هارون كتبَ إليه بمروياته ولم يسمعه منه، وهو نَفْسُ إسناده في هذا الأثر، فقال: «أخبرنا موسى بن هارون الطُّوسيُّ، فيما كتب إليَّ، ثنا الحسين بن محمد المروذي عن شيبانُ بن عبد الرحمن التيمي، عن قتادة»!!، وهذا ممَّا لم يلحظه (الطيِّب) مُحقق التفسير، ولا (الزهيري) مُحقق الفُرقان، والله أعلم.

١) في تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٨٨ - ٥٨٩، وتفسير الطبري ٥/ ١٨٢.

٢) هو عبَّاد بن منصور الناجي - بالنون والجيم - أبو سلمة البصري القاضي بها، صدوق، رُمي بالقدر، قال أبو حاتم: ضعيفٌ، يُكتبُ حديثُهُ، وقال ابن معين: ليس حديثُهُ بالقويّ، مات سنة ١٥٢هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٢٢، تقريب التهذيب ٤٦٨

٣) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ثقةٌ فقيهٌ فاضلٌ مشهورٌ، قال فيه الذهبي: «كان سيِّدُ أهل زمانه علماً وعملاً»، مات سنة ١١٠هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ١٣٥، تقريب التهذيب ٢٠٢

٤) تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٥٨٩

معنى الفرقان والقرآن في اللغة والشرع

وَالفُرْقَانُ مَصْدَرُ فَرَقَ فُرْقَانًا، مِثْلَ الرُّجْحَانِ وَالكُفْرَانِ وَالخُسْرَانِ(١).

وَكَذَلِكَ القُرْآنُ هُوَ فِي الأَصْلِ [مَصْدَرُ قَرَأَ قُرْآنًا](٢)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾(٣).

وَيُسَمَّى الكَلَامُ المَقْرُوءُ نَفْسُهُ قُرْآنًا، وَهُوَ كَثِيرٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾(٤).

كَمَا أَنَّ الكَلَامَ هُوَ اسْمُ مَصْدَرِ كَلَّمَ تَكْلِيمًا، وَتَكَلَّمَ تَكَلُّمًا، وَيُرَادُ بِهِ الكَلَامُ نَفْسُهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا تَكَلَّمَ كَانَ كَلَامُهُ بِفِعْلٍ مِنْهُ، وَحَرَكَةٍ هِيَ مُسَمَّى المَصْدَرِ، وَحَصَلَ عَنِ الحَرَكَةِ صَوْتٌ يُقَطِّعُ حُرُوفًا هُوَ نَفْسُ التَّكَلُّمِ، فَالكَلَامُ

---

١) قال أبو البقاء العُكبري في إملاء ما منّ به الرحمن ٣٧: «الفُرقانُ هو في الأصل مصدرٌ مثل الرُّجحان والغُفران وقد جُعل اسماً للقُرآن»، وقال ابن الأثير في النهاية ٣٥٢: «قرأ .. والأصل في هذه اللفظة الجمعُ، وكلُّ شيء جمعتَه فقد قرأتَه، وسُمّيَ القُرآن قُرآناً لأنه جمع القَصَص، والأمر والنهي، والوَعد والوعيد، والآياتِ والسُّوَر، بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغُفران والكُفران».

٢) في (س) و(ك) (قرأ مصدره قُرآناً).

٣) سورة القيامة، آية : ١٧-١٩

٤) سورة النحل، آية : ٩٨

وَالقَوْلُ وَنَحْوُ ذَلِكَ يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا؛ وَلِهَذَا كَانَ الكَلَامُ تَارَةً يُجْعَلُ نَوْعاً مِنَ العَمَلِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ المَصْدَرُ، وَتَارَةً/ يُجْعَلُ قَسِيماً لَهُ إِذَا أُرِيدَ مَا يُتَكَلَّمُ بِهِ، وَهُوَ [١٢/أ] يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا، وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ"(١).

وَالمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ لَفْظَ الفُرْقَانِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ المَصْدَرُ كَانَ المُرَادُ أَنَّهُ أَنْزَلَ الفَصْلَ وَالفَرْقَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَهَذَا مُنَزَّلٌ فِي الكِتَابِ، فَإِنَّ فِي الكِتَابِ الفَصْلَ، وَإِنْزَالُ الفَرْقِ هُوَ إِنْزَالُ الفَارِقِ.

وَإِنْ أُرِيدَ بِالفُرْقَانِ مَا يُفَرِّقُ فَهُوَ الفَارِقُ أَيْضاً، فَهُمَا فِي المَعْنَى سَوَاءٌ.

وَإِنْ أُرِيدَ بِالفُرْقَانِ نَفْسُ المَصْدَرِ فَيَكُونُ إِنْزَالُهُ كَإِنْزَالِ الإِيمَانِ، وَإِنْزَالِ العَدْلِ، فَإِنَّهُ جَعَلَ فِي القُلُوبِ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ بِالقُرْآنِ؛ كَمَا جَعَلَ فِيهَا الإِيمَانَ وَالعَدْلَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ، وَالمِيزَانُ قَدْ فُسِّرَ

---

١) قال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٧/ ٣٣: «ولفظ الكلام يراد به مصدر كلمه تكليماً، ويراد به نفس القول، فإن القول فيه فعل من القائل هو مُسمّى المصدر، والقول ينشأ عن ذلك العمل، ولهذا تارةً يجعل القول نوعاً من العمل لأنه حاصل بعمل، وتارةً يجعل قسيماً له ..».

وكذلك في الفتاوى ٤/ ٢٢٧

بِالعَدْلِ، وَفُسِّرَ بِأَنَّهُ مَا يُوزَنُ بِهِ لِيُعْرَفَ العَدْلُ، وَهُوَ كَالفُرْقَانِ يُفَسَّرُ بِالفَرْقِ، وَيُفَسَّرُ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ الفَرْقُ، وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ.

فَإِذَا أُرِيدَ الفَرْقُ نَفْسُهُ فَهُوَ نَتِيجَةُ الكِتَابِ وَثَمَرَتُهُ وَمُقْتَضَاهُ.

وَإِذَا أُرِيدَ الفَارِقُ فَالكِتَابُ نَفْسُهُ هُوَ الفَارِقُ، وَيَكُونُ لَهُ اسْمَانِ؛ كُلُّ اسْمٍ يَدُلُّ عَلَى صِفَةٍ لَيْسَتْ هِيَ الصِّفَةَ الأُخْرَى.

سُمِّيَ كِتَابًا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مَجْمُوعٌ مَكْتُوبٌ تُحْفَظُ حُرُوفُهُ وَيُقْرَأُ وَيُكْتَبُ، وَسُمِّيَ فُرْقَانًا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ كَمَا تَقَدَّمَ، كَمَا سُمِّيَ هُدًى بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ، وَشِفَاءً بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ يَشْفِي القُلُوبَ مِنْ مَرَضِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ/ مِنْ أَسْمَائِهِ[1]. (س/١٧)

وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ الرَّسُولِ كَالمُقَفِّي[2]، وَالمَاحِي[3]، وَالحَاشِرِ[4].

وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ اللهِ الحُسْنَى كَالرَّحْمَنِ، وَالرَّحِيمِ، وَالمَلِكِ، وَالحَكِيمِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

---

١) ومن أجود مَن ألف في أسماء القرآن وشرحها الشيخ الفقيه صالح بن إبراهيم البليهي حفظه في كتابه (الهدى والبيان في أسماء القرآن)، فحبذا مراجعته فإنّه نفيس لمن تأمله.

٢) المُقَفِّي: الذي جُعل آخر الأنبياء المُتّبع لهم، فإذا قَفّى فلا نبيَّ بعده.

٣) الماحي: الذي يمحو الله به الكفر بالإيمان، ويُصفّي آثاره.

٤) الحاشر: الذي يُحشر الناسُ خلفه وعلى مِلّته دُون مِلّة غيره.

وَالعَطْفُ يَكُونُ لِتَغَايُرِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَإِنْ كَانَ الْمُسَمَّى وَاحِداً كَقَوْلِهِ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾[1]، وَقَوْلِهِ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[2]، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَهُنَا ذَكَرَ أَنَّهُ نَزَّلَ الكِتَابَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ مُتَفَرِّقاً، وَأَنَّهُ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الفُرْقَانَ، وَقَدْ أَنْزَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإِيمَانَ فِي القُلُوبِ، وَأَنْزَلَ المِيزَانَ وَالإِيمَانَ.

وَالمِيزَانُ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ الفُرْقَانُ أَيْضاً؛ كَمَا يَحْصُلُ بِالقُرْآنِ، وَإِذَا أُنْزِلَ القُرْآنُ حَصَلَ بِهِ الإِيمَانُ وَالفُرْقَانُ.

وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ ﴾[3].

---

١) سورة الأعلى، آية: ١-٣

٢) سورة الحديد، آية: ٣

٣) سورة الأنبياء، آية: ٤٨

قِيلَ. الفُرْقَانُ هُوَ التَّوْرَاةُ، وَقِيلَ: هُوَ الحُكْمُ بِنَصْرِهِ عَلَى فِرْعَوْنَ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [١].

معنى النور عند المفسرين

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [٢].

قِيلَ: النُّورُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقِيلَ: هُوَ الإِسْلَامُ.

معنى البرهان عند المفسرين

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [٣].

قِيلَ: البُرْهَانُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقِيلَ هُوَ الحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ، وَقِيلَ: القُرْآنُ وَالحُجَّةُ/ وَالدَّلِيلُ تَتَنَاوَلُ الآيَاتِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ. [ق/٢]

لَكِنَّهُ هُنَاكَ جَاءَ بِلَفْظِ ﴿ءَاتَيْنَا﴾ وَ﴿جَآءَكُم﴾، وَهُنَا قَالَ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ جَاءَ بِلَفْظِ الإِنْزَالِ؛ فَلِهَذَا شَاعَ بَيْنَهُمْ أَنَّ القُرْآنَ وَالبُرْهَانَ يَحْصُلُ بِالعِلْمِ وَالبَيَانِ كَمَا حَصَلَ بِالقُرْآنِ، وَيَحْصُلُ بِالنَّظَرِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ أَهْلِ الحَقِّ وَالبَاطِلِ بِأَنْ يُنَجِّيَ هَؤُلَاءِ وَيَنْصُرَهُمْ، وَيُعَذِّبَ هَؤُلَاءِ، فَيَكُونُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ كَمَا يُفَرِّقُ المُفَرِّقُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَعْدَائِهِ بِالإِحْسَانِ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَعُقُوبَةِ هَؤُلَاءِ، وَهَذَا

---

١) سورة الأنفال، آية: ٤١

٢) سورة المائدة، آية: ١٥

٣) سورة النساء، آية: ١٧٤

كَقَوْلِهِ فِي القُرْآنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾[1].

قَالَ الوَالِبِيُّ[2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يَوْمُ بَدْرٍ، فَرَّقَ اللهُ فِيهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ[3].

---

١) سورة الأنفال، آية ٤١.

٢) هو علي بن (أبي طلحة) سالم بن مخارق الوالبي البصري، أبو الحسن مولى بني العباس، من كبار التابعين عالماً بالقُرآن وأحكامه، قال الإمام أحمد: «كان في مصر صحيفةٌ واحدةٌ من التفسير قد رواها علي بن أبي طلحة، مَن رحل من طالبي التفسير لتحصيلها لا يُعد كثيراً»، يُرسل عن ابن عباس ولم يره، وقال عنه النسائي: «ليس به بأس»، مات سنة ١٤٣هـ

يُنظر: تقريب التهذيب ٤٠٢، طبقات المُفسرين للأدروي ٢٤

تنبيه: روى عن ابن عبّاس بعض الرواة كُلهم من قبيلة (والبة) مُشابهة، كسعيد بن جُبير الوالبي، وأبي خالد عمران بن خالد الوالبي، وعكرمة بن سليمان الأسدي الوالبي، أمّا علي ابن أبي طلحة الوالبي فلم يسمع من ابن عبّاس، ولكنه هو الجامع لتفسيره، وهو المقصود عند الإطلاق، وشيخ الإسلام يقصده ويذكره غالباً بقبيلته، وفي بعض المواضع بيّن مراده منه، فقال في الفتاوى ١٤/ ٢٣٨: «رواه ابن أبي طلحة وهو الوالبي عن ابن عبّاس»، وقال أيضاً في الفتاوى ٢٢/ ٥٥٥: «ففي التفسير المشهور الذي يُقال له تفسير الوالبي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس»، وغير ذلك من المواضع.

٣) كما في تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠٦، وقد صرّح عن الوالبي بأنه (علي بن أبي طلحة)، وتفسير الطبري ١٣/ ٥٦١، والمستدرك للحاكم ٣/ ٢٥ وقال: «هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، ومِقْسَمٍ، وَعُبَيْدِاللهِ بْنِ عَبْدِاللهِ(١)، وَالضَّحَّاكِ(٢)، وقَتَادَة، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، نَحْوُ ذَلِكَ»(٣).

وَبِذَلِكَ فَسَّرَ أَكْثَرُهُمْ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾(٤) كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾(٥) أَيْ: «مِنْ كُلِّ مَا

١) هو عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبدالله المدني، ثقةٌ فقيهٌ ثبتٌ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، قال عنه الزُّهري: «كان بحراً من بحور العلم»، وقال أبو زُرْعة الرازي: «ثقةٌ، مأمونٌ، إمامٌ»، واختلف في سنة وفاته، ورجَّح الذهبي أنها سنة ٩٨هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٣١، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٨، تقريب التهذيب ٦٣٤

٢) هو الضَّحَّاك بن مُزاحم الهلالي، أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني، وثَّقه الإمام أحمد وابن معين، وضعَّفه يحيى بن سعيد القطَّان، وقال عنه ابن حجر: «صدوقٌ كثير الإرسال»، ولم يلق ابن عباس وإنَّما أخذ علمه عن سعيد بن جُبير، مات سنة ١٠٢هـ وقيل غير ذلك.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٣، تقريب التهذيب ٤٤٤

٣) تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٧٠٦

٤) سورة الأنفال، آية: ٢٩

٥) سورة الطلاق، آية: ٢

ضَاقَ عَلَى النَّاسِ»[1].

قَالَ الوَالِبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ أَيْ «مَخْرَجًا»[2].

---

1) هو مِن تفسير الرَّبيع بن خُثَيْم، وقد رواه عنه مُسندًا الطبري في التفسير ٢٨/١٣٩، وابن أبي شيبة في المُصنف ٨/ ٣١١، وغيرهما، وذكره البخاري في صحيحه مُعلقًا عن الرَّبيع بن خُثَيْم في كتاب الرقاق، باب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١١/ ٣٠٥: «وصَلَهُ الطَّبرانيُّ وابن أبي حاتم مِن طريق الرَّبيع بن مُنذر الثَّوريّ عن أبيه عن الرَّبيع بن خُثَيْم».

قُلتُ: لم أقف عليه عندهما في المطبوع، وقد ذكر الحافظ إسناد ابن أبي حاتم في تغليق التعليق ٥/ ١٧٣ فقال: «قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا عمر بن سعد ثنا سفيان عن مُنذر الثَّوريّ عن الرَّبيع بن خُثَيْم»، ولعل الطبراني عنده مُصحفٌ مِن الطبري، والله أعلم.

2) تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٦

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ[1]، وَالضَّحَّاكِ، وَقَتَادَةَ، والسُّدِّي[2]، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ كَذَلِكَ؛ غَيْرَ أَنَّ مُجَاهِدًا قَالَ: مَخْرَجًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[3].

وَرَوَى عَنْ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «نَصْرًا»[4].

قَالَ: «وَفِي [أَحَدِ قَوْلَي][5] ابْنِ عَبَّاسٍ والسُّدِّي: نَجَاةً»[6].

---

١) هو عِكْرِمَة أبو عبدالله المدني، مولى عبدالله بن عباس، أصله بربري، ثقةٌ ثبتٌ عالمٌ بالتفسير، قال البُخاري: «ليس أحدٌ مِن أصحابنا إلاَّ وهو يحتجُّ بعِكْرِمَة»، واختلف في سنة وفاته، ورجَّح الذَّهبي أنها سنة ١٠٥هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١١، تقريب التهذيب ٦٨٥

٢) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السُّدِّي، أبو محمَّد الكوفي، الإمام المُفسر، واختلف المُحدثون في توثيقه، فمنهم مَن وثَّقه، ومنهم مَن جعله صالح الحديث، ولا بأس به، ومنهم مَن ضعَّفه، ورجح الحافظ بأنه «صدوقٌ يهم»، مات سنة ١٢٧هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٤، تقريب التهذيب ٩٧

٣) تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٦

٤) المرجع السابق الصفحة نفسها.

٥) في (س) و(ك) و(م) (آخِر قَوْل)، وهو تصحيفٌ، والتصحيح مِن تفسير ابن أبي حاتم.

٦) المرجع السابق الصفحة نفسها.

وَعَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ[1] قال ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي: «فصلاً بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، يُظْهِرُ اللهُ بِهِ حَقَّكُمْ، وَيُطْفِئُ بِهِ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَكُمْ»[2].

وَذَكَرَ البَغَوِيُّ[3] عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: «مَخْرَجاً فِي [الدِّينِ][4] مِنَ الشُّبُهَاتِ»[5]، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ هَذَا تَفْسِيراً لِمُرَادِ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ كَمَا ذَكَرَ أَبُو الفَرَجِ

---

١) هو عُروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، أبو عبدالله المدني، ثقةٌ فقيهٌ مشهورٌ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، قال عنه الزُّهري «رأيتُ عُروة بحراً لا تُكدّرُهُ الدِّلاء»، وكان مشهوراً بالصوم فكان لا يُفطر إلاّ يوم فِطرٍ أو أضحى، ومات سنة ٩٤هـ صائماً.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٧٥، تقريب التهذيب ٦٧١

٢) تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٦٨٦

٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء، أبو محمد البَغوي، الإمام المفسِّر الفقيه، أشتهر بمُحْيي السُّنّة، قال عنه الذهبي: «بُورِكَ لهُ في تصانيفه، ورُزِقَ فيها القبولَ التّام، لحسن قصده، وصدق نيّته، وتنافسَ العُلماءُ في تحصيلها، وكان لا يُلقي الدّرسَ إلاّ على طهارةٍ، وكان مُقتصداً في لباسه، لهُ ثوبٌ خامٌ، وعِمامةٌ صغيرةٌ على مِنهاج السَّلف حالاً وعقداً»، له مصنفات أشهرها (معالم التنزيل) و(شرح السُّنة) و(مصابيح السُّنة)، مات سنة ٥١٦هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤١، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٠٦

٤) في (س) و(ك) و(م) (الدُّنيا)، وهو تصحيفٌ، لأنّ في معالم التنزيل ٣/ ٣٤٩ (الدِّين)، وكذلك في أصله الكشف والبيان للثعلبي ٤/ ٣٤٧ (الدِّين)، ولذلك أثبته كما في المصدر، والله أعلم.

٥) معالم التنزيل ٣/ ٣٤٩

ابْنُ الجَوْزِيِّ[1] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَابْنِ قُتَيْبَةَ[2]: أَنَّهُمْ قَالُوا: «هُوَ المَخْرَجُ».

ثُمَّ قَالَ: «وَالمَعْنَى يَجْعَلْ لَكُمْ مَخْرَجاً فِي [الدِّينِ][3] مِنَ الضَّلَالِ»[4].

---

١) هو أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي الحنبلي، الإمام الواعظ، والمحدث الفقيه المفسر، له مصنفات في شتى العلوم من أشهرها (زاد المسير في علم التفسير)، و(تلبيس إبليس)، و(صيد الخاطر)، قال عنه ابن قُدامة الفقيه الحنبلي: «ابن الجوزيّ إمام أهل عصره في الوعظ، وصنَّفَ في فُنُون العِلم تصانيف حسنة، قال شيخنا عبد الرحمن المحمود: «لكنه في الصفات يميل إلى التأويل كما في رسالته في التشابه»، وكان صاحبَ فُنُون، كان يصنِّف في الفِقه، ويُدرِّس، وكان حافظاً للحديث»، توفي سنة ٥٩٧هـ.

يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٥٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨١

٢) هو عبدالله بن مسلم بن قُتيبة الدينوري، أبو محمد الإمام الكبير، خطيب أهل السُّنة، له مُصنفات من أشهرها (تأويل مشكل القرآن)، و(غريب الحديث)، توفي سنة ٢٧٦هـ.

يُنظر: تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠، والبداية والنهاية ١١/ ٤٨

٣) في (س) و(ك) و(م) (الدُّنيا)، وهو تصحيفٌ، لأن في زاد المسير (الدِّين)، ولذلك أثبته كما في المصدر، والله أعلم.

٤) زاد المسير ٣/ ٢٣٥ (ط: دار الفكر)، وفيها سقط كلمة (وعِكْرِمة)، وهي مُثبته في زاد المسير ٣/ ٣٤٦ (ط: المكتب الإسلامي).

وَلَيْسَ مُرَادَهُمْ؛ وَإِنَّمَا مُرَادُهُمْ الْمَخْرَجُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾، وَالْفُرْقَانُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾.

وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ[1] أَنَّهُ قَالَ: «هُدًى فِي قُلُوبِهِمْ يَعْرِفُونَ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ»[2]./ [١/٥]

[نوعا الفرقان]

وَنَوْعَا الْفُرْقَانِ: فُرْقَانُ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، وَالنَّصْرِ وَالنَّجَاةِ، هُمَا نَوْعَا الظُّهُورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[3] يُظْهِرُهُ بِالْبَيَانِ وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَيُظْهِرُهُ بِالْيَدِ وَالْعِزِّ وَالسِّنَانِ.

---

١) هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، كان صاحب قرآن وتفسير، وألف في الناسخ والمنسوخ، أخبره الذهبي لين الرواية، وضعفه ابن حجر، مات سنة ١٨٢هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٢، تقريب التهذيب ٥٧٠

٢) زاد المسير ٣/ ٢٣٥

٣) سورة التوبة، آية: ٣٣، وسورة الفتح، آية: ٢٨، وسورة الصف، آية: ٩

معنى السلطان في القرآن

وَكَذَلِكَ السُّلْطَانُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾ (١) فَهَذَا النَّوْعُ وَهُوَ الحُجَّةُ وَالعِلْمُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ۝٣٥﴾ (٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ (٣)، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ (٤).

وَقَدْ فُسِّرَ السُّلْطَانُ: بِسُلْطَانِ القُدْرَةِ وَاليَدِ، وَفُسِّرَ بِالحُجَّةِ وَالبَيَانِ.

فَمِنَ الفُرْقَانِ: مَا نَعَتَهُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ

ص ٤٠/٢

---

١) سورة الإسراء، آية : ٨٠

٢) سورة الروم، آية : ٣٥

٣) سورة غافر، آية : ٥٦

٤) سورة النجم، آية : ٢٣

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ المَعْرُوفِ وَالمُنْكَرِ، أَمَرَ بِهَذَا وَنَهَى عَنْ هَذَا، وَبَيْنَ الطَّيِّبِ وَالخَبِيثِ، أَحَلَّ هَذَا وَحَرَّمَ هَذَا.

وَمِنَ الفُرْقَانِ: أَنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ أَهْلِ الحَقِّ المُهْتَدِينَ المُؤْمِنِينَ المُصْلِحِينَ أَهْلِ الحَسَنَاتِ، وَبَيْنَ أَهْلِ البَاطِلِ الكُفَّارِ الضَّالِّينَ المُفْسِدِينَ أَهْلِ السَّيِّئَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا

---

١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦-١٥٧

٢) سورة الجاثية، آية: ٢١

٣) سورة ص، آية: ٢٨

٤) سورة القلم، آية: ٣٥-٣٦

٥) سورة هود، آية: ٢٤

وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٤)، فهو سبحانه بيّن الفرق بين أشخاص أهل الطاعة لله والرسول، والمعصية لله والرسول، كما بيّن الفرق بين ما أمر به وبين ما نهى عنه.

وجوب التفريق بين الخالق والمخلوق

وأعظم من ذلك: أنه بيّن الفرق بين الخالق والمخلوق، وأن المخلوق لا يجوز أن يسوي بين الخالق والمخلوق في شيء، فيجعل المخلوق نداً للخالق، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ

---

١) سورة الزمر، آية: ٩

٢) سورة فاطر، آية: ١٩-٢٤

٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٢

٤) سورة السجدة، آية: ١٨

ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾(٢)، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾(٣)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٤).

ضرب الأمثال في القرآن على وجوب التوحيد

وَضَرْبُ الأَمْثَالِ فِي القُرْآنِ عَلَى مَنْ لَمْ يُفَرِّقْ؛ بَلْ عَدَلَ بِرَبِّهِ وَسَوَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالُوا وَهُمْ فِي النَّارِ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾(٦).

فَهُوَ سُبْحَانَهُ الخَالِقُ العَلِيمُ، الحَقُّ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَمَنْ سِوَاهُ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ

---

١) سورة البقرة، آية: ١٦٥

٢) سورة مريم، آية: ٦٥

٣) سورة الإخلاص، آية: ٤

٤) سورة الشورى، آية: ١١

٥) سورة الشعراء، آية: ٩٧-٩٨

٦) سورة النحل، آية: ١٧-٢١

اجْتَمَعُوا لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[1].

وَهٰذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ، فَإِنَّ الذُّبَابَ مِنْ أَصْغَرِ الْمَوْجُودَاتِ، وَكُلُّ مَنْ [يُدْعَى][2] مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَخْلُقُونَ ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَا يَخْلُقُونَ ذُبَابًا، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى انْتِزَاعِ مَا يَسْلُبُهُمْ، فَهُمْ عَنْ خَلْقِ غَيْرِهِ، وَعَنْ مُغَالَبَتِهِ، أَعْجَزُ وَ[أَعْجَزُ][3].

معنى المثل في القرآن

وَالْمَثَلُ هُوَ الْأَصْلُ وَالنَّظِيرُ الْمُشَبَّهُ بِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾[4]، أَيْ لَمَّا جَعَلُوهُ نَظِيرًا قَاسُوا عَلَيْهِ آلِهَتَهُمْ، وَقَالُوا إِذَا كَانَ قَدْ عُبِدَ وَهُوَ لَا يُعَذَّبُ فَكَذَلِكَ آلِهَتُنَا، فَضَرَبُوهُ مَثَلًا لِآلِهَتِهِمْ، وَجَعَلُوا يَصِدُّونَ أَيْ يَضِجُّونَ[5]، وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ احْتِجَاجًا بِهِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ.

---

١) سورة الحج، آية: ٧٣-٧٤

٢) في (م) يَدْعِي، والأقرب ما أثبت، والله أعلم.

٣) في (م) أعجر، بالراء المهملة، وهو تصحيفٌ، والأقرب ما أثبت، والله أعلم.

٤) سورة الزخرف، آية: ٥٧

٥) وهو تفسير ابن عباس ومجاهد كما عند الطبري وابن أبي حاتم في تفسيرهما.

وَالفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمْثَالِهِمْ ظَاهِرٌ؛ كَمَا بَيَّنَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1]، وَقَالَ فِي فِرْعَوْنَ: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2] أَيْ مَثَلًا يُعْتَبَرُ بِهِ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَمَنْ عَمِلَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ جُوزِيَ بِجَزَائِهِ؛ لِيَتَّعِظَ النَّاسُ بِهِ فَلَا يَعْمَلُ بِمِثْلِ [٦/ف] عَمَلِهِ./

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[3]، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَحْوَالِ الأُمَمِ المَاضِيَةِ الَّتِي يُعْتَبَرُ بِهَا، وَيُقَاسُ عَلَيْهَا أَحْوَالُ الأُمَمِ المُسْتَقْبَلَةِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4].

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ قِيسَ بِهِمْ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ يُسْعِدُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ قِيسَ بِهِمْ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ يُشْقِيهِ فِي الدُّنْيَا [ص/٢]

---

١) سورة الأنبياء، آية: ١٠١

٢) سورة الزخرف، آية: ٥٦

٣) سورة النور، آية: ٣٤

٤) سورة يوسف، آية: ١١١

وَالآخِرَةِ؛ كَمَا قَالَ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]، وَقَدْ قَالَ: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[2]، وَقَالَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[3]، وَقَالَ: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[4]، وَقَالَ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ: ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[5]، ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ ﴾[6]، وَقَالَ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[7]، وَقَالَ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم

---

١) سورة القمر، آية: ٤٣

٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٧

٣) سورة النور، آية: ٥٥

٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٧-٨٨

٥) سورة الأنبياء، آية: ٨٤

٦) سورة ص، آية: ٤٣

٧) سورة الأنعام، آية: ٩٠

مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ [1]، وَقَالَ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [2].

فَلَفْظُ المَثَلِ يُرَادُ بِهِ النَّظِيرُ الَّذِي يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَيُعْتَبَرُ بِهِ، وَيُرَادُ بِهِ مَجْمُوعُ القِيَاسِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [3] أَيْ لَا أَحَدَ يُحْيِيهَا وَهِيَ رَمِيمٌ.

فَمَثَّلَ الخَالِقَ بِالمَخْلُوقِ فِي هَذَا النَّفْيِ، فَجَعَلَ هَذَا مِثْلَ هَذَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَائِهَا؛ سَوَاءٌ نَظَمَهُ فِي قِيَاسِ تَمْثِيلٍ [4] أَوْ قِيَاسِ شُمُولٍ [5]، كَمَا قَدْ بُسِطَ الكَلَامُ

---

١) سورة البقرة، آية: ٢١٤

٢) سورة هود، آية: ١٢٠

٣) سورة يس، آية: ٧٨

٤) قياس التمثيل هو: «الحكم على شيء بما حُكم به على غيره بناءً على جامع مشترك بينهما» قاله شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٩/١٩٧، وقال كذلك في الفتاوى ٩/٢٥٩: «إلحاق الشيء بنظيره».

٥) قياس الشمول هو: «إدخال الشيء تحت حكم المعنى العام الذي يشمله» قاله شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٩/٢٥٩

عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ، وَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى القِيَاسَيْنِ قِيَاسِ الشُّمُولِ وَقِيَاسِ التَّمْثِيلِ [وَاحِدٌ](١)، وَالمَثَلُ المَضْرُوبُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ.

فَإِذَا قُلْتَ: النَّبِيذُ مُسْكِرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَأَقَمْتَ الدَّلِيلَ عَلَى المُقَدِّمَةِ الكُبْرَى بِقَوْلِهِ ﷺ: (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)(٢)، فَهُوَ كَقَوْلِهِ ﷺ/ قِيَاساً عَلَى الخَمْرِ؛ [١٢/أ] لِأَنَّ الخَمْرَ إِنَّمَا حُرِّمَتْ لِأَجْلِ الإِسْكَارِ، وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي النَّبِيذِ.

فَقَوْلُهُ: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾(٣) جَعَلَ مَا هُوَ مِنْ أَصْغَرِ المَخْلُوقَاتِ مَثَلاً وَنَظِيراً يُعْتَبَرُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ أَدْوَنُ خَلْقِ اللهِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى خَلْقِهِ، وَلَا مُنَازَعَتِهِ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى خَلْقِ مَا سِوَاهُ، فَيُعْلَمُ بِهَا مِنْ عَظَمَةِ الخَالِقِ، وَأَنَّ

---

وقد قرر شيخ الإسلام في شرح الأصفهانية ٤٥٥-٤٥٦ وغيرها بأنه لا يجوز استعمال قياس التمثيل ولا قياس الشمول في حق الله تعالى سواء في أسمائه أو صفاته أو أفعاله، وإنما يُستعمل قياس الأولى، وهو الذي جاء به القرآن، ودرج عليه السلف رحمهم الله.

١) زيادة من (م).

٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم (٣٩٩٧)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام، رقم (٣٧٢٩)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري.

٣) سورة الحج، آية: ٧٣

كُلُّ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا يَقْدِرُونَ عَلَى مَا هُوَ أَصْغَرُ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُمْ جَعَلُوا آلِهَتَهُمْ مَثَلاً لله فَاسْتَمِعُوا لِذِكْرِهَا؛ وَهَذَا لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا الْمَثَلَ الَّذِي ضَرَبَهُ اللهُ جَعَلُوا الْمُشْرِكِينَ هُمُ الَّذِينَ ضَرَبُوا هَذَا الْمَثَلَ.

وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ قَدْ ضَرَبَهُ اللهُ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ لا يُقَاسُ الْمَخْلُوقُ بِالْخَالِقِ، وَيُجْعَلُ لَهُ نِدًّا وَمَثَلاً، كَقَوْلِهِ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾[١].

---

١) سورة يونس، آية: ٣١-٣٦

التوحيد والنبوة قرينان في الإيمان

وَلَمَّا قَرَّرَ الوَحْدَانِيَّةَ قَرَّرَ النُّبُوَّةَ كَذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [١].

وَهَؤُلَاءِ مَثَّلُوا المَخْلُوقَ بِالخَالِقِ!!، وَهَذَا مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ، وَلَمْ يَكُنْ المُشْرِكُونَ يُسَوُّونَ بَيْنَ آلِهَتِهِمْ وَبَيْنَ اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ المَالِكُ/ لَهُمْ، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَمْلُوكُونَ لَهُ، وَلَكِنْ كَانُوا يُسَوُّونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا فِي المَحَبَّةِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالدُّعَاءِ، وَالعِبَادَةِ، وَالنَّذْرِ لَهَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَخُصُّ بِهِ الرَّبُّ. (١٨/١)

الشرك هو مساواة الله بغيره في خصائصه

فَمَنْ عَدَلَ بِاللهِ غَيْرَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ مُشْرِكٌ، بِخِلَافِ مَنْ لَا يَعْدِلُ بِهِ وَلَكِنْ يُذْنِبُ مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّ اللهَ رَبُّهُ وَحْدَهُ، وَخُضُوعُهُ لَهُ خَوْفًا مِنْ عُقُوبَةِ الذَّنْبِ، فَهَذَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَعْتَرِفُ بِتَحْرِيمِ ذَلِكَ.

---

١) سورة يونس، آية: ٣٧-٣٩

## فصل

التفريق بين المختلفات والجمع بين المتماثلات

وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَإِنَّهُ يَجْمَعُ وَيُسَوِّي بَيْنَ الأُمُورِ الْمُتَمَاثِلَةِ، فَيَحْكُمُ فِي الشَّيْءِ خَلْقًا وَأَمْرًا بِحُكْمِ مِثْلِهِ، لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ مُتَمَاثِلَيْنِ، وَلَا يُسَوِّي بَيْنَ شَيْئَيْنِ غَيْرِ مُتَمَاثِلَيْنِ؛ بَلْ إِنْ كَانَا مُخْتَلِفَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ لَمْ يُسَوِّ بَيْنَهُمَا.

لفظ الاختلاف في القرآن

وَلَفْظُ الاِخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ يُرَادُ بِهِ التَّضَادُّ وَالتَّعَارُضُ؛ لَا يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدُ عَدَمِ التَّمَاثُلِ؛ كَمَا هُوَ اصْطِلَاحُ كَثِيرٍ مِنَ النُّظَّارِ[1]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ ﴾[3]، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾[4].

---

١) يقصد بهم أئمة ومجتهدي المتكلمين.

٢) سورة النساء، آية: ٨٢

٣) سورة الذاريات، آية: ٨-٩

٤) سورة البقرة، آية: ٢٥٣

معنى السنة في اللغة

وَقَدْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ السُّنَّةَ لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَحَوَّلُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَالسُّنَّةُ هِيَ العَادَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَنْ يَفْعَلَ فِي الثَّانِي مِثْلَ مَا فَعَلَ بِنَظِيرِهِ الأَوَّلِ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالاعْتِبَارِ، وَقَالَ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(١).

معنى الاعتبار في اللغة

وَالاعْتِبَارُ: أَنْ يُقْرَنَ الشَّيْءُ بِمِثْلِهِ فَيُعْلَمَ أَنَّ حُكْمَهُ مِثْلُ حُكْمِهِ.

[ص/١٢]

كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ب: «هَلاَّ اعْتَبَرْتُمُ الأَصَابِعَ بِالأَسْنَانِ؟»(٢)./

فَإِذَا قَالَ: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۝٢ ﴾(٣)، وَقَالَ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(٤) أَفَادَ أَنَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ جُوزِيَ مِثْلَ

---

١) سورة يوسف، آية: ١١١

٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب العقول، باب: العمل في عقل الأسنان، رقم (٣٧١١) بإسناد صحيح، ورواه عنه الشافعي في الأم ٦/ ١٢٥، وعبدالرزاق في المصنف ٩/ ٣٤٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٩٠، وغيرهم، وفيه قصة منها قولة ابن عباس: «لو لم تعتبر ذلك إلا بالأصابع، عقلها سواء»، وإيراد شيخ الإسلام لها هنا بالمعنى، والله أعلم.

٣) سورة الحشر، آية: ٢

٤) سورة يوسف، آية: ١١١

جَزَائِهِمْ؛ لِيَحْذَرَ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ أَعْمَالِ الكُفَّارِ؛ وَلِيَرْغَبَ فِي أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ أَعْمَالِ المُؤْمِنِينَ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[2].

[١٩/٥]

النفاق وآثاره بين المسلمين

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[3] وَهَذِهِ الآيَةُ أَنْزَلَهَا اللهُ قَبْلَ الأَحْزَابِ، وَظُهُورِ الإِسْلَامِ، وَذُلِّ المُنَافِقِينَ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُظْهِرُوا بَعْدَ هَذَا مَا كَانُوا يُظْهِرُونَهُ

---

١) سورة آل عمران، آية: ١٣٧

٢) سورة الإسراء، آية: ٧٦-٧٧

٣) سورة الأحزاب، آية: ٦٠-٦٢

قَبْلَ ذَلِكَ، قَبْلَ بَدْرٍ وَبَعْدَهَا، وَقَبْلَ أُحُدٍ وَبَعْدَهَا، فَأَخْفَوْا النِّفَاقَ وَكَتَمُوهُ؛ فَلِهَذَا لَمْ يَقْتُلْهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَبِهَذَا يُجِيبُ مَنْ لَمْ يَقْتُلِ الزَّنَادِقَةَ[1].

وَيَقُولُ: إِذَا أَخْفَوْا زَنْدَقَتَهُمْ لَمْ يُمْكِنْ قَتْلُهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا أَظْهَرُوهَا قُتِلُوا بِهَذِهِ الآيَةِ؛ بِقَوْلِهِ: ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝٦١ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢ ﴾[2].

قَالَ قَتَادَةُ: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يُظْهِرُونَ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ؛ فَأَوْعَدَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الآيَةِ [﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾ أَيْ لَنَحْمِلَنَّكَ عَلَيْهِمْ، وَلَنُحَرِّشَنَّكَ بِهِمْ][3] فَلَمَّا أَوْعَدَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ الآيَةِ، كَتَمُوا ذَلِكَ وَأَسَرُّوهُ [﴿ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ ﴾ ﴿ مَلْعُونِينَ ﴾، أَيْ بِالْمَدِينَةِ {مَلْعُونِينَ}، قَالَ: عَلَى كُلِّ حَالٍ ﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوا

---

١) الزنادقة: جمع زنديق، وهي كلمة فارسية معربة، بمعنى: النفاق الكبير، والإلحاد العظيم، ويراد بهم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

يُنظر: لسان العرب لابن منظور ١٠/ ١٤٧، مادة (زندق).

٢) سورة الأحزاب، آية: ٦١-٦٢

٣) ساقط من (س) و(ك) و(م) وأتممته من تفسير ابن أبي حاتم ليُفهم النصُّ على مُراده.

أُخِذُوٓاْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾، قال: إذا هم أظهروا النفاق[1] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾[2]، يقول: «هكذا سُنَّةُ الله فيهم إذا أظهروا النفاق»[3].

قال مقاتل بن حيان: قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ يعني كما قُتِلَ أهل بدر وأُسِرُوا فذلك قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾.

أنواع المنافقين في عمل الفواحش

قال السُّدِّي: «كان النفاق على ثلاثة أوجه:

---

١) ساقط من (س) و(ك) و(م) وأثبته من تفسير ابن أبي حاتم لنفس العلة السابقة.

٢) سورة الأحزاب، آية: ٦٢

٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٥٥-٣١٥٦

نِـفَـاقٌ مِـثْـلُ نِـفَـاقِ عَبْدِالله بْـنِ أُبَيٍّ[1]، وَعَبْدِالله بْـنِ [نَـبْـتَـلٍ][2]،

---

١) هو عبدالله بن أُبيّ بن مالك بن الحارث العوفي الخزرجي، أبو الحُباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خُزاعة، رأس المُنافقين في عهد النبي ﷺ بالمدينة، ونزل في ذمة آيات كثيرة مشهورة، مات سنة ٩هـ وصلى عليه النبي ﷺ، وكفنه في قميصه، قبل النهي عن الصلاة على المُنافقين، وإنما صلّى عليه لكرامة ابنه عبدالله عنده ﷺ.

يُنظر: تهذيب الأسماء ١/ ٣٥٦، البداية والنهاية ٥/ ٤٧

تنبيه: (عبدالله بن أُبي) كُتبُ أنه زيادةٌ من شيخ الإسلام لأني لم أجده عند ابن أبي حاتم في تفسيره المطبوع (ت: الطيب)، ولكن مع البحث وجدتُ صِدقَ نقل شيخ الإسلام فهو مُثبتٌ عند السيوطي في الدُّر المنثور ١٢/ ١٤٧ (ت: التركي) نقلاً عن ابن أبي حاتم في تفسيره والله أعلم.

٢) في (س) و(ك) و(م) (عبدالله بن نُعيل) وهو تصحيفٌ عن (عبدالله بن نَبْتَل)، وذلك لأمرين:

أحدهما: أنه لا يوجد حسب اطلاعي رجلٌ من المُنافقين بهذا الاسم.

والثاني: أنَّ المُفسرين الذين ذكروا القصة ذكروه باسم (عبدالله بن نَبْتَل).

وهو عبدالله بن نَبْتَل ـ بنون فباء موحدة فمثناة فوقية ـ بن الحارث العوفي الخزرجي، من أقران ابن سلول وأصحابه، ويُعدُّ من كبار المُنافقين في عهد النبي ﷺ بالمدينة، وكان من الذين يجالسون رسول الله ﷺ ثم يرفعون حديثه إلى اليهود، ونزل في ذمه آيات مشهورة.

يُنظر: تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣١٥٦، تفسير الطبري ١٤/ ٢٨٠، تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٢

وَمَالِكِ بْنِ دَاعِسٍ[1]، فَكَانَ هَؤُلَاءِ وُجُوهًا مِنْ وُجُوهِ الأَنْصَارِ، فَكَانُوا يَسْتَحْيُونَ أَنْ يَأْتُوا الزِّنَا، يَصُونُونَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ.

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[2] قَالَ: [الزِّنَا][3] إِنْ وَجَدُوهُ [عَمِلُوهُ][4]، وَإِنْ لَمْ يَجِدُوهُ لَمْ [يَبْتَغُوهُ][5].

وَنِفَاقٌ يُكَابِرُونَ النِّسَاءَ مُكَابَرَةً، وَهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ/ [يُكَابِرُونَ النِّسَاءَ [١٠٧/ب]

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ ﴾ يَقُولُ: لَنُعْلِمَنَّكَ بِهِمْ][6]، ثُمَّ قَالَ: ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ ثُمَّ فَصَّلَهُ فِي

---

١) هو مالك بن داعس من كبار المُنافقين في عهد النبي ﷺ بالمدينة، ونزل في ذمه آيات مشهورة.

يُنظر: تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣١٥٦، الدُّر المنثور ١٢/ ١٤٧ (ت: التركي).

٢) سورة الأحزاب، آية: ٦٠

٣) في (س) و(ك) (م) (الزُّنَاة) وهو تصحيفٌ، والأظهر ما أثبته لموافقته التفسير، ولصحة عود الضمير إليه.

٤) في (م) (عملوا به).

٥) في (س) و(ك) و(م) (يَبْغُوهُ) وهو تصحيفٌ، والأظهر ما أثبته لموافقته التفسير.

٦) في (س) و(ك) و(م) (يجلسُونَ عَلَى الطَّرِيقِ) وفيه سقطٌ وتصحيفٌ، وصوبته وأتممته من تفسير ابن أبي حاتم.

الآيَةِ ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا﴾ يَعْمَلُونَ هَذَا العَمَلَ مُكَابَرَةَ النِّسَاءِ [﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝٦١﴾][1].

قَالَ السُّدِّي: هَذَا حُكْمٌ فِي القُرْآنِ لَيْسَ يُعْمَلُ بِهِ؛ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ اقْتَصُّوا أَثَرَ امْرَأَةٍ، فَغَلَبُوهَا عَلَى نَفْسِهَا، فَفَجَرُوا بِهَا كَانَ الحُكْمُ فِيهِمْ غَيْرَ الجَلْدِ، وَالرَّجْمِ؛ أَنْ يُؤْخَذُوا فَتُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ.

قَالَ السُّدِّي: قَوْلُهُ: ﴿سُنَّةَ﴾ كَذَلِكَ كَانَ يُفْعَلُ بِمَنْ مَضَى مِنَ الأُمَمِ.

حكم مكابرة النساء على الزنا

قَالَ: فَمَنْ كَابَرَ امْرَأَةً عَلَى نَفْسِهَا [فَغَلَبَهَا][2] فَقُتِلَ، فَلَيْسَ عَلَى قَاتِلِهِ دِيَةٌ، لِأَنَّهُ مُكَابِرٌ»[3].

قُلْتُ: هَذَا عَلَى وَجْهَيْنِ:

---

١) ساقطٌ مِن (س) و(ك) و(م)، وأثبته مِن تفسير ابن أبي حاتم.

٢) ساقطٌ مِن (س) و(ك) و(م)، وأثبته مِن تفسير ابن أبي حاتم.

٣) تفسير ابن أبي حاتم ٩/ ٣١٥٦ (ت: الطيب).

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقْتَلَ دَفْعاً لِصَوْلِهِ عَنْهَا، مِثْلَ أَنْ يَقْهَرَهَا فَهَذَا دَخَلَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ قُتِلَ دُونَ حُرْمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[1]، وَهَذِهِ لَهَا أَنْ تَدْفَعَهُ بِالقَتْلِ؛ لَكِنْ إِذَا طَاوَعَتْ فَفِيهِ نِزَاعٌ وَتَفْصِيلٌ.

---

١) أشكل عليَّ هذا الحديث بهذا اللفظ كثيراً !!، فهو ثابتٌ بلفظ (مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) كما عند أبي داود في كتاب السُّنة، بَابٌ: فِي قِتَالِ اللُّصُوصِ، رقم (٤١٤٢)، والترمذي في كتاب الدِّيات، باب: مَا جَاءَ فِيمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، رقم (١٣٤١)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، والنسائي في كتاب تحريم الدَّم، باب: مَنْ قَاتَلَ دُونَ دِينِهِ، رقم (٤٠٢٧)، كُلُّهم عن سعيد بن زيد، أمَّا لَفظُ (حُرْمَتِهِ) فلم أجدها في كُتُب السُّنة التي بين يديَّ، وإنما هي مشهورة من لفظ شيخ الإسلام، فقد ذكرها في (منهاج السُّنة النبوية ٣/ ٢٩٢)، وفي (الفتاوى الكبرى ٣/ ٤٥٩،٥٥١)، وفي (السياسة الشرعية ٣٧)، وغيرها، وتناقلها العُلماء كذلك كالشيخ ابن قاسم في حاشية الروض المربع ٤/ ٢٨، والشيخ السيِّد سابق في فقه السُّنة ١/ ٦٧١، ولولا تواتر هذه العبارات في أكثر من كتاب لشيخ الإسلام لقُلتُ أنها مُصحَّفة من (دينه) لورودها في الأحاديث، ولكن الشيخ يستدل بها في الجناية على النساء والأهل، فإمَّا أنَّ الشيخ يوردها بالمعنى، أو أنه طالعها في مرجع لم أقف عليه، والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنَّ الشيخ عبَّر بعبارةِ الإمام أحمد لمَّا سُئل عن الرَّجُلِ يُقَاتِلُ دُونَ حُرْمَتِهِ وأَهْلِهِ، فقال: «يُقَاتِلُ دُونَ حُرْمَتِهِ»، وقد بوَّب لها الخلاَّل في السُّنة ١/ ١٦٤، فقال: بَابُ مَنْ قَاتَلَ دُونَ حُرْمَتِهِ.

قال الدكتور محمد رشاد سالم: «لم أجد عبارة (مَنْ قُتِلَ دُونَ حُرْمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)».

وَفِيهِ قَضِيَّتَانِ مِنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ مَعْرُوفَتَانِ[١]، وَأَمَّا إِذَا فَجَرَ بِهَا مُسْتَكْرِهًا، وَلَمْ نَجِدْ مَنْ يُعِينُهَا عَلَيْهِ، فَهَؤُلَاءِ نَوْعَانِ:

أنواع مكابرة النساء على أمرها

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ لَهُ شَوْكَةٌ كَالمُحَارِبِينَ لِأَخْذِ المَالِ، وَهَؤُلَاءِ مُحَارِبُونَ لِلْفَاحِشَةِ فَيُقْتَلُوا، [وَقَوْلُ السُّدِّي][٢] قَدْ قَالَهُ غَيْرُهُ.

---

وقال الشيخ أبو الأشبال الزهيري: «لم أقف عليه بهذه اللفظة (حُرْمَتِي)».

١) أمّا قصة عُمر بن الخطاب فقد رواها عبدالرزاق في مُصنفه ٩/ ٤٣٥، وابن أبي شيبة في مُصنفه ٩/ ٣٧١، والبيهقي في سُننه الكبرى ٨/ ٣٣٧ وهي أنَّ رجُلاً أضافَ إنساناً من هُذيل، فذهبت جاريةٌ منهم تحتطبُ، فأرادها على نفسها، فرمتهُ بِفِهْرٍ فقتلته، فرُفِعَ إلى عُمرَ، قال: «ذلك قتيلُ الله، لا يُودى أبداً».

وأمّا قصة علي بن أبي طالب فقد رواها مالكٌ في الموطأ ٢/ ٧٣٧، والبيهقي في سُنه الكبرى ٨/ ٢٣٠، وهي أنَّ رجُلاً من أهل الشام يُقال له ابن خيبري وجد مع امرأته رجُلاً فقتله، أو قتلهما معاً، فسُئل عن حُكمه عليّ فقال: «أنا أبو حسن، إن لم يأتِ بأربعة شهداء فليُعْطَ برُمَّتِه». قال البغوي في تفسيرها في شرح السُّنة ٩/ ٢٦٥: «أي: يُسلَّم إلى أولياء القتيل ليقتلوه، والرُّمَّة: الحبل الذي يشد به الأسير إلى أن يُقتل، أي: يُسلَّم إليهم بحبل في عنقه».

وقال كذلك في شرح السنة ١٠/ ٢٥٢: «والعمل على هذا عند أهل العلم أنَّ مَن عضَّ رجلاً فلم يكن سبيل إلى الخلاص منه إلاَّ بقلع سنه، أو قصد نفسه، فلم يمكنه دفعه إلا بالقتل، فقتله، يكون دمه هدراً، لأنه هو الذي اضطره إلى ذلك، ومَن جنى على نفسه لا يؤاخذ به غيره، وكذلك لو قصد رجلٌ الفجور بامرأة، فدفعته عن نفسها، فقتلته لا شيء عليها ..».

٢) في (س) و(ك) و(م) (قال السُّدِّي) وهو تصحيفٌ، والأقرب ما أثبته، لأن الكلام ينضبط إذا كان لشيخ الإسلام وليس للسُّدِّي، والله أعلم.

قصة ابن العربي مع المحاربين

وَذَكَرَ [أَبُو بَكْرِ بنُ العَرَبِيِّ][1] أَنَّ هَذِهِ جَرَتْ عِنْدَهُ، وَرَأَى أَنَّ هَؤُلاءِ أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا مُحَارِبِينَ.

---

١) في (س) و(ك) و(م) (أبو اللوبي) وهو تصحيفٌ، والأظهر ما أثبت، وشيخ الإسلام يذكره كثيراً، ويستحسن فقهه، ويرد عليه فيما خالف عقيدة السلف، كما في بُغية المرتاد ٢٥٦، والرّد على المنطقيين ٩٤، والصفدية ١/ ٢١١، ودرء التعارض ٣/ ١٩، وغيرها.

وهو: أبو بكر محمّد بن عبدالله بن العربي الأشبيلي الأندلسي المالكي، الإمام العلاّمة القاضي، ارتحل إلى الحرمين وبغداد ودمشق وبيت المقدس، وتفنن في علوم كثيرة، قال عنه الذّهبي: «وكان ثاقب الذّهن، عذب المنطق، كريم الشّمائل، كامل السّؤدد، ولي قضاء أشبيلية، فحُمدت سياسته، وكان ذا شدّةٍ وسطوة، فعُزل، وأقبل على نشر العلم وتدوينه»، ومن أشهر مؤلفاته (العواصم من القواصم)، و(أحكام القرآن)، و(عارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي)، توفي بفاس سنة ٥٤٣هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧، الديباج المذهب ٣٧٦

والقصة أوردها القاضي ابن العربي في كتابه أحكام القرآن ٣/ ١٥٩. فقال: «ولقد كُنتُ أيّام تَوْلِيَةِ القضاء قد رُفع إليَّ قومٌ خرجوا مُحاربين إلى رُفقة، فأخذوا منهم امرأةً مُغالبةً على نفْسِها من زوجها ومن جُملة المسلمين معهُ فيها فاحتملوها، ثمّ جدّ فيهم الطّلبُ فأُخذُوا وجيء بهم، فسألتُ مَن كان ابتلاني الله به من المُفتين، فقالوا: ليسوا مُحاربين؛ لأنّ الحرابة إنّما تكونُ في الأموال لا في الفُرُوج. فقُلتُ لهم: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ألم تعلموا أنّ الحرابة في الفُرُوج أفحشُ منها في الأموال، وأنّ النّاس كُلّهم ليرضون أن تذهب أموالهم، وتُحرَبَ من

وَالثَّانِي: أَنْ لَا يَكُونُوا ذَوِي شَوْكَةٍ؛ بَلْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ غِيلَةً وَاحْتِيَالًا؛ حَتَّى إِذَا صَارَتْ عِنْدَهُمُ الْمَرْأَةُ أَكْرَهُوهَا فَهَذَا الْمُحَارِبُ غِيلَةً؛ كَمَا قَالَ السُّدِّي، يُقْتَلُ أَيْضاً، وَإِنْ كَانُوا جَمَاعَةً فِي الْمِصْرِ، فَهُمْ كَالْمُحَارِبِينَ فِي الْمِصْرِ، وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ لَهَا مَوَاضِعُ أُخَرُ.

سنن الله لا تتبدل ولا تتحول

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّ سُنَّتَهُ لَنْ تُبَدَّلَ، وَلَنْ تَتَحَوَّلَ، وَسُنَّتُهُ عَادَتُهُ الَّتِي يُسَوِّي فِيهَا بَيْنَ الشَّيْءِ وَبَيْنَ نَظِيرِهِ الْمَاضِي، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْكُمُ فِي الأُمُورِ الْمُتَمَاثِلَةِ بِأَحْكَامٍ مُتَمَاثِلَةٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ ﴾ [1]، وَقَالَ: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [2] أَيْ أَشْبَاهَهُمْ وَنُظَرَاءَهُمْ، وَقَالَ: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ ﴾ [3] قَرَنَ النَّظِيرَ بِنَظِيرِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا

---

بين أهليهم، ولا يُخرِّب المرءُ بين زوجته وبيته، ولو كان فوق ما قال الله عُقُوبةً لكانت لمن يسلُبُ الفُرُوج، وحسبُكم من بلاءٍ صُحبةُ الجُهَّال، وخُصُوصاً في الفُتيا والقضاء»، والقصة مشهورةٌ في كُتب الفقهاء.

١) سورة القمر، آية : ٤٣

٢) سورة الصافات، آية : ٢٢

٣) سورة التكوير، آية : ٧

[١١/ط] الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾(١)، وقال: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا﴾(٢)، وقال: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾(٣).

[س/١٧] فجعل التابعين/ لهم بإحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة، وقد قال تعالى: ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك

---

١) سورة البقرة، آية: ٢١٤

٢) سورة الممتحنة، آية: ٤

٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠

٤) سورة الأنفال، آية: ٧٥

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾(٢).

اتباع السلف في القول والعمل أساس الصلاح

فَمَنْ اتَّبَعَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ كَانَ مِنْهُمْ، وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ(٣)، فَإِنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَأُولَئِكَ خَيْرُ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ كَمَا ثَبَتَ فِي الصِّحَاحِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُ القُرُونِ القَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)(٤).

وَلِهَذَا كَانَ مَعْرِفَةُ أَقْوَالِهِمْ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ وَأَعْمَالِهِمْ خَيْرًا وَأَنْفَعَ مِنْ مَعْرِفَةِ أَقْوَالِ المُتَأَخِّرِينَ وَأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ وَأَعْمَالِهِ، كَالتَّفْسِيرِ، وَأُصُولِ

---

١) سورة الحشر، آية : ١٠

٢) سورة الجمعة، آية : ٣

٣) اتباع السّلف الصالح من القرون المُفضلة لا يكون إلاّ بالعِلم الشّرعي المأخوذ عنهم، والعَمل بما كانوا عليه من الاعتقاد والتعبُّد والأخلاق، وفوق ذلك كُله التضرع إلى الله دوماً بأن يرزقه الاقتداء بهم، والثبات على نهجهم، فاللّهُم ارزقنا وثبتنا، وعلمْنا ما ينفعنا.

٤) رواه البخاري في كتاب الشهادات، بَابُ: لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ رقم (٢٤٥٧)، ومسلم في كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ: فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، رقم (٤٦٠٣) كِلاهما عن عِمْران بن حصين، وفيهما عن غيره كذلك.

الدين، وفروعه، والزهد، والعبادة، والأخلاق، والجهاد، وغير ذلك؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم.

وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم؛ فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم،/ ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ (١).

[ك/١٢]

منهج المتأخرين في حكاية الإجماع في المسائل العلمية

وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلوك سبيلهم، ولا لهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم، بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به لا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف، فهؤلاء تجد عمدتهم في كثير من الأمور المهمة في الدين إنما هو عما

---

١) سورة النساء، آية : ٥٩

يَظُنُّونَهُ مِنَ الإِجْمَاعِ، وَهُمْ لا يَعْرِفُونَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالَ السَّلَفِ أَلْبَتَّةَ، أَوْ عَرَفُوا بَعْضَهَا وَلَمْ يَعْرِفُوا سَائِرَهَا.

فَتَارَةً يَحْكُونَ الإِجْمَاعَ وَلا يَعْلَمُونَ إِلَّا قَوْلَهُمْ، وَقَوْلَ مَنْ يُنَازِعُهُمْ مِنَ الطَّوَائِفِ المُتَأَخِّرِينَ؛ طَائِفَةٍ أَوْ طَائِفَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ.

وَتَارَةً عَرَفُوا أَقْوَالَ بَعْضِ السَّلَفِ.

وَالأَوَّلُ كَثِيرٌ فِي مَسَائِلِ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ؛ كَمَا تَجِدُ كُتُبَ أَهْلِ الكَلامِ مَشْحُونَةً بِذَلِكَ، يَحْكُونَ إِجْمَاعاً وَنِزَاعاً وَلا يَعْرِفُونَ مَا قَالَ السَّلَفُ فِي ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ؛ بَلْ قَدْ يَكُونُ قَوْلُ السَّلَفِ خَارِجاً عَنْ أَقْوَالِهِمْ؛ كَمَا تَجِدُ ذَلِكَ فِي مَسَائِلِ أَقْوَالِ اللهِ وَأَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ؛ مِثْلَ مَسْأَلَةِ القُرْآنِ، وَالرُّؤْيَةِ، وَالقَدَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهُمْ إِذَا ذَكَرُوا إِجْمَاعَ المُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِهَذَا الإِجْمَاعِ، فَإِنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ العِلْمُ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ هَؤُلاءِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِهِ؛ لِعَدَمِ عِلْمِهِمْ بِأَقْوَالِ السَّلَفِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ المُسْلِمُونَ يَتَعَذَّرُ القَطْعُ بِإِجْمَاعِهِمْ فِي مَسَائِلِ النِّزَاعِ؛ بِخِلافِ السَّلَفِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ العِلْمُ بِإِجْمَاعِهِمْ كَثِيراً.

وَإِذَا ذَكَرُوا نِزَاعَ المُتَأَخِّرِينَ لَمْ يَكُنْ بِمُجَرَّدِ ذَلِكَ أَنْ يُجْعَلَ هَذِهِ مِنْ مَسَائِلِ الاجْتِهَادِ الَّتِي يَكُونُ كُلُّ قَوْلٍ مِنْ تِلْكَ الأَقْوَالِ سَائِغًا لَمْ يُخَالِفْ إِجْمَاعًا؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ أُصُولِ المُتَأَخِّرِينَ مُحْدَثٌ مُبْتَدَعٌ فِي الإِسْلَامِ، مَسْبُوقٌ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ عَلَى خِلَافِهِ، وَالنِّزَاعُ الحَادِثُ بَعْدَ إِجْمَاعِ السَّلَفِ خَطَأٌ قَطْعًا، كَخِلَافِ الخَوَارِجِ[1]/ (١٢/الف) وَالرَّافِضَةِ[2] وَالقَدَرِيَّةِ[3] وَالمُرْجِئَةِ[4] مِمَّنْ قَدِ اشْتَهَرَتْ لَهُمْ أَقْوَالٌ خَالَفُوا فِيهَا

---

١) الخوارج: طائفة خرجت عن جماعة المسلمين زمن علي بن أبي طالب، ومن عقائدهم تكفير أصحاب الكبائر، والبراءة من بعض الصحابة، والخروج على الأئمة، وهم فرق متعددة، منهم: المحكِّمة، والأزارقة، والإباضية، وغيرهم.

يُنظر: مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٧، التنبيه والرّد ٤٧، الملل والنحل ١/ ١١٤

٢) الرّافضة: طائفة رفضوا الشريعة وخلافة الشيخين، ومن عقائدهم إمامة علي ا بعد وفاة النبي ﷺ، وسبُّ جمهور الصحابة وتكفيرهم، والقول بتحريف القرآن ورد السُّنة، والقول بالبداءة على الله، والرجعة للإمام الغائب، وقذف أم المؤمنين عائشة، وغير ذلك.

يُنظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٨٨، الملل والنحل ١/ ١٦٢

٣) القدرية: طائفتان مشهورتان، فالأول حدثت في أواخر عهد الصحابة، وهم ينفون العلم والكتابة عن الله تعالى، وهؤلاء اندثروا مع الزمن، وقد تبرأ منهم مَن بقي من الصحابة، وطائفة نسبت خلق أفعال العباد إلى أنفسهم، ويسلبون من الله عزّ وجل أي قدرة أو تأثير في أفعال عباده، ومن أشهر فرقها المعتزلة والزيدية.

يُنظر: الفرق بين الفرق ٢٤، التنبيه والرد ١٧٦-١٨٧

٤) المرجئة: طائفة أخرجت العمل عن مسمى الإيمان، وهم أصناف كثر منها الجهمية والأشاعرة والماتريدية والكرّامية وغيرهم.

النُّصُوصَ الْمُسْتَفِيضَةَ الْمَعْلُومَةَ، وَإِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ، بِخِلَافِ مَا يُعْرَفُ مِنْ نِزَاعِ السَّلَفِ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ، وَإِنَّمَا يُرَدُّ بِالنَّصِّ.

مسألة: إجماع التابعين فيما اختلف فيه الصحابة

وَإِذَا قِيلَ: قَدْ أَجْمَعَ التَّابِعُونَ عَلَى أَحَدِ قَوْلَيْهِمْ فَارْتَفَعَ النِّزَاعُ.

فَمِثْلُ هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: الْعِلْمُ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ يَقُولُ بِقَوْلِ الْآخَرِ، وَهَذَا مُتَعَذِّرٌ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ مِثْلَ هَذَا هَلْ يَرْفَعُ النِّزَاعَ، [فِيهِ خِلَافٌ][1] مَشْهُورٌ، فَنِزَاعُ السَّلَفِ يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِهِ إِذَا كَانَ مَعَهُ حُجَّةٌ؛ إِذْ [النُّصُوصُ][2] عَلَى خِلَافِهِ، وَنِزَاعُ

---

يُنظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٣، التنبيه والرّد ١٤٦، الملل والنحل ١/ ١٣٩

١) في (س) و(م) بياض، وفي (ك) الكلام مُتصلٌ، والأقرب أنّه هُنا بياض بمقدار كلمتين بمعنى ما أثبته، والله أعلم.

٢) في (س) و(م) بياض، وفي (ك) الكلام مُتصلٌ، والأقرب أنّه هُنا بياض بمقدار كلمة واحدة بمعنى ما أثبته، والله أعلم.

المُتَأَخِّرِينَ لَا يُمْكِنُ [حَصْرُهُ][1]، لِأَنَّ كَثِيراً مِنْهُ قَدْ تَقَدَّمَ الإِجْمَاعُ عَلَى خِلَافِهِ كَمَا دَلَّتِ النُّصُوصُ عَلَى خِلَافِهِ، وَمُخَالَفَةُ إِجْمَاعِ السَّلَفِ خَطَأٌ قَطْعاً.

وَأَيْضاً فَلَمْ يَبْقَ مَسْأَلَةٌ فِي الدِّينِ إِلَّا وَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا السَّلَفُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَوْلٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ القَوْلَ أَوْ يُوَافِقُهُ، وَقَدْ بَسَطْنَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ أَنَّ الصَّوَابَ فِي أَقْوَالِهِمْ أَكْثَرُ وَأَحْسَنُ، وَأَنَّ خَطَأَهُمْ أَخَفُّ مِنْ خَطَإِ المُتَأَخِّرِينَ، وَأَنَّ المُتَأَخِّرِينَ أَكْثَرُ خَطَأً وَأَفْحَشُ، وَهَذَا فِي جَمِيعِ عُلُومِ الدِّينِ[2] وَلِهَذَا أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ يَضِيقُ هَذَا المَوْضِعُ عَنِ اسْتِقْصَائِهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

---

١) في (س) و(م) بياض، وفي (ك) الكلام متصلٌ، والأقرب أنَّه هُنا بياض بمقدار كلمة واحدة بمعنى ما أثبته، والله أعلم.

٢) قال شيخ الإسلام في منهاج السُّنة ٦/ ٤٢: «وقد ثبت في موضع غير هذا أنَّ اجتهادات السَّلف من الصَّحابة والتابعين كانت أكمل من اجتهادات المُتأخرين، وأنَّ صوابهم أكمل من صواب المُتأخرين، وخطاهم أخفُّ من خطأ المُتأخرين».

## فَصْلٌ

إن النبي ﷺ إذا عرف لفظه به القرآن أو السنة لم يحتج إلى تفسير أهل اللغة

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ القُرْآنَ وَالحَدِيثَ إِذَا عُرِفَ تَفْسِيرُهُ مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يُحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ أَهْلِ اللُّغَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ عُرِفَ تَفْسِيرُهُ وَمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يُحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى الاسْتِدْلَالِ بِأَقْوَالِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَلَا غَيْرِهِمْ.

أنواع الأسماء عند الفقهاء

وَلِهَذَا قَالَ الفُقَهَاءُ: الأَسْمَاءُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

نَوْعٌ يُعْرَفُ حَدُّهُ بِالشَّرْعِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.

وَنَوْعٌ يُعْرَفُ حَدُّهُ بِاللُّغَةِ كَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ.

وَنَوْعٌ يُعْرَفُ حَدُّهُ بِالعُرْفِ كَلَفْظِ القَبْضِ، وَلَفْظِ المَعْرُوفِ فِي قَوْلِهِ:

[ك/١٤] ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(١)./

وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمُ اعْتِصَامُهُمْ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَكَانَ

[س/٦] مِنَ الأُصُولِ المُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ/ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْ

---

١) سورة النساء، آية : ١٩

أَحَدٍ قَطُّ أَنْ يُعَارِضَ القُرْآنَ، لَا بِرَأْيِهِ، وَلَا ذَوْقِهِ، وَلَا مَعْقُولِهِ، وَلَا قِيَاسِهِ، وَلَا وَجْدِهِ.

فَإِنَّهُمْ ثَبَتَ عَنْهُمْ بِالبَرَاهِينِ القَطْعِيَّاتِ وَالآيَاتِ البَيِّنَاتِ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ، وَأَنَّ القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، فِيهِ نَبَأُ مَنْ قَبْلَهُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَهُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَهُمْ، هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، هُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسُنُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُزِيغَهُ إِلَى هَوَاهُ، وَلَا يُحَرِّفَ بِهِ لِسَانَهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ التَّرْدَادِ، فَإِذَا رُدِّدَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لَمْ يَخْلَقْ وَلَمْ يُمَلَّ كَغَيْرِهِ مِنَ الكَلَامِ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[1].

---

١) هذه الفضائل للقرآن مجموعة من أحاديث روى بعضها الترمذي في كتاب فضائل القُرآن، باب: ما جاء في فضل القُرآن، رقم (٢٩٠٦)، والدارمي في كتاب فضائل القُرآن، باب: فضل من قرأ القُرآن، رقم (٣٣٩٤)، والبزار في مُسند عليّ بن أبي طالب، رقم (٧٥٢)، وابن أبي شيبة في المُصنف ٧/ ١٦٤، كُلُّهم من طريق أبي المُختار الطَّائي عن ابن أخي الحارث

السلف لا يعارضون القرآن بالعقل أو غيره

فَكَانَ القُرْآنُ هُوَ الإِمَامَ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ؛ وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ عَارَضَ القُرْآنَ بِعَقْلٍ وَرَأْيٍ وَقِيَاسٍ، وَلَا بِذَوْقٍ(١) وَوَجْدٍ(٢)

---

الأعور عن الحارث، وأبو المُختار الطَّائي وابن أخي الحارث (مجهولان) كما قاله الحافظُ ابن حجر في التقريب، ووافقه المُباركفوري في تُحفة الأحوذي.

قال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهولٌ، وفي الحارث مقالٌ»، وضعّفه الألباني في المُشكاة، وتخريج شرح الطحاوية، وضعيف الترمذي، وغيرها.

١) الذَّوْقُ: «قوةٌ مُنبثّةٌ في العَصَبِ المَفْرُوشِ على جِرْمِ اللِّسَانِ، تُدْرَكُ بها الطُّعُومُ بمُخالطةِ الرُّطوبةِ اللُّعابيّةِ في الفم بالمطعُوم، ووصولها إلى العَصَبِ، والذَّوق في معرفة الله: عِبارةٌ عن نُورٍ عِرْفانيٍّ يَقْذِفُهُ الحَقُّ بتجلّيه في قُلوب أوليائه، يُفرّقون به بين الحقِّ والبَاطِلِ مِن غير أن يَنْقُلوا ذلك مِن كتابٍ أو غيره».

يُنظر: التعريفات للجرجاني ١٧٧، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٧/ ١٠٩: «مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: الذَّوْقُ حَقِيقَةٌ فِي الذَّوْقِ بِالفَمِ، وَالنَّاسُ بِمَا يُلْبَسُ عَلَى البَدَنِ، وَإِنَّمَا اُسْتُعِيرَ هَذَا وَهَذَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلْ قَالَ الخَلِيلُ: الذَّوْقُ فِي لُغَةِ العَرَبِ هُوَ وُجُودُ طَعْمِ الشَّيْءِ، وَالاسْتِعْمَالُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ .. فَلَفْظُ الذَّوْقِ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ مَا يُحِسُّ بِهِ وَيَجِدُ أَلَمَهُ أَوْ لَذَّتَهُ، فَدَعْوَى المُدَّعِي اخْتِصَاصَ لَفْظِ الذَّوْقِ بِمَا يَكُونُ بِالفَمِ تَحَكُّمٌ مِنْهُ»، وقال في الاستقامة ١/ ٢٥٥: «وكُلُّ حُبٍّ وذَوْقٍ وَوَجْدٍ لا تَشْهَدُ لَهُ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ، فَهُوَ مِن أهواء الذين لا يَعْلَمُونَ».

٢) الوَجْدُ: «ما يُصَادِفُ القَلْبَ ويَرِدُ عليه بِلا تَكَلُّفٍ وتَصَنُّعٍ» مِن أثر السَّماعِ الصُّوفي الذي يصحبه الغناء، وضرب الدفوف والمزامير، والتصفيق، والهيجان، ثم يَحِلّ الوَجْدُ في القلب فتنبثق منه الأسرار الظاهرة والباطنة!! والعياذ بالله.

وَمُكَاشَفَةٍ(١)، وَلَا قَالَ قَطُّ قَدْ تَعَارَضَ فِي هَذَا العَقْلُ وَالنَّقْلُ؛ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَقُولَ: «فَيَجِبُ تَقْدِيمُ العَقْلِ، وَالنَّقْلُ - يَعْنِي القُرْآنَ وَالحَدِيثَ وَأَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ - إِمَّا أَنْ يُفَوَّضَ، وَإِمَّا أَنْ يُؤَوَّلَ»(٢) !!.

---

يُنظر: التعريفات للجرجاني ٣٤٤، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٢/ ٤٧٨: «كُلُّ ذَوْقٍ وَوَجْدٍ لا يُطَابِقُ الاعتقادَ فأحدُهُما أو كلاهُما باطِلٌ، وإنَّما الأذواقُ والمواجيدُ نتائجُ المعَارِفِ والاعتقاداتِ، فإنَّ عِلْمَ القَلْبِ وحالَهُ مُتلازِمَانِ، فعلى قَدْرِ العِلْمِ والمعْرِفَةِ يكُونُ الوَجْدُ والمحَبَّةُ والحَالُ، ولو سَلَكَ هؤلاءِ طريقَ الأنبياءِ والمُرسلينَ عليهم السلام الذينَ أمَرُوا بعبادةِ الله تعالى وحدهُ لا شريكَ لَهُ، ووَصَفُوهُ بما وَصَفَ بهِ نَفْسَهُ، وبما وَصَفَتْهُ بهِ رُسُلُهُ، واتَّبَعُوا طريقَ السَّابقينَ الأوَّلينَ لَسَلَكُوا طريقَ الهُدى، ووَجَدُوا بَرْدَ اليقينِ، وقُرَّةَ العَيْنِ».

١) الكَشْفُ: «الإطِّلاعُ على ما وراء الحجاب مِن المَعَاني الغَيْبيَّة، والأمور الحقيقيَّة وجوداً وشُهوداً» مِن دون وحيٍ مِن الله، وإنَّما بالمجاهدة والدُّربة والرياضة!! والعياذ بالله.

يُنظر: التعريفات للجرجاني ٢٦٥، وقال شيخ الإسلام في الرَّد على المنطقيين ٥٣٣: «فإنَّ ابن عربي وهؤلاء يُعَظِّمُون طَرِيقَ الكَشْفِ والمُشَاهدة والرِّيَاضَة والعِبَادة، ويَذُمُّون طريق النَّظَرِ والقِيَاس، وما يَدَّعُونه مِن الكَشْفِ والمُشَاهدة عَامَّتُهُ خَيَالاتٌ في أنفُسِهم، ويُسَمُّونها حقيقة، ولهذا يقول (بابُ أرضِ الحقيقة)، وهي أرضُ الخيال، وقد ادَّعى أنَّ الفُتُوحات المكِّيَّة ألقَاها إليه رَوْحٌ بمكَّة، وإذا كان صَادِقاً فقد ألقاها إليه شيطانٌ مِن الشَّياطين؛ كما كان مُسَيْلِمَة الكذَّاب يُلقي إليه شَيْطَانٌ، وكذلك الأسْوَدُ العَنْسِيُّ، وكذلك غيرُهُمَا مِن المُتنبِّين الكذَّابين».

٢) ويقصد شيخ الإسلام بذلك المُعتزلة والأشاعرة ومَن نحا نحوهم، وقد رَدَّ على الرَّازي في درء التعارض ١/ ٧١ (دار الفضيلة) في قانونه الكُلِّي الذي أسَّس به بدعة الأشاعرة، فقال: «قول القائل: (إذا تعارضت الأدلة السَّمعية والعقلية، أو السَّمع والعقل، أو النقل

وَلَا فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ لَهُ ذَوْقًا، أَوْ وَجْدًا، أَوْ مُخَاطَبَةً(١)، أَوْ مُكَاشَفَةً تُخَالِفُ القُرْآنَ وَالحَدِيثَ؛ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَدَّعِيَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ حَيْثُ يَأْخُذُ

---

والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإمَّا أن يجمع بينهما، وهو محالٌ لأنَّه جمع بين النقيضين، وإمَّا أن يُرَدَّا جميعاً، وإمَّا أن يُقدَّم السَّمع، وهو مُحالٌ لأنَّ العقل أصلُ النقل، فلو قدَّمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقلِ الذي هو أصلُ النقلِ، والقدحُ في أصل الشيء قَدْحٌ فيه، فكان تقديم النقل قَدْحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إمَّا أنْ يُتأوَّل، وإمَّا أنْ يُفوَّض، وأمَّا إذا تعارضا تعارض الضدين، امتنعَ الجمعُ بينهما، ولم يمتنع ارتفاعهما).

وهذا الكلام قد جعله الرَّازي وأتباعه قانوناً كُلِّيّاً فيما يُستدل به مِن كتب الله تعالى وكلام أنبيائه ﷺ، وما لا يُستدل به، ولهذا رَدُّوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمُرسلون في صفات الله تعالى، وغير ذلك مِن الأمور التي أنبأوا بها، وظَنَّ هؤلاء أنَّ العقلَ يُعارضها !!؛ وقد يَضم بعضهم إلى ذلك أنَّ الأدلة السَّمعية لا تُفيد اليقين !!.

١) المُخَاطَبَةُ: وهي خطابٌ يَحصلُ إلى الوَلِيِّ بأمر، أو بنهي، أو يُبشره بشيء في دينه أو دُنياه، يقظةً أو مناماً، ويُطلق عليه الصُّوفية مُسمَّى (الهاتِف)، وهو يُقابلُ الكَشْفَ، فإنَّ الهاتِفَ يكون بالأذن، والكَشْفَ يكون بالعَيْن.

قال شيخ الإسلام في منهاج السُّنة ٢/ ٣٧٤: «ومِن هؤلاء مَن يُخاطِبُه تلك الصُّورة التي يراها بِخطَاب الرُّبوبِيَّة، ويُخاطِبُها أيضاً بذلك، ويَظُن أنَّ ذلك كله موجود في الخارج عنه، وإنَّما هو موجود في نفسه كما يحصل للنائم إذا رأى رَبَّه في صُورة بحسب حاله، فهذه الأمور تقع كثيراً في زماننا وقبله، ويقع الغَلَطُ منهم حيث يظنون أنَّ ذلك موجود في الخارج، وكثيرٌ مِن هؤلاء يتمثل له الشَّيطان، ويرى نوراً، أو عرشاً، أو نوراً على العرش، ويقول أنا رَبُّك،

المَلَكُ الَّذِي يَأْتِي الرَّسُولَ، وَأَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ ذَلِكَ المَعْدِنِ عِلْمَ التَّوْحِيدِ، وَالأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ يَأْخُذُونَ/ عَنْ مِشْكَاتِهِ!!، أَوْ يَقُولَ: الوَلِيُّ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ!!، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ مَقَالَاتِ أَهْلِ الإِلْحَادِ.

[١١٨/ ١]

مقالات أهل الإلحاد منبعها اليهود والنصارى

فَإِنَّ هَذِهِ الأَقْوَالَ لَمْ تَكُنْ حَدَثَتْ بَعْدُ فِي المُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ مِثْلُ هَذِهِ إِمَّا عَنْ مَلَاحِدَةِ اليَهُودِ[١] أَوِ النَّصَارَى[٢]، فَإِنَّ فِيهِمْ مَنْ يُجَوِّزُ أَنَّ غَيْرَ النَّبِيِّ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ؛ كَمَا قَدْ يَقُولُهُ فِي الحَوَارِيِّينَ، فَإِنَّهُمْ عِنْدَهُمْ رُسُلٌ.

---

ومنهم مَن يقول أنا نبيك، وهذا قد وقع لغير واحد، ومن هؤلاء مَن تخاطبه الهواتف بخطاب على لسان الإلهية، أو غير ذلك، ويكون المُخاطِب لهُ جِنِّياً كما قد وقع لغير واحد».
وقال في درء التعارض ٥/ ٢١٨: «وأمّا ما يَقَعُ لأهلِ القُلوبِ من جِنسِ المُخاطبة والمُشاهَدة فَفِيه صَوابٌ وخطأٌ، وإنّما يُفرَّقُ بين صَوابه وخطئه بنُور النُّبوَّة».

١) اليَهُود: قومٌ يدينون بديانة نبي الله موسى، وديانتهم (اليهودية) قيل أنها مشتقة من (يهوذا ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام)، أحد أسباط بني إسرائيل، وقيل اشتقت من الهَود وهو التوبة، كما قال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ الأعراف، آية (١٥٦)، وكتبهم هي (العهد القديم) وهو يحتوي على أشعار وحكم وأساطير وفلسفة وتشريع، وينقسم إلى التوراة وأسفار الأنبياء، و(التلمود) وهو روايات تشريعية إضافية للتوراة.
يُنظر: الموجز في الأديان ٢١-٤٦، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ٣٥-١١٦

٢) النصارى: قومٌ يدينون بديانة نبي الله عيسى، وديانتهم (النصرانية) قيل أنها مشتقة من (بلدة الناصرة بفلسطين) والتي يقال أن المسيح ولد فيها، وقيل اشتقت من النُّصرة التي

وَهُمْ يَقُولُونَ: [أَنَّهُمْ][١] أَفْضَلُ مِنْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ؛ بَلْ وَمِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، وَإِنْ سَمَّوْهُمْ أَنْبِيَاءَ، إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأُمُورِ.

السلف لا يرون نسخ القرآن إلا بالقرآن أو السنة

وَلَمْ يَكُنِ السَّلَفُ يَقْبَلُونَ مُعَارَضَةَ الآيَةِ إِلاَّ بِآيَةٍ أُخْرَى تُفَسِّرُهَا وَتَنْسَخُهَا؛ أَوْ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ تُفَسِّرُهَا، فَإِنَّ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تُبَيِّنُ الْقُرْآنَ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَكَانُوا يُسَمُّونَ مَا عَارَضَ الآيَةَ نَاسِخاً لَهَا، فَالنَّسْخُ عِنْدَهُمْ اسْمٌ عَامٌّ لِكُلِّ مَا يَرْفَعُ دَلاَلَةَ الآيَةِ عَلَى مَعْنًى بَاطِلٍ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمَعْنَى لَمْ يُرَدْ بِهَا، وَإِنْ كَانَ لاَ يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الآيَةِ؛ بَلْ قَدْ [لاَ يُفْهَمُ مِنْهَا][٢]، وَقَدْ فَهِمَهُ مِنْهَا قَوْمٌ فَيُسَمُّونَ مَا رَفَعَ ذَلِكَ الإِبْهَامَ وَالإِفْهَامَ نَسْخاً، [وَ][٣] هَذِهِ التَّسْمِيَةُ لاَ تُؤْخَذُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ.

---

طلبها عيسى منهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ﴾ الصف، آية (١٤)، وكتابهم هو (الإنجيل).

يُنظر: الموجز في الأديان ٦٧-٨٤، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ١٢١-٢٧٨

١) غير موجودة في (س) و(ك) و(م) ويقتضيها السياق.

٢) في (س) و(ك) بياض، وهي مُستدركة من (م).

٣) في (س) و(ك) بياض، وهي مُستدركة من (م).

وَأَصْلُ ذَلِكَ [مِنْ إِلْقَاءِ][1] الشَّيْطَانِ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ، فَمَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي الأَذْهَانِ مِنْ ظَنِّ دَلَالَةِ الآيَةِ عَلَى مَعْنًى لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ سَمَّى هَؤُلَاءِ مَا يَرْفَعُ ذَلِكَ الظَّنَّ نَسْخًا؛ كَمَا سَمَّوْا قَوْلَهُ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[2] نَاسِخًا لِقَوْلِهِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[3]، وَقَوْلَهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4] نَاسِخًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾[5].

---

١) في (س) و(ك) بياض، وهي مُستدركة مِن (م).

٢) سورة التغابن، آية : ١٦

٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢، في (س) و(ك) و(م) (فاتَّقُوا الله)، بزيادة الفاء، وهو تصحيفٌ.

٤) سورة البقرة، آية : ٢٨٦

٥) سورة البقرة، آية : ٢٨٤

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِهِ؛ إِذِ الْمَقْصُودُ: أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَّفِقِينَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُعَارِضُهُ إِلَّا قُرْآنٌ، لَا رَأْيٌ وَمَعْقُولٌ وَقِيَاسٌ، وَلَا ذَوْقٌ وَوَجْدٌ وَإِلْهَامٌ(١) وَمُكَاشَفَةٌ.

بدعة الخوارج [١١٦/١]

وَكَانَتِ الْبِدَعُ الْأُولَى مِثْلُ بِدْعَةِ الْخَوَارِجِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ؛ لَكِنْ/ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يُوجِبُ تَكْفِيرَ أَرْبَابِ الذُّنُوبِ؛ إِذْ كَانَ الْمُؤْمِنُ هُوَ الْبَرَّ التَّقِيَّ.

قَالُوا: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ بَرًّا تَقِيًّا فَهُوَ كَافِرٌ، وَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

---

١) الإلهام: ما وَقَعَ في القَلْبِ لغَيرِ نَبيٍ مِن عِلْمٍ يدعو إلى العَمَلِ مِن فِكرِ المَرءِ وخاطِرِه دون دَليلٍ مِن الوَحْيِ !!، والعياذ بالله.

يُنظر: التعريفات للجرجاني ٩١، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٨٩، وقال شيخ الإسلام في درء التعارض ٤/ ١١٦: «ولا يجوز أن تكون معرفته ـ أي الله ـ بطريق الإلهام كما زعمت طائفة مِن الصُّوفية، وبعض الشيعة، لأنَّ الإلهامَ هو تَخَايُلٌ يَقَعُ في القَلْبِ، قد يكون ذلك مِن الله، وقد يكون مِن وسوسة الشَّيطان، وليس على أحدهما دليل يدل عليه، ولأنَّ مَن يَدَّعي الإلهام يُمكن خَصْمه أن يَدَّعي خِلافه، فإنَّه إذا قال: أُلهمتُ بكذا!!، فيقولُ خَصْمه: وأنا أُلهمتُ بكذا!!، فكانَ العَمَلُ به عَمَلاً بلا دَليلٍ، ألا ترى أن صاحب الشرع أمرنا بالاجتهاد عند فقد النصوص ... لأنَّ الإلهام لا يصلح حُجَّة لإلزام الحُكم على الغير».

ثُمَّ قَالُوا: وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَمَنْ وَالَاهُمَا لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُمْ حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

فَكَانَتْ بِدْعَتُهُمْ لَهَا مُقَدِّمَتَانِ:

الْوَاحِدَةُ: أَنَّ مَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ بِعَمَلٍ أَوْ بِرَأْيٍ أَخْطَأَ فِيهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَمَنْ وَالَاهُمَا كَانُوا كَذَلِكَ.

التحذير من بدعة الخوارج

وَلِهَذَا يَجِبُ الِاحْتِرَازُ مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ بِدْعَةٍ ظَهَرَتْ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَفَّرَ أَهْلُهَا الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثُ صَحِيحَةٌ فِي ذَمِّهِمْ، وَالْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ[1]: «صَحَّ فِيهِمُ الْحَدِيثُ مِنْ عَشَرَةِ أَوْجُهٍ»[2]، وَلِهَذَا قَدْ أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ[3] فِي صَحِيحِهِ، وَأَفْرَدَ الْبُخَارِيُّ[4] قِطْعَةً

---

١) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي، أبو عبدالله البغدادي، إمام أهل السنة، ثقة حافظ فقيه حجة، كان الحافظ أبو زرعة يقول عنه: أنه يحفظ ألف ألف حديث، وقال عنه عبدالرزاق: «ما رأيت أحداً أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل»، وقال عنه قتيبة بن

سعيد: «إذا رأيتَ رجُلاً يُحبُّ أحمدَ، فاعلمْ أنَّهُ صاحبُ سُنَّةٍ»، وقال علي بن المدينيّ: «أعزَّ اللهُ الدِّينَ بالصِّدِّيقِ يومَ الرِّدَّةِ، وبأحمدَ يومَ المِحْنَةِ»، مات سنة ٢٤١هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٢، تقريب التهذيب ٤٤

١) رواها الإمام الخلَّال في كتاب السُّنة ١/ ١٤٥ بلفظ: «صحَّ الحديثُ فيهم من عشرة وُجُوهٍ»، بسنَدٍ صحيحٍ، ومعنى العشرة وُجُوه أي طُرق الحديث.

٢) هو مُسْلم بن الحجاج بن مُسْلم القشيري، أبو الحسين النيسابوري، إمامٌ ثقةٌ حافظٌ فقيهٌ، صاحب الصحيح، وهو أشهر تلاميذ البُخاري، وكان له الجلالة والمهابة عند العُلماء حتى قال أحمد بن سلمة: «رأيتُ أبا زُرعة وأبا حاتمٍ يُقدمان مُسلم بن الحجَّاج في معرفة الصَّحيح على مشايخ عصرهِما»، مات سنة ٢٦١هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢٤/ ٦٤، تقريب التهذيب ١٧٨

٣) هو محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفي، أبو عبدالله البُخاري، أمير المُؤمنين في الحديث، جبل الحفظ، وإمام الدُّنيا في فقه الحديث، صاحب الصحيح، قال عنه الحُسين بن حُريث: «لا أعلمُ أنِّي رأيتُ مِثْلَهُ، كأنَّهُ لم يُخلق إلاَّ للحديث»، وقال عنه حاتم بن منصور وغيره أنَّه: «آيَةٌ مِنْ آياتِ اللهِ»، وقال فيه ابن خُزيمة: «ما رأيتُ تحتَ أديمِ السَّماءِ أعلمَ بحديث رسول الله وأحفظ له من محمَّد بن إسماعيل»، مات سنة ٢٥٦هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٨٣، تقريب التهذيب ٥٥

مِنْهَا»[1].

وَهُمْ مَعَ هَذَا الذَّمِّ إِنَّمَا قَصَدُوا اتِّبَاعَ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَكُونُ بِدْعَتُهُ مُعَارَضَةَ الْقُرْآنِ وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ،/ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُكَفِّرُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَهْمِيَّةِ[2]. [س/١٧]

---

١) وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥١٢: «وقد رواها مسلم في صحيحه، وروى البخاري منها ثلاثة أوجه: حديث علي وأبي سعيد الخدري وسهل بن حُنيف، وفي السنن والمسانيد طرقٌ أخر متعددة»، وقد وافقه ابن القيم في حاشية أبي داود ٤/ ٦٩، والعظيم أبادي في عون المعبود ١٠/ ٢٧٨، وقد أفردها الدكتور عبدالعزيز الأمين برسالة سمّاها (الأحاديث المسندة الواردة في الخوارج وصفاتهم جمعاً ودراسة).

٢) الجَهْمِيَّة: أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، وهم معطلة في الصفات، جبرية في القدر، مرجئة محضة في الإيمان.

يُنظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٨، والتنبيه والرد ٩٦، والملل والنحل ١/ ٨٦

بدعة التشيع

ثُمَّ الشِّيعَةُ(١) لَمَّا حَدَثُوا لَمْ يَكُنِ الَّذِي ابْتَدَعَ التَّشَيُّعَ قَصْدُهُ الدِّينَ؛ بَلْ كَانَ غَرَضُهُ فَاسِدًا، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا زِنْدِيقًا، فَأَصْلُ بِدْعَتِهِمْ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَكْذِيبِ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ؛ وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ مِنَ الكَذِبِ أَكْثَرَ مِمَّا يُوجَدُ فِيهِمْ؛ بِخِلَافِ الخَوَارِجِ فَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ فِيهِمْ مَنْ يَكْذِبُ(٢).

الشيعة أكثر الطوائف كذبا

وَالشِّيعَةُ لَا يَكَادُ يُوثَقُ بِرِوَايَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مِنْ شُيُوخِهِمْ لِكَثْرَةِ الكَذِبِ فِيهِمْ؛ وَلِهَذَا أَعْرَضَ عَنْهُمْ أَهْلُ الصَّحِيحِ فَلَا يَرْوِي البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَحَادِيثَ عَلِيٍّ إِلَّا عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كَأَوْلَادِهِ مِثْلِ: الحَسَنِ، وَالحُسَيْنِ، وَمِثْلِ: مُحَمَّدِ بْنِ

---

١) هم والرافضة سواء، فبعضهم يطلق عليهم (الرافضة) لرفضهم إمامة الشيخين، وبعضهم يطلق عليهم (الشيعة) لأنهم يرون أنهم قد تابعوا علي بن أبي طالب وناصروه.

٢) أي لا يُعرف عن الخوارج الكذب في رواية الحديث عن النبي ﷺ، أمَّا غير الحديث فهم وعامَّة المُسلمين سواء، ولذا فقد أخرج البخاري وغيره لِمن أنهم برأي الخوارج كالوليد بن كثير وعِمْران بن حِطَّان وغيرهما، وأمَّا الشيعة الذين تُرد روايتهم فالمقصود بهم الإمامية الغُلاة لا الشيعة الأوائل الذين يُفضلون عليًّا على عُثمان، فإنهم في العموم مِن أهل السُّنَّة، والله أعلم.

الحَنَفِيَّةِ(١)، وَكَاتِبِهِ عُبَيْدِاللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ(٢)، [أَوْ](٣) أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ/ [١٢/ل] وَغَيْرِهِمْ، مِثْلِ: عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ(٤)، وَالحَارِثِ التَّيْمِيِّ(٥)، وَقَيْسِ بْنِ

---

١) هو محمد بن علي بن أبي طالب، ويكنى أبا القاسم، أمُّهُ أَمَةٌ مِن بني حنيفة وهي خولة بنت جعفر بن قيس، ونُسب لأمه تفريقاً له عن أبناء فاطمة بنت النبي ﷺ، وهو ثقةٌ عالمٌ مات سنة ٨٠هـ وقيل بعدها.

يُنظر: صفة الصفوة ١/ ١٩٠، تقريب التهذيب ١١٥

٢) هو عبيدالله بن أبي رافع المدني مولى النبي ﷺ، وكان كاتباً لعلي بن أبي طالب، وثّقه أبو حاتم الرّازي وابن حبّان وابن سعد وابن حجر.

يُنظر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٠، تقريب التهذيب ٦٣١

٣) في (س) و(ك) (وَ).

٤) هو عَبِيدَةُ ـ بفتح المُهملة ـ بن عَمْرو السَّلْمَانِي المُرادي الكوفي، تابعيٌّ كبيرٌ مخضرمٌ، فقيهٌ ثبتٌ، قال عنه الشّعبي: «كان عَبِيدَةُ يُوازي شُرَيحاً في القضاء»، واختلف في سنة وفاته وصحح الذهبي أنها سنة ٧٢هـ وتعقبه ابن حجر بأنها قبل سنة ٧٠هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٤١، تقريب التهذيب ٦٤٩

٥) هو الحارث بن سُويد التَّيمي، أبو عائشة الكوفي، مِن الثّقات الأثبات، قال عنه الذهبي: «وهو قليل الحديث، قديمُ الموتِ، قد ذكرهُ أحمدُ بن حنبلٍ، فعظَّمَ شأنَهُ، ورفع مِن قدرِهِ»، مات بعد سنة ٧٠هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ١٧١، تقريب التهذيب ١٧٤

عُبَادٍ[1]، وَأَمْثَالِهِمْ[2]؛ إِذْ هَؤُلَاءِ صَادِقُونَ فِيمَا يَرْوُونَهُ عَنْ عَلِيٍّ؛ فَلِهَذَا أَخْرَجَ أَصْحَابُ الصَّحِيحِ حَدِيثَهُمْ.

زمن ظهور الخوارج والشيعة

وَهَاتَانِ الطَّائِفَتَانِ الخَوَارِجُ وَالشِّيعَةُ حَدَثُوا بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَصَدْراً مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ فِي السَّنَةِ الأُولَى مِنْ وِلَايَتِهِ مُتَّفِقِينَ لَا تَنَازُعَ بَيْنَهُمْ؛ ثُمَّ حَدَثَ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ أُمُورٌ أَوْجَبَتْ نَوْعاً مِنَ التَّفَرُّقِ، وَقَامَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الفِتْنَةِ وَالظُّلْمِ فَقَتَلُوا عُثْمَانَ، فَتَفَرَّقَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ.

---

١) هو قيس بن عُبَاد ـ بضم المهملة وتخفيف الموحدة ـ القَيْسي ـ بضم المعجمة وفتح الموحدة ـ البصري، وثّقه ابن سعد والعجلي والنسائي وغيرهم، وكان من كبار الصالحين خرج مع ابن الاشعث على الحجّاج، فقبض عليه الحجّاج بعد الفتنة فقتله صبراً، مات سنة ٨٥هـ تقريباً.

يُنظر: الكاشف ١/ ٣٢٩، تقريب التهذيب ٣٤، الأعلام ٥/ ٢٠٧

٢) كأبي جُحيفة وهب بن عبدالله السُّوائي، ومُطرف بن عبدالله، وعبدالرحمن بن أبي ليلى، ويزيد بن وهب الجُهني، و عُمير بن سعيد النخعي، وعبدالله بن حنين الهاشمي، ومسعود بن الحكم الزُّرقي، ويزيد بن شريك التَّيمي، وأبي الهيَّاج الأسدي جرير بن حيَّان ، وأبي عُبيد مولى بن ازهر، وكُلّهم من أهل السُّنّة، ولا يُعرف عنه بدعة الرافضة، وهم من رجال الصحيح، والله أعلم.

وَلَمَّا اقْتَتَلَ الْمُسْلِمُونَ بِصِفِّينَ، وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْكِيمِ حَكَمَيْنِ خَرَجَتِ الْخَوَارِجُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَفَارَقُوهُ، وَفَارَقُوا جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ حَرُورَاءُ[1]؛ فَكَفَّ عَنْهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ: «لَكُمْ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَمْنَعَكُمْ حَقَّكُمْ مِنَ الْفَيْءِ، وَلَا نَمْنَعَكُمُ الْمَسَاجِدَ»؛ إِلَى أَنِ اسْتَحَلُّوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ، فَقَتَلُوا عَبْدَاللهِ بْنَ خَبَّابٍ[2]، وَأَغَارُوا عَلَى سَرْحِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَعَلِمَ عَلِيٌّ أَنَّهُمُ الطَّائِفَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ

---

١) حَرُورَاء: موضع قرب الكوفة، نزل به الخوارج حين اعتزلوا جيش عليٍّ، فنُسبوا إليه.

يُنظر: معجم البلدان ٢/ ٢٤٥، البداية والنهاية ٧/ ٢٧٨

٢) هو عبدالله بن خَبَّاب ـ بمعجمة وموحدتين ـ بن الأَرَتّ ـ بفتح الراء وتشديد المثناة ـ المدني، حليف بني زهرة، ثقةٌ مِن كبار التابعين، وبعضهم عدَّه مِن صغار الصحابة مِن طبقة عبدالله بن الزُّبير، وقد قتله الخوارج في شعبان سنة ٣٨هـ ومِن مقتله بدأت نهايةُ خوارج حَرُورَاء في معركة النهروان الشهيرة.

يُنظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٧٣، تقريب التهذيب ٤٨٨

لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)[١]، (آيَتُهُمْ فِيهِمْ رَجُلٌ مُخْدَجُ اليَدِ[٢] عَلَيْهَا بَضْعَةٌ عَلَيْهَا شَعَرَاتٌ)[٣].

---

١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب: علاماتِ النُّبُوَّةِ في الإسلام، رقم (٣٣٤١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٧٦٥) كِلاهما عن أبي سعيد الخدري.

٢) أي ناقص اليد. كما في القاموس المحيط، مادة خدج.

٣) هذه الزيادة ليست في أصل الحديث السابق، وإنَّما هي روايات مجموعة، فلفظ (آيَتُهُمْ رَجُلٌ) عند البخاري في كتاب الأدب، باب: ما جاء في قول الرَّجل وَيْلَكَ، وفي كتاب استتابة المُرتدِّين والمُعاندين وقتالهم، باب: مَن ترك قتال الخوارج للتألُّف وأن لا يَنفِرَ النَّاسُ عنهُ. هكذا بدون وصف لون الرَّجل، ورواه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النُّبُوَّة في الإسلام، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، بوصف لون الرجل فقالا: (آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ)، وكِلاهما عن أبي سعيد الخُدريّ، وأمَّا لفظ (مُخْدَجُ اليَدِ) فعند مسلم فقط في كتاب الزكاة، باب: التَّحريض على قتل الخوارج، عن عليِّ بن أبي طالبٍ، ولفظ (بَضْعَةٌ) لم أجدها فيما بين يدي مِن المصادر إلا بمعناها، وهي (عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ) كما عند مسلم في كتاب الزكاة، باب: التَّحريض على قتل الخوارج، عن عليِّ بن أبي طالبٍ، ولفظ (عَلَيْهَا شَعَرَاتٌ) فعند مسلم في كتاب الزكاة، باب: التَّحريض على قتل الخوارج، عن عليِّ بن أبي طالبٍ، وزاد (شَعَرَاتٌ بِيضٌ)، والله أعلم.

وَفِي رِوَايَةٍ: (يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ)»[1].

فَخَطَبَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «هُمْ هَؤُلَاءِ القَوْمُ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَى سَرْحِ النَّاسِ»[2]، فَقَاتَلَهُمْ، وَوَجَدَ العَلَامَةَ بَعْدَ أَنْ كَادَ لَا يُوجَدُ، فَسَجَدَ للهِ شُكْرًا[3].

طوائف الشيعة

وَحَدَثَ فِي أَيَّامِهِ الشِّيعَةُ؛ لَكِنْ كَانُوا مُخْتَفِينَ بِقَوْلِهِمْ لَا يُظْهِرُونَهُ لِعَلِيٍّ وَشِيعَتِهِ؛ بَلْ كَانُوا ثَلَاثَ طَوَائِفَ:

---

١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ}، رقم (٣٠٩٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: ذِكر الخَوَارِجِ وصِفَاتِهِم، رقم (١٧٦٢)، وكلاهما عن أبي سعيد الخدريِّ.

٢) رواه مسلمٌ في كتاب الزَّكاة، باب: التَّحريض على قَتْلِ الخوارجِ، رقم (٢٥١٦).

٣) قال ابن كثير بعد سرده لمرويات القصة في البداية والنهاية ٧/ ٣٢٧: «أنَّ هذه طُرُقٌ مُتواترةٌ عن عليٍّ إذْ قد روي من طُرُقٍ مُتعددةٍ عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب، فأصل القصة محفوظ، وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة، ولكن معناها وأصلها الذي تواطأت الروايات عليه صحيحٌ، لا يُشَكُّ فيه عن عليٍّ أنَّه رواه عن رسول الله ﷺ أنَّه أخبر عن صفة الخوارج، وذي الثُّدَيَّة الذي هو علامةٌ عليهم، وقد روي ذلك من طريق جماعة من الصَّحابة غير عليٍّ كما تراها بأسانيدها وألفاظها».

طَائِفَةٌ تَقُولُ: إِنَّهُ إِلَهٌ، وَهَؤُلَاءِ لَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ أَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ، وَخَدَّ لَهُمْ أَخَادِيدَ عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِ بَنِي/ كِنْدَةَ[1]، وَقِيلَ إِنَّهُ أَنْشَدَ: [١١٨/أ]

لَمَّا رَأَيْتُ الأَمْـرَ أَمْـرًا مُنْكَـرًا ... أَجَّجْـتُ نَـارِي وَدَعَوْتُ قُنْبُرًا[2].

وَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ بِزَنَادِقَةٍ فَحَرَّقَهُمْ بِالنَّارِ، وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحَرِّقْهُمْ؛ لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُعَذَّبَ بِعَذَابِ اللهِ، وَلَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[3].

---

١) بنو كِندة: بكسر الكاف، مِن كِبار القبائل القحطانية باليمن، وكانوا مُلوكاً في العرب، ناصروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في حروبه، وانتقلوا معه إلى الكوفة حينما نقل عاصمة الخلافة إليها، وبنو مسجداً كبيراً فيها كان عليٌّ يُصلي فيه، وعنده جرى إحراق السبائية كما ذكره المؤرخون.

يُنظر: جمهرة أنساب العرب ١٧٣، نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب ١٣٤

٢) روى القصة بطولها الآجري في الشريعة ٢/ ٦٥٥ بسندٍ ضعيف، ورواها البُخاري في الصحيح مختصرة، وحسَّن إسنادها الحافظ في الفتح ١٢/ ٢٧٠، و(قُنْبُر) هو مولى علي بن أبي طالب ﷺ وحاجِبُه.

٣) رواه البُخاري في كتاب استِتَابة المُرتدِّين والمُعانِدِين، باب: حُكْمُ المُرْتَدِّ والمُرْتَدَّةِ واستِتَابتِهم، رقم (٦٩٢٢).

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ مَذْهَبُ أَكْثَرِ الفُقَهَاءِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ أَجَّلَهُمْ ثَلَاثًا[1].

وَالثَّانِيَةُ: السَّابَّةُ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَنْ [ابنِ السَّوْدَاءِ][2] أَنَّهُ كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَطَلَبَهُ. قِيلَ: إِنَّهُ طَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ فَهَرَبَ مِنْهُ.

---

١) قال شيخ الإسلام في الوصية الكبرى كما في الفتاوى ٣/ ٣٩٤: «وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم عليٌّ بالنار، وأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كِندة، وقذفهم فيها بعد أن أجلهم ثلاثاً ليتوبوا، فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار، واتفقت الصحابة على قتلهم لكن ابن عبّاس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر العُلماء، وقصتهم معروفة عند العُلماء».

٢) في (س) و(ك) و(م) (أبي السَّوداء) وهو تصحيفٌ، والأظهر ما أثبته، وقد ذكره شيخ الإسلام (بابن السَّوداء) في الصارم المسلول ٣/ ١١٠٠، والنبوات ١/ ٥٧٣، ومنهاج السُّنة ١/ ٣٠٨، وغيرها.

وهو: عبدالله بن سبأ اليهودي اليماني من غلاة الرافضة، كان من أسباب الفتن في عهد الخليفتين عثمانَ وعليٍّ، وأتباعه يُسمون (السبائية)، ومشهور بابن السوداء، وقد أحرق عليٌّ أتباعه لمّا ادعوا فيه الألوهية، وفرّ ابن السّوداء فلم يُعلم له أثر بعد.

يُنظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٤٢٦، لسان الميزان ٣/ ٢٨٩، الأعلام ٤/ ٨٨.

وَالثَّالِثَةُ: المُفَضِّلَةُ؛ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَتَوَاتَرَ[1] عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ)[2].

وَرَوَى ذَلِكَ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَاهُ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ[3].

وَكَانَتْ الشِّيعَةُ الأُولَى لَا يَتَنَازَعُونَ فِي تَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِنَّمَا كَانَ النِّزَاعُ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ؛ وَلِهَذَا قَالَ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِالله[4]: «إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ بَعْدَ

---

١) نقل هذا التواتر كذلك شيخ الإسلام في الوصية الكبرى ضمن الفتاوى ٣/ ٤٠٥، والواسطية ضمن الفتاوى ٣/ ١٥٣، والنبوات ١/ ٥٧٤، وغيرها.

٢) رواه الإمام أحمد ٢/ ٢٩٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤٧٥، وعبدالله بن أحمد في السنة ٢/ ٥٨١، وابن أبي عاصم في السنة ٥٥٦، وصححه الألباني في ظلال الجنة، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

٣) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب: قول النبي ﷺ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، رقم (٣٣٩٥)، وفيه زيادة قوله: (وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ. قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ).

٤) هو شريك بن عبدالله النخعي، القاضي بواسط ثم الكوفة، أبو عبدالله الكوفي، صدوق يخطئ كثيراً، وثقه ابن معين، وقال النسائي. لا بأس به، قال عنه الإمام أحمد: «كان عاقلاً، صدوقاً، مُحدِّثاً، وكان شديداً على أهل الرِّيَب والبِدَع»، مات سنة ١٧٧هـ.

رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقِيلَ لَهُ: تَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ مِنَ الشِّيعَةِ؟ فَقَالَ: «كُلُّ الشِّيعَةِ كَانُوا عَلَى هَذَا، وَهُوَ[1] الَّذِي قَالَ هَذَا عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ أَفَنُكَذِّبُهُ فِيمَا قَالَ!!»[2].

---

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٠٠، تقريب التهذيب ٤١٧

١) يقصِدُ عليَّ بن أبي طالب ﷺ.

٢) قال شيخ الإسلام في منهاج السنة ١/ ٩: «ذكر هذا أبو القاسم البلخي في النقض على ابن الراوندي اعتراضه على الجاحظ، نقله عنه القاضي عبدالجبار الهمداني في كتاب (تثبيت النبوة)»، وقال كذلك في نفس الكتاب ١/ ٣٩٨: «ذكر هذا القاضي عبدالجبار في كتاب (تثبيت النبوة) له، وعزاه إلى كتاب أبي القاسم البلخي الذي صنَّفه في النقض على ابن الراوندي اعتراضه على الجاحظ»، وهو في تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبدالجبار الهمداني ١/ ٥٤٩ (ت: عبدالكريم عثمان)، ويزيدنا فائدة الخطيب البغدادي في تاريخه ٩/ ٢٨٧ بسنده قال: «كان شريك بن عبدالله على قضاء الكوفة فحَكَم على وكيلٍ عبدالله بن مُصعب ـ أي ابن الزُّبير ـ بحكم لم يوافق هوى عبدالله فالتقى شريك بن عبدالله وعبدالله بن مُصعب ببغداد، فقال عبدالله بن مصعب لشريك: ما حكمت على وكيلي بالحق!! قال: ومن أنت؟ قال: من لا تُنكرا!! قال: فقد نكرتك أشد النكير، قال: أنا عبدالله بن مُصعب، قال: لا كثيرٌ [في الإمتاع: فلا كبيرٌ] ولا طيِّبٌ، قال: وكيف لا تقول هذا وأنت تُبغض الشيخين!! قال: ومَن الشيخان؟ قال: أبو بكرٍ وعُمر، قال: والله ما أُبغض أباك وهو دُونهما فكيف أُبغضهما!!»، ونقلها أبو حيَّان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ٢٧٥ بقوله: «والله لا أشتم

وَلِهَذَا قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ(١): «مَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ

---

أباك وهو دُونها، فكيف أشتمها وهما فوقي وأنا دُونها؟!»، ونقلها كذلك الذهبي في السير، ونقل الخطيب البغدادي في نفس الصفحة بسنده فقال: «استأذن شريك على يحيى بن خالد وعنده رجل مِن ولد الزُّبير بن العوَّام، فقال الزُّبيري ليحيى بن خالد: أصلحَ اللهُ الأميرَ ائذن لي في كلام شريك، فقال: إنك لا تُطيقه!! قال: ائذن لي في كلامه، قال: شأنك. فلمَّا دخل شريك وجلس، قال له الزُّبيري: يا أبا عبدالله إنَّ النَّاس يزعمون أنك تسُب أبا بكرٍ وعُمر!!، قال: فاطرق مليًّا، ثم رفع رأسه، فقال: والله ما استحللتُ ذاك مِن أبيك، وكان أول مَن نكث في الإسلام، كيف استحله مِن أبي بكرٍ وعُمر!!»، وقال الذهبي في السير: «قال أبو نُعيم: سمعتُ شريكاً يقول: قُدِّمَ عُثمانُ يوم قُدِّمَ، وهو أفضلُ القوم. قُلْتُ - أي الذَّهبي -: ما بعدَ هذا إنصافٌ مِن رجلٍ كُوفيٍّ»، وقال أيضاً: «قال ابنُ عُيينة: قِيل لشريكٍ: ما تقولُ فيمن يُفضِّلُ عليًّا على أبي بكرٍ؟، قال: إذاً يَفتضِحُ، يقولُ: أخطأ المُسلمون».

١) هو سُفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي، شيخ الإسلام وإمام الحفاظ وأمير المؤمنين في الحديث، قال الإمام أحمدُ: قال لي ابن عُيينة: «لن ترى بعينيك مثل سُفيان الثوريِّ حتى تموتَ!!»، وقال الإمام أحمد: «أتدري مَن الإمامُ؟ الإمامُ سُفيانُ الثوريُّ، لا يتقدَّمُهُ أحدٌ في قلبي»، وقال بشرٌ الحافي: «سُفيانُ في زمانه، كأبي بكرٍ وعُمرَ في زمانهما»، مات بالبصرة سنة ١٦١هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٣

أَزْرَى(١) بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَمَا أَرَى يَصْعَدُ لَهُ إِلَى اللهِ عَمَلٌ وَهُوَ كَذَلِكَ»(٢).
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٣) فِي سُنَنِهِ(٤).

---

١) مِن الإِزْرَاءِ وهو الأمر المُعِيب والتقليل مِن القَدْرِ.

٢) فائدة: ذِكر الإزراء بالمهاجرين والأنصار جاء مشهوراً عن خمسةٍ مِن كبار علماء الأمة وهم (أيوب السختياني، وسُفيان الثوري، والإمام أحمد بن حنبل، والدَّارقطني، وشيخ الإسلام ابن تيميَّة)، فأمَّا أيوب والإمام أحمد والدَّارقطني فقد حكاه عنهم شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٤/ ٤٢٦، ٤٣٦، ومنهاج السُّنة ١/ ٣٣١، في تفضيلهم بين عثمانٍ وعليٍّ، ووافقهم شيخ الإسلام في مناظرة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ١٦٢، أمَّا أثر سُفيان فهو فيمن فضَّل عليّاً على الشيخين، والله أعلم.

٣) هو سُليمان بن الأشعث بن شدَّاد الأزدي، أبو داود السِّجستاني، الإمام، شيخُ السُّنَّةِ، ومُحَدِّثُ البَصْرَةِ، صاحب السُّنن، وأحد عُلماء الإسلام، وكان الإمام إبراهيم الحربي مُعجباً بأبي داود وسُننه ويقول: «أُلِينَ لأَبِي دَاوُدَ الحَدِيثُ، كَمَا أُلِينَ لِدَاوُدَ الحَدِيدُ» وثبت كذلك عن أبي بكر الصاغاني، قال عنه الذَّهبي: «كَانَ أَبُو دَاوُدَ مَعَ إِمَامَتِهِ فِي الحَدِيثِ وَفُنُونِهِ مِنْ كِبَارِ الفُقَهَاءِ، فَكِتَابُهُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، .. وَكَانَ عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالتَّسْلِيمِ لَهَا، وَتَرْكِ الخَوْضِ فِي مَضَائِقِ الكَلَامِ»، مات سنة ٢٧٥هـ.
يُنظر: الجرح والتعديل ٤/ ١٠١-١٠٢، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٠٣

٤) رواه أبو داود في كتاب السُّنة، باب: في التَّفضيل، رقم (٤٠١٤) عن سُفيان الثَّوري بلفظ: (مَن زَعَمَ أنَّ عليّاً كان أحقَّ بالولاية مِنهُما، فقد خطَّأ أبا بكرٍ وعُمر والمهاجرين

الحَدِيثِ، مِثْلَ أَحَادِيثِ الرُّؤْيَةِ، وَعَذَابِ القَبْرِ وَفِتْنَتِهِ، وَأَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ، وَالحَوْضِ.

وَقَدْ رُوِيَتْ أَحَادِيثُ فِي ذَمِّ القَدَرِيَّةِ وَالمُرْجِئَةِ، رَوَى بَعْضَهَا أَهْلُ السُّنَنِ كَأَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ[1]، وَبَعْضُ النَّاسِ يُثْبِتُهَا وَيُقَوِّيهَا، وَمِنَ العُلَمَاءِ مَنْ طَعَنَ

---

١) ومنها: «القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ» رواه أبو داود في كتاب السنة، رقم (٤٠٧١)، و«صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الإِسْلَامِ نَصِيبٌ: المُرْجِئَةُ وَالقَدَرِيَّةُ»، رواه الترمذي في كتاب القدر عن رسول الله ﷺ، رقم (٢٠٧٥)، وابن ماجة في المقدمة، رقم (٧٢)، فالأول حسّنه الألباني في صحيح أبي داود، والثاني ضعّفه في ضعيف الترمذي وابن ماجة، وأمّا حصر الأحاديث فتحتاج إلى جمع وتخريج، والله أعلم.

وابن مَاجَة هو: محمّد بن يزيد ابن مَاجَة، أبو عبدالله القزويني، الحَافِظُ، الكَبِيرُ، الحُجَّةُ، المُفَسِّرُ، صاحب السُّنن، قال عنه أبو يَعْلى الخليلي: «ثِقَةٌ كَبِيرٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، مُحْتَجٌّ بِهِ»، مات سنة ٢٧٣هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٧، البداية والنهاية ١١/ ٥٢.

فِيهَا وَضَعَّفَهَا، وَلَكِنَّ الَّذِي ثَبَتَ فِي ذَمِّ القَدَرِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ هُوَ عَنِ الصَّحَابَةِ كَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ[1].

بداية ظهور لفظ الرافضة

وَأَمَّا لَفْظُ الرَّافِضَةِ فَهَذَا اللَّفْظُ أَوَّلُ مَا ظَهَرَ فِي الإِسْلَامِ لَمَّا خَرَجَ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ[2] فِي أَوَائِلِ المِائَةِ الثَّانِيَةِ فِي خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِالمَلِكِ، وَاتَّبَعَهُ

---

١) أمّا أثر ابن عُمر فعند مسلم بلفظ: (فإذا لقيتَ أولئك ـ أي القدرية ـ فأخبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ)، وأمّا أثر ابن عباس فعند الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن طاووس قال: كنتُ عند ابن عباس، ومعنا رجلٌ من القدرية، فقلتُ: إنَّ أناساً يقولون: لا قدر. قال: أوَ في القوم أحدٌ منهم؟ قلتُ: لو كان ما كنتَ تصنع به؟ قال: (لو كان فيهم أحدٌ منهم، لأخذتُ برأسه، ثم قرأتُ عليه آية كذا وكذا ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾)، زاد البيهقي في القدر: (قال طاووس: فتمنيتُ أنَّ كُل قَدَرِي كان عِنْدَنَا)، والله أعلم.

٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من كبار فقهاء آل البيت، تُنسب إليه فرقة (الزيدية)، قال عنه الذهبي: «وفد على متولي العراق يوسف بن عمر، فأحسن جائزته، ثم رد، فأتاه قوم من الكوفة، فقالوا: ارجع نبايعك، فما يوسف بشيء، فأصغى إليهم وعسكر، فبرز لحربه عسكر يوسف، فقُتل في المعركة، ثم صُلب أربع سنين»، مات سنة ١٢٢هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨٩، تقريب التهذيب ٢٣٠

الشِّيعَةُ، فَسُئِلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟! فَتَوَلَّاهُمَا، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمَا. فَرَفَضَهُ قَوْمٌ، فَقَالَ: رَفَضْتُمُونِي، رَفَضْتُمُونِي!! فَسُمُّوا الرَّافِضَةَ.

فَالرَّافِضَةُ تَتَوَلَّى أَخَاهُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ[1]، وَالزَّيْدِيَّةُ يَتَوَلَّوْنَ زَيْدًا، وَيُنْسَبُونَ إِلَيْهِ، وَمِنْ حِينَئِذٍ انْقَسَمَتْ الشِّيعَةُ إِلَى زَيْدِيَّةٍ، وَرَافِضَةٍ إِمَامِيَّةٍ.

نشأة القدرية

ثُمَّ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ حَدَثَتْ القَدَرِيَّةُ[2]، وَأَصْلُ بِدْعَتِهِمْ كَانَتْ مِنْ عَجْزِ عُقُولِهِمْ عَنْ الإِيمَانِ بِقَدَرِ اللهِ، وَالإِيمَانِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ مُمْتَنِعٌ، وَكَانُوا قَدْ آمَنُوا بِدِينِ اللهِ، وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

---

١) هو محمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقةٌ فاضلٌ، قال عنه الذَّهبي: «وكان أحد مَن جمع بين العلم والعمل والسؤدد، والشرف، والثقة، والرزانة، وكان أهلاً للخلافة، وهو أحد الأئمة الاثني عشر اللذين تبجلهم الشيعة الإمامية، وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدِّين»، مات سنة ١١٤هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١، تقريب التهذيب ١١٤

٢) القدرية يُراد بهم القدرية الأولى، الذين أنكروا (العِلم والكتابة) من القدر، وكان أكثرهم بالبصرة، وقد ردَّ عليهم مَن بقي من الصحابة (كعبدالله بن عُمر، وعبدالله بن العباس، وواثلة بن الأسقع)، وقد سبق التعريف بهم.

وَظَنُّوا أَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَلِمَ قَبْلَ الأَمْرِ مَنْ يُطِيعُ وَمَنْ يَعْصِي؛ لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ مَنْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ لَمْ يَحْسُنْ مِنْهُ أَنْ يَأْمُرَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ المَأْمُورَ يَعْصِيهِ وَلَا يُطِيعُهُ.

[٢٠/٥] وَظَنُّوا أَيْضاً أَنَّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُمْ يُفْسِدُونَ لَمْ يَحْسُنْ أَنْ يَخْلُقَ/ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُفْسِدُ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلُهُمْ بِإِنْكَارِ القَدَرِ السَّابِقِ [لِلصَّحَابَةِ][١] أَنْكَرُوا إِنْكَاراً عَظِيماً وَتَبَرَّءُوا مِنْهُمْ حَتَّى قَالَ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: «أَخْبِرْ أُولَئِكَ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بُرَآءُ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ»[٢]، وَذَكَرَ عَنْ أَبِيهِ حَدِيثَ جِبْرِيلَ، وَهَذَا أَوَّلُ حَدِيثٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً مُخْتَصَراً[٣].

---

١) في (س) و (ك) للصَّحابيةِ، وفي (م) الصَّحابةِ، وهو الأقرب.

٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩).

٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: سُؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (١٠).

ثُمَّ كَثُرَ الخَوْضُ فِي القَدَرِ، وَكَانَ أَكْثَرُ الخَوْضِ فِيهِ بِالبَصْرَةِ وَالشَّامِ، وَبَعْضُهُ فِي المَدِينَةِ، فَصَارَ مُقْتَصِدُوهُمْ وَجُمْهُورُهُمْ يُقِرُّونَ بِالقَدَرِ السَّابِقِ، وَبِالكِتَابِ المُتَقَدِّمِ، وَصَارَ نِزَاعُ النَّاسِ فِي الإِرَادَةِ، وخَلْقِ أَفْعَالِ العِبَادِ، فَصَارُوا فِي ذَلِكَ حِزْبَيْنِ: طوائف القدرية

النُّفَاةُ يَقُولُونَ: لَا إِرَادَةَ إِلَّا بِمَعْنَى المَشِيئَةِ، وَهُوَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا مَا أَمَرَ بِهِ، وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا مِنْ أَفْعَالِ العِبَادِ.

وَقَابَلَهُمْ الخَائِضُونَ فِي القَدَرِ مِنَ المُجْبِرَةِ مِثْلُ الجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ[١] وَأَمْثَالِهِ، فَقَالُوا: لَيْسَتْ الإِرَادَةُ إِلَّا بِمَعْنَى المَشِيئَةِ، وَالأَمْرِ وَالنَّهْيِ لَا يَسْتَلْزِمُ إِرَادَةً.

وَقَالُوا: العَبْدُ لَا فِعْلَ لَهُ أَلْبَتَّةَ وَلَا قُدْرَةَ، بَلِ اللهُ هُوَ الفَاعِلُ القَادِرُ فَقَطْ، وَكَانَ جَهْمٌ مَعَ ذَلِكَ يَنْفِي الأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، يُذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُسَمَّى اللهُ

---

١) هو الجَهْمُ بن صَفْوَانَ السَّمرقَنْدِي، كان يقول بنفي الصفات، وخلق القُرآن، والجبر في القدر، وأنَّ الإيمان هو المعرفة فقط، وأنَّ الجنة والنار تفنيان، وغير ذلك، قتل سنة ١٢٨هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٦، البداية والنهاية ١٣/ ١٩٩

شَيْئاً، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَسْمَاءِ الَّتِي تَسَمَّى بِهَا العِبَادُ إِلاَّ القَادِرَ فَقَطْ؛ لِأَنَّ العَبْدَ لَيْسَ بِقَادِرٍ»[1].

الصدام بين الخوارج والمعتزلة

وَكَانَتِ الخَوَارِجُ قَدْ تَكَلَّمُوا فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الذُّنُوبِ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ كُفَّارٌ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، وَخَاضَ فِي ذَلِكَ القَدَرِيَّةُ بَعْدَ مَوْتِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ[2]، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ[3] وَأَصْحَابُهُ: «لَا هُمْ مُسْلِمُونَ وَلَا كُفَّارٌ؛ بَلْ لَهُمْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ، وَهُمْ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ»، فَوَافَقُوا الخَوَارِجَ عَلَى أَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ، وَعَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ شَيْءٌ،

سبب تسمية المعتزلة

---

١) قال شيخ الإسلام في درء التعارض ٥/ ١٧٨: «كان قولُ جَهْمٍ المشهور عنه الذي نقله عنه عامَّة الناس: أنه لا يُسمَّى اللهُ شيئاً، لأن ذلك بزعمه يقتضي التشبيه، لأن اسم الشيء إذا قيل على الخالق والمخلوق لزم اشتراكهما في مسمَّى الشيء، وهذا تشبيه بزعمه، وقولُه باطلٌ».

٢) هو أبو سعيد الحسن بن يسار البصري الأنصاري مولاهم، الفقيه القارئ الزَّاهد العابد، سيِّد زمانه، إمام أهل البصرة، قال محمَّد بن سعد: «كان الحسنُ جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقةً، حُجَّةً، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً»، مات سنة ١١٠هـ.
يُنظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣، حلية الأولياء ٢/ ١٣١، الوافي بالوفيات ٤/ ٢٢٣

٣) هو أبو عُثمان عمرو بن عُبيد البصري، أحد رؤوس المعتزلة، دعا إلى نفي القدر، وكان زاهداً عابداً، ضعَّفه النسائي، وتركه ابن القطان، مات سنة ١٤٤هـ.
يُنظر: تاريخ بغداد ١٢/ ١٦٢، سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٤

وَلَكِنْ لَمْ يُسَمُّوهُمْ كُفَّارًا، وَاعْتَزَلُوا حَلْقَةَ أَصْحَابِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ مِثْلِ: قَتَادَةَ، وَأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ[1] وَأَمْثَالِهِمَا، فَسُمُّوا مُعْتَزِلَةً[2] مِنْ ذَلِكَ الوَقْتِ بَعْدَ مَوْتِ الحَسَنِ./ [١٧/أ]

وَقِيلَ: إِنَّ قَتَادَةَ كَانَ يَقُولُ: «أُولَئِكَ المُعْتَزِلَةُ»[3].

وَتَنَازَعَ النَّاسُ فِي الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ - أَيْ فِي أَسْمَاءِ الدِّينِ - مِثْلَ مُسْلِمٍ وَمُؤْمِنٍ، وَكَافِرٍ وَفَاسِقٍ، وَفِي أَحْكَامِ هَؤُلَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَالمُعْتَزِلَةُ وَافَقُوا

---

١) هو أيوب بن أبي تميمة السَّختياني، أبو بكر البصري، ثقةٌ ثبتٌ حجةٌ من كبار الفقهاء العُبَّاد، قال فيه ابن سعد: «كان أيوبُ ثقةً، ثبتاً في الحديث، جامعاً، كثير العلم، حُجَّةً، عدلاً»، وسُئل أبو حاتم عنه فقال: «ثقةٌ، لا يُسأل عن مثله»، مات سنة ١٣١هـ.
يُنظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥، تقريب التهذيب ١١٦

٢) المعتزلة: فرقة اشتهرت بأصولٍ خمسٍ وهي (التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، و من عقائدهم تعطيل الصفات، ونفي القدر، وتخليد عصاة الموحدين في النار، وتجويز الخروج على أئمة المسلمين، ومن أشهر فرقها (الواصلية: أتباع واصل بن عطاء)، و(العُمَرية: أتباع عمرو بن عُبيد)، و(الجاحظية: أتباع الجاحظ عمرو بن بحر)، و(الجُبائية: أتباع أبي علي محمد بن عبدالوهاب الجُبائي).
يُنظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٥، والتنبيه والرَّد ٣٥، والملل والنحل ١/ ٤٣

٣) ذكر ذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان ٤/ ٨٥ بلفظ: «إنَّما هؤلاءِ المُعْتَزِلَة».

الخَوَارِجَ عَلَى حُكْمِهِمْ فِي الآخِرَةِ دُونَ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَسْتَحِلُّوا مِنْ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَحَلَّتْهُ الخَوَارِجُ، وَفِي الأَسْمَاءِ أَحْدَثُوا المَنْزِلَةَ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ، وَهَذِهِ خَاصَّةُ المُعْتَزِلَةِ الَّتِي انْفَرَدُوا بِهَا، وَسَائِرُ أَقْوَالِهِمْ قَدْ شَارَكَهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ.

وَحَدَثَتْ المُرْجِئَةُ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ، وَلَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ عَبْدِاللهِ[1] مِنَ المُرْجِئَةِ، وَلَا إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي[2] وَأَمْثَالُهُ، فَصَارُوا نَقِيضَ الخَوَارِجِ وَالمُعْتَزِلَةِ، فَقَالُوا: إِنَّ/ الأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الإِيمَانِ[3]. [ص٧]

---

١) يعني الصحابي الكبير عبدالله بن مسعود، وأصحابه يعني تلاميذه، وكانوا بالكوفة.

٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، أبو عمران الكوفي، الإمام الحافظ، قال عنه الإمام أحمد: «كان إبراهيمُ ذكيّاً، حافظاً، صاحبُ سُنَّة»، وقال فيه الذهبي: «وكان بصيراً بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن»، مات سنة ٩٦هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠، تقريب التهذيب ٦٩

٣) الأعمال على قسمين كما هو مُقرر عند السَّلف، وهما:

[١] أعمال الجوارح: كالصلاة والزكاة والحج والجهاد والهجرة وغيرها.

[٢] أعمال القلوب: كالحُب والبغض والصدق والإخلاص وغيرها.

والأعمال بقسميها من أصل الإيمان عند أهل السُّنة، أمّا عند المُرجئة فإنهم لا يُدخلون أعمال الجوارح في الإيمان مُطلقاً!!، أمّا أعمال القلوب فهم فيها مُختلفون، فمنهم مَن يُدخلها وهم الأغلب، ومنهم مَن لا يُدخلها في الإيمان وهو قولٌ لبعضهم (كمرجئة الفقهاء، والجَهْمِيَّة، والأشاعرة) وقد بيَّن شيخ الإسلام في أكثر من موضع اختلافهم في أعمال القلوب، وأثبت

أنَّ غالبهم يُدخلونها في الإيمان، ومن ذلك قوله في شرح حديث جبريل ٤٣٠: «كان جماهير المُرجئة على أنَّ عمل القلب داخلٌ في الإيمان».

وقال كذلك في نفس الكتاب ٤٣٩: «فهذه الأقوال التي ذكرها الأشعري عن المُرجئة يتضمن أكثرها أنه لابد في الإيمان من بعض أعمال القلوب عندهم، وإنما نازع في ذلك فرقة يسيرة كجهم والصالحي».

وقال كذلك في نفس الكتاب ٤٤٠-٤٤١: «والمقصود هنا أنَّ عامة فرق الأمة تُدخل ما هو من أعمال القلوب حتى عامة فرق المرجئة تقول بذلك، وأمَّا المعتزلة والخوارج وأهل السُّنة وأصحاب الحديث، فقولهم في ذلك معروفٌ، وإنما نازع في ذلك مَن اتَّبع جهم بن صفوان من المرجئة، وهذا القولُ شاذٌّ».

وقال في الإيمان ١٥٥-١٥٦: «والمرجئة ثلاثة أصناف. الذين يقولون الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء مَن يُدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة .. ومنهم من لا يُدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي، وهذا الذي نصره هو - أي الأشعري - وأكثر أصحابه، والقول الثاني: من يقول هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرَّامية، والثالث: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم».

وقال في منهاج السُّنة ٥/ ٢٨٧: «وعند الجَهْمِيَّة الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، هذا قول جهم والصالحي والأشعري في المشهور عنه وأكثر أصحابه، وعند فقهاء المُرجئة هو: قول اللسان مع تصديق القلب، وعلى القولين أعمال القلوب ليست من الإيمان عندهم كأعمال الجوارح».

وقال كما في جامع المسائل ٥/ ٢٤٦ (ت: محمد عُزير شمس). «ومن هُنا غلطت الجَهْمِيَّة والمرجئة؛ فإنهم جعلوا الإيمان من باب القول: إمَّا قول القلب الذي هو عِلمه، أو معنًى غير العِلم عند من يقول ذلك، وهذا قول الجَهْمِيَّة ومن تبعهم كأكثر الأشعرية، وبعض متأخري

موقف شيخ الإسلام من مرجئة الفقهاء

وَكَانَتْ هَذِهِ البِدْعَةُ أَخَفَّ البِدَعِ، فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النِّزَاعِ فِيهَا نِزَاعٌ فِي الاسْمِ وَاللَّفْظِ دُونَ الحُكْمِ؛ إِذْ كَانَ الفُقَهَاءُ الَّذِينَ يُضَافُ إِلَيْهِمْ هَذَا القَوْلُ مِثْلَ حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ(١) وَأَبِي حَنِيفَةَ(٢) وَغَيْرِهِمَا، هُمْ مَعَ سَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ مُتَّفِقِينَ عَلَى أَنَّ اللهَ

---

الحنفية، وإمَّا قول القلب واللسان كالقول المشهور عن المرجئة؛ ولم يجعلوا عمل القلب مثل حُبِّ الله ورسوله ومثل خوف الله مِن الإيمان، فغلطوا في هذا الأصل».

ووافقه ابن أبي العز في شرحه للطحاوية ٤٤٣ حيث قال: «وتسميةُ حُبِّ الصَّحابة إيماناً مُشكِلٌ على الشيخ رحمه الله ـ أي الطَّحاوي ـ لأنَّ الحُبَّ عملُ القلب، وليس هو التَّصديق، ليكونُ العمل داخلاً في مُسمَّى الإيمان، وقد تقدَّم في كلامه: أنَّ الإيمان هو الإقرارُ باللِّسان والتَّصديقُ بالجنان، ولم يجعل العمل داخلاً في مُسمَّى الإيمان، وهذا هو المعروف مِن مذهب أهل السُّنة، إلاَّ أن تكون هذه التسمية مجازاً»، والله أعلم.

وحبذا مراجعة: آراء المُرجئة في مُصنفات ابن تيميَّة للدكتور عبدالله السَّند ١٨٣-١٩٠، والإيمان عند السَّلف وعلاقته بالعمل للشيخ محمد آل خضير ٢٧٥-٢٨٢.

١) هو حمَّاد بن مُسلم الأشعري مولاهم، أبو إسماعيل الكوفي، العلاَّمة فقيه العراق، وهو أنبل أصحاب النخعي وأفقههم، في الفقه إمامٌ، وفي الحديث صدوقٌ له أوهام، وفي الاعتقاد مِن كبار مُرجئة الفقهاء، مات ١٢٠هـ أو قبلها.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣١، تقريب التهذيب ٣٢٨

٢) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، أشهر بكُنيته، العلاَّمة الإمام العابد الزاهد فقيه العراق، وهو أجود أصحاب حمَّاد بن أبي سليمان، قال عنه الذَّهبي: «وأمَّا الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فإليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك»، وفي الحديث ضعَّفه جمهور المحدثين، ووثَّقه يحيى بن معين ، وفي الاعتقاد مِن كبار مُرجئة الفقهاء، مات سنة ١٥٠هـ

فَإِنَّ الإِيمَانَ إِذَا أُطْلِقَ دَخَلَتْ فِيهِ الأَعْمَالُ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً - أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[1].

وَإِذَا عُطِفَ عَلَيْهِ العَمَلُ كَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[2] فَقَدْ ذُكِرَ مُقَيَّداً بِالعَطْفِ، فَهُنَا قَدْ يُقَالُ: الأَعْمَالُ دَخَلَتْ فِيهِ، وَعُطِفَتْ عَطْفَ الخَاصِّ عَلَى العَامِّ.

وَقَدْ يُقَالُ: لَمْ تَدْخُلْ فِيهِ، وَلَكِنْ مَعَ العَطْفِ كَمَا فِي اسْمِ الفَقِيرِ وَالمِسْكِينِ، إِذَا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا تَنَاوَلَ الآخَرَ، وَإِذَا عُطِفَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ، فَهُمَا صِنْفَانِ كَمَا فِي آيَةِ الصَّدَقَاتِ كَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾[3]، وَكَمَا فِي آيَةِ

---

١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَابُ: أُمُورِ الإِيمَانِ، رقم (٨)، بلفظ (بِضْعٌ وَسِتُّونَ)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَابُ: بَيَانِ عَدَدِ شُعَبِ الإِيمَانِ وَأَفْضَلِهَا وَأَدْنَاهَا، رقم (٥٠)، بلفظ (بِضْعٌ وَسَبْعُونَ)، ورواه مسلمٌ أيضاً في كتاب الإيمان، بَابُ: بَيَانِ عَدَدِ شُعَبِ الإِيمَانِ وَأَفْضَلِهَا وَأَدْنَاهَا، رقم (٥١) بصيغة الشك، وكلاهما عن أبي هريرة.

٢) في عشر آيات، أولها في سورة البقرة، آية: ٢٧٧، وآخرها في سورة البيِّنة، آية: ٧

٣) سورة التوبة، آية: ٦٠

الكَفَّارَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ ﴾ (١)، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ ﴾ (٢) فَالفَقِيرُ وَالمِسْكِينُ شَيْءٌ وَاحِدٌ. [٢٢/أ]

دلالة الإفراد والاقتران ملاحظة في كثير من المسميات الشرعية

وَهَذَا التَّفْصِيلُ فِي الإِيمَانِ هُوَ كَذَلِكَ فِي لَفْظِ البِرِّ، وَالتَّقْوَى، وَالمَعْرُوفِ، وَفِي الإِثْمِ، وَالعُدْوَانِ، وَالمُنْكَرِ. تَخْتَلِفُ دَلَالَتُهَا فِي الإِفْرَادِ وَالاِقْتِرَانِ لِمَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا بَسْطاً كَبِيراً فِي الكَلَامِ عَلَى الإِيمَانِ(٣)، وَشَرْحِ حَدِيثِ جِبْرِيلَ(٤)، الَّذِي فِيهِ بَيَانُ أَنَّ الإِيمَانَ أَصْلُهُ فِي القَلْبِ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ؛ كَمَا فِي المُسْنَدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (الإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، وَالإِيمَانُ فِي القَلْبِ)(٥)، وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (أَلَا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا

---

١) سورة المائدة، آية : ٨٩

٢) سورة البقرة، آية : ٢٧١

٣) الإيمان ١٤-١٨ (ت: الألباني)

٤) شرح حديث جبريل ٤٨٢-٢٩٥ (ت: الزهراني).

٥) رواه الإمام أحمد ٣/ ١٣٤، وأبو يعلى الموصلي في مُسنده ٦/ ٤٦٨، وابن أبي شيبة في مُصنفه ٧/ ٢١١، كُلُّهم من طريق علي بن مَسْعَدة عن قتادة عن أنس بن مالك.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٢: «رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه، والبزار باختصار، ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مَسْعَدة، وقد وثّقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم

صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الجَسَدِ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ)"[1].

فَإِذَا كَانَ الإِيمَانُ فِي القَلْبِ فَقَدْ صَلَحَ القَلْبُ، فَيَجِبُ أَنْ يَصْلُحَ سَائِرُ الجَسَدِ؛ فَلِذَلِكَ هُوَ ثَمَرَةُ مَا فِي القَلْبِ؛ فَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ[2]: «الأَعْمَالُ ثَمَرَةُ الإِيمَانِ، وَصِحَّتُهُ»، لِمَا كَانَتْ لَازِمَةً لِصَلَاحِ القَلْبِ دَخَلَتْ فِي الاسْمِ؛ كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

---

وابن معين، وضعفه آخرون»، وضعّفه الألباني كما في تخريج شرح الطحاوية، وضعيف الجامع الصغير، بينما حسّنه حسين سليم أسد في تحقيق مُسند أبي يعلى.

١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَابُ: فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رقم (٥٠)، ومسلم في كتاب المساقاة، بَابُ: أَخْذِ الحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، رقم (٢٩٩٦)، وكلاهما عن النُّعمان بن بشير.

٢) لم أقفْ على أحدٍ من المُرجئة حُكي عنه هذا القول، وإنما هو مضمون قولهم ومقتضاه، ولذلك قال شيخ الإسلام في الإيمان الكبير ١٥٥: «ظنُّهم ـ أي المُرجئة ـ أنَّ الإيمان الذي في القلب يكون تامًّا بدون شيءٍ من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المُسَبَّب، ولا يجعلونها لازمةً له، والتحقيق أنَّ إيمان القلب التَّام يستلزمُ العملَ الظاهرَ بحسبه لا محالة، ويمتنعُ أن يقوم بالقلب إيمانٌ تامٌ بدون عملٍ ظاهرٍ».

الاستثناء بين المرجئة وأهل السنة

وَفِي الجُمْلَةِ الَّذِينَ رُمُوا بِالإِرْجَاءِ مِنَ الأَكَابِرِ مِثْلِ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ[1]، وَإِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ[2] وَنَحْوِهِمَا كَانَ إِرْجَاؤُهُمْ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، وَكَانُوا أَيْضاً لَا يَسْتَثْنُونَ فِي الإِيمَانِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: الإِيمَانُ هُوَ الإِيمَانُ المَوْجُودُ فِينَا، وَنَحْنُ نَقْطَعُ بِأَنَّا مُصَدِّقُونَ، وَيَرَوْنَ الاسْتِثْنَاءَ شَكّاً.

وَكَانَ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابُهُ يَسْتَثْنُونَ، وَقَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ لَمَّا قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ مُعَاذٍ[3] مَا قَالَ؛ لَكِنْ أَحْمَدُ أَنْكَرَ هَذَا،

---

١) هو طَلْقُ بن حَبِيب العَنَزِي ـ بفتح العين المهملة والنون ـ البصري، مِن كبار زهاد الأمة وعُبَّادها ووعَّاظها، ومِن العُلماء العاملين، وثَّقه ابن معين، وقال عنه أبو حاتم: صدوقٌ، وهو مِن مُرجئة الفقهاء، مات بعد سنة ٩٠هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠١، تقريب التهذيب ٤٥٣

٢) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التَّيمي، أبو أسماء الكوفي، إمامٌ ثقةٌ، مِن زهاد الأمة وعُبَّادها، قال عنه الذهبي: «وكان شاباً صالحاً قانتاً لله عالماً فقيهاً كبير القدر واعظاً»، وكان في الحديث ثقة، وفي الاعتقاد مِن مُرجئة الفقهاء، مات سنة ٩٢هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٠، تقريب التهذيب ٦٨

٣) يَقصِدُ به أبا مُسلم الخولاني تلميذ معاذ بن جبل الصحابي المشهور، داعية أهل اليمن.

وَضَعَّفَ هَذَا الحَدِيثَ[1].

انقسام الناس في الاستثناء

وَصَارَ النَّاسُ فِي الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

قَوْلٌ: أَنَّهُ يَجِبُ الِاسْتِثْنَاءُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَثْنِ كَانَ مُبْتَدِعاً.

وَقَوْلٌ: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مَحْظُورٌ، فَإِنَّهُ يَقْتَضِي الشَّكَّ فِي الإِيمَانِ.

---

١) هذا الحديث فيه قصة وقد أورده ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٦٠، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ١٨٣ عن أبي قلابة قال حدثني الرسولُ الذي سأل عبدالله بن مسعود، قال: أنشدكَ بالله أتعلم أنَّ النَّاس كانوا في عهد رسول الله ﷺ على ثلاثة أصناف: مُؤمن السريرة مُؤمن العلانية، وكافر السريرة كافر العلانية، ومُؤمن العلانية كافر السريرة، قال عبدالله: اللَّهُم نعم، قال: فأنشدكَ بالله من أيهم كنتَ، فقال: اللَّهُم مُؤمن السريرة مُؤمن العلانية، أنا مُؤمن)، والطبراني في مُسند الشاميين ٢/ ٣٣٣ (ت: حمدي السلفي) عن أبي مُسْلِم الخولاني: (أنه قدم العراق فجلس إلى رفقة فيها ابن مسعود، فتذاكروا الإيمان، فقلتُ. أنا مؤمنٌ، فقال ابن مسعود: أتشهدُ أنك في الجنة. فقلتُ: لا أدري مما يُحدث الليل والنهار، فقال ابن مسعود: لو شهدتَ أني مؤمنٌ لشهدتُ أني في الجنة. قال أبو مُسْلِم فقلت: يا بن مسعود ألم تعلم أنَّ النَّاس كانوا على عهد رسول الله ﷺ على ثلاثة أصناف: مُؤمن السريرة مُؤمن العلانية، كافر السريرة كافر العلانية، مُؤمن العلانية كافر السريرة. قال: نعم. قلتُ: فمن أيهم أنت؟ قال: أنا مُؤمن السريرة مُؤمن العلانية، قال أبو مسلم: ... وهذه منك زلة يا ابن مسعود. فقال: أستغفر الله).

وقد أنكر هذا الحديث يحيى بن سعيد القطَّان كما في الإيمان لأبي عُبيد ٤٠، والإمام أحمد بن حنبل كما في السُّنة للخَلَّال ٣/ ٥٩٩، والله أعلم.

وَالقَوْلُ الثَّالِثُ: أَوْسَطُهَا وَأَعْدَلُهَا أَنَّهُ يَجُوزُ الاسْتِثْنَاءُ بِاعْتِبَارٍ، وَتَرْكُهُ بِاعْتِبَارٍ؛ فَإِذَا كَانَ مَقْصُودُهُ أَنِّي لَا أَعْلَمُ أَنِّي قَائِمٌ فِي كُلِّ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيَّ، وَأَنَّهُ يَقْبَلُ أَعْمَالِي/ لَيْسَ مَقْصُودُهُ الشَّكَّ فِيمَا فِي قَلْبِهِ فَهَذَا اسْتِثْنَاؤُهُ حَسَنٌ، وَقَصْدُهُ أَنْ لَا يُزَكِّيَ نَفْسَهُ، وَأَنْ لَا يَقْطَعَ بِأَنَّهُ عَمِلَ عَمَلاً كَمَا أُمِرَ فَقُبِلَ مِنْهُ، وَالذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ، وَالنِّفَاقُ مَخُوفٌ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ. [٣٣/ك]

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ(١): «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، لَا يَقُولُ [أَحَدٌ](٢) مِنْهُمْ: إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»(٣).

---

١) هو عبدالله بن عُبيدالله بن أبي مُليكة بن عبدالله بن جُدعان التيمي، أبو محمد القرشي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، الإمام الفقيه، وثقه أبو حاتم وأبو زُرعة الرازيان وغيرهما، مات سنة ١١٧هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٨، تقريب التهذيب ٥١١، شذرات الذهب ٢/ ٨٠

٢) في (س) و(ك) و(م) (وَاحِدٌ) وهو تصحيفٌ، أو بالمعنى، والذي في صحيح البُخاري والسُّنة للخلال (أحدٌ)، ولذا أثبتُّ ما في الصحيح والسُّنة، والله أعلم.

٣) رواه البُخاري في كتاب الإيمان، باب: خوْفِ المؤمنِ مِن أن يَحْبَطَ عَمَلُهُ وهو لا يشعُرُ، مُعلقاً عن ابن أبي مُليكة، ورواه موصولاً البُخاري نفسُهُ في التاريخ الكبير ٥/ ١٣٧، والخلال في السُّنة ٣/ ٦٠٧ كلاهما من طريق سُفيان عن ابن جُرَيْجٍ عن ابن أبي مُليكة.

وَالبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ صَحِيحِهِ بَوَّبَ أَبْوَابًا فِي (الإِيمَانِ وَالرَّدِّ عَلَى المُرْجِئَةِ).

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا البَابِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ[1] قَالَ:

---

تنبيه: أورد شيخ الإسلام هذا الأثر كثيراً فمرَّةً يورده عن (ابن أبي مُليكة) كما في هذا الكتاب وغيره وهو المشهور عنه، ومرَّةً يورده عن (أبي العالية) كما في الرسالة المدنية ضمن الفتاوى ٦/ ٣٥٣، والرسالة مُحقَّقة بأكثر من تحقيق أشهرها (ت: الوليد الفريان) ٢٥، و(ت: فواز زمرلي) ١٩٩ ضمن جامع الرسائل له، ولم يتبه له مُحقِّقاه أو يُشيرا للخلاف، وكذلك في رسالة التوبة ٢٥٧ (ت: محمد رشاد سالم) ضمن جامع الرسائل له، ولم يتبه له مُحقِّقه أو يُشير للخلاف أيضاً، وكذلك ضمن مسألة في الاستثناء في الإيمان ضمن الفتاوى ٧/ ٦٦٨، والأظهر ما أورده عن (ابن أبي مُليكة) كما سبق، وأمّا أثر (أبي العَالية) فيغلب على ظني أنه وَهْمٌ أو تصحيفٌ، بدلالة أنه حينما أورده في رسالة التوبة السابقة قال الشيخ قبلها: «فذكر البخاري عن أبي العالية»، وهذا لا يستقيم لأن البخاري لم يذكره عن أبي العالية كما تقرر، وقد جزم الشيخ ناصر الفهد بأنه تصحيفٌ من النُّساخ؛ كما في صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيف ٦٦، ولو كان في موطنٍ واحدٍ لجزمت بقوله، ولكنه في ثلاث رسائل مُتفرقات، والله أعلم.

١) هو الإمام طاهر بن أحمد البُخاري الحنفي، توفي سنة ٥٤٢هـ وكتابه يُسمّى (خُلاصة الفتاوى، أو الخلاصة)، قال حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٧١٨: «وهو كتابٌ مشهورٌ مُعتمدٌ في مجلدٍ» ، وقد نقل عنه هذا القول ابن عابدين في حاشية رَدِّ المحتار ٣/ ٣٠٢.

«وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَبُو يُوسُفَ[1] وَمُحَمَّدٌ[2] كَرِهُوا أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: إِيمَانِي كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ - قَالَ مُحَمَّدٌ: لِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ يَقِينًا - أَوْ إِيمَانِي كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ، أَوْ إِيمَانِي كَإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ، أَوْ كَإِيمَانِ هَذَا، وَلَكِنْ يَقُولُ: آمَنْتُ بِمَا آمَنَ بِهِ جِبْرِيلُ وَأَبُو بَكْرٍ»[3].

---

١) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، أبو يوسف الكوفي صاحب أبي حنيفة، الإمام المُحدِّث الفقيه، قال عنه تلميذه الإمام أحمد: «أوّل ما كتبتُ الحديثَ، اختلفتُ إلى أبي يوسفَ، وكان أميَلَ إلى المُحدِّثين من أبي حنيفة ومحمَّد»، وقال عنه تلميذه كذلك يحيى بن معين: «أبو يوسف صاحبُ حديثٍ، صاحبُ سُنَّةٍ»، مات سنة ١٨٢هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٥٣٥، تاج التراجم ٢/ ٣١٥

٢) هو محمَّد بن الحسن بن فَرْقَد الشيباني، أبو عبدالله الكوفي صاحب مالك وأبي حنيفة، الإمام الفقيه، كان مضرب المثل في الذكاء، والفصاحة، قال عنه الشَّافعي: «ما ناظرتُ سَمِيناً أذكى منه، ولو أشاءُ أن أقول: نزل القرآنُ بلُغة محمَّد بن الحسن، لقلتُ لفصاحته»، له رواية لموطأ مالك، وهو ابن أخت عبدالله بن مسلمة القعنبي المُحدِّث المشهور، مات سنة ١٨٩هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٤، تاج التراجم ٢/ ٢٣٧

٣) ذكر ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٧/ ٩: عن حماد بن زيد قال: قلتُ لأبي حنيفة: إنَّ جابراً روى عنك وإنك تقول: إيماني كإيمان جبريل وميكائيل. قال: ما قلتُ هذا!!، ومن قال هذا فهو مبتدع. فذُكر ذلك لمحمَّد بن الحسن فقال: «صدق حمادٌ إنَّ أبا حنيفة كان يكره أن يقول ذلك».

وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ لَا يُجَوِّزُونَ الاسْتِثْنَاءَ فِي الإِيمَانِ بِكَوْنِ الأَعْمَالِ مِنْهُ، / وَيَذُمُّونَ المُرْجِئَةَ، وَالمُرْجِئَةُ عِنْدَهُمْ: الَّذِينَ لَا يُوجِبُونَ الفَرَائِضَ، وَلَا اجْتِنَابَ المَحَارِمِ؛ بَلْ يَكْتَفُونَ بِالإِيمَانِ، وَقَدْ عُلِّلَ تَحْرِيمُ الاسْتِثْنَاءِ فِيهِ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ تَعْلِيقُهُ عَلَى الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ المُعَلَّقَ عَلَى الشَّرْطِ لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ وُجُودِهِ كَمَا قَالُوا فِي قَوْلِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَإِذَا عُلِّقَ الإِيمَانُ بِالشَّرْطِ كَسَائِرِ المُعَلَّقَاتِ بِالشَّرْطِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا عِنْدَ حُصُولِ الشَّرْطِ.

[س/١٠١]

موقف مرجئة الفقهاء من الاستثناء

قَالُوا: وَشَرْطُ المَشِيئَةِ الَّذِي يَتَرَجَّاهُ القَائِلُ لَا يَتَحَقَّقُ حُصُولُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَإِذَا عَلَّقَ العَزْمَ بِالفِعْلِ عَلَى التَّصْدِيقِ وَالإِقْرَارِ فَقَدْ ظَهَرَتِ المَشِيئَةُ، وَصَحَّ العَقْدُ، فَلَا مَعْنَى لِلاسْتِثْنَاءِ؛ وَلِأَنَّ الاسْتِثْنَاءَ عَقِبَ الكَلَامِ يَرْفَعُ الكَلَامَ فَلَا يَبْقَى الإِقْرَارُ بِالإِيمَانِ وَالعَقْدِ مُؤْمِنًا، وَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ هَذَا القَائِلُ القَارِنُ بِالاسْتِثْنَاءِ عَلَى الإِيمَانِ بَقَاءَ التَّصْدِيقِ وَذَلِكَ يُزِيلُهُ.

قُلْتُ: فَتَعْلِيلُهُمْ فِي المَسْأَلَةِ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ فِيمَنْ يُعَلِّقُ إِنْشَاءَ الإِيمَانِ عَلَى المَشِيئَةِ كَالَّذِي يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي الإِسْلَامِ، فَيُقَالُ لَهُ: آمِنْ. فَيَقُولُ: أَنَا أُومِنُ إِنْ شَاءَ اللهُ،

---

وذكر كذلك في الكامل في الضعفاء ٧/ ١٤٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢١٤ عن علي بن الجعد قال: سمعتُ أبا يوسف يقول: «مَن قال إيماني كإيمان جبريل فهو صاحب بدعة».

أَوْ آمَنْتُ إِنْ شَاءَ [اللهُ][1]، أَوْ أَسْلَمْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ، أَوْ أَشْهَدُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ إِنْ شَاءَ اللهُ/ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ. [٢٤/ـأ]

[أنواع الاستثناء خبر وإنشاء]

وَالَّذِينَ اسْتَثْنَوْا مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ لَمْ يَقْصِدُوا فِي الإِنْشَاءِ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ فِي إِخْبَارِهِ عَمَّا قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنَ الإِيمَانِ فَاسْتَثْنَوْا، إِمَّا أَنَّ الإِيمَانَ المُطْلَقَ يَقْتَضِي دُخُولَ الجَنَّةِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الخَاتِمَةَ؛ كَأَنَّهُ إِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ. قِيلَ لَهُ: أَنْتَ عِنْدَ اللهِ مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ. فَيَقُولُ: أَنَا كَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ.

أَوْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِكَمَالِ الإِيمَانِ الوَاجِبِ.

وَلِهَذَا كَانَ مِنْ جَوَابِ بَعْضِهِمْ إِذَا قِيلَ لَهُ أَنْتَ مُؤْمِنٌ: آمَنْتُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، فَيَجْزِمُ بِهَذَا وَلَا يُعَلِّقُهُ، أَوْ يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الإِيمَانَ الَّذِي يَعْصِمُ دَمِي وَمَالِي فَأَنَا مُؤْمِنٌ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَوْلَهُ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[2]

---

١) ساقطة من (م)، ثابتة في (س) و(ك).

٢) سورة الأنفال، آية: ٢-٤

وَقَوْلَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[1] فَأَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَأَمَّا الإِنْشَاءُ فَلَمْ يَسْتَثْنِ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا شُرِعَ الاسْتِثْنَاءُ فِيهِ؛ بَلْ كُلُّ مَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ آمَنَ وَأَسْلَمَ جَزْمًا بِلَا تَعْلِيقٍ.

فَتَبَيَّنَ أَنَّ النِّزَاعَ فِي الْمَسْأَلَةِ قَدْ يَكُونُ لَفْظِيًّا، فَإِنَّ الَّذِي حَرَّمَهُ هَؤُلَاءِ غَيْرُ الَّذِي اسْتَحْسَنَهُ وَأَمَرَ بِهِ أُولَئِكَ، وَمَنْ جَزَمَ جَزَمَ بِمَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الحَالِ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يُنَافِي تَعْلِيقَ الْكَمَالِ وَالْعَاقِبَةِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ عِنْدَهُمُ الأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنَ الإِيمَانِ فَصَارَ الإِيمَانُ هُوَ الإِسْلَامَ عِنْدَ أُولَئِكَ.

الاستثناء في الإسلام

وَالمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يُسْتَثْنَى فِي الإِسْلَامِ، وَهُوَ المَشْهُورُ عَنْ أَحْمَدَ[2]، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ فِيهِ الاسْتِثْنَاءُ[3]؛ كَمَا قَدْ بُسِطَ هَذَا فِي (شَرْحِ حَدِيثِ

---

١) سورة الحجرات، آية: ١٥

٢) نقل ذلك الخلال في السنة عنه ٤/ ١١، وغيره.

٣) للإمام أحمد ا قولان في الاستثناء في الإسلام، وهذا راجعٌ - والله أعلم - إلى تعريف الإسلام عنده، فمرّة يعتبره (النطق بالشهادتين)، ومرّة يعتبره (الأعمال الظاهرة)، وكُلٌّ لها اعتبار بمعناها، ولهذا يقول شيخ الإسلام في تفسير منع الاستثناء أو جوازه عند الإمام أحمد في كتاب الإيمان الكبير ٢١٩: «والصَّحيحُ أنَّ الإسلامَ هُوَ الأعمالُ الظَّاهِرةُ كُلُّها، وأحمدُ إنّما

[٢٦/ب]

جِبْرِيلَ)"(١)، وَغَيْرِهِ مِنْ نُصُوصِ الإِيمَانِ الَّتِي فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ./

[وَلَوْ قَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللهُ](٢)، فَفِيهِ نِزَاعٌ مَشْهُورٌ، وَقَدْ رَجَّحْنَا التَّفْصِيلَ؛ وَهُوَ أَنَّ الكَلَامَ يُرَادُ بِهِ شَيْئَانِ:

يُرَادُ بِهِ إِيقَاعُ الطَّلَاقِ تَارَةً، وَيُرَادُ بِهِ مَنْعُ إِيقَاعِهِ تَارَةً.

فَإِنْ كَانَ مُرَادُهُ أَنْتِ طَالِقٌ بِهَذَا اللَّفْظِ، فَقَوْلُهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ مِثْلُ قَوْلِهِ بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَقَدْ شَاءَ اللهُ الطَّلَاقَ حِينَ أَتَى بِالتَّطْلِيقِ فَيَقَعُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ عَلَّقَ لِئَلَّا

---

مَنَعَ الاستثناءَ فيه على قولِ الزُّهريِّ: هُوَ الكلمةُ، هكذا نقل الأثرمُ والميمونيُّ وغيرُهما عنه.
وأمّا على جوابِهِ الآخرِ الذي لم يختَرْ فيه قولَ مَن قال: الإسلامُ الكلمةُ فيُستثنى في الإسلامِ كما يُستثنى في الإيمانِ، فإنَّ الإنسانَ لا يجزمُ بأنَّهُ قد فعل كُلَّ ما أُمِرَ به مِن الإسلام ... وتَعليلُ أحمد وغيره مِن السَّلف ما ذكروهُ في اسم الإيمان يجيءُ في اسم الإسلام، فإذا أُرِيدَ بالإسلامِ الكلمةُ فلا استثناءَ فيه كما نصَّ عليه أحمد وغيرُهُ، وإذا أُرِيدَ به مِن فِعلِ الواجباتِ الظّاهرةِ كُلِّها فالاستثناءُ فيه كالاستثناءِ في الإيمانِ».

١) يُنظر: شرح حديث جبريل ٣٦٦، وقال فيه: «والمأثورُ عن الصَّحابةِ وأئمَّةِ التّابعينَ وجمهورِ السَّلفِ، وهو مذهبُ أهلِ الحديث، وهو المنسوبُ إلى أهلِ السُّنّةِ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ، يزيدُ بالطّاعةِ وينقصُ بالمعصية، وأنَّهُ يجوزُ الاستثناءُ فيه».

٢) ساقطة مِن (س) و(ك)، ثابتةٌ في (م).

يَقَعْ أَوْ عَلَّقَهُ عَلَى مَشِيئَةٍ تُوجَدُ بَعْدَ هَذَا لَمْ يَقَعْ بِهِ الطَّلَاقُ حَتَّى يُطَلِّقَ بَعْدَ هَذَا، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ شَاءَ اللهُ أَنْ تُطَلَّقَ.

وَقَوْلُ مَنْ قَالَ الْمَشِيئَةُ تُنْجِزُهُ لَيْسَ كَمَا قَالَ؛ بَلْ نَحْنُ نَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ الطَّلَاقَ لَا يَقَعُ إِلَّا إِذَا طَلُقَتِ الْمَرْأَةُ، بِأَنْ يُطَلِّقَهَا الزَّوْجُ، أَوْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ وَلِيٍّ أَوْ وَكِيلٍ، فَإِذَا لَمْ يُوجَدْ تَطْلِيقٌ لَمْ يَقَعْ طَلَاقٌ قَطُّ، فَإِذَا قَالَ أَنْتِ طَالِقٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَقَصَدَ حَقِيقَةَ التَّعْلِيقِ لَمْ يَقَعْ إِلَّا بِتَطْلِيقٍ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ إِذَا قَصَدَ تَعْلِيقَهُ لِئَلَّا يَقَعَ الْآنَ، وَأَمَّا إِنْ قَصَدَ إِيقَاعَهُ الْآنَ وَعَلَّقَهُ بِالْمَشِيئَةِ تَوْكِيدًا وَتَحْقِيقًا فَهَذَا يَقَعُ بِهِ الطَّلَاقُ.

وَمَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَنْشَأَ الْإِيمَانَ فَعَلَّقَهُ عَلَى الْمَشِيئَةِ، فَإِذَا عَلَّقَهُ فَإِنْ كَانَ مَقْصُودُهُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، أَنَا أُومِنُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهَذَا لَمْ يَصِرْ مُؤْمِنًا، مِثْلَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: هَلْ تَصِيرُ مِنْ أَهْلِ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ أَصِيرُ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَهَذَا لَمْ يُسْلِمْ؛ بَلْ هُوَ بَاقٍ عَلَى الْكُفْرِ.

وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ: أَنِّي قَدْ آمَنْتُ وَإِيمَانِي بِمَشِيئَةِ اللهِ، صَارَ مُؤْمِنًا لَكِنْ إِطْلَاقَ اللَّفْظِ يَحْتَمِلُ هَذَا/ وَهَذَا، فَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ مِثْلِ هَذَا اللَّفْظِ فِي الْإِنْشَاءِ، [س/١١١] وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَصْلَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ مَا كَانَ مُسْتَقْبَلًا، فَأَمَّا الْمَاضِي وَالْحَاضِرُ

فَلا يُعَلَّقُ بِالمَشِيئَةِ، وَالَّذِينَ اسْتَثْنَوْا لَمْ يَسْتَثْنُوا فِي الإِنْشَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ، كَيْفَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾[1]/ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2] فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ آمَنُوا فَوَقَعَ الإِيمَانُ مِنْهُمْ قَطْعاً بِلا اسْتِثْنَاءٍ. [٢٧/أ]

وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا، كَمَا أَمَرَ اللهُ بِلا اسْتِثْنَاءٍ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، مَا اسْتَثْنَى أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ قَطُّ فِي مِثْلِ هَذَا، وَإِنَّمَا الكَلَامُ إِذَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ كَمَا يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ بَرٌّ تَقِيٌّ.

فَقَوْلُ القَائِلِ لَهُ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ، هُوَ عِنْدَهُمْ كَقَوْلِهِ: هَلْ أَنْتَ بَرٌّ تَقِيٌّ؟.

فَإِذَا قَالَ: أَنَا بَرٌّ تَقِيٌّ فَقَدْ زَكَّى نَفْسَهُ، فَيَقُولُ: إِنْ شَاءَ اللهُ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ كَذَلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّ الإِيمَانَ التَّامَّ يَتَعَقَّبُهُ قَبُولُ اللهِ لَهُ، وَجَزَاؤُهُ عَلَيْهِ، وَكِتَابَةُ المَلَكِ لَهُ، فَالاسْتِثْنَاءُ يَعُودُ إِلَى ذَلِكَ لا إِلَى مَا عَلِمَهُ هُوَ مِنْ نَفْسِهِ، وَحَصَلَ وَاسْتَقَرَّ؛ فَإِنَّ هَذَا لا يَصِحُّ تَعْلِيقُهُ بِالمَشِيئَةِ؛ بَلْ يُقَالُ: هَذَا حَاصِلٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ

١) سورة البقرة، آية: ١٣٦

٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥

وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَقَوْلُهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ بِمَعْنَى إِذْ شَاءَ اللهُ، وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ لَا تَعْلِيقٌ.

وَالرَّجُلُ قَدْ يَقُولُ: وَاللهِ لَيَكُونَنَّ كَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ، وَهُوَ جَازِمٌ بِأَنَّهُ يَكُونُ، فَالمُعَلَّقُ هُوَ الفِعْلُ كَقَوْلِهِ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(١)، وَاللهُ عَالِمٌ بِأَنَّهُمْ سَيَدْخُلُونَهُ، وَقَدْ يَقُولُ الآدَمِيُّ لَأَفْعَلَنَّ كَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ، وَهُوَ لَا يَجْزِمُ بِأَنَّهُ يَقَعُ لَكِنْ يَرْجُوهُ، فَيَقُولُ: يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ عَزْمُهُ عَلَيْهِ قَدْ يَكُونُ جَازِماً، وَلَكِنْ لَا يَجْزِمُ بِوُقُوعِ المَعْزُومِ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ العَزْمُ مُتَرَدِّداً مُعَلَّقاً بِالمَشِيئَةِ أَيْضاً، وَلَكِنْ مَتَى كَانَ المَعْزُومُ عَلَيْهِ مُعَلَّقاً لَزِمَ تَعْلِيقُ بَقَاءِ العَزْمِ، فَإِنَّهُ بِتَقْدِيرِ أَنَّ تَعْلِيقَ العَزْمِ ابْتِدَاءً أَوْ دَوَاماً فِي مِثْلِ ذَلِكَ.

وَهَذَا لَمْ يَحْنَثِ المُطْلَقُ المُعَلَّقُ وَحَرْفُ (إِنْ) لَا يُبْقِي العَزْمَ، فَلَا بُدَّ إِذَا دَخَلَ عَلَى المَاضِي صَارَ مُسْتَقْبَلاً، تَقُولُ: (إِنْ جَاءَ زَيْدٌ) كَانَ كَذَلِكَ ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾](٢)(٣)، وَإِذَا أُرِيدَ المَاضِي دَخَلَ

---

١) سورة الفتح، آية : ٢٧

٢) في (س) و(ك) {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ} وهو تصحيفٌ، وفي (م) الآية على الصواب.

٣) سورة البقرة، آية : ١٣٧

حَرْفُ ([كَانَ])[1] كَقَوْلِهِ: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾[2]، فَيُفَرِّقُ بَيْنَ قَوْلِهِ: أَنَا/ مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: إِنْ كَانَ اللهُ شَاءَ إِيمَانِي. [٣٢/ ٤]

وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَقْصُودُهُ أَنِّي لَا أَعْلَمُ بِمَاذَا يُخْتَمُ لِي؛ كَمَا قِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّ فُلَانًا يَشْهَدُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ. قَالَ: «فَلْيَشْهَدْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ!»[3].

فَهَذَا مُرَادُهُ إِذَا شَهِدَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللهِ يَمُوتُ عَلَى الإِيمَانِ، وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ مَقْصُودُهُ: أَنَّ إِيمَانِي حَاصِلٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَثْنِ قَالَ: أَنَا لَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِ قَلْبِي، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ، إِذَا لَمْ يُزَكِّ نَفْسَهُ، وَيَقْطَعْ بِأَنَّهُ عَامِلٌ كَمَا أُمِرَ، وَقَدْ

---

١) في (م) (إنْ)، وهو تصحيفٌ، وفي (س) و(ك) (كان)، وهو الأظهر إن شاء الله.

٢) سورة آل عمران، آية: ٣١

٣) رواه ابن أبي شيبة في الإيمان ٤٩، وعبدالله بن أحمد في السُّنة ١/ ٣٢٢، والخلال في السُّنة ٣/ ٥٨٧، وكان الإمام أحمد يُعجبه الاستثناء في الإيمان تبعاً لابن مسعود، فقال: «أذهبُ إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان قولٌ وعملٌ، والعمل الفعل، فقد جئنا بالقول، ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل؛ فيعجبني أن نستثني في الإيمان، نقول: أنا مؤمن إن شاء الله» كما عند الخلال في السُّنة ٣/ ٦٠٠.

تَقَبَّلَ اللهُ عَمَلَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُلْ إِنَّ إِيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَالِ الْمُرْجِئَةِ؛ كَمَا كَانَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ[1] يَقُولُ: «أَنَا لَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي»[2].

موقف السلف من إرجاء مسعر بن كدام

قَالَ أَحْمَدُ: «وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُرْجِئَةِ، فَإِنَّ الْمُرْجِئَةَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ كَانَ يَقُولُ: هِيَ مِنَ الْإِيمَانِ؛ لَكِنْ أَنَا لَا أَشُكُّ فِي إِيمَانِي»[3].

---

١) هو مِسْعر ـ بكسر أوله، وتخفيف ثانيه ـ بن كِدَام بن ظهير الهلالي، أبو سلمة الكوفي، الإمام الحافظ الثقة، كان جبلاً في الحفظ والعبادة، قال عنه الإمام أحمد: «الثِّقَةُ كشُعبة ومِسْعَرٍ»، مات سنة ١٥٥هـ.
يُنظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ١٦٣، تقريب التهذيب ١٧٦

٢) رواه الخلاَّل في السُّنة ٣/ ٥٧٢

٣) اختلف السَّلف في إرجاء مِسْعر، فكان الإمام أحمد لا يعده منهم، بينما عدَّه الإمام سفيان الثوري ومحمَّد بن سعد وغيرهما منهم، والذي يظهر أنَّ الإرجاء درجات فمنهم من جعل الإيمان هو المعرفة فقط كالجهميَّة، ومنهم من جعل الإيمان القول فقط كالكرَّامية، ومنهم من جعل الإيمان القول والتصديق كمرجئة الفقهاء، وهؤلاء اتفقوا على إخراج العمل من الإيمان، وأمَّا مسعر فلم يكن يقول بهذه الأقوال بل نقل عنه أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢١٨ وغيره أنَّه يقول بأن «الإيمان قولٌ وعمل، وأنَّه يزيد وينقص»، وإنما جاءه اللبس في الاستثناء في الإيمان، فقد اعتبره شكَّاً فيه، بينما السَّلف يستحبون الاستثناء في الإيمان إذا لم يكن للتزكية أو الشك حتى قال يحيى بن سعيد: «ما أدركتُ أحداً إلاَّ على الاستثناء»، وقال عبدالرحمن

بن مهدي: «إنما تُرِك الاستثناء فهو أصل الأرجاء»، بل لم يأتِ عن الثوري وهو قرينٌ لِمِسْعَر أنّه طعن فيه لأجل إخراجه العمل عن الإيمان، بل لعدم استثنائه في إيمانه، فاعتبره بذلك مُرجئاً، ولأنّه فتح الباب للمُرجئة لإخراج العمل عن الإيمان، إذ الاستثناء مُرتبطٌ بالعمل، وفيه يقول سُفيان الثوري: «خالفنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول الإيمان قولٌ وعملٌ وهم يقولون قولٌ بلا عمل، ونحن نقول يزيد وينقص وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص، ونحن نقول أهل القبلة عندنا مؤمنون أمّا عند الله فالله أعلم وهم يقولون نحن عند الله مؤمنون»، وكلام الإمام أحمد واضحٌ في تبرئة مِسْعَر من الإرجاء المشهور.

وقد اعتذر الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلاّم عن مِسْعَرٍ بأنه يُريد أصل الإيمان لا كماله حيث قال: «وكذلك نرى مذهب الفقهاء الذين كانوا يتسمون بهذا الاسم بلا استثناء، فيقولون: نحن مؤمنون، منهم [أبو] عبدالرحمن السُّلمي، وإبراهيم التيمي، وعون بن عبدالله ، ومن بعدهم مثل: عمر بن ذر ، والصلت بن بهرام ، ومسعر بن كدام، ومن نحا نحوهم، إنّما هو عندنا منهم على الدخول في الإيمان لا على الاستكمال»، وما بين المعكوفين ساقطٌ في مطبوعة كتاب الإيمان لأبي عُبيد، بينما هي ثابتةٌ في المخطوط منه، ولم ينتبه لها العلاّمة الألباني في تحقيقه للكتاب، ويُنظر كتاب الإيمان لأبي عُبيد صفحة ٤٠-٤١، والله أعلم.

وأمّا عبارة الحافظ الذّهبي في ميزان الاعتدال ٤/٩٩ «أمّا مِسْعَر بن كِدَام فحجةٌ إمامٌ، ولا عبرة بقول السليماني: كان من المرجئة مِسْعَرٌ، وحماد بن أبي سليمان، والنعمان، وعمرو بن مُرّة، وعبدالعزيز ابن أبي رواد، وأبو معاوية، وعمرو بن ذر ...، وسرد جماعة.

قلتُ: الإرجاء مذهبٌ لعِدّةٍ من جِلّة العُلماء لا ينبغي التحامل على قائله» فالظاهر أنّه يريد عدم رُدّ روايتهم لِما طُعنوا به من البدعة، وإنما الأصل الحفظ والإتقان، وكلام الذهبي نفيسٌ في بابه، وعليه درج الشيخان في صحيحيهما، وقد أخرجا لجماعة ممّن نُسبوا إلى البدعة ولكنهم حُفاظٌ أثباتٌ، أو في المُتابعات، والله أعلم.

وَكَانَ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ[1]: «أَلَا تَنْهَاهُ عَنْ هَذَا!»[2]،

---

١) هو سُفيان بن عُيَيْنة بن ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، الإمامُ الكبير، حافظُ العصر، شيخ الإسلام، مِن الثِّقات الفقهاء، مِن أصحاب المذاهب الفقهية المُندثرة، قال عنه الذهبي: «ولقد كان خلقٌ مِن طلبة الحديث يتكلَّفون الحجَّ، وما المُحرِّكُ لهم سوى لُقِيِّ سفيان بن عُيينة؛ لإمامته وعُلُوِّ إسناده، وجاور عندهُ غيرُ واحدٍ مِن الحُفَّاظِ... وكان صاحب سُنَّةٍ واتباع»، مات في رجب سنة ١٩٨هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٤، تقريب التهذيب ٢٧١

٢) روى القصة الخلال في السُّنة ٣/ ٥٧٣ بلفظ: (عن سُفيان بن عُيينة أن قال: قال لي سُفيان الثوري: ألا تقول لِمِسعر!! أي بالهلالية، يعني في الإرجاء)، وما رأيتُ أنَّ ابن عُيينة قد أنكر على مِسعر ما قاله في عدم الاستثناء في الإيمان علانية، مع أنَّه مُخالفٌ له في عدم الاستثناء، مُتابعٌ للسَّلف، وما أظن ذلك إلاَّ لجلالة مِسعر في نفس ابن عُيينة، ولِمِسعرٍ لفضل بعد الله على ابن عُيينة فهو مِن قبيله، وأكبر منه سِناً، وشيخه، ومَن أجازه بالرواية، ونصب له الاسطوانة، وأمره بالتحديث، وإنما كان مِسعر لابن عُيينة مقام الوالد والشيخ والمُربي، فما كان مِن ابن عُيينة إلاَّ أن يعرض مذهب السَّلف في الإيمان، ويرد على المُخالفين، ولا يذكر مِسعر منهم، جلالةً له وتقديراً، وهذا مِن أدبه وخُلُقه، ومَن وجد إنكاراً علنياً لابن عُيينة على مِسعرٍ فليُهدنيه جزاه ربي الجنة.

[فإنهما][1] من قبيلة واحدة، وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا: أن النزاع في هذا كان بين أهل العلم والدين من جنس المنازعة في كثير من الأحكام، وكلهم من أهل الإيمان والقرآن.

مذهب الجهمية في الإيمان

وأما جهم فكان يقول: إن الإيمان مجرد تصديق القلب، وإن لم يتكلم به. وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة وأئمتها؛ بل أحمد ووكيع[2] وغيرهما[3] كفروا من قال بهذا القول، ولكن هو الذي نصره الأشعري[4] وأكثر أصحابه؛ ولكن قالوا مع ذلك إن كل من حكم الشرع

---

١) في (س) و(ك) و(م) (فإنهم) وأظنه تصحيفاً، والأظهر ما أثبت، لأن الضمير راجعٌ إلى مِسْعر وابن عُيَيْنة، ويستحيل أن يكون الثوري داخلٌ معهما لأنه ليس هلالياً، والله أعلم.

٢) هو وكيع بن الجرّاح بن مليح الرُّؤاسي، أبو سفيان الكوفي، الإمام الحافظ، أحد الأعلام الكبار، «كان من بحور العلم، وأئمة الحفظ»، وقال عنه الإمام أحمد: «ما رأيتُ قطُّ مثل وكيع في العلم، والحفظ، والإسناد، والأبواب، مع خُشوعٍ وورَعٍ»، مات سنة ٩٦هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٠، تقريب التهذيب ٣٨٢

٣) صرّح شيخ الإسلام ابن تيميةّ بثالثٍ لهما، وهو الإمام أبو عُبيد القاسم بن سلاّم؛ كما في كتاب الإيمان ١٥١ (ت: الألباني).

٤) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، أبو الحسن البصري، إمامٌ متكلمٌ مُتبَعٌ، قال عنه الذهبي: «رأيتُ لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السَّلف في الصِّفات، وقال فيها: تُمرُّ كما جاءت، ثُمَّ قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تُؤوَّل ...

بِكُفْرِهِ حَكَمْنَا بِكُفْرِهِ، وَاسْتَدْلَلْنَا بِتَكْفِيرِ الشَّارِعِ لَهُ عَلَى خُلُوِّ قَلْبِهِ مِنَ المَعْرِفَةِ، وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِ غَيْرِهِمْ فِي (الإِيمَانِ).

وَالأَصْلُ الَّذِي مِنْهُ نَشَأَ النِّزَاعُ اعْتِقَادُ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، وَظَنُّ بَعْضِهِمْ أَنَّ هَذَا إِجْمَاعٌ كَمَا ذَكَرَ الأَشْعَرِيُّ أَنَّ هَذَا إِجْمَاعٌ، فَهَذَا كَانَ أَصْلَ الإِرْجَاءِ كَمَا كَانَ أَصْلُ القَدَرِ عَجْزَهُمْ عَنِ الإِيمَانِ بِالشَّرْعِ وَالقَدَرِ جَمِيعًا، فَلَمَّا كَانَ هَذَا أَصْلَهُمْ صَارُوا حِزْبَيْنِ.

[س/١٢] [هـ/٢٨] قَالَتِ الخَوَارِجُ وَالمُعْتَزِلَةُ:/ قَدْ عَلِمْنَا يَقِينًا أَنَّ الأَعْمَالَ مِنَ الإِيمَانِ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ تَرَكَ بَعْضَ الإِيمَانِ، وَإِذَا زَالَ/ بَعْضُهُ زَالَ جَمِيعُهُ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ لَا يَتَبَعَّضُ، وَلَا يَكُونُ فِي العَبْدِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، فَيَكُونُ أَصْحَابُ الذُّنُوبِ مُخَلَّدِينَ فِي النَّارِ إِذْ كَانَ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الإِيمَانِ شَيْءٌ.

مذهب الخوارج والمعتزلة والمرجئة في الإيمان

---

ولأبي الحسن ذكاءٌ مُفرط، وتبحُّر في العِلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمّة تقضي له بسعة العِلم، وقد كان مُعتزلياً، ثم كُلابياً، ثم سلفياً في الجملة وزلّات يعرفها أهل العِلم، وأتباعه الآن أقرب للكُلابيّة مِن السَّلفيّة، بل هم مخالفون للسَّلف في أشياء كثيرة، وله مؤلفات مِن أشهرها (مقالات الإسلاميين) و(الإبانة عن أصول الديانة)، مات سنة ٣٣٠ هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٨٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٠٣

وَقَالَتْ الْمُرْجِئَةُ ـ مُقْتَصِدَتُهُمْ وَغُلَاتُهُمْ كَالْجَهْمِيَّةِ ـ: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَهْلَ الذُّنُوبِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ؛ بَلْ يَخْرُجُونَ مِنْهَا كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ، وَعَلِمْنَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأَئِمَّةِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا كُفَّاراً مُرْتَدِّينَ؛ فَإِنَّ الْكِتَابَ قَدْ أَمَرَ بِقَطْعِ السَّارِقِ لَا بِقَتْلِهِ، وَجَاءَتْ السُّنَّةُ بِجَلْدِ الشَّارِبِ لَا بِقَتْلِهِ، فَلَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ كُفَّاراً مُرْتَدِّينَ لَوَجَبَ قَتْلُهُمْ؛ وَبِهَذَا ظَهَرَ لِلْمُعْتَزِلَةِ ضَعْفُ قَوْلِ الْخَوَارِجِ فَخَالَفُوهُمْ فِي أَحْكَامِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَالْخَوَارِجُ لَا يَتَمَسَّكُونَ مِنْ السُّنَّةِ إِلَّا بِمَا فَسَّرَ مُجْمَلَهَا، دُونَ مَا خَالَفَ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ عِنْدَهُمْ، فَلَا يَرْجُمُونَ الزَّانِيَ، وَلَا يَرَوْنَ لِلسَّرِقَةِ نِصَاباً، وَحِينَئِذٍ فَقَدْ يَقُولُونَ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ قَتْلُ الْمُرْتَدِّ، فَقَدْ يَكُونُ الْمُرْتَدُّ عِنْدَهُمْ نَوْعَيْنِ.

أقوال الخوارج لم يصنفوها في كتاب مختص

وَأَقْوَالُ الْخَوَارِجِ إِنَّمَا عَرَفْنَاهَا مِنْ نَقْلِ النَّاسِ[١] عَنْهُمْ، لَمْ نَقِفْ لَهُمْ عَلَى كِتَابٍ مُصَنَّفٍ كَمَا وَقَفْنَا عَلَى كُتُبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالزَّيْدِيَّةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ[٢]،

---

١) شيخ الإسلام لا يقصد بـ (النّاس) عموم الإنس من مسلمهم وكافرهم، ولا يقصد بهم عامّتهم، وإنما يُريد العُلماء الذين كتبوا في الملل والنحل كالأشعري والشهرستاني وغيرهما، والله أعلم.

٢) الكرّامية: فرقة يغلب عليها الإرجاء في الإيمان، والتشبيه في الصفات، وهم ينتسبون لمحمد بن كرّام السجستاني، ومن أشهر علمائهم إبراهيم بن مُهاجر، ومحمّد بن الهيصم.

يُنظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٢٣، والملل والنحل ١/ ١٠٨

وَالأَشْعَرِيَّةِ(١)، والسَّالِمِيَّةِ(٢)، وَأَهْلِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ، وَالظَّاهِرِيَّةِ(٣)،

---

١) الأشعرية: فرقة يغلب عليه إثبات بعض الصفات وتأويل أو تفويض بعضها، وإرجاء في الإيمان، وهم مضطربون في باب القدر والنبوات، مع تغلغل التصوف في طورها الأخير، وهم ينتسبون لأبي الحسن الأشعري، ومن أشهر علمائهم الجويني، والغزالي، والرازي.
يُنظر: الملل والنحل ١/ ٩٤، الفرق بين الفرق ٨٧

٢) السَّالمِيَّة: فرقة من المشبهة، يقولون: إن الله سبحانه يُرى في صورة آدمي، وإنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ يرون أنهم يسمعونه من الله، وقد انتسبوا إلى أبي عبدالله محمَّد بن سالم البصري، وابنه أبي الحسن أحمد، ومن أشهر علمائهم أبو طالب المكِّي، والحسن بن علي الأهوازي، وأبو الحسن ابن الزَّاغُونيّ، قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «هم قومٌ من أهل السُّنة في الجملة» كما في تاريخ الإسلام للذهبي ٧/ ١٤٣

٣) الظَّاهِرِيَّة: فرقة تمسكت بالظاهر في الفقه، وقد انتسبوا إلى داود بن علي الأصبهاني، ومن أشهر علمائهم ابن حزم الأندلسي.
قال عنهم شيخ الإسلام بعد ذكره لابن حزم الظاهري، وأنه يقول: «إن أسماءه الحسنى كالحي والعليم والقدير بمنزلة أسماء الأعلام التي لا تدل على حياة ولا علم ولا قدرة، وقال: لا فرق بين الحي وبين العليم وبين القدير في المعنى أصلاً» كما في شرح العقيدة الأصبهانية ٥١٤- ٥١٥، وقال ابن كثير عنهم: «وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول، وآيات الصفات وأحاديث الصفات، لأنه كان أولاً قد تضلع من علم المنطق، ... ففسد بذلك حاله في باب الصفات» كما في البداية والنهاية ١٢/ ٩٢

وَمَذَاهِبِ أَهْلِ الحَدِيثِ، وَالفَلَاسِفَةِ[1]، وَالصُّوفِيَّةِ[2]، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ، وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى تَفْصِيلِ القَوْلِ فِي أَقْوَالِ هَؤُلَاءِ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

طريقة تصنيف العلماء لأهل الأهواء في مصنفاتهم

وَإِنَّ النَّاسَ فِي تَرْتِيبِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ عَلَى أَقْسَامٍ:

مِنْهُمْ مَنْ يُرَتِّبُهُمْ عَلَى زَمَانِ حُدُوثِهِمْ، فَيَبْدَأُ بِالخَوَارِجِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُرَتِّبُهُمْ بِحَسَبِ خِفَّةِ أَمْرِهِمْ وَغِلَظِهِ، فَيَبْدَأُ بِالمُرْجِئَةِ، وَيَخْتِمُ بِالجَهْمِيَّةِ، كَمَا فَعَلَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ ؒ كَعَبْدِاللهِ ابْنِهِ[3] وَنَحْوِهِ،

---

١) الفلاسفة: هم المنتسبون إلى الفلسفة، وهي كلمة يونانية بمعنى محبة الحكمة، وأكثر الفلاسفة لا يقرون بالخالق، ولا بالنبوات، ولا بالبعث، ومنهم مَن يُقِرّ ببعضها.

يُنظر: اعتقادات فِرق المُسلمين والمُشركين ١٢٦ - ١٢٩

٢) الصُّوفيَّة: فرقة تسموا بذلك للبسهم الصوف، وقيل غير ذلك، ولهم طُرقٌ كثيرة مِن أشهرها (الجيلانية، والرفاعية، والبدوية، والشاذلية، والنقشبندية)، وقد بدأ أصحابه في بداية أمرهم بالزُّهد في الدُّنيا حتى بلغ بكثيرٍ منهم إلى الحلول والاتحاد وإباحة المحرمات، ومِن أشهر علمائهم في المرحلة الأولى الجُنيد بن محمَّد، وسهل بن عبدالله، وفي المرحلة الأخيرة ابن عربي وابن سبعين والحلَّاج.

يُنظر: اعتقادات فرق المُسلمين والمُشركين ٧٢، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ١٠١

٣) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبدالرحمن البغدادي، الإمام الحافظ النَّاقد، قال عنه والده الإمام أحمد: «إنَّ أبا عبدالرحمن قد وَعَى عِلماً كثيراً»، وقال عنه أبو الحسين بن المُنادي: «وما زِلنا نرى أكابر شُيوخنا يشهدون لهُ بمعرفة الرِّجال وعِلَل الحديث،

وَكَالخَلَّالِ[1]، وَأَبِي عَبْدِالله ابْنِ بَطَّةَ[2]، وَأَمْثَالِهِمَا، وَكَأَبِي الفَرَجِ المَقْدِسِيِّ[3]،

---

والأسماء والكُنى، والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها، ويذكرُونَ عن أسلافِهم الإقرار لهُ بذلك»، ومن أشهر مُصنفاته (كتاب السُّنة)، مات سنة ٢٩٠هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥١٦، شذرات الذهب: ٢/ ٢٠٣ - ٢٠٤

١) هو أحمد بن محمَّد بن هارون بن يزيد الخلاَّل، أبو بكر البغدادي، الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة في زمانه وعالمهم، ومؤلف عِلم الإمام أحمد وجامعه ومرتبه، قال عنه الخطيب البغدادي: «جمع الخلاَّل عُلُوم أحمد وتطلَّبها، وسافر لأجلها، وكتبها، وصنَّفها كتباً، لم يكن فيمن ينتحل مذهب أحمد أحدٌ أجمع لذلك منه»، وقال الذَّهبي: «ولم يكن قبله للإمام مذهبٌ مستقلٌ، حتَّى تتبَّع هو نصوص أحمد، ودوَّنها، وبرهنها»، ومن أشهر مُصنفاته (الجامع لفقه الإمام أحمد)، و(كتاب السُّنة)، مات سنة ٣١١هـ.

يُنظر: طبقات الحنابلة: ٢/ ١٢١٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٩٧

٢) هو عبيد الله بن محمَّد العُكْبَري، المشهور بابن بطَّة الحنبلي، الإمام المُحدِّث الفقيه العابد، له مؤلفات منها (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية) و(الشرح والإبانة)، مات سنة ٣٨٧هـ.

يُنظر: طبقات الحنابلة ٢/ ١٤٤، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٢٩، المنهج الأحمد ٢/ ٨١

٣) هو عبدالواحد بن محمَّد بن علي الأنصاري الشيرازي، أبو الفرج المقدسي، قال فيه الذَّهبي: «الفقيهُ الحنبلي الواعظ، وكان يُعرَفُ في العراق بالمقدسيّ، من كبار أئمَّة الإسلام»، وقال عنه ابن رجب: «كان إماماً عارفاً بالفقه والأصول، شديداً في السُّنة، زاهداً عارفاً، عابداً مُتألهاً»، ومن أشهر مُصنفاته (التبصرة في أصول الدِّين)، و(جزء فيه امتحان السُّني من البدعي)، مات سنة ٤٨٦هـ.

وَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ تُخْتَمُ بِالجَهْمِيَّةِ[1]؛ لِأَنَّهُمْ أَغْلَظُ البِدَعِ، وَكَالبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ فَإِنَّهُ بَدَأَ بِـ (كِتَابِ الإِيمَانِ وَالرَّدِّ عَلَى المُرْجِئَةِ) وَخَتَمَهُ بِـ (كِتَابِ التَّوْحِيدِ وَالرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالجَهْمِيَّةِ)./ [٢٧/ب]

وَلَمَّا صَنَّفَ الكُتَّابُ فِي الكَلَامِ صَارُوا يُقَدِّمُونَ التَّوْحِيدَ وَالصِّفَاتِ، فَيَكُونُ الكَلَامُ أَوَّلاً مَعَ الجَهْمِيَّةِ، وَكَذَلِكَ رَتَّبَ أَبُو القَاسِمِ الطَّبَرِيُّ[2] كِتَابَهُ فِي

---

يُنظر: طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٨-٢٤٩، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥١

١) أمّا تقديم المُرجئة على الجَهْمِيَّة في الرّد عليهم فقد فعله عبدالله بن أحمد في كتابه (كتاب السُّنة)، وقد حققه كرسالة عِلمية شيخنا الدكتور محمّد بن سعيد القحطاني، والخلاّل في كتابه (كتاب السُّنة)، وقد حققه كرسالة عِلمية الدكتور عطية الزهراني، وابن بطة العُكبري في كتابه (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية)، وقد حققه كرسائل عِلمية الدكتور رضا نعسان، والدكتور عثمان الأثيوبي، والدكتور يوسف الوابل، والدكتور حمد التويجري، وأبو الفرج المقدسي في كتابه (جزء فيه امتحان السُّني من البدعي)، وقد حققه كرسالة عِلمية الدكتور فهد المقرن، والله أعلم.

٢) هو هبة الله بن الحسن الرّازي الشافعي، أبو القاسم الطبري، المشهور باللالَكائي، الإمام الحافظ، مِن أشهر مُصنفاته (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة)، مات سنة ٤١٨هـ. يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤١٩، شذرات الذهب ٣/ ٢١١

(أُصُولِ السُّنَّةِ)، والبَيْهَقِيِّ[1] أَفْرَدَ لِكُلِّ صِنْفٍ مُصَنَّفًا، فَلَهُ مُصَنَّفٌ فِي (الصِّفَاتِ)، وَمُصَنَّفٌ فِي (القَدَرِ)، وَمُصَنَّفٌ فِي (شُعَبِ الإِيمَانِ)، وَمُصَنَّفٌ فِي (دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ)، وَمُصَنَّفٌ فِي (البَعْثِ وَالنُّشُورِ)، وَبَسْطُ هَذِهِ الأُمُورِ لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

منشأ النزاع في الأسماء والأحكام

وَالمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَنْشَأَ النِّزَاعِ فِي الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ فِي الإِيمَانِ وَالإِسْلَامِ أَنَّهُمْ لَمَّا ظَنُّوا أَنَّهُ لَا يَتَبَعَّضُ، قَالَ أُولَئِكَ: فَإِذَا فَعَلَ ذَنْبًا زَالَ بَعْضُهُ، فَيَزُولُ كُلُّهُ، فَيَخْلُدُ فِي النَّارِ.

مذهب المرجئة في الإيمان

فَقَالَتِ الجَهْمِيَّةُ وَالمُرْجِئَةُ: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بَلْ هُوَ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَإِذَا كَانَ مِنَ المُسْلِمِينَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا

---

١) هو أحمد بن الحسين الخراساني الشافعي، أبو بكر البيهقي، العلامة الإمام الحافظ الفقيه الزاهد، قال الجويني: «ما من فقيه شافعيٍّ إلاَّ وللشافعي عليه مِنَّةٌ إلاَّ أبا بكرٍ البيهقي، فإنَّ المِنَّةَ لهُ على الشافعي لتصانيفه في نُصرة مذهبه»، وقال الذهبي عنه: «بُورِكَ لهُ في عِلمه، وصنَّف التصانيف النَّافعة، ... وانقطع بقريته مُقبلاً على الجمع والتأليف»، له المصنفات المشهورة منها (الأسماء والصفات)، و(السُّنن الكبير)، وغيرهما، قال شيخنا عبد الرحمن المحمود: «كثيراً ما يميل إلى مذهب الأشاعرة -رحمهم الله-»، مات سنة ٤٥٨ هـ

يُنظر: طبقات الشافعية ٤/ ٨، سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣

تَامُّ الإِيمَانِ لَيْسَ مَعَهُ بَعْضُ الإِيمَانِ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ عِنْدَهُمْ لَا يَتَبَعَّضُ، فَاحْتَاجُوا أَنْ يَجْعَلُوا الإِيمَانَ شَيْئاً وَاحِداً يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ أَهْلِ القِبْلَةِ.

فَقَالَ فُقَهَاءُ المُرْجِئَةِ[1]: هُوَ التَّصْدِيقُ بِالقَلْبِ، وَالقَوْلُ بِاللِّسَانِ.

فَقَالَتْ الجَهْمِيَّةُ: بَعْدَ تَصْدِيقِ اللِّسَانِ قَدْ لَا يَجِبُ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ أَخْرَسَ، أَوْ كَانَ مُكْرَهاً، فَالَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ تَصْدِيقُ القَلْبِ.

وَقَالَتْ المُرْجِئَةُ: الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ كَانَ مُؤْمِناً قَبْلَ أَنْ يَجِبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الأَفْعَالِ.

قول السلف في زيادة الإيمان ونقصانه

وَأَنْكَرَ كُلُّ هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَنَّهُ يَنْقُصُ، وَالصَّحَابَةُ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُمْ أَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهُوَ قَوْلُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ.

---

١) هم بعض فقهاء الكوفة، دخلوا في الإرجاء كَرَدَّة فعل للخوارج، وفُتن الناس بهم، وهم المقصودون عند السَّلف في ذمهم للمرجئة، كما قاله شيخ الإسلام: «ثم إنَّ السَّلف اشتد إنكارهم على هؤلاء، وتبديعهم، وتغليظ القول لهم» كما في الإيمان الوسط ٣٧٣، ومن أشهر أئمتهم (إبراهيم التيمي، وطلق بن حبيب، وحماد بن أبي سليمان، وأبو حنيفة النعمان)، ويُطلق عليهم بـ (مُرجئة الفقهاء) أو (فقهاء المُرجئة).

يُنظر: الإيمان الكبير ٣٧٧، الإيمان الأوسط ٣٧٧

وَكَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ(١) يَقُولُ: «هُوَ يَتَفَاضَلُ وَيَتَزَايَدُ»، وَيُمْسِكُ عَنْ لَفْظِ يَنْقُصُ(٢).

وَعَنْ مَالِكٍ(٣) فِي كَوْنِهِ لَا يَنْقُصُ رِوَايَتَانِ(٤).

---

١) هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي، أبو عبدالرحمن المروزي، قال الذهبي: «الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته،.. الحافظ، الغازي، أحد الأعلام»، وقال ابن عيينة: «نظرتُ في أمر الصحابة وأمر عبدالله، فما رأيتُ لهم عليه فضلاً، إلاَّ بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه»، له مصنفات منها (كتاب الزهد) و (كتاب الجهاد)، مات منصرفاً من غزو الروم سنة ١٨١هـ.

يُنظر. حلية الأولياء ٨/ ١٦٢، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٧٨

٢) كما في الإبانة لابن بطة ٢/ ٨١٢ وغيره، وتفسيرها كما قاله الإمام عبدالرحمن بن مهدي لما سُئل عن «الإيمانُ قولٌ وعملٌ. قال. نعم، قلتُ. يزيدُ وينقصُ؟ قال: يتفاضلُ، كلمةٌ أحسنُ من كلمةٍ»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الإيمان الكبير ٢١٠-٢١١: «ولهذا كان أهل السُّنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص .... وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان فيه عن الصحابة، ولم يُعرف فيه مخالف من الصحابة».

٣) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، أبو عبدالله المدني، قال الذهبي: «هو شيخُ الإسلام، حُجَّةُ الأمَّة، إمامُ دار الهجرة ... وعن ابن عُيينة قال: مالكٌ عالمُ أهل الحجاز، وهو حُجَّةُ زمانه، وقال الشافعيُّ ـ وصدقَ وبرَّ ـ : إذا ذُكر العُلماءُ فمالكٌ النَّجمُ»، صاحب (الموطأ)، مات سنة ١٧٩هـ.

يُنظر: الديباج للمذهب ٥٦، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٨

٤) ثبت بأسانيد صحيحة عن الإمام مالك أنه أثبت الزيادة وتوقف عن النقصان كما في روايتي عبدالله بن وهب وابن القاسم عنه، وأثبت الزيادة والنقصان كما في رواية عبدالرزاق

وَالقُرْآنُ قَدْ نَطَقَ بِالزِّيَادَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَدَلَّتِ النُّصُوصُ عَلَى نَقْصِهِ كَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[1] وَنَحْوِ ذَلِكَ، لَكِنْ لَمْ يُعْرَفْ

---

الصنعاني وابن نافع ومعن بن عيسى وسويد بن سعيد عنه وكلها عند ابن عبدالبر في التمهيد ٩/ ٢٥٢، والظاهر أنَّ توقف الإمام مالك عن ذكر النقصان كان مُتقدماً ثم ظهر له الزيادة فصرَّح بها، وقد فسَّر النووي توقفه بقوله: «ولذلك توقف مالك ﵀ في بعض الروايات عن القول بالنقصان إذ لا يجوز نقصان التصديق، لأنه إذا نقص صار شكاً وخرج عن اسم الإيمان، وقال بعضهم إنَّما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يُتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي من المؤمنين بالذنوب» كما في شرح مسلم ١/ ١٤٦، وقال شيخ الإسلام كما في الإيمان الأوسط ٣٧١ : «وكان بعضُ الفُقهاءِ مِن أتباع التَّابعين لم يُوافِقُوا في إطلاق النُّقصان عليه لأنَّهم وجدُوا ذِكر الزِّيادة في القُرآن ولم يجدوا ذِكر النَّقص، وهذا إحدى الرِّوايتين عن مالكٍ والرِّواية الأخرى عنهُ؛ وهو المشهُورُ عند أصحابه كقول سائرهم: إنَّهُ يزيدُ وينقُصُ؛ وبعضُهُم عدَلَ عن لفظ الزِّيادة والنُّقصان إلى لفظ التَّفاضُل فقال أقُولُ: الإيمانُ يتفاضلُ ويتفاوتُ ويُروى هذا عن ابن المُبارك وكان مقصُودُهُ الإعراض عن لفظٍ وقع فيه النِّزاع إلى معنى لا ريب في ثُبُوته»، والله أعلم.

١) رواه البخاري في كتاب المظالِمِ والغَصْبِ، بَابُ: النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ، رقم (٢٢٩٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، بَابُ: بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِالمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ المُتَلَبِّسِ بِالمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ، رقم (٨٦)، كِلاهما عن أبي هريرة.

هَذَا اللَّفْظُ إِلَّا فِي قَوْلِهِ ﷺ فِي النِّسَاءِ: (نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ)[1]، وَجَعَلَ مِنْ

[ط/١٠٠] نُقْصَانِ دِينِهَا أَنَّهَا إِذَا حَاضَتْ لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّي، وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ غَيْرُ وَاحِدٍ/ عَلَى أَنَّهُ يَنْقُصُ.

وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الإِيمَانَ يَتَفَاضَلُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

[تنوع الإيمان وتفاوته بين المؤمنين] مِنْ جِهَةِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَمِنْ جِهَةِ فِعْلِ العَبْدِ.

أَمَّا الأَوَّلُ: فَإِنَّهُ لَيْسَ الإِيمَانُ الَّذِي أُمِرَ بِهِ شَخْصٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ هُوَ الإِيمَانَ

[س/١١٢] / الَّذِي أُمِرَ بِهِ كُلُّ شَخْصٍ، فَإِنَّ المُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِمِقْدَارٍ مِنَ الإِيمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أُمِرُوا بِغَيْرِ ذَلِكَ، وَأُمِرُوا بِتَرْكِ مَا كَانُوا مَأْمُورِينَ بِهِ كَالقِبْلَةِ، فَكَانَ مِنَ الإِيمَانِ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ الإِيمَانُ بِوُجُوبِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ صَارَ مِنَ الإِيمَانِ تَحْرِيمُ اسْتِقْبَالِهِ وَوُجُوبُ اسْتِقْبَالِ الكَعْبَةِ، فَقَدْ تَنَوَّعَ الإِيمَانُ فِي الشَّرِيعَةِ الوَاحِدَةِ.

---

١) رواه البخاري في كِتَابِ الحَيْضِ، بَابُ: تَرْكِ الحَائِضِ الصَّوْمَ، رقم (٢٩٣)، ومسلمٌ في كتاب الشَّهَادَاتِ، بَابُ: شَهَادَةِ النِّسَاءِ، رقم (٢٦٦٤)، كِلاهما عن أبي سعيد الخدري، ورواه مسلمٌ كذلك في كتاب الإيمان، بَابُ: بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ وَبَيَانِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الكُفْرِ عَلَى غَيْرِ الكُفْرِ بِاللهِ كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالحُقُوقِ، رقم (١١٤)، عن ابن عُمر.

وأيضاً فَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الحَجُّ وَالزَّكَاةُ أَوْ الجِهَادُ يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يَعْلَمَ مَا أُمِرَ بِهِ، وَيُؤْمِنَ بِأَنَّ اللهَ أَوْجَبَ عَلَيْهِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا مُجْمَلاً، وَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ الإِيمَانُ المُفَصَّلُ.

وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ أَوَّلَ مَا يُسْلِمُ إِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الإِقْرَارُ المُجْمَلُ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِوُجُوبِهَا وَيُؤَدِّيَهَا، فَلَمْ يَتَسَاوَ النَّاسُ فِيمَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الإِيمَانِ.

وَهَذَا مِنْ أُصُولِ غَلَطِ المُرْجِئَةِ؛ فَإِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَأَنَّهُ يَسْتَوِي فِيهِ جَمِيعُ المُكَلَّفِينَ، فَقَالُوا: إِيمَانُ المَلَائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ وَأَفْسَقِ النَّاسِ سَوَاءٌ؛ كَمَا أَنَّهُ إِذَا تَلَفَّظَ الفَاسِقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، أَوْ قَرَأَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ كَانَ لَفْظُهُ كَلَفْظِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: قَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ يَتَنَوَّعُ وَيَتَفَاضَلُ، وَيَتَبَايَنُونَ فِيهِ تَبَايُناً عَظِيماً، فَيَجِبُ عَلَى المَلَائِكَةِ مِنَ الإِيمَانِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى البَشَرِ، وَيَجِبُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ مِنَ الإِيمَانِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَيَجِبُ عَلَى العُلَمَاءِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَيَجِبُ عَلَى الأُمَرَاءِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَلَيْسَ المُرَادُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ العَمَلِ فَقَطْ؛ بَلْ وَمِنَ التَّصْدِيقِ/ وَالإِقْرَارِ. [٢٧/أ]

فَإِنَّ النَّاسَ وَإِنْ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الإِقْرَارُ الْمُجْمَلُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْرِفُونَ تَفْصِيلَ كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ كَيْفَ يُؤْمَرُونَ بِالإِقْرَارِ بِهِ مُفَصَّلاً، وَمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ العَبْدُ مِنَ الأَعْمَالِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهُ وَمَعْرِفَةُ الأَمْرِ بِهِ، فَمَنْ أُمِرَ بِحَجٍّ وَجَبَ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِ الحَجِّ، وَالإِيمَانُ بِهَا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أُمِرَ بِالزَّكَاةِ يَجِبُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الزَّكَاةِ، وَمِنَ الإِيمَانِ بِذَلِكَ، وَالعَمَلِ بِهِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ العِلْمِ وَالإِيمَانِ وَالعَمَلِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ؛ إِذَا جَعَلَ العِلْمَ وَالعَمَلَ لَيْسَا مِنَ الإِيمَانِ، وَإِنْ جَعَلَ جَمِيعَ ذَلِكَ دَاخِلاً فِي مُسَمَّى الإِيمَانِ كَانَ أَبْلَغَ، فَبِكُلِّ حَالٍ قَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ مِنَ الإِيمَانِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَدْ يُؤْمِنُ بِالرَّسُولِ مُجْمَلاً، فَإِذَا جَاءَتْ أُمُورٌ أُخْرَى لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا فَيَصِيرُ مُنَافِقاً، مِثْلَ طَائِفَةٍ نَافَقَتْ لَمَّا حُوِّلَتِ القِبْلَةُ إِلَى الكَعْبَةِ، وَطَائِفَةٍ نَافَقَتْ لَمَّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَهَذَا وَصَفَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْمُنَافِقِينَ[1]، وَذُكِرَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَقَالَ: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[2]، وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ[3]: «عَرَفُوا ثُمَّ أَنْكَرُوا، وَأَبْصَرُوا ثُمَّ عَمُوا».

فَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ أَوَّلًا إِيمَانًا مُجْمَلًا، ثُمَّ يَأْتِي أُمُورٌ لَا يُؤْمِنُ بِهَا فَيُنَافِقُ فِي الْبَاطِنِ، وَمَا يُمْكِنُهُ إِظْهَارُ الرِّدَّةِ بَلْ يَتَكَلَّمُ بِالنِّفَاقِ مَعَ خَاصَّتِهِ، وَهَذَا كَمَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ / فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[4]. [٣٢/أ]

---

١) في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾، آية: ٣

٢) سورة البقرة، آية: ١٧-١٨

٣) ذكر شيخ الإسلام بينهم (قتادة بن دعامة ومجاهد بن جبر) في كتاب الإيمان ١٤٣ (ت: الألباني)، وزاد في كلامهما: «آمنوا ثم كفروا»، وذكره عن (قتادة بن دعامة) كما في جامع المسائل ٦/ ٧١ (ت: محمد عزير شمس)، وزاد في كلامه: «اهتدوا ثم ضلوا».

٤) سورة محمد، آية: ٢٠-٢١

وبِالجُمْلَةِ: فَلَا يُمْكِنُ المُنَازَعَةُ أَنَّ الإِيمَانَ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ يَتَبَايَنُ فِيهِ أَحْوَالُ النَّاسِ، وَيَتَفَاضَلُونَ فِي إِيمَانِهِمْ وَدِينِهِمْ بِحَسَبِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النِّسَاءِ: (نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ)[1]، وَقَالَ فِي نُقْصَانِ دِينِهِنَّ أَنَّهَا: (إِذَا حَاضَتْ لَا تَصُومُ وَلَا تُصَلِّي)[2].

وَهَذَا مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ فَلَيْسَ هَذَا النَّقْصُ دِيناً لَهَا تُعَاقَبُ عَلَيْهِ؛ لَكِنْ هُوَ نَقْصٌ حَيْثُ لَمْ تُؤْمَرْ بِالعِبَادَةِ فِي هَذَا الحَالِ، وَالرَّجُلُ كَامِلٌ حَيْثُ أُمِرَ بِالعِبَادَةِ فِي كُلِّ حَالٍ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنْ أُمِرَ بِطَاعَةٍ يَفْعَلُهَا كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَاصِياً فَهَذَا أَفْضَلُ دِيناً وَإِيمَاناً، وَهَذَا المَفْضُولُ لَيْسَ بِمُعَاقَبٍ وَمَذْمُومٍ، فَهَذِهِ زِيَادَةٌ كَزِيَادَةِ الإِيمَانِ بِالتَّطَوُّعَاتِ؛ لَكِنْ هَذِهِ زِيَادَةٌ بِوَاجِبٍ فِي حَقِّ شَخْصٍ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي حَقِّ شَخْصٍ غَيْرِهِ، فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ لَوْ تَرَكَهَا بِهَذَا

---

١) سبق تخريجه صفحة (٣٠٢).

٢) رواه البخاري في كتاب الحَيْضِ، بَابُ: تَرْكِ الحَائِضِ الصَّوْمَ، رقم (٢٩٣)، وفي كتاب الصَّوْمِ، بَابُ: الحَائِضِ تَتْرُكُ الصَّوْمَ وَالصَّلَاةَ، رقم (١٨١٥)، كِلاهُمَا عن أبي سعيد الخدريّ، بلفظ (لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ) بحرف الجزم (لَمْ)، ورواه الإمام أحمد ١٨/٤٩ عن أبي هريرة بلفظ (لَا تُصَلِّي وَلَا تَصُومُ)، وكُلّ ألفاظ الحديث بتقديم الصَّلاة على الصَّوم، ولا أعلم بتقديم الصَّوم على الصَّلاة إلا فيما رواه ابن منده في كتاب الإيمان ٢/٦٨٢، وإيراد شيخ الإسلام للحديث هُنا إنَّما هو بالمعنى، والله أعلم.

لَا يَسْتَحِقُّ العِقَابَ بِتَرْكِهَا، وَذَاكَ لَا يَسْتَحِقُّ العِقَابَ بِتَرْكِهَا، وَلَكِنْ إِيمَانُ ذَلِكَ أَكْمَلُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)[1]، فَهَذَا يُبَيِّنُ / تَفَاضُلَ الإِيمَانِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ بِهِ، وَفِي نَفْسِ الأَخْبَارِ الَّتِي يَجِبُ التَّصْدِيقُ بِهَا. [١٧/ب]

والنَّوْعُ الثَّانِي: هُوَ تَفَاضُلُ النَّاسِ فِي الإِتْيَانِ بِهِ مَعَ اسْتِوَائِهِمْ فِي الوَاجِبِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ مَحَلُّ النِّزَاعِ، وَكِلَاهُمَا مَحَلُّ النِّزَاعِ.

وَهَذَا أَيْضاً يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ فَلَيْسَ إِيمَانُ السَّارِقِ وَالزَّانِي وَالشَّارِبِ كَإِيمَانِ غَيْرِهِمْ، وَلَا إِيمَانُ مَنْ أَدَّى الوَاجِبَاتِ كَإِيمَانِ مَنْ أَخَلَّ بِبَعْضِهَا، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ دِينُ هَذَا وَبِرُّهُ وَتَقْوَاهُ مِثْلَ دِينِ هَذَا وَبِرِّهِ وَتَقْوَاهُ؛ بَلْ هَذَا أَفْضَلُ دِيناً وَبِرّاً وَتَقْوَى، فَهُوَ كَذَلِكَ أَفْضَلُ إِيمَانًا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا).

---

١) رواه أبو داود في كِتَابِ السُّنَّةِ، بَابُ: الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، رقم (٤٠٦٢)، والترمذي في كِتَابِ الرَّضَاعِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي حَقِّ المَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، رقم (١٠٨٢)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وكِلَاهُمَا عن أبي هريرة، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/٣٠٣: «فيه محمد بن عمرو وحديثه حَسَنٌ، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وَقَدْ يَجْتَمِعُ فِي العَبْدِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ[1] كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[2].

وَأَصْلُ هَؤُلَاءِ أَنَّ الإِيمَانَ لَا يَتَبَعَّضُ وَلَا يَتَفَاضَلُ؛ بَلْ هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ يَسْتَوِي فِيهِ جَمِيعُ العِبَادِ فِيمَا أَوْجَبَهُ الرَّبُّ مِنَ الإِيمَانِ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ العَبْدُ مِنَ الأَعْمَالِ، فَغَلِطُوا فِي هَذَا وَهَذَا، ثُمَّ تَفَرَّقُوا كَمَا تَقَدَّمَ.

طوائف المرجئة — وَصَارَتِ المُرْجِئَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

فَعُقَلَاؤُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ أَحْسَنُهُمْ قَوْلًا؛ وَهُوَ أَنْ قَالُوا: الإِيمَانُ تَصْدِيقُ القَلْبِ، وَقَوْلُ اللِّسَانِ[3]./ [٣٢/ك]

وَقَالَتِ الجَهْمِيَّةُ: هُوَ تَصْدِيقُ القَلْبِ فَقَط.

---

١) أي من النفاق غير المخرج من الملة (العملي).

٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم (٣٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم (٨٨)، وكلاهما عن عبدالله بن عمرو.

٣) وهو قول مرجئة الفقهاء، كما سبق.

موقف شيخ الإسلام من «الكرامية»

[وَقَالَتِ الكَرَّامِيَّةُ: هُوَ القَوْلُ فَقَطْ؛][1] فَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الإِيمَانِ لَكِنْ إِنْ كَانَ مُقِرًّا بِقَلْبِهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُكَذِّبًا بِقَلْبِهِ كَانَ مُنَافِقًا مُؤْمِنًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَهَذَا القَوْلُ هُوَ الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ الكَرَّامِيَّةُ وَابْتَدَعَتْهُ، وَلَمْ يَسْبِقْهَا أَحَدٌ إِلَى هَذَا القَوْلِ، وَهُوَ آخِرُ مَا أُحْدِثَ مِنَ الأَقْوَالِ فِي الإِيمَانِ.

وَبَعْضُ النَّاسِ[2] يُحْكَى عَنْهُمْ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَهُوَ غَلَطٌ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ يَقُولُونَ: «إِنَّهُ مُؤْمِنٌ كَامِلُ الإِيمَانِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فَيَلْزَمُهُمْ أَنْ يَكُونَ المُؤْمِنُ الكَامِلُ الإِيمَانِ مُعَذَّبًا فِي النَّارِ؛ بَلْ يَكُونُ مُخَلَّدًا فِيهَا، وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (يَخْرُجُ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ)[3].

---

١) سقطٌ في (س)، وفي (ك) الكلامُ مُتصلٌ، وهو مُستدرك في (م).

٢) يقصد ـ والله أعلم ـ ابن حزم الظاهري كما في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٧٤ حيث قال: «وَقَالَ بَعْضُ الكَرَّامِيَّةِ: المُنَافِقُونَ مُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

٣) وهو جزء من حديث طويل في الشفاعة يوم القيامة، رواه البخاري في كِتَابِ التَّوْحِيدِ، بَابُ: قَوْلِ الله تَعَالَى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، رقم (٦٨٨٦)، ومسلم في كِتَابِ الإِيمَانِ، بَابُ: مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، رقم (٢٦٩)، وكلاهما عن أبي سعيد الخدري.

وَإِنْ قَالُوا: لَا يُخَلَّدُ وَهُوَ مُنَافِقٌ؛ لَزِمَهُمْ أَنْ يَكُونَ الْمُنَافِقُونَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَالْمُنَافِقُونَ قَدْ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[1].

وَقَدْ نَهَى اللهُ نَبِيَّهُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ وَالاِسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَقَالَ لَهُ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[3] وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ.

فَإِنْ قَالُوا: هَؤُلَاءِ قَدْ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ سِرًّا فَكَفَرُوا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِذَا تَكَلَّمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِمَا يَنْقُضُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ رِدَّةٌ عَنِ الإِيمَانِ.

---

١) سورة النساء، آية : ١٤٥

٢) سورة التوبة، آية : ٨٠

٣) سورة التوبة، آية : ٨٤

قِيلَ لَهُمْ: وَلَوْ أَضْمَرُوا النِّفَاقَ وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا بِهِ كَانُوا مُنَافِقِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

وَأَيْضاً قَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾[2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾[3]، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (الإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ وَالإِيمَانُ فِي القَلْبِ)[4]، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[5].

---

١) سورة التوبة، آية : ٦٤

٢) سورة البقرة، آية : ٨

٣) سورة المنافقون، آية : ١

٤) سبق تخريجه.

٥) سورة الحجرات، آية : ١٤

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَعْدٍ[1]: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَى رِجَالاً وَلَمْ يُعْطِ رَجُلاً. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَتَرَكْتَ فُلَانًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ؟ فَقَالَ: (أَوْ مُسْلِمٌ) مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا[2].

[ه/٢١] وَبَسْطُ الكَلَامِ فِي هَذَا لَهُ مَوَاضِعُ أُخَرُ/ وَقَدْ صَنَّفْتُ فِي ذَلِكَ مُجَلَّدًا غَيْرَ مَا صَنَّفْتُ فِيهِ غَيْرَ ذَلِكَ.

سبب الكلام على حقيقة الإيمان

وَكَلَامُ النَّاسِ فِي هَذَا الِاسْمِ وَمُسَمَّاهُ كَثِيرٌ؛ لِأَنَّهُ قُطْبُ الدِّينِ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي القَوْلِ اسْمٌ عُلِّقَ بِهِ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ، وَالمَدْحُ وَالذَّمُّ، وَالثَّوَابُ وَالعِقَابُ، أَعْظَمَ مِنِ اسْمِ الإِيمَانِ وَالكُفْرِ؛ وَلِهَذَا سُمِّيَ هَذَا الأَصْلُ مَسَائِلَ الأَسْمَاءِ/ وَالأَحْكَامِ. [ص/١٨]

١) هو سعد بن أبي وقاص، الصحابي المشهور، والمشهود له بالجنة.

٢) رواه البخاري في كِتَابِ الإِيمَانِ، بَابٌ: إِذَا لَمْ يَكُنِ الإِسْلَامُ عَلَى الحَقِيقَةِ، رقم (٢٦)، ومسلم في كِتَابِ الإِيمَانِ، بَابُ: تَأَلُّفِ قَلْبِ مَنْ يُخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ وَالنَّهْيِ عَنِ القَطْعِ بِالإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ، رقم (٢١٤)، كِلَاهُمَا عن سعد بن أبي وقاص.

وَقَدْ رَأَيْتُ لِابْنِ الهَيْصَمِ[١] فِيهِ مُصَنَّفاً فِي أَنَّهُ قَوْلُ اللِّسَانِ فَقَطْ!!، وَرَأَيْتُ لِابْنِ البَاقِلَّانِي[٢] فِيهِ مُصَنَّفاً أَنَّهُ تَصْدِيقُ القَلْبِ فَقَطْ!!، وَكِلَاهُمَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ، وَكِلَاهُمَا يَرُدُّ عَلَى المُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ.

---

١) هو محمَّد بن الهيصم الكرَّامي، أبو عبدالله الخراساني، إمامٌ مُتكلِّمٌ، مِن أصحاب ابن كرَّام، وإليه تنتسب طائفة (الهيصمية) من الكرَّامية، له مُصنفات عديدة منها (جُمل الكلام في أصول الدِّين)، و(إعجاز القرآن)، و(مناقب محمَّد بن كرَّام)، ونقل شيخ الإسلام عنه أنَّه ناظر ابن فورك في مسألة العلو أمام الأمير محمود بن سبكتكين فغلبه حتى استعان ابن فورك بأبي إسحاق الإسفراييني فأعجزهما ابن الهيصم بحُججه، كما في الدرء ٦/ ٢٥٣، وبيان تلبيس الجَهْمِيَّة ٤/ ٢٦٧، وذلك تقريباً سنة ٤١٣هـ تقريباً، ولم يظهر لي سنة وفاته، وشيخ الإسلام ينقل عنه كثيراً مِن كتابه (جُمل الكلام في أصول الدِّين) كما صرَّح بذلك في درء التعارض ١/ ٢٦٣، وشرح الأصفهانية ٢٤٦، وبيان تلبيس الجَهْمِيَّة ٢/ ١٤، ٣/ ٥٥٤، وغيرها، وأظنه هو المُصنَّف المنقول منه، وهو مِن الكُتب المُندثرة، والله أعلم.

يُنظر: تاريخ الإسلام ٦/ ٤٦٦، لسان الميزان ٥/ ٣٥٤، الوافي بالوفيات ٥/ ١٧١

٢) هو محمَّد بن الطيِّب بن محمَّد بن الباقلاني المالكي الأشعري، أبو بكر البصري ثم البغدادي، إمامٌ مُتكلِّمٌ، له مُصنفات عديدة منها (كشف أسرار الباطنية)، و(الإنصاف فيما يجب اعتقاده)، و(هداية المُسترشدين)، مات سنة ٤٠٣هـ وشيخ الإسلام ينقل عنه مسائل الإيمان في الغالب مِن كتابه الإنصاف فيما يجب اعتقاده، وكلامه هناك صفحة ٥١ (ت: الكوثري)، والله أعلم.

يُنظر: ترتيب المدارك ١/ ٤٨١، سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠

حقيقة الاتباع بين السلف والخلف

والمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ السَّلَفَ كَانَ اعْتِصَامُهُمْ بِالقُرْآنِ وَالإِيمَانِ، فَلَمَّا حَدَثَ فِي الأُمَّةِ مَا حَدَثَ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالاِخْتِلَافِ صَارَ أَهْلُ التَّفَرُّقِ وَالاِخْتِلَافِ شِيَعاً، صَارَ هَؤُلَاءِ عُمْدَتُهُمْ فِي البَاطِنِ لَيْسَتْ عَلَى القُرْآنِ وَالإِيمَانِ، وَلَكِنْ عَلَى أُصُولٍ ابْتَدَعَهَا شُيُوخُهُمْ، عَلَيْهَا يَعْتَمِدُونَ فِي التَّوْحِيدِ وَالصِّفَاتِ، وَالقَدَرِ وَالإِيمَانِ بِالرَّسُولِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا ظَنُّوا أَنَّهُ يُوَافِقُهَا مِنَ القُرْآنِ احْتَجُّوا بِهِ، وَمَا خَالَفَهَا تَأَوَّلُوهُ.

فَلِهَذَا تَجِدُهُمْ إِذَا احْتَجُّوا بِالقُرْآنِ وَالحَدِيثِ لَمْ يَعْتَنُوا بِتَحْرِيرِ دَلَالَتِهِمَا، وَلَمْ يَسْتَقْصُوا مَا فِي القُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ المَعْنَى؛ إِذْ كَانَ اعْتِمَادُهُمْ فِي نَفْسِ الأَمْرِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَالآيَاتُ الَّتِي تُخَالِفُهُمْ يَشْرَعُونَ فِي تَأْوِيلِهَا شُرُوعَ مَنْ قَصَدَ رَدَّهَا كَيْفَ أَمْكَنَ؛ لَيْسَ مَقْصُودُهُ أَنْ يَفْهَمَ مُرَادَ الرَّسُولِ؛ بَلْ أَنْ يَدْفَعَ مُنَازِعَهُ عَنِ الاِحْتِجَاجِ بِهَا.

وَلِهَذَا قَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ كَأَبِي الحُسَيْنِ البَصْرِيِّ[1]، وَمَنْ تَبِعَهُ

---

١) هو محمد بن علي بن الطيب، أبو الحسين البصري ثم البغدادي، من متأخري المعتزلة وأئمتهم، قال عنه الذهبي: « كَانَ فَصِيحاً بَلِيغاً، عَذْبَ العِبَارَةِ، يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً، وَلَهُ اطِّلَاعٌ كَبِيرٌ »، له مصنفات عديدة منها (شرح الأصول الخمسة)، و (المُعتمد في أصول الفقه)، مات سنة ٤٣٦هـ

كالرَّازِيِّ(١)، والآمِدِيِّ(٢)،

---

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٧، الوافي بالوفيات ١/ ٤٩٣، وأضاف الصفدي فائدة، وهي قوله: «وقد سمعتُ الشيخ الإمام العلاّمة تقي الدِّين أحمد بن تيميَّة غير مرَّة يقول: أصولُ فقه المُعتزلة خيرٌ مِن أصولِ فقه الأشاعرة، وأصولُ دِين الأشاعرة خيرٌ مِن أصولِ دِين المُعتزلة»، وهذه العبارة بمعناها في التدمرية ٢٣٥، ومجموع الفتاوى ١٦/ ٢٤٢-٢٤٣

١) هو محمَّد بن عمر بن الحسين القرشي، أبو عبدالله الرَّازي الشافعي، المعروف بابن خطيب الرَّي، إمامٌ مُتكلِّمٌ، قال عنه الذَّهبي: «العَلَّامَةُ الكَبِيرُ، ذُو الفُنُونِ .. انتشَرَتْ تَوَالِيفُهُ فِي البِلَادِ شرقاً وغرباً، وَكَانَ يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً .. وَقَدْ بَدَتْ مِنْهُ فِي تَوَالِيفِهِ بَلَايَا وَعَظَائِمُ وَسِحْرٌ وَانحرافَاتٌ عَنِ السُّنَّةِ، وَاللهُ يَعْفُو عَنْهُ، فَإِنَّهُ تُوُفِّيَ عَلَى طَرِيقَةٍ حَمِيدَةٍ، وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ»، له مصنفات كثيرة منها (أساس التقديس)، و(اعتقادات فرق المُسلمين والمُشركين)، مات سنة ٦٠٦هـ

يُنظر: طبقات الشافعية ٨/ ٨١، البداية والنهاية ١٣/ ٥٥

٢) هو علي بن أبي علي بن محمَّد بن سالم التغلبي، أبو الحسن الآمدي الحنبلي ثم الشافعي، المعروف بسيف الدِّين، إمامٌ مُتكلِّمٌ، آية في الفهم والذكاء، ومن كبار عُلماء الأصول، قال عنه الذَّهبي: «كَانَ السَّيْفُ غَايَةً، وَمَعْرِفَتُه بِالمَعْقُوْلِ نِهَايَةً، وَكَانَ الفُضَلاَءُ يَزْدَحِمُوْنَ فِي حَلْقَتِهِ»، وله مصنفات عدة منها (الإحكام في أصول الأحكام)، و(أبكار الأفكار في علم الكلام)، مات سنة ٦٣١هـ

يُنظر: طبقات الشافعية ٨/ ٣٠٦، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٠

وَابْنِ الحَاجِبِ[1]: إِنَّ الأُمَّةَ إِذَا اخْتَلَفَتْ فِي تَأْوِيلِ الآيَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ جَازَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ إِحْدَاثُ قَوْلٍ ثَالِثٍ؛ بِخِلَافِ مَا إِذَا اخْتَلَفُوا فِي الأَحْكَامِ عَلَى قَوْلَيْنِ.

فَجَوَّزُوا أَنْ تَكُونَ الأُمَّةُ مُجْتَمِعَةً عَلَى الضَّلَالِ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ، وَأَنْ يَكُونَ اللهُ أَنْزَلَ الآيَةَ وَأَرَادَ بِهَا مَعْنًى لَمْ يَفْهَمْهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ؛ وَلَكِنْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ أَرَادَ مَعْنًى آخَرَ.

وَهُمْ لَوْ تَصَوَّرُوا هَذِهِ المَقَالَةَ لَمْ يَقُولُوا هَذَا!! فَإِنَّ أَصْلَهُمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَلَا يَقُولُونَ قَوْلَيْنِ كِلَاهُمَا خَطَأٌ.

وَالصَّوَابُ قَوْلٌ ثَالِثٌ لَمْ يَقُولُوهُ؛ لَكِنْ قَدْ اعْتَادُوا أَنْ يَتَأَوَّلُوا مَا خَالَفَهُمْ، وَالتَّأْوِيلُ عِنْدَهُمْ مَقْصُودُهُ بَيَانُ احْتِمَالٍ فِي لَفْظِ الآيَةِ بِجَوَازِ أَنْ يُرَادَ ذَلِكَ المَعْنَى

---

[1] هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو المالكي، المعروف بابن الحاجب الكردي، إمامٌ في الفقه والأصول والنحو، قال عنه الذهبي: «كَانَ مِنْ أَذْكِيَاءِ العَالَمِ، رَأْساً فِي العَرَبِيَّةِ وَعِلْمِ النَّظَرِ، دَرَّسَ بِجَامِعِ دِمَشْقَ، وَبِالنُّورِيَّةِ المَالِكِيَّةِ، وَتَخَرَّجَ بِهِ الأَصْحَابُ، وَسَارَتْ بِمُصَنَّفَاتِهِ الرُّكْبَانُ، وَخَالَفَ النُّحَاةَ فِي مَسَائِلَ دَقِيقَةٍ، وَأَوْرَدَ عَلَيْهِم إِشْكَالَاتٍ مُفْحِمَةً»، له مصنفات عدة منها (الكافية في النحو)، و(منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل)، مات سنة ٦٤٦هـ.

يُنظر: الديباج المذهب ١٨٩، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦٥

بِذَلِكَ اللَّفْظِ، وَلَمْ يَسْتَشْعِرُوا أَنَّ المُتَأَوِّلَ هُوَ مُبَيِّنٌ لِمُرَادِ الآيَةِ مُخْبِرٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ أَرَادَ هَذَا المَعْنَى إِذَا حَمَلَهَا عَلَى مَعْنًى !!.

وَكَذَلِكَ إِذَا قَالُوا: يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهَا هَذَا المَعْنَى، وَالأُمَّةُ قَبْلَهُمْ لَمْ يَقُولُوا أُرِيدَ بِهَا إِلَّا هَذَا أَوْ هَذَا، فَقَدْ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ مَا أَرَادَهُ اللهُ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ الأُمَّةَ، وَأَخْبَرَتْ أَنَّ مُرَادَهُ غَيْرُ مَا أَرَادَهُ؛ لَكِنِ الَّذِي قَالَهُ هَؤُلَاءِ يَتَمَشَّى إِذَا كَانَ التَّأْوِيلُ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ هَذَا المَعْنَى مِنْ غَيْرِ حُكْمٍ بِأَنَّهُ مُرَادٌ، وَتَكُونُ الأُمَّةُ قَبْلَهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ جَاهِلَةً بِمُرَادِ اللهِ، ضَالَّةً عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَانْقَرَضَ عَصْرُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا [مَعْنَى][1] الآيَةِ.

وَلَكِنْ طَائِفَةٌ [قَالَتْ][2]: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ هَذَا المَعْنَى.

وَطَائِفَةٌ/ قَالَتْ: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ هَذَا المَعْنَى، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ عَلِمَ المُرَادَ. [١٢٨/أ]

فَجَاءَ الثَّالِثُ وَقَالَ: هَاهُنَا مَعْنًى يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ المُرَادَ، فَإِذَا كَانَتِ الأُمَّةُ مِنَ الجَهْلِ بِمَعَانِي القُرْآنِ، وَالضَّلَالِ عَنْ مُرَادِ الرَّبِّ بِهَذِهِ الحَالِ تَوَجَّهَ مَا قَالُوهُ، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

---

١) سَاقِطَةٌ مِن (س) و(ك)، ثَابِتَةٌ في (م).

٢) سَاقِطَةٌ مِن (س) و(ك)، ثَابِتَةٌ في (م).

مصادر التلقي بين السلف والخلف

والمقصود: أنَّ كثيراً مِنَ المتأخرينَ لمْ يصيروا يعتمِدُونَ في دِينِهِمْ لا على القرآنِ ولا على الإيمانِ الَّذِي جاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ بخلافِ السَّلَفِ؛ فلِهذا كانَ السَّلَفُ أكمَلَ عِلماً وإيماناً، وخطؤُهُمْ أخفُّ، وصوابُهُمْ أكثرُ كما قدَّمْناهُ.

وكانَ الأصلُ الَّذِي أسسوهُ هُوَ ما أمرَهُمُ اللهُ بِهِ في قولِهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾[1]، فإنَّ هذا أمرٌ لِلمؤمنينَ بما وَصفَ بِهِ الملائِكةَ كما قالَ تعالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ / مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2]، فوصفَهُمْ سُبحانَهُ بأنَّهُمْ لا يسبِقونَهُ بالقولِ، وأنَّهُمْ بأمرِهِ يعملُونَ، فلا يُخبِرُونَ عَنْ شيْءٍ مِنْ صِفاتِهِ، ولا غيرِ صِفاتِهِ إلَّا بعدَ أنْ يُخبِرَ سُبحانَهُ بِما يُخبِرُ بِهِ؛ فيكونُ خبرُهُمْ وقولُهُمْ تبعاً لِخبَرِهِ وقولِهِ كما قالَ: ﴿ لا

[٢٦/٥]

---

١) سورة الحجرات، آية: ١

٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٦-٢٩

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾، وَأَعْمَالُهُمْ تَابِعَةٌ لِأَمْرِهِ فَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا مَا أَمَرَهُمْ هُوَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِ، فَهُمْ مُطِيعُونَ لِأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ.

وَقَدْ وَصَفَ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ مَلَائِكَةَ النَّارِ فَقَالَ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (١)، وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ/ أَنَّ هَذَا تَوْكِيدٌ !!، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَا يَعْصُونَهُ فِي المَاضِي، وَيَفْعَلُونَ مَا أُمِرُوا بِهِ فِي المُسْتَقْبَلِ !!. [ص/١٦]

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا وَهَذَا أَنَّ العَاصِيَ هُوَ المُمْتَنِعُ مِنْ طَاعَةِ الأَمْرِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الامْتِثَالِ، فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ لِعَجْزِهِ لَمْ يَكُنْ عَاصِياً فَإِذَا قَالَ: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾، لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا بَيَانُ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، فَإِنَّ العَاجِزَ لَيْسَ بِعَاصٍ وَلَا فَاعِلٍ لِمَا أُمِرَ بِهِ، وَقَالَ: ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى فِعْلِ مَا أُمِرُوا بِهِ فَهُمْ لَا يَتْرُكُونَهُ لَا عَجْزاً وَلَا مَعْصِيَةً.

وَالمَأْمُورُ إِنَّمَا يَتْرُكُ مَا أُمِرَ بِهِ لِأَحَدِ هَذَيْنِ: إِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ قَادِراً، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَاصِياً لَا يُرِيدُ الطَّاعَةَ، فَإِذَا كَانَ مُطِيعاً يُرِيدُ طَاعَةَ الأَمْرِ وَهُوَ قَادِرٌ وَجَبَ

---

١) سورة التحريم، آية: ٦.

وُجُودُ فِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ، فَكَذَلِكَ الْمَلائِكَةُ الْمَذْكُورُونَ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

وَقَدْ وَصَفَ الْمَلائِكَةَ بِأَنَّهُمْ ﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[1]، فَالْمَلائِكَةُ مُصَدِّقُونَ بِخَبَرِ رَبِّهِمْ مُطِيعُونَ لِأَمْرِهِ وَلَا يُخْبِرُونَ حَتَّى يُخْبِرَ، وَلَا يَعْمَلُونَ حَتَّى يَأْمُرَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ ﴾[2].

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا مَعَ اللهِ وَرَسُولِهِ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْبَشَرَ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللهِ مِنْهُ؛ بَلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ رَسُولٌ مِنَ الْبَشَرِ فَعَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ مَا بَلَّغَهُمْ عَنِ اللهِ، وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ كَمَا قَالَ

---

١) سورة الأنبياء، آية: ٢٦-٢٩

٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٦

تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[1].

قَالَ مُجَاهِدٌ: «لَا تَفْتَاتُوا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِهِ»[2].

معنى التقدم بين يدي النبي ﷺ

تُقَدِّمُوا مَعْنَاهُ: تَتَقَدَّمُوا، وَهُوَ فِعْلٌ لَازِمٌ، وَقَدْ قُرِئَ: [تَقَدَّمُوا][3]، يُقَالُ: قَدَّمَ وَتَقَدَّمَ كَمَا يُقَالُ: بَيَّنَ وَتَبَيَّنَ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ قَدَّمَ مُتَعَدِّيًا، أَيْ قَدَّمَ غَيْرَهُ، لَكِنْ هُنَا هُوَ فِعْلٌ لَازِمٌ، فَلَا تُقَدِّمُوا مَعْنَاهُ: لَا تَتَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَعَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ إِلَّا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا يَتَقَدَّمُ بَيْنَ

---

١) سورة الحجرات، آية: ١

٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٧٦ (ت: أحمد شاكر)، الكشف والبيان للثعلبي ٩/ ٧٠، معالم التنزيل للبغوي ٧/ ٣٣٤.

٣) في (س) و(ك) و(م) (يقدّموا) بالياء، وهي تصحيفٌ، إذْ لا أعلم قراءة بالياء، وإنَّما هي بفتح التَّاء والدَّال (قراءة يعقوب بن جعفر)، وبضم التَّاء وكَسْر الدَّال (قراءة الجمهور).
يُنظر: النشر في القراءات العشر ٢/ ٤١٥، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ٥١٢، تفسير الطبري ٢٢/ ٢٧٧ وقال عن قراءة الجمهور: «وهِيَ القِرَاءَةُ التي لا أَسْتَجِيزُ القِرَاءَةَ بِخِلَافِهَا، لِإِجْمَاعِ الحُجَّةِ مِنَ القُرَّاءِ عَلَيْهَا».

يَدَيْهِ؛ بَلْ يَنْظُرُ مَا قَالَ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَبَعًا لِقَوْلِهِ، وَعَمَلُهُ تَبَعًا لِأَمْرِهِ، فَهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

فَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُعَارِضُ النُّصُوصَ بِمَعْقُولِهِ، وَلَا يُؤَسِّسُ دِينًا غَيْرَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَإِذَا أَرَادَ مَعْرِفَةَ شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ، وَالْكَلَامِ فِيهِ، نَظَرَ فِيمَا قَالَهُ اللهُ وَالرَّسُولُ فَمِنْهُ يَتَعَلَّمُ، وَبِهِ يَتَكَلَّمُ، وَفِيهِ يَنْظُرُ وَيَتَفَكَّرُ، وَبِهِ يَسْتَدِلُّ، فَهَذَا أَصْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَأَهْلُ الْبِدَعِ لَا يَجْعَلُونَ اعْتِمَادَهُمْ فِي الْبَاطِنِ وَنَفْسِ الْأَمْرِ عَلَى مَا تَلَقَّوْهُ عَنِ الرَّسُولِ؛ بَلْ عَلَى مَا رَأَوْهُ، أَوْ ذَاقُوهُ، ثُمَّ إِنْ وَجَدُوا السُّنَّةَ تُوَافِقُهُ، وَإِلَّا لَمْ يُبَالُوا بِذَلِكَ، فَإِذَا وَجَدُوهَا تُخَالِفُهُ أَعْرَضُوا عَنْهَا تَفْوِيضًا، أَوْ حَرَّفُوهَا تَأْوِيلًا.

فَهَذَا هُوَ الْفُرْقَانُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالسُّنَّةِ وَأَهْلِ النِّفَاقِ وَالْبِدْعَةِ، وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنَ اتِّبَاعِ السُّنَّةِ، لَكِنْ فِيهِمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالْبِدْعَةِ بِحَسَبِ مَا تَقَدَّمُوا فِيهِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَخَالَفُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ يُخَالِفُ الرَّسُولَ، وَلَوْ عَلِمُوا لَمَا قَالُوهُ لَمْ يَكُونُوا مُنَافِقِينَ، بَلْ نَاقِصِي الْإِيمَانِ مُبْتَدِعِينَ، وَخَطَؤُهُمْ مَغْفُورٌ لَهُمْ، لَا يُعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، وَإِنْ نَقَصُوا بِهِ.

## فصل

وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِذَلِكَ وَلَا عَدْلٌ؛ بَلْ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ إِلَّا جَهْلٌ وَظُلْمٌ وَظَنٌّ ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ (١)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ فَهُوَ حَقٌّ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَصَوَّرَ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ فِي نَقِيضِهِ؛ وَحِينَئِذٍ فَمَنِ اعْتَقَدَ نَقِيضَهُ كَانَ اعْتِقَادُهُ بَاطِلًا، وَالِاعْتِقَادُ الْبَاطِلُ لَا يَكُونُ عِلْمًا، وَمَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ فَهُوَ عَدْلٌ لَا ظُلْمَ فِيهِ، فَمَنْ نَهَى عَنْهُ فَقَدْ نَهَى عَنِ الْعَدْلِ، وَمَنْ أَمَرَ بِضِدِّهِ فَقَدْ أَمَرَ بِالظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ضِدَّ الْعَدْلِ الظُّلْمُ، فَلَا يَكُونُ مَا يُخَالِفُهُ إِلَّا جَهْلًا وَظُلْمًا ظَنًّا وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ.

[لا/٣٢]

انتفاء العلم والعدل عن كل من خالف الرسول

وَهُوَ/ لَا يَخْرُجُ عَنْ قِسْمَيْنِ:

[س/١٢]

أقسام مخالفة الشريعة

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ كَانَ شَرْعًا لِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ نُسِخَ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ يَكُونَ مَا شُرِعَ قَطُّ؛ بَلْ يَكُونُ مِنَ الْمُبَدَّلِ، فَكُلُّ مَا خَالَفَ حُكْمَ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَإِمَّا شَرْعٌ مَنْسُوخٌ، وَإِمَّا شَرْعٌ مُبَدَّلٌ مَا شَرَعَهُ اللهُ؛ بَلْ شَرَعَهُ

---

١) سورة النجم، آية: ٢٣

شَارِعٌ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللهِ كَمَا قَالَ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1].

لَكِنْ هَذَا وَهَذَا قَدْ يَقَعَانِ فِي خَفِيِّ الأُمُورِ وَدَقِيقِهَا بِاجْتِهَادٍ مِنْ أَصْحَابِهَا اسْتَفْرَغُوا فِيهِ وُسْعَهُمْ فِي طَلَبِ الحَقِّ، وَيَكُونُ لَهُمْ مِنَ الصَّوَابِ وَالاتِّبَاعِ مَا يَغْمُرُ ذَلِكَ، كَمَا وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ فِي مَسَائِلِ الطَّلَاقِ وَالفَرَائِضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مِثْلُ هَذَا فِي جَلِيِّ الأُمُورِ وَجَلِيلِهَا؛ لِأَنَّ بَيَانَ هَذَا مِنَ الرَّسُولِ كَانَ ظَاهِرًا بَيْنَهُمْ، فَلَا يُخَالِفُهُ إِلَّا مَنْ يُخَالِفُ الرَّسُولَ، وَهُمْ مُعْتَصِمُونَ بِحَبْلِ اللهِ، يُحَكِّمُونَ الرَّسُولَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، لَا يَتَقَدَّمُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَضْلًا عَنْ تَعَمُّدِ مُخَالَفَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

من أسباب مخالفة الشريعة

فَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ خَفِيَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مَا كَانَ ظَاهِرًا لَهُمْ، وَدَقَّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مَا كَانَ جَلِيًّا لَهُمْ، فَكَثُرَ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ مُخَالَفَةُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا لَمْ يَكُنْ مِثْلُ هَذَا فِي السَّلَفِ، وَإِنْ كَانُوا مَعَ هَذَا مُجْتَهِدِينَ مَعْذُورِينَ يَغْفِرُ اللهُ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَيُثِيبُهُمْ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ مَا يَكُونُ

١) سورة الشورى، آية: ٢١

لِلْعَامِلِ مِنْهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجِدُونَ مَنْ يُعِينُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ المُتَأَخِّرُونَ لَمْ يَجِدُوا مَنْ يُعِينُهُمْ عَلَى ذَلِكَ"[1].

لَكِنَّ تَضْعِيفَ الأَجْرِ لَهُمْ فِي أُمُورٍ لَمْ يُضَعَّفْ لِلصَّحَابَةِ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا أَفْضَلَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا يَكُونُ فَاضِلُهُمْ كَفَاضِلِ الصَّحَابَةِ؛ فَإِنَّ الَّذِي سَبَقَ إِلَيْهِ الصَّحَابَةُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالجِهَادِ، وَمُعَادَاةِ أَهْلِ الأَرْضِ فِي مُوَالَاةِ الرَّسُولِ، وَتَصْدِيقِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ وَيُوجِبُهُ قَبْلَ أَنْ تَنْتَشِرَ دَعْوَتُهُ، وَتَظْهَرَ كَلِمَتُهُ، وَتَكْثُرَ أَعْوَانُهُ وَأَنْصَارُهُ، وَتَنْتَشِرَ دَلَائِلُ نُبُوَّتِهِ، بَلْ مَعَ قِلَّةِ المُؤْمِنِينَ، وَكَثْرَةِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ، وَإِنْفَاقِ المُؤْمِنِينَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ/ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ فِي مِثْلِ [٢٨/أ] تِلْكَ الحَالِ، أَمْرٌ مَا بَقِيَ يَحْصُلُ مِثْلُهُ لِأَحَدٍ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ: «لَا

---

١) كما قال النبي ﷺ: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شُحًّا مُطاعًا، وهوىً مُتَّبعًا، ودُنيا مُؤثَرةً، وإعجابَ كُلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليك بنفسك، ودَعْ عنك العوامَّ، فإنَّ مِن ورائكم أيامَ الصَّبر، الصَّبرُ فيه مثلُ قبضٍ على الجمر للعامل فيهم مثلُ أجرِ خمسين رجُلًا يعملون مثل عمله»، قال يا رسول الله: أجرُ خمسين منهم ؟ قال: «أجرُ خمسين منكم» رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وقال الألباني في الصحيحة ٣/ ٣١: «وجملة القول: أنَّ الحديث بهذه الشواهد صحيحٌ ثابتٌ، لأنه ليس في شيء من طرقها مُتهمٌ، لاسيما و قد حسَّن بعضها الترمذي و غيره، و الله أعلم».

تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)»[1].

وَقَدْ اسْتَفَاضَتْ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: (خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)»[2].

التفاضل يكون بالجملة في القرون الأربعة

فَجُمْلَةُ الْقَرْنِ الأَوَّلِ أَفْضَلُ مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِي، وَالثَّانِي أَفْضَلُ مِنَ الثَّالِثِ، وَالثَّالِثُ أَفْضَلُ مِنَ الرَّابِعِ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ فِي الرَّابِعِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ الثَّالِثِ، وَكَذَلِكَ فِي الثَّالِثِ مَعَ الثَّانِي.

التفاضل بين المفضول من الصحابة وفيمن بعدهم

وَهَلْ يَكُونُ فِيمَنْ بَعْدَ الصَّحَابَةِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ الْمَفْضُولِينَ لَا الْفَاضِلِينَ ؟.

---

١) رواه البخاري في كِتَابِ الْمَنَاقِبِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، رقم (٣٣٩٧)، ومسلم في كِتَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ: تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ، رقم (٤٦١١)، وكلاهما عن أبي سعيد الخدري، ولفظ مُسلم (لا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي)، وأخرجه مُسلم أيضاً في كِتَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ: تَحْرِيمِ سَبِّ الصَّحَابَةِ، رقم (٤٦١٠)، عن أبي هُرَيْرَةَ بلفظ البُخاري إلاَّ أنه كرر لفظ (لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي) مرتين.

٢) سبق تخريجه ص٢٢٨، (٢٠٧).

هَذَا فِيهِ نِزَاعٌ، وَفِيهِ قَوْلَانِ حَكَاهُمَا الْقَاضِي عِيَاضٌ[١] وَغَيْرُهُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَفْرِضُهَا فِي مِثْلِ مُعَاوِيَةَ[٢]، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ، فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ لَهُ مَزِيَّةُ الصُّحْبَةِ، وَالْجِهَادِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُمَرَ لَهُ مَزِيَّةُ فَضِيلَتِهِ مِنَ الْعَدْلِ، وَالزُّهْدِ، وَالْخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ[٣].

---

١) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي، أبو الفضل السبتي، القاضي المالكي الشهير، إمامٌ في الحديث والفقه والتاريخ، له مصنفات عديدة منها (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، و(إكمال المعلم شرح صحيح مسلم)، و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك)، مات سنة ٥٤٤هـ.

يُنظر: الديباج المُذهب ١٠٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٣

٢) هو معاوية بن أبي سُفيان، الصحابي الكبير، وأمير المؤمنين بعد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

٣) وقد روى الآجري في الشريعة ٢/ ٦٢٦ عن حماد بن أسامة أنَّه سُئل عن أفضلهما، فقال: «أصحابُ رسول الله ﷺ لا يُقاس بهم»، وروى كذلك عن ابن المُبارك أنَّه سُئل عن أخيرهما، فقال: «تُرابٌ دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ خيرٌ أو أفضل مِن عمر بن عبدالعزيز»، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٤٥٠ عن عبدالله بن المُبارك لفظة أخرى وهي أنَّه قال: «والله إنَّ الغُبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عُمَر بألفٍ مرَّة، صلَّى معاويةُ خلف رسول الله ﷺ فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا؟!»، وروى الآجري كذلك عن المُعافى بن عمران أنَّه سمع رجلاً

والمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَنْ خَالَفَ الرَّسُولَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَّبِعَ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي المُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّاتَ وَالعُزَّى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [1].

وَقَالَ فِي الَّذِينَ يُخْبِرُونَ عَنِ المَلَائِكَةِ أَنَّهُمْ إِنَاثٌ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ

---

يقول: أين عمر بن عبدالعزيز من معاوية بن أبي سُفيان (كأنه يُقلل من شأن معاوية !!) فغضب المُعافى غضباً شديداً، وقال: «لا يُقاس بأصحاب محمد ﷺ أحداً، مُعاوية كاتبه، وصاحبه، وصهره، وأمينه على وحي الله عز وجل»، وروى الخلاَّل في السُّنة ٢/ ٤٣٤ عن الإمام أحمد أنه سُئل عن ذلك فقال: «معاويةُ أفضل، لسنا نقيس بأصحاب رسول الله ﷺ أحداً»، وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة كما في مجموع الفتاوى ٤/ ٥٢٧: «وأمَّا الصَّحابة والتابعون فقال غير واحد من الأئمة: إنَّ كُل من صحب النبي أفضل ممَّن لم يصحبه مُطلقاً، وعينوا ذلك في مثل معاوية وعمر بن عبدالعزيز؛ مع أنهم مُعترفون بأن سيرة عمر بن عبدالعزيز أعدل من سيرة معاوية، قالوا: لكن ما حصل لهم بالصُّحبة من الدرجة أمرٌ لا يساويه ما يحصل لغيرهم بعلمه».

١) سورة النجم، آية: ٢٣

﴿ ٣٠ ﴾[1]، وَهُمْ جَعَلُوهُمْ إِنَاثًا كَمَا قَالَ: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَٰئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ الرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾[2]، وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: {عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}[3].

وَهَؤُلَاءِ قَالَ عَنْهُمْ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ لِأَنَّهُ خَبَرٌ مَحْضٌ لَيْسَ فِيهِ عَمَلٌ، وَهُنَاكَ: ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَهَا وَيَدْعُونَهَا فَهُنَاكَ عِبَادَةٌ، وَعَمَلٌ بِهَوَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾، وَالَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ كَمَا قَالَ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾[4]./ [٢٧/أ]

وَكُلُّ مَنْ خَالَفَ الرَّسُولَ لَا يَخْرُجُ عَنِ الظَّنِّ/ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ، فَإِنْ [س/١٨] كَانَ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ مَا قَالَهُ، وَلَهُ فِيهِ حُجَّةٌ يَسْتَدِلُّ بِهَا؛ كَانَ غَايَتُهُ الظَّنَّ الَّذِي لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، كَاحْتِجَاجِهِمْ بِقِيَاسٍ فَاسِدٍ، أَوْ نَقْلٍ كَاذِبٍ، أَوْ خِطَابٍ أُلْقِيَ

---

١) سورة النجم، آية: ٢٧-٣٠

٢) سورة الزخرف، آية: ١٩

٣) سورة الزخرف، آية: ١٩

٤) سورة النجم، آية: ١-٥

إِلَيْهِمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ مِنَ اللهِ وَكَانَ مِنْ إِلْقَاءِ الشَّيْطَانِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ عُمْدَةُ مَنْ يُخَالِفُ السُّنَّةَ بِمَا يَرَاهُ حُجَّةً وَدَلِيلاً.

دحض شبهات المخالفين للشريعة إجمالاً

أَمَّا أَنْ يَحْتَجَّ بِأَدِلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ وَيَظُنُّهَا بُرْهَاناً، وَأَدِلَّةً قَطْعِيَّةً وَتَكُونَ شُبُهَاتٍ فَاسِدَةً مُرَكَّبَةً مِنْ أَلْفَاظٍ مُجْمَلَةٍ، وَمَعَانٍ مُتَشَابِهَةٍ، لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ حَقِّهَا وَبَاطِلِهَا، كَمَا يُوجَدُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ مَا يَحْتَجُّ بِهِ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، إِنَّمَا يُرَكِّبُ حُجَجَهُ مِنْ أَلْفَاظٍ مُتَشَابِهَةٍ، فَإِذَا وَقَعَ الِاسْتِفْسَارُ وَالتَّفْصِيلُ تَبَيَّنَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحُجَجُ الْعَقْلِيَّةُ.

وَإِنْ تَمَسَّكَ الْمُبْطِلُ بِحُجَجٍ سَمْعِيَّةٍ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ كَذِباً عَلَى الرَّسُولِ، أَوْ تَكُونَ غَيْرَ دَالَّةٍ عَلَى مَا احْتَجَّ بِهَا أَهْلُ الْبُطُولِ، فَالْمَنْعُ إِمَّا فِي الْإِسْنَادِ، وَأَمَّا فِي الْمَتْنِ وَدَلَالَتِهِ عَلَى مَا ذَكَرَ، وَهَذِهِ الْحُجَّةُ السَّمْعِيَّةُ هَذِهِ حُجَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ الظَّاهِرِ.

وَأَمَّا حُجَّةُ أَهْلِ الذَّوْقِ، وَالوَجْدِ، وَالْمُكَاشَفَةِ، وَالْمُخَاطَبَةِ، فَإِنَّ أَهْلَ الحَقِّ مِنْ هَؤُلَاءِ لَهُمْ إِلْهَامَاتٌ صَحِيحَةٌ مُطَابِقَةٌ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَرُ)[1].

وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: «اقْتَرِبُوا مِنْ أَفْوَاهِ الْمُطِيعِينَ، وَاسْمَعُوا مِنْهُمْ مَا يَقُولُونَ، فَإِنَّهَا تَجَلَّى لَهُمْ أُمُورٌ صَادِقَةٌ»[2].

---

١) رواه البخاري في كِتَابِ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ: حَدِيثُ الْغَارِ، رقم (٣٢١٠)، وفي كِتَابِ المَنَاقِبِ، بَابُ: مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، رقم (٣٤١٣)، وكلاهما عن أبي هريرة، ومسلم في كِتَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ، رقم (٤٤١١)، عن عائشة.

٢) ذكر شيخ الإسلام هذا الأثر بهذا اللفظ في بعض كُتبه ومنها هذا الكتاب (ولم يخرجه الشيخان الأرناؤوط والزهيري)، وفي درء التعارض ٨/ ٥١٨ (ولم يخرجه الشيخ محمد رشاد سالم)، وفي الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١٥١ (وقال محققه الدكتور اليحيى: «لم أجد نص ما ذكره المؤلف»، وقد ذكر بعض الألفاظ البعيدة جداً عن اللفظ المُراد)، وذكره ابن القيم في إعلام الموقعين ٦/ ١٩٩ (وقال محققه الشيخ مشهور حسن: «لم أظفر به، مع شدة البحث عنه في كُتب الرقاق والأدب، فضلاً عن الأجزاء الحديثية وغيرها ..» ومن أسباب عدم وجوده للأثر أنَّ الشيخ مشهور حسن أدرج شرح الإمام ابن القيِّم مع مقولة عُمَر، فإن الأثر ينتهي بقوله: «أمورٌ صادقة»، وقد أتبعه بقول ابن القيِّم: «وذلك لقُرْب قلوبهم من الله ...»، فالتبس عليه الأثر).

وَفِي التِّرْمِذِيِّ[1] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝﴾[2]»[3].

---

والأثر أخرجه سعيد بن منصور في سُننه، وأبو بكر المروزي في كتاب الجنائز كلاهما عن عمر ابن الخطاب بلفظ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، واعقِلُوا ما تسمعون مِن المُطيعين منكم؛ فإنَّه يجلي لهم أمورٌ صادقةٌ»، كما قاله السيوطي في الدُّر المنثور ١٤/ ٢٣٢ (ت: التركي)، وفي شرح الصدور ٨٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٥/ ٧٠٣، والله أعلم.

١) هو محمد بن عيسى بن سَوْرَة السُّلمي، أبو عيسى التِّرْمِذِي، الحافظ، العَلَمُ، الإمامُ البارعُ، صاحبُ الجامع، قال عنه عُمَرُ بن عَلَّك: «مَاتَ البُخَارِيُّ فَلَمْ يُخَلِّفْ بِخُرَاسَانَ مِثْلَ أَبِي عِيسَى، فِي العِلْمِ وَالحِفْظِ، وَالوَرَعِ وَالزُّهْدِ، بَكَى حَتَّى عَمِيَ، وَبَقِيَ ضَرِيراً سِنِيْنَ»، مات في ترمذ سنة ٢٧٩هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٠، البداية والنهاية ١١/ ٦٦-٦٧

٢) سورة الحِجر، آية : ٧٥

٣) رواه الترمذي في كِتَابِ تَفْسِيرِ القُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الحِجْرِ، رقم (٣٠٥٢)، وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ»، عن أبي سعيد الخدري.

قال الألباني: «وهو ضعيفٌ من أجل عطية العوفي، فإنه ضعيف مُدلِس» كما في الضعيفة برقم (١٨٢١)، وضعفه كذلك في ضعيف الترمذي، وضعيف الجامع الصغير.

وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ[1]: «أَظُنُّهُ وَاللهِ لِلْحَقِّ يَقْذِفُهُ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ».

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا)[2].

---

١) هو الصحابي أبو الدرداء عُويمر بن ثعلبة الأنصاري، كما عند الحافظ ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٥٢ بلفظ: «إيّاكم وفراسة العُلماء، احذروا أن يشهدوا عليكم بشهادة تكبكم على وجوهكم في النار، فوالله إنَّه للحق يقذفه الله في قلوبهم، ويجعله على أبصارهم»، ونقلها عنه ابن قيّم الجوزية في إعلام الموقعين ١/ ٦٩ (ت: طه عبدالرؤوف) و٢/ ١٢٠ (ت: مشهور سلمان)، وقد ذكر السخاوي في المقاصد الحسنة ٥٩ أنَّ العسكري رواه مُسنداً في كتابه الأمثال بسند ضعيف عن أبي الدرداء، ووافقه العجلوني في كشف الخفاء ومُزيل الإلباس ١/ ٤٢.
وقد روى بسنِدٍ فيه مجاهيلُ الإمامُ اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة ٩/ ١٥٦ عن الصحابي أبي قُتيلة مرثد بن وداعة الحمصي - جزم بصحبته البخاري، ونفاها أبو حاتم الرّازي - بلفظ: «اتقوا فراسة العُلماء، فإنَّه حقٌّ يجعله الله تعالى على أبصارهم، وفي قلوبهم»، والله أعلم.

٢) رواه البخاري في كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابُ: التَّوَاضُعِ، رقم (٦٠٢١)، عن أبي هريرة.

وَفِي رِوَايَةٍ: (فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي)[1]، فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَسْمَعُ بِالحَقِّ، وَيُبْصِرُ بِهِ.

---

١) هذه الروايةُ مُشْكِلَةٌ جداً سواء في كُتب السُّنة، أو كُتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة، فهي ليست في نُسخ البخاري المطبوعة ولا في غيرها مِن الكُتب المُسْنَدَة كما بحثه، أمّا شيخ الإسلام فقد أوردها كثيراً جداً، وله ثلاثة مسالك في إيرادها.

فمرة أوردها ضمن الحديث السابق، كما في مجموع الفتاوى (٢/ ١٨، ٢/ ٣١٤، ٢/ ٣٧١، ٢/ ٤٦٣، ٥/ ٥١١، ٦/ ٤٨٤، ٧/ ٤٤٣، ٨/ ١٤٤، ٨/ ٣٣٩، ١٠/ ٧، ١٠/ ٣٠٥، ١٠/ ٣٤١، ١٠/ ٣٩٠، ١٠/ ٤٧٤، ١٠/ ٧٥٥، ١١/ ٢٣، ١١/ ٦١، ١١/ ٢١٧، ١١/ ٥١٦، ١٧/ ١٣٣، ٢٥/ ٣١٦، ٢٧/ ٥٦)، والفتاوى الكبرى ١/ ٢٠٧، ورسالة في الصفات الاختيارية ٢/ ٢٧ ضمن جامع الرسائل، وقاعدة في المحبة ٢/ ٢٥٧ ضمن جامع الرسائل، والتحفة العراقية ٢٩١ (ت: المنيدي)، وشرح الأصفهانية ٢٧١ (ت: السعوي)، ودرء التعارض ٢/ ٩٦ (ت: محمَّد رشاد)، وغير ذلك.

ومرة واحدة أوردها بقوله: «في رواية في غير الصحيح»، كما في الرَّد الأقوم على ما في كتاب فُصُوص الحِكَم ٢/ ٣٩٠ ضمن مجموع الفتاوى.

ومرة أوردها بقوله: «في رواية» فقط، كما في هذا الكتاب مِن الفتاوى ١٣/ ٦٩، والفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان ٥٠ (ت: اليحيى)، والجواب الصحيح ٢/ ١٩٩ (ت: العسكر).

قال الذَّهبي في تاريخ الإسلام ٥١/ ٣٦٣: «لم أجد هذه اللفظة (فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ)».

وَكَانُوا يَقُولُونَ: «إِنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ!»[1].

وَقَالَ ﷺ: (مَنْ سَأَلَ القَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ وُكِلَ إِلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيْهِ/ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ)»[2]. [١٠/ب]

---

وأوردها ابن حجر في الفتح ١١ / ٣٤٤ نقلاً عن الطوفي ولم يعزها إلى أي مصدر.

وقال الألباني: «و لم أرَ هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره ممن ذكرنا من المخرجين ..»

كما في الصحيحة برقم (١٦٤٠).

وقد ذكر هذه اللفظة الحكيم الترمذي (الصوفي !!) بغير إسناد في كِتَابِهِ (خَتْمُ الأَوْلِيَاءِ) ٣٣٢ (ت: عثمان إسماعيل يحيى)، طبعة (المطبعة الكاثوليكية !!) بيروت.

١) رواه الإمام أحمد ٢/ ٩٩، والطبراني في الأوسط ١٢/ ٢٨٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٨٤ كُلُّهم عن علي بن أبي طالب.

قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن» كما في المجمع ٩/ ٦٧

٢) رواه أبو داود في كِتَابِ الأَقْضِيَةِ، بَابُ: فِي طَلَبِ القَضَاءِ وَالتَّسَرُّعِ إِلَيْهِ، رقم (٣١٠٧)، والترمذي في كِتَابِ الطِّبِّ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ التَّعْلِيقِ، رقم (١٩٩٨)، وابن ماجة في كِتَابِ الأَحْكَامِ، بَابُ: ذِكْرِ القُضَاةِ، رقم (٢٣٠٠)، كُلُّهم عن أنس ابن مالك.

قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

وقال الألباني: «ضعيف» كما في السلسة الضعيفة رقم (١١٥٤)، وغيرها.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ (١) نُورُ الإِيمَانِ مَعَ نُورِ القُرْآنِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (٢)، وَهُوَ المُؤْمِنُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَيَتْبَعُهُ شَاهِدٌ مِنَ اللهِ، وَهُوَ القُرْآنُ، شَهِدَ اللهُ فِي القُرْآنِ بِمِثْلِ مَا عَلَيْهِ المُؤْمِنُ مِنْ بَيِّنَةِ الإِيمَانِ.

وَهَذَا القَدْرُ مِمَّا أَقَرَّ بِهِ حُذَّاقُ النُّظَّارِ لَمَّا تَكَلَّمُوا فِي وُجُوبِ النَّظَرِ وَتَحْصِيلِهِ لِلْعِلْمِ، فَقِيلَ لَهُمْ: أَهْلُ التَّصْفِيَةِ، وَالرِّيَاضَةِ، وَالعِبَادَةِ، وَالتَّأَلُّهِ، تَحْصُلُ لَهُمُ المَعَارِفُ، وَالعُلُومُ اليَقِينِيَّةُ بِدُونِ النَّظَرِ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ المُلَقَّبُ بِـ[الكُبْرَى] (٣)

---

وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده ضعيف» كما في المسند ١٩/ ١٠٠.

١) سورة النور، آية: ٣٥

٢) سورة هود، آية: ١٧

٣) في (س) و(ك) و(م) (الكَبِيرِي) هو تصحيفٌ، والأظهر ما أثبته، وقد صححت في الموضعين، دون الإشارة للخلاف في الثاني، والله أعلم.

وهو أحمد بن عُمَر بن محمَّد الكُبْرَى، أبو الجَنَابِ الخِيْوَقِيُّ نجم الدِّين الشَّافعي الصُّوفي، شيخ خوارزم، قال عنه الذَّهبي: «الشَّيْخُ، الإِمَامُ، العَلَّامَةُ، القُدْوَةُ، المُحَدِّثُ، الشَّهِيْدُ، شَيْخُ خُرَاسَانَ، نَجْمُ الكُبْرَاءِ»، قتل شهيداً على يد التتار على أبواب خوارزم سنة ٦١٨هـ

يُنظر: الوافي بالوفيات ٢/ ٤٦٩، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١٢، طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٢٦، والقصة أوردها شيخ الإسلام ابن تيميَّة في مواضع منها: مجموع الفتاوى ٢/ ١٨،

للرّازي وَرَفِيقِهِ(١)، وَقَدْ قَالا لَهُ: يَا شَيْخُ بَلَغَنَا أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْمَ اليَقِينِ، فَقَالَ: نَعَمْ!!، فَقَالا: كَيْفَ تَعْلَمُ وَنَحْنُ نَتَنَاظَرُ فِي زَمَانٍ طَوِيلٍ، كُلَّمَا ذَكَرَ شَيْئاً أَفْسَدْتُه، وَكُلَّمَا ذَكَرْت شَيْئاً أَفْسَدَهُ ؟ فَقَالَ: هُوَ وَارِدَاتٌ تَرِدُ عَلَى النُّفُوسِ تَعْجِزُ النُّفُوسُ عَنْ رَدِّهَا، فَجَعَلَا يَعْجَبَانِ مِنْ ذَلِكَ، وَيُكَرِّرَانِ الكَلَامَ، وَطَلَبَ أَحَدُهُمَا أَنْ تَحْصُلَ لَهُ هَذِهِ الوَارِدَاتُ، فَعَلَّمَهُ الشَّيْخُ، وَأَدَّبَهُ حَتَّى حَصَلَتْ لَهُ، وَكَانَ مِنَ المُعْتَزِلَةِ النُّفَاةِ.

فَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الحَقَّ مَعَ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، وَعَلِمَ ذَلِكَ بِالضَّرُورَةِ رَأَيْتُ هَذِهِ الحِكَايَةَ بِخَطِّ القَاضِي نَجْمِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفٍ المَقْدِسِي(٢)، وَذَكَرَ أَنَّ الشَّيْخَ الكُبْرَى حَكَاهَا لَهُ، وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي بِهَا عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ حَتَّى رَأَيْتُهَا بِخَطِّهِ، وَكَلَامُ المَشَايِخِ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرٌ.

---

٢/ ٧٦، ٤/ ٤٣، وبيان تلبيس الجهمية ٢/ ٤٣، ودرء التعارض ٧/ ٣٢٩، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١٢، وتاريخ الإسلام ١٠/ ٧، والصفدي في الوافي بالوفيات ٢/ ٤٦٩.

١) كُل المصادر التي اطلعت عليها، والتي ذكرت القصة أبهمت اسم الرّجل، وإنما ذكرت وصفه بأنه فقيهٌ مُتكلمٌ مُعتزليٌّ كبيرٌ، وأنه تصوّف بعد هذه الحادثة !!.

٢) هو أحمد بن محمّد بن خلف بن راجح، القاضي نجم الدّين أبو العبّاس المقدسي الحنبلي ثم الشافعي، له مصنفات عدة منها (شرح المعالم في الأصول)، و(شرح المُفصل في النحو)، قال

معنى العلم الضروري والعلم النظري

وَهَذَا الوَصْفُ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ جَوَابٌ لَهُمْ بِحَسَبِ مَا يَعْرِفُونَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَسَّمُوا العِلْمَ إِلَى ضَرُورِيٍّ وَنَظَرِيٍّ، وَالنَّظَرِيُّ مُسْتَنِدٌ إِلَى الضَّرُورِيِّ، وَالضَّرُورِيُّ هُوَ العِلْمُ الَّذِي يَلْزَمُ نَفْسَ المَخْلُوقِ لُزُومًا لا يُمْكِنُهُ مَعَهُ الانْفِكَاكُ عَنْهُ، هَذَا حَدُّ القَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الطَّيِّبِ وَغَيْرِهِ، فَخَاصَّتُهُ أَنَّهُ يَلْزَمُ النَّفْسَ لُزُومًا لا يُمْكِنُ مَعَ ذَلِكَ دَفْعُهُ، فَقَالَ لَهُمْ: عِلْمُ اليَقِينِ عِنْدَنَا هُوَ مِنْ هَذَا الجِنْسِ، وَهُوَ عِلْمٌ يَلْزَمُ النَّفْسَ لُزُومًا لا يُمْكِنُهُ مَعَ ذَلِكَ الانْفِكَاكُ عَنْهُ، وَقَالَ: وَارِدَاتٌ؛ / لِأَنَّهُ [ص/١١٧] يَحْصُلُ مَعَ العِلْمِ طُمَأْنِينَةٌ وَسَكِينَةٌ تُوجِبُ العَمَلَ بِهِ، فَالوَارِدَاتُ تَحْصُلُ بِهَذَا وَهَذَا.

وَهَذَا قَدْ أَقَرَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ حُذَّاقِ النُّظَّارِ مُتَقَدِّمِيهِمْ كَالكِيَا الهَرَّاسِي[1]

---

عنه الذهبي: «الشَّيْخُ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، البَارِعُ، الحَافِظُ، نَجْمُ الدِّينِ، أَنْقَى الفُضَلَاءِ، اشْتَغَلَ وَتَخَرَّجَ بِهِ العُلَمَاءُ، وَكَانَ ذَا تَهَجُّدٍ وَتَأَلُّهٍ وَتَعَبُّدٍ وَذَكَاءٍ مُفْرِطٍ»، مات سنة ٦٣٨هـ.

يُنظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٧٤، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٧٥

١) هو علي بن محمد بن علي الطبري إلكيا - بكسر الكاف - الهرَّاسي - بتشديد الراء وبعد الألف سينٌ مهملة - ، أبو الحسن عماد الدين الشافعي، إمامٌ فقيهٌ أصوليٌّ متكلمٌ، من أشهر كتبه (أحكامُ القرآن)، قال عنه الذهبي: «العَلاَّمَةُ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، وَمُدَرِّسُ النِّظَامِيَّةِ .. تَخَرَّجَ بِهِ الأَئِمَّةُ، وَكَانَ أَحَدَ الفُصَحَاءِ، وَمِنْ ذَوِي الثَّرْوَةِ وَالحِشْمَةِ، لَهُ تَصَانِيفُ حَسَنَةٌ»، مات سنة ٥٠٤هـ.

وَالغَزَالِيُّ[١] وَغَيْرِهِمَا، وَمُتَأَخِّرِيهِمْ كَالرَّازِيِّ وَالآمِدِيِّ، وَقَالُوا: نَحْنُ لا نُنْكِرُ أَنْ يَحْصُلَ لِنَاسٍ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ بِمَا يَحْصُلُ لَنَا بِالنَّظَرِ، هَذَا لا نَدْفَعُهُ، لَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمًا ضَرُورِيًّا فَلا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ، وَالدَّلِيلُ يَكُونُ مُسْتَلْزِمًا لِلْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِحَيْثُ يَلْزَمُ مِنِ انْتِفَاءِ الدَّلِيلِ انْتِفَاءُ المَدْلُولِ عَلَيْهِ./ [١٧/ب]

قَالُوا: فَإِنْ كَانَ لَوْ دَفَعَ ذَلِكَ الاعْتِقَادَ الَّذِي حَصَلَ لَهُ لَزِمَ دَفْعُ شَيْءٍ مِمَّا يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ، فَهَذَا هُوَ الدَّلِيلُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهَذَا هَوَسٌ لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

وَالمَقْصُودُ: أَنَّ هَذَا الجِنْسَ وَاقِعٌ لَكِنْ يَقَعُ أَيْضًا مَا يُظَنُّ أَنَّهُ مِنْهُ كَثِيرٌ، أَوْ لا يُمَيِّزُ كَثِيرٌ مِنْهُمُ الحَقَّ مِنَ البَاطِلِ، كَمَا يَقَعُ فِي الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ، فَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يَسْمَعُ خِطَابًا أَوْ يَرَى مَنْ يَأْمُرُهُ بِقَضِيَّةٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الخِطَابُ مِنَ

---

يُنظر: طبقات الشّافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٤٩، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٥٠

(١) هو محمّد بن محمّد بن محمّد الطوسي، أبو حامد الغزالي الشّافعي، فقيهٌ مُتكلمٌ متصوف، له الذكاء المفرط، وله المصنفات الشهيرة منها (إحياء علوم الدّين)، و(الاقتصاد في الاعتقاد)، قال عنه الذّهبي: «الشّيخُ، الإمَامُ، البَحْر، حجّةُ الإِسْلامِ، أُعجوبَةُ الزَّمَانِ.. صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَالذَّكَاءِ المُفرِطِ»، مات سنة ٥٠٥ هـ

يُنظر: طبقات الشّافعية الكبرى ٦/ ١٩١، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢

الشَّيْطَانِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ الَّذِي يُخَاطِبُهُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ مِنْ رِجَالِ الغَيْبِ، وَرِجَالُ الغَيْبِ هُمْ الجِنُّ، وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ إِنْسِيٌّ، وَقَدْ يَقُولُ لَهُ: أَنَا الخَضِرُ(١)، أَوْ إِلْيَاسُ، بَلْ أَنَا مُحَمَّدٌ، أَوْ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ، أَوْ المَسِيحُ، أَوْ أَبُو بَكْرٍ، أَوْ

---

١) حدَّد الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/ ٤٣٣ الخلاف فيه على خمسة أوجه، فقال: «والخضر قد أُختلف في اسمه، وفي اسم أبيه، وفي نسبه، وفي نبوته، وفي تعميره»، وأهمها الأخيرتان لارتباطها بالعقيدة، وهي باختصار:

أولاً: أختلف العُلماء في نبوته إلى أربعة أقوال:

(١) أنه نبيٌّ: وهو قول جمهور أهل السُّنة، حكاه القرطبي في تفسيره ١١/ ١٦، وأبو حيَّان في تفسيره ٦/ ١٤٧، والألوسي في تفسيره ١٥/ ١٣٦، والشنقيطي في تفسيره ٣/ ١٦٢.

(٢) أنه رسولٌ: قال به إسماعيل بن أبي زياد الشَّامي، ومحمد بن إسحاق، وعلي بن عيسى الرماني، وابن الجوزي، حكاه عنهم ابن حجر في الزهر النضر ٩٨.

(٣) أنه وليٌّ: وهو قول جمهور الصوفية، ووافقهم ابن أبي موسى الحنبلي وابن الأنباري، ذكر ذلك الحافظ في الزهر النضر ٩٨، وغيره.

(٤) أنه مَلَكٌ: حكاه أبو الحسن الماوردي، وأبو الخطَّاب ابن دحية، والسهيلي، وعنهم النووي في شرح مسلم ١٥/ ١٣٦، وابن حجر في الزهر النضر ٩٩، وفي فتح الباري ٦/ ٤٣٣، والشنقيطي في أضواء البيان ٣/ ٣٢٢، ولم ينسبوه لأحد.

ثانياً: أختلف العلماء في تعميره إلى قولين:

(١) أنّه مات: وهو قول جمهور أهل السُّنة، واختاره شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٤/ ٣٣٧، ٢٧/ ١٨، والرّد على المنطقيين ١٤٩.

(٢) أنّه حيٌّ: وهو قول جمهور الصوفية، ووافقهم النووي في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٦، وابن الصَّلاح في فتاواه ٢٨، والسيوطي في الحاوي ٢/ ١٣٩.

● أودُّ التنبيه هُنا إلى رسالة في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٤/ ٣٣٨ وفيها أنّ الشيخ يختار بأنّ الخضر حيٌّ لم يمُتْ، وهي باطلة لا تصح عن الشّيخ لأمور كثيرة منها:

(١) أنها مُخالفة لصريح فتواه بموت الخضر، فقد قال: «فإنّ خضر موسى مات كما بُيِّن هذا في غير هذا الموضع، والخضر الذي يأتي كثيراً مِن الناس إنما هو جِنّيٌّ تصور بصورة إنسي، أو إنسيٌّ كذاب» كما في مجموع الفتاوى ١/ ٢٤٩، وقال: «فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام مات، ولو كان حيّاً على عهد رسول الله لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ ويؤمن به ويجاهد معه» كما في مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٨، وغيرها.

(٢) أنّ بعض تلاميذ الشيخ ذكروا عنه أنّه يقول بموت الخضر، وهما ابن القيِّم في المنار المنيف ٦٨، والفوائد الحديثية ٨٣، وابن عبدالهادي في العقود الدُّرية ٦٠.

(٣) أنّ المُخالفين لشيخ الإسلام لم يردوا عليه فيها، كما في غيرها مِن المسائل، وهي جديرة لو ثبتت عنه بالطعن لموافقته الصوفية، ومخالفته أهل السُّنة.

وقد شكك فيها الشيخ ابن قاسم في المجموع فقال: «هكذا وجدتُ الرسالة!!»، والشيخ ناصر الفهد في صيانة مجموع الفتاوى ٨، وأبطلها العلاّمة بكر أبو زيد في الردود ٣٥٧، والشيخ عبدالعزيز السدحان في آراء باطلة وروايات خاطئة ١٠٥، وليس صحيحاً ما جزم به العلاّمة الألباني بأن فتوى الشيخ كانت قديمة منذ بداية الطلب، فلمّا نبغ تراجع

عُمَرُ، أَوْ أَنَا الشَّيْخُ فُلَانٌ، أَوْ الشَّيْخُ فُلَانٌ، مِمَّنْ يُحْسِنُ بِهِمُ الظَّنَّ، وَقَدْ يَطِيرُ بِهِ فِي الهَوَاءِ، أَوْ يَأْتِيهِ بِطَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ نَفَقَةٍ فَيَظُنُّ هَذَا كَرَامَةً؛ بَلْ آيَةً وَمُعْجِزَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا مِنْ رِجَالِ الغَيْبِ، أَوْ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ شَيْطَانًا لَبَّسَ عَلَيْهِ، فَهَذَا وَمِثْلُهُ وَاقِعٌ كَثِيرًا، أَعْرِفُ مِنْهُ وَقَائِعَ كَثِيرَةً، كَمَا أَعْرِفُ مِنَ الغَلَطِ فِي السَّمْعِيَّاتِ وَالعَقْلِيَّاتِ.

فَهَؤُلَاءِ يَتَّبِعُونَ ظَنًّا لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا، وَلَوْ لَمْ يَتَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ بَلِ اعْتَصَمُوا بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَتَّبِعُ ذَوْقَهُ وَوَجْدَهُ، وَمَا يَجِدُهُ مَحْبُوبًا إِلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا بَصِيرَةٍ، فَيَكُونُ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ بِلَا ظَنٍّ، وَخِيَارُهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ.

وَهَؤُلَاءِ إِذَا طُلِبَ مِنْ أَحَدِهِمْ حُجَّةٌ ذَكَرَ تَقْلِيدَهُ لِمَنْ يُحِبُّهُ مِنْ آبَائِهِ وَأَسْلَافِهِ، كَقَوْلِ المُشْرِكِينَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ

---

عنها، كما في السلسلة الضعيفة ١١/ ٦٤٥، رقم (٥٣٨٤)، وتابعه الشيخ مشهور حسن سلمان في فتح المنان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجان ٥٩٠، ولذا فليُتنبَّه.

﴿٢٣﴾ (١)، وَإِنْ عَكَسُوا احْتَجُّوا بِالْقَدَرِ، وَهُوَ أَنَّ اللهَ أَرَادَ هَذَا وَسَلَّطَنَا عَلَيْهِ، فَهُمْ يَعْمَلُونَ بِهَوَاهُمْ وَإِرَادَةِ نُفُوسِهِمْ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِمْ كَالْمُلُوكِ الْمُسَلَّطِينَ.

وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ اللهُ، فَيَتَّبِعُونَ أَمْرَ اللهِ، وَمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، لَا يَتَّبِعُونَ إِرَادَتَهُمْ وَمَا يُحِبُّونَهُ هُمْ وَيَرْضَوْنَهُ، وَأَنْ يَسْتَعِينُوا بِاللهِ يَقُولُونَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ (٢) لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى مَا أُوتُوهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالتَّصَرُّفِ وَالْحَالِ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَدِّ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ عَقِبَ الصَّلَاةِ، وَفِي الِاعْتِدَالِ بَعْدَ الرُّكُوعِ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» (٣).

---

١) سورة الزخرف، آية : ٢٣

٢) سورة الفاتحة، آية : ٥

٣) رواه البخاري في كِتَابِ الأَذَانِ، بَابُ: الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، رقم (٧٩٩)، ومسلم في كِتَابِ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ: اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، رقم (٩٣٣)، كلاهما عن الْمُغِيرَة بن شُعبة.

وقد سُئل شيخ الإسلام عن معنى قوله ﷺ: «وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» كما في مجموع الفتاوى ٢٢/ ٤٤٦ فقال ما مُلخصه: «والمعنى أنَّ صاحِبَ الجَدِّ لا ينفعه مِنكَ جَدُّهُ، أي لا ينجيه ويخلصه مِنكَ جَدُّهُ، وإنما ينجيه الإيمان والعمل الصالح، والجَدُّ هو الغنى وهو العَظَمَةُ

فَالذَّوْقُ وَالوَجْدُ هُوَ يَرْجِعُ إِلَى حُبِّ الإِنْسَانِ وَوَجْدِهِ بِحَلَاوَتِهِ وَذَوْقِهِ وَطَعْمِهِ، وَكُلُّ صَاحِبِ مَحَبَّةٍ فَلَهُ فِي مَحْبُوبِهِ ذَوْقٌ وَوَجْدٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِسُلْطَانٍ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ كَانَ صَاحِبُهُ مُتَّبِعًا لِهَوَاهُ/ بِغَيْرِ [١١/٢٢] هُدًى، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾[2].

وَكَذَلِكَ مَنِ اتَّبَعَ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الخِطَابِ، أَوْ مَا يَرَاهُ مِنَ الأَنْوَارِ وَالأَشْخَاصِ الغَيْبِيَّةِ، وَلَا يَعْتَبِرُ ذَلِكَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّمَا يَتَّبِعُ ظَنًّا لَا يُغْنِي

---

وهو المَلِك، بيَّن أنه مَن كان له في الدُّنيا رئاسةٌ ومالٌ لم ينجه ذلك، ولم يخلصه مِن الله، وإنما ينجيه من عذابه إيمانه وتقواه».

قلتُ: وفي معنى الحديث قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾، نسأل الله العفو والغفران، والدرجات العُلى مِن الجِنان، والله أعلم.

١) سورة القصص، آية : ٥٠

٢) سورة الأنعام، آية : ١١٩

مِنَ الحَقِّ شَيْئًا، فَلَيْسَ فِي المُحَدَّثِينَ المُلْهَمِينَ أَفْضَلُ مِنْ عُمَرَ كَمَا قَالَ ﷺ: (إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ مِنْهُمْ)[1].

وَقَدْ وَافَقَ عُمَرُ رَبَّهُ فِي عِدَّةِ أَشْيَاءَ[2]، وَمَعَ هَذَا فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَصِمَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَا يَقْبَلَ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ؛ بَلْ يَجْعَلُ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَشْيَاءُ خِلَافُ مَا وَقَعَ لَهُ فَيَرْجِعُ إِلَى السُّنَّةِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُبَيِّنُ لَهُ أَشْيَاءَ خَفِيَتْ عَلَيْهِ، فَيَرْجِعُ إِلَى بَيَانِ الصِّدِّيقِ وَإِرْشَادِهِ وَتَعْلِيمِهِ كَمَا جَرَى يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، وَيَوْمَ مَاتَ الرَّسُولُ ﷺ، وَيَوْمَ نَاظَرَهُ فِي مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَكَانَتِ المَرْأَةُ تَرُدُّ عَلَيْهِ

---

١) سبق تخريجه صفحة (٣٣١).

٢) منها (الصلاة خلف مقام إبراهيم، والحجاب لأمهات المؤمنين، وطلاق بعض أمهات المؤمنين إذ عصين رسول الله ﷺ، وقوله ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ⑭﴾ قبل نزولها، وفي أسرى بدر، وفي الأذان، وفي عدم الصلاة على ابن سلول) وقد أفرد لها الأئمة أبواباً في مصنفاتهم كما فعل البخاري في كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب: مَا جَاءَ فِي القِبْلَةِ، ومسلم في كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَاب: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ، والآجري في الشريعة ٢/ ٣٠١، وغيرهم، وللإمام السيوطي نظمٌ فيها سمّاه (قَطْفُ الثَّمَرِ فِي مُوَافَقَةِ عُمَرَ)، وللإمام حامد العمادي كتاب سمّاه (الدُّر المستطاب في موافقة عمر بن الخطّاب).

مَا يَقُولُهُ، وَتَذْكُرُ الحُجَّةَ مِنَ القُرْآنِ فَيَرْجِعُ إِلَيْهَا؛ كَمَا جَرَى فِي مُهُورِ النِّسَاءِ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ.

فَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِلْهَامِ وَالخِطَابِ وَالمُكَاشَفَةِ لَمْ يَكُنْ أَفْضَلَ مِنْ عُمَرَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلَهُ فِي الاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ لَا يَجْعَلُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ تَبَعًا لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ/ الَّذِينَ أَخْطَئُوا، وَضَلُّوا، [س/٢٠٧] وَتَرَكُوا ذَلِكَ، وَاسْتَغْنَوْا بِمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُغْنِيهِمْ عَنِ اتِّبَاعِ العِلْمِ المَنْقُولِ.

وَصَارَ أَحَدُهُمْ يَقُولُ: «أَخَذُوا عِلْمَهُمْ مَيِّتًا عَنْ مَيِّتٍ، وَأَخَذْنَا عِلْمَنَا عَنِ الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ!»[1].

---

١) قال ذلك أبو يزيد البسطامي كما في الفتوحات المكية ٣٦٥: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات»، وجاء في طبقات الصوفية للسلمي ١٥٨ عن الجنيد أنه قال: «ما أخذنا التصوف عن القيل والقال».

وقال شيخ الإسلام فيما نقله عنه ابن القيم في المدارج ١/ ٤٠: «وأما ما يقوله كثيرٌ من أصحاب الخيالات والجهالات (حدثني قلبي عن ربي) فصحيحٌ أن قلبه حدثه، ولكن عمّن؟ عن شيطانه أو عن ربه!! فإذا قال (حدثني قلبي عن ربي) كان مُسنداً الحديثَ إلى من

الرد على الصوفية في التلقي لأمور الشريعة

فَيُقَالُ لَهُ: أَمَّا مَا نَقَلَهُ الثِّقَاتُ عَنِ المَعْصُومِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَوْلَا النَّقْلُ المَعْصُومُ لَكُنْتَ أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ إِمَّا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِمَّا مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَأَمَّا مَا وَرَدَ عَلَيْكَ فَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللهِ؟ وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ؟

والوَحْيُ وَحْيَانِ: وَحْيٌ مِنَ الرَّحْمنِ، وَوَحْيٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ ﴾[3].

---

لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذبٌ ... وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح والسماعي مجاهر بالقحة والفرية يقول (حدّثني قلبي عن ربي)!!».

١) سورة الأنعام، آية : ١٢١

٢) سورة الأنعام، آية : ١١٢

٣) سورة الشعراء، آية : ٢٢١

وَقَدْ كَانَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ[1] مِنْ هَذَا الضَّرْبِ حَتَّى قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ قِيلَ لِأَحَدِهِمَا: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ !! فَقَالَ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾، وَقِيلَ لِلْآخَرِ: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ !! فَقَالَ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾.

فَهَؤُلَاءِ يَحْتَاجُونَ إِلَى الفُرْقَانِ الإِيمَانِيِّ القُرْآنِيِّ النَّبَوِيِّ الشَّرْعِيِّ أَعْظَمَ مِنْ حَاجَةِ غَيْرِهِمْ، / وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حِسِّيَّاتٌ يَرَوْنَهَا وَيَسْمَعُونَهَا، وَالحِسِّيَّاتُ يُضْطَرُّ إِلَيْهَا الإِنْسَانُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَمَا قَدْ يَرَى الإِنْسَانُ أَشْيَاءَ، وَيَسْمَعُ أَشْيَاءَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَمَا أَنَّ النُّظَّارَ لَهُمْ قِيَاسٌ وَمَعْقُولٌ، وَأَهْلُ السَّمْعِ لَهُمْ أَخْبَارٌ مَنْقُولَاتٌ. [١١٢/ب]

---

١) هو المُختار بن أبي عُبيد بن مسعود الثقفي، كان أبوه من فضلاء الصَّحابة، وقد استشهد أبوه يوم الجسر في بلاد فارس في خلافة عمر بن الخطاب وهو قائد المُسلمين يومئذٍ وأمّا المُختار فليست له صحبةٌ ولا روايةٌ، وقد ادَّعى أنه رسولُ محمَّد بن الحنفية في طلب دم الحسين، ثم ادَّعى النبوة بعدُ، وله فِرقة من الرافضة تنتسب إليه، وتُدعى بالكيسانية أو المُختارية، وقد مات سنة ٦٧هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٨، ميزان الاعتدال ٤/ ٨٠

طرق العلم وكيفية الاستدلال بها

وَهَذِهِ الأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ هِيَ طُرُقُ العِلْمِ: الحِسُّ وَالخَبَرُ وَالنَّظَرُ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ [يَسْتَدِلُّ][1] مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فِي بَعْضِ الأُمُورِ؛ لَكِنْ يَكُونُ بَعْضُ الأَنْوَاعِ أَغْلَبَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فِي الدِّينِ وَغَيْرِ الدِّينِ، كَالطِّبِّ فَإِنَّهُ تَجْرِبَاتٌ وَقِيَاسَاتٌ، وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ مَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّجْرِبَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ القِيَاسُ، وَالقِيَاسُ أَصْلُهُ التَّجْرِبَةُ، وَالتَّجْرِبَةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ قِيَاسٍ؛ لَكِنْ مِثْلَ قِيَاسِ العَادِيَّاتِ لَا تُعْرَفُ فِيهِ العِلَّةُ وَالمُنَاسَبَةُ، وَصَاحِبُ القِيَاسِ مَنْ يَسْتَخْرِجُ العِلَّةَ المُنَاسِبَةَ، وَيُعَلِّقُ الحُكْمَ بِهَا، وَالعَقْلُ خَاصَّةُ القِيَاسِ وَالاعْتِبَارِ وَالقَضَايَا الكُلِّيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الحِسِّيَّاتِ الَّتِي هِيَ الأَصْلُ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، وَالحِسُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَ صَاحِبِهِ عَقْلٌ وَإِلَّا فَقَدْ يَغْلَطُ.

وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: غَلِطَ الحِسُّ، وَالغَلَطُ تَارَةً مِنَ الحِسِّ، وَتَارَةً مِنْ صَاحِبِهِ؛ فَإِنَّ الحِسَّ يَرَى أَمْرًا مُعَيَّنًا فَيَظُنُّ صَاحِبُهُ فِيهِ شَيْئًا آخَرَ، فَيُؤْتَى مِنْ ظَنِّهِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ العَقْلِ.

وَلِهَذَا النَّائِمُ يَرَى شَيْئًا، وَتِلْكَ الأُمُورُ لَهَا وُجُودٌ وَتَحْقِيقٌ؛ وَلَكِنْ هِيَ خَيَالَاتٌ وَأَمْثِلَةٌ؛ فَلَمَّا عَزَبَ ظَنَّهَا الرَّائِي نَفْسَ الحَقَائِقِ كَالَّذِي يَرَى نَفْسَهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ يُكَلِّمُ أَمْوَاتًا وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَفْعَلُ أُمُورًا كَثِيرَةً وَهُوَ فِي النَّوْمِ يَجْزِمُ بِأَنَّهُ

---

[1] سقطت في (س)، وفي (ك) الكلام متصل، وهي مستدركة من (م).

نَفْسُهُ الَّذِي يَقُولُ وَيَفْعَلُ، لِأَنَّ عَقْلَهُ عَزَبَ عَنْهُ، وَتِلْكَ الصُّورَةُ الَّتِي رَآهَا مِثَالُ صُورَتِهِ وَخَيَالُهَا ؛ لَكِنْ غَابَ عَقْلُهُ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ المِثَالَ هُوَ نَفْسُهُ، فَلَمَّا ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ خَيَالَاتٌ وَمِثَالَاتٌ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَغِيبُ عَقْلُهُ بَلْ يَعْلَمُ فِي المَنَامِ أَنَّ ذَلِكَ فِي المَنَامِ، وَهَذَا كَالَّذِي يَرَى صُورَتَهُ فِي المِرْآةِ، أَوْ صُورَةَ غَيْرِهِ، فَإِذَا كَانَ ضَعِيفَ العَقْلِ ظَنَّ أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ هِيَ الشَّخْصُ حَتَّى أَنَّهُ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَفْعَلُ بِالشَّخْصِ، وَهَذَا يَقَعُ لِلصِّبْيَانِ وَالبُلْهِ كَمَا يُخَيَّلُ لِأَحَدِهِمْ فِي الضَّوْءِ شَخْصٌ يَتَحَرَّكُ وَيَصْعَدُ وَيَنْزِلُ فَيَظُنُّونَهُ شَخْصاً حَقِيقَةً، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيَالٌ، فَالحِسُّ [إِذَا][1] أَحَسَّ [حِسّاً][2] صَحِيحاً لَمْ يَغْلَطْ، لَكِنْ مَعَهُ عَقْلٌ لَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ هَذَا العَيْنِ وَالمِثَالِ؛ فَإِنَّ العَقْلَ قَدْ عَقَلَ قَبْلَ هَذَا أَنَّ مِثْلَ هَذَا يَكُونُ مِثَالاً، وَقَدْ عَقَلَ لَوَازِمَ الشَّخْصِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي الهَوَاءِ، وَلَا فِي المِرْآةِ، وَلَا يَكُونُ بَدَنُهُ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَأَنَّ الجِسْمَ الوَاحِدَ لَا يَكُونُ فِي مَكَانَيْنِ.

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَهُمْ مُكَاشَفَاتٌ وَمُخَاطَبَاتٌ يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ مَا لَهُ وُجُودٌ فِي الخَارِجِ، وَمَا لَا يَكُونُ مَوْجُوداً إِلَّا فِي أَنْفُسِهِمْ كَحَالِ النَّائِمِ، وَهَذَا يَعْرِفُهُ كُلُّ

---

١) سقطٌ في (س) و(ك) والكلام متصلٌ، وهي ثابتةٌ في (م) غير مستدركة.

٢) سقطٌ في (س) و(ك) والكلام متصلٌ، وهي مُستدركة مِن (م).

[ص/٢١] أحد،/ ولكن قد يرون في الخارج أشخاصاً يرونها عياناً، وما في خيال الإنسان لا يراه غيره، ويخاطبهم أولئك الأشخاص، ويحملونهم ويذهبون بهم إلى عرفات فيقفون بها، وإما إلى غير عرفات، ويأتونهم بذهب وفضة وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك، ويخرجون إلى الناس، ويأتونهم أيضاً بمن يطلبونه مثل من يكون له إرادة في امرأة أو صبي فيأتونه بذلك، إما محمولاً في الهواء، وإما بسعي شديد، ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث القوي ما لم يمكنه المقام معه، أو يخبر أنه سمع خطاباً، وقد يقتلون له من يريد قتله من أعدائه، أو يمرضونه./ [ط/١٤]

طرق الناس في التعامل مع المكاشفات والمخاطبات

فهذا كله موجود كثيراً؛ لكن من الناس من يعلم أن هذا من الشيطان، وأنه من السحر، وأن ذلك حصل بما قاله وعمله من السحر.

ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن ويقول: هذا كرامة أكرمنا بتسخير الجن لنا.

ومنهم من لا يظن أولئك الأشخاص إلا آدميين أو ملائكة، فإن كانوا غير معروفين قال: هؤلاء رجال الغيب، وإن تسموا فقالوا: هذا هو الخضر،

وَهَذَا هُوَ إِلْيَاسُ، وَهَذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَهَذَا هُوَ الشَّيْخُ عَبْدُالقَادِرِ(١)، أَوْ الشَّيْخُ عَدِيٌّ(٢)، أَوْ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفَاعِيُّ(٣)، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الأَمْرَ كَذَلِكَ، فَهُنَا لَمْ يَغْلَطْ لَكِنْ غَلِطَ عَقْلُهُ حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ هَذِهِ شَيَاطِينُ تَمَثَّلَتْ عَلَى صُوَرِ هَؤُلَاءِ.

---

١) هو عبدالقادر بن موسى بن عبدالله الجيلي، أبو محمد المشهور بالجيلاني الحنبلي، إمامٌ فقيهٌ زاهدٌ، وقد انتسب إليه بعض الصوفية وغلو فيه، وله من المصنفات مثل (الغُنية لطالبي الحق)، و(فتوح الغيب)، قال عنه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ١٠/٤٨٨: «والشيخ عبدالقادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع والأمر والنهي، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية»، مات سنة ٥٦١هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٩، البداية والنهاية ١٢/ ٢٥٢، شذرات الذهب ٤/ ١٩٨

٢) هو عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الأموي، أبو محمد الهكاري، إمامٌ صوفيٌّ مُتكلمٌ، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ١١/ ١٠٣: «والشيخ عدي ابن مسافر بن صخر كان رجلاً صالحاً، وله اتباع صالحون، ومن أصحابه من فيه غُلوٌّ عظيم يبلغ بهم غليظ الكفر»، مات سنة ٥٥٧هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٢، وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٤، شذرات الذهب ٤/ ١٧٩

٣) هو أحمد بن علي بن أحمد الرِّفاعي، أبو العبَّاس المغربي البطائحي، إمامٌ صوفيٌّ مُتكلمٌ، مؤسس الطريقة الرفاعية، مات سنة ٥٧٨هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٧٧، الوافي بالوفيات ٧/ ٢١٩، البداية والنهاية ١٢/ ٣١٢

وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَظُنُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَفْسَهُ، أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، أَوِ الصَّالِحِينَ يَأْتِيهِ فِي الْيَقَظَةِ، وَمَنْ يَرَى ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوِ الشَّيْخِ، وَهُوَ صَادِقٌ فِي أَنَّهُ رَآهُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ النَّبِيُّ أَوِ الشَّيْخُ، أَوْ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ فِيهِ، لَكِنْ غَلِطَ حَيْثُ ظَنَّ صِدْقَ أُولَئِكَ"[1].

١) قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح ٢/ ٩٤: «والشيطان إنما يُضل الناس ويغويهم بما يظن أنهم يطيعونه فيه، فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم، ويخاطب مَن يخاطب مِن ضلال المسلمين بما يوافق اعتقاده، وينقله إلى ما يستجيب لهم فيه بحسب اعتقادهم، ولهذا يتمثل لمن يستغيث من النصارى بجرجس في صورة جرجس، أو بصورة مَن يستغيث به النصارى من أكابر دينهم إمّا بعض البطاركة، وإمّا بعض المطارنة، وإمّا بعض الرُّهبان، ويتمثل لمن يستغيث به من ضُلال المُسلمين بشيخ من الشيوخ في صورة ذلك الشيخ؛ كما تمثل لجماعة ممن أعرفهم في صورتي، وفي صورة جماعة من الشيوخ الذين ذكروا في ذلك، ويتمثل كثيراً في صورة بعض الموتى، تارة يقول: أنا الشيخ عبدالقادر، وتارة يقول: أنا الشيخ أبو الحجَّاج الأقصري، وتارة يقول: أنا الشيخ عدي، وتارة يقول: أنا أحمد بن الرِّفاعي، وتارة يقول أنا أبو مدين المغربي، وإذا كان يقول أنا المسيح أو إبراهيم أو محمد فغيرهم بطريق الأولى، ... وهذا صادقٌ فيما رأى وشاهد، وهذا صادقٌ فيما دلَّ عليه العقل الصريح؛ لكن ذلك المرئي كان جنياً تمثل بصورة الإنسان، والحسيات إن لم يكن معها عقليات تكشف حقائقها وإلاَّ وقع فيها غلط كبير».

طرق معرفة فساد الكشفات

وَالَّذِي لَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ تَارَةً لِمَا يَرَاهُ مِنْهُمْ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ، مِثْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِمَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَارَةً يَعْلَمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ يَأْتِي أَحَداً مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا كَانَ يُخَاطِبُهُمْ مِنْ قَبْرِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا لِي!!، وَتَارَةً يَعْلَمُ أَنَّ الْمَيِّتَ لَمْ يَقُمْ مِنْ قَبْرِهِ، وَأَنَّ رُوحَهُ فِي الْجَنَّةِ لَا تَصِيرُ فِي الدُّنْيَا هَكَذَا!!.

وَهَذَا يَقَعُ كَثِيراً لِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَيُسَمُّونَ تِلْكَ الصُّورَةَ رَقِيقَةَ فُلَانٍ، وَقَدْ يَقُولُونَ: هُوَ مَعْنَاهُ تَشَكَّلَ، وَقَدْ يَقُولُونَ: رُوحَانِيَّتُهُ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَقُولُ: إِذَا مُتُّ فَلَا تَدْعُوا أَحَداً يُغَسِّلُنِي، وَلَا فُلَاناً يَحْضُرُنِي، فَإِنِّي أَنَا أُغَسِّلُ نَفْسِي، فَإِذَا مَاتَ رَأَوْهُ قَدْ جَاءَ وَغَسَّلَ ذَلِكَ الْبَدَنَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ جِنِّيّاً قَدْ قَالَ لِهَذَا الْمَيِّتِ إِنَّكَ تَجِيءُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَاعْتَقَدَ ذَلِكَ حَقّاً؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي حَيَاتِهِ يَقُولُ لَهُ أُمُوراً !!، وَغَرَضُ الشَّيْطَانِ أَنْ يُضِلَّ أَصْحَابَهُ./ |١١٧/هـ|

وَأَمَّا بِلَادُ الْمُشْرِكِينَ كَالْهِنْدِ فَهَذَا كَثِيراً مَا يَرَوْنَ الْمَيِّتَ بَعْدَ مَوْتِهِ جَاءَ، وَفَتَحَ حَانُوتَهُ، وَرَدَّ وَدَائِعَ، وَقَضَى دُيُوناً، وَدَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ، وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ أَنَّهُ الشَّخْصُ نَفْسُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ فِي صُورَتِهِ!!، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَكُونُ فِي جِنَازَةِ أَبِيهِ أَوْ غَيْرِهِ، وَالْمَيِّتُ عَلَى سَرِيرِهِ، وَهُوَ يَرَاهُ آخِذاً يَمْشِي مَعَ النَّاسِ بِيَدِ ابْنِهِ وَأَبِيهِ قَدْ جُعِلَ شَيْخاً بَعْدَ أَبِيهِ، فَلَا يَشُكُّ ابْنُهُ أَنَّ أَبَاهُ نَفْسَهُ هُوَ كَانَ الْمَاشِيَ

مَعَهُ الَّذِي رَآهُ هُوَ دُونَ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ شَيْطَانًا، وَيَكُونُ مِثْلُ هَذَا الشَّيْطَانِ قَدْ سَمَّى نَفْسَهُ خَالِدًا وَغَيْرَ خَالِدٍ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ مِنْ رِجَالِ الغَيْبِ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مِنَ الإِنْسِ الصَّالِحِينَ، وَيُسَمُّونَهُ خَالِدًا الغَيْبِيَّ، وَيَنْسُبُونَ الشَّيْخَ إِلَيْهِ فَيَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ الخَالِدِيُّ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

الجن مكلفون بالأمر والنهي كالإنس

فَإِنَّ الجِنَّ مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُّونَ كَالإِنْسِ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ مِنَ الإِنْسِ إِلَيْهِمْ وَإِلَى الإِنْسِ، وَأَمَرَ الجَمِيعَ بِطَاعَةِ الرُّسُلِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[1]، وَهَذَا بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ ﴾[2]، قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ[3]: «أَيْ كَثِيرٌ مَنْ أَغْوَيْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَأَضْلَلْتُمُوهُمْ».

---

١) سورة الأنعام، آية: ١٣٠

٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٨

٣) هو مروي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والحسن البصري كما عند الطبري في تفسيره ١٢/ ١١٥ (ت: أحمد شاكر)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٨٧ (ت: الطيب).

وَمِنْ ذَلِكَ الفَوَاحِشُ كَاسْتِمْتَاعِ الذُّكُورِ بِالذُّكُورِ، وَالإِنَاثِ بِالإِنَاثِ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الاسْتِمْتَاعُ بِالاسْتِخْدَامِ وَأَئِمَّةِ الرِّيَاسَةِ؛ كَمَا يَتَمَتَّعُ الْمُلُوكُ وَالسَّادَةُ بِجُنُودِهِمْ وَمَمَالِيكِهِمْ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الاسْتِمْتَاعُ بِالأَمْوَالِ كَاللِّبَاسِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾[1].

وَكَانَ مِنَ السَّلَفِ مَنْ يُمَتِّعُ الْمَرْأَةَ بِخَادِمٍ، فَهِيَ تَسْتَمْتِعُ بِخِدْمَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُمَتِّعُ بِكِسْوَةٍ، أَوْ نَفَقَةٍ، وَلِهَذَا قَالَ الفُقَهَاءُ: «أَعْلَى الْمُتْعَةِ خَادِمٌ، وَأَدْنَاهَا كِسْوَةٌ تُجْزِي فِيهَا الصَّلَاةُ»[2].

وَفِي الْجُمْلَةِ اسْتِمْتَاعُ الإِنْسِ بِالْجِنِّ، وَالْجِنِّ بِالإِنْسِ يُشْبِهُ اسْتِمْتَاعَ الإِنْسِ بِالإِنْسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

---

١) سورة البقرة، آية: ٢٣٦

٢) هو مروي عن عبدالله بن عباس كما عند ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ١٨٤، والطبري في تفسيره ٥/ ١٢١، وغيرهما، بلفظ: «وهو الرجل يتزوج المرأة ولم يُسَمّ لها صداقاً، ثم يطلقها من قبل أن ينكحها، فأمر الله سبحانه أن يُمتعها على قدر عُسْره ويُسْره، فإن كان مُوسراً متعها بخادم أو نحو ذلك، وإن كان مُعسراً متعها بثلاثة أثواب أو نحو ذلك»، وهو مذهب المالكية والحنابلة.

ويُنظر في آراء الفقهاء: الكافي في فقه الحنابلة ٣/ ١٠٨، الفقه الإسلامي وأدلته ٩/ ٣٠٤

﴿٦٧﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [2] قال مجاهد: «هي المودات التي كانت لغير الله» [3]، وقال الخليل: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [5].

استمتاع المشرك بمعبوده وهواه

فالمشرك يعبد ما يهواه، واتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهواه، وقد وقع في الإنس والجن هذا كله.

---

١) سورة الزخرف، آية: ٦٧

٢) سورة البقرة، آية: ١٦٦

٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٧٨ بقوله عن مجاهد: «تواصلهم في الدنيا»، ورواه الطبري في تفسيره ٣/ ٢٦ (ت: التركي) بقوله عن مجاهد: «الوصال الذي كان بينهم في الدنيا»، ولم أقف عليه باللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام، ثم ظهر لي أنه قد ذكر هذا الأثر كما في مجموع الفتاوى ١٠/ ٦٠٥ مسنداً عن الفضيل بن عياض عن ليث - بن أبي سليم - عن مجاهد، وإذا هو نفسه إسناد الطبري، فعلمت أنه ساقه بالمعنى، والله أعلم.

٤) سورة العنكبوت، آية: ٢٥

٥) سورة الفرقان، آية: ٤٣

وَتَارَةً يَخْدِمُ هَؤُلَاءِ لِهَؤُلَاءِ فِي أَغْرَاضِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ لِهَؤُلَاءِ فِي أَغْرَاضِهِمْ، فَالْجِنُّ تَأْتِيهِ بِمَا يُرِيدُ مِنْ صُورَةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ قَتْلِ عَدُوِّهِ، وَالإِنْسُ تُطِيعُ الْجِنَّ فَتَارَةً تَسْجُدُ لَهُ.

وَتَارَةً تَسْجُدُ لِمَا يَأْمُرُهُ بِالسُّجُودِ لَهُ.

وَتَارَةً تُمَكِّنُهُ مِنْ نَفْسِهِ فَيَفْعَلُ بِهِ الْفَاحِشَةَ، وَكَذَلِكَ الْجِنِّيَّاتُ مِنْهُنَّ مَنْ يُرِيدُ مِنَ الإِنْسِ الَّذِي يَخْدِمُهُ مَا يُرِيدُ نِسَاءُ الإِنْسِ مِنَ الرِّجَالِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي رِجَالِ الْجِنِّ وَنِسَائِهِمْ، فَكَثِيرٌ مِنْ رِجَالِهِمْ يَنَالُ مِنْ نِسَاءِ الإِنْسِ مَا يَنَالُهُ الإِنْسِيُّ، وَقَدْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالذُّكْرَانِ.

أسباب صرع الجن للإنس

وَصَرْعُ الْجِنِّ لِلإِنْسِ هُوَ لِأَسْبَابٍ ثَلَاثَةٍ[1]:

---

١) يُمكن اختصارها في (العشق والانتقام والعبث)، هذا ما يكون سببه الجنّ، أمّا ما يكون سببه الإنس فهو (الحسد والسّحر)، وكُلها يدخل الجنّي فيها لبدن الإنسي، ولربما يتكلم الجنّي بصوت الإنسي، أو يلزمه بفعل ما لا يرغبه، وقد رأيتُ من ذلك كثيراً، وعلاجه يكمن في ثلاثة:

أولاً: الالتجاء والتضرع إلى الله بالذكر والدعاء.

ثانياً: أن يُقرأ على المصروع القُرآن، وخاصة آيات عبودية الجنّ لله، وأنّ كيد السحرة والحسدة في ضلال.

ثالثاً: ضرب بدن المصروع في مواضع لا يتأذى فيها، وليُعلم أنّ الضرب يقع على الجنّي لا على الإنسي، والله أعلم.

تَارَةً يَكُونُ الجِنِّيُّ يُحِبُّ المَصْرُوعَ فَيَصْرَعُهُ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ، وَهَذَا الصَّرْعُ يَكُونُ أَرْفَقَ مِنْ غَيْرِهِ وَأَسْهَلَ.

وَتَارَةً يَكُونُ الإِنْسِيُّ آذَاهُمْ إِذَا بَالَ عَلَيْهِمْ، أَوْ صَبَّ عَلَيْهِمْ مَاءً حَارًّا، أَوْ يَكُونُ قَتَلَ بَعْضَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الأَذَى، وَهَذَا أَشَدُّ الصَّرْعِ، وَكَثِيراً مَا يَقْتُلُونَ المَصْرُوعَ.

وَتَارَةً يَكُونُ بِطَرِيقِ العَبَثِ بِهِ؛ كَمَا يَعْبَثُ سُفَهَاءُ الإِنْسِ بِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ.

وَمِنْ اسْتِمْتَاعِ الإِنْسِ بِالجِنِّ اسْتِخْدَامُهُمْ فِي الإِخْبَارِ بِالأُمُورِ الغَائِبَةِ؛ كَمَا يُخْبِرُ الكُهَّانُ، فَإِنَّ فِي الإِنْسِ مَنْ لَهُ غَرَضٌ فِي هَذَا؛ لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنَ الرِّيَاسَةِ وَالمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ القَوْمُ كُفَّاراً كَمَا كَانَتِ العَرَبُ لَمْ [يُبَالِ][1] بِأَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَاهِنٌ؛ كَمَا كَانَ بَعْضُ العَرَبِ كُهَّاناً./ [١٧/٥]

---

وحبذا مراجعة: الجواب الصحيح ٤/ ٣٦٣، النبوات ١/ ٣٩٩، فتح المنَّان في جمع كلام شيخ الإسلام عن الجان للشيخ مشهور حسن سلمان.

١) في (س) و(ك) يُبالِ (بالياء نسبةً إلى الكاهن)، وفي (م) تُبالِ (بالتاء نسبةً إلى العَرَب)، والأقرب ما أثبت، والله أعلم.

وَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ وَفِيهَا كُهَّانٌ، وَكَانَ المُنَافِقُونَ يَطْلُبُونَ التَّحَاكُمَ إِلَى الكُهَّانِ، وَكَانَ [أَبُو بُرْدَةَ](١) الأَسْلَمِيِّ أَحَدَ الكُهَّانِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، وَإِنْ كَانَ القَوْمُ مُسْلِمِينَ لَمْ يُظْهِرْ أَنَّهُ كَاهِنٌ بَلْ يَجْعَلُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الكَرَامَاتِ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ الكُهَّانِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْدِمُ الإِنْسِيَّ بِهَذِهِ الأَخْبَارِ إِلَّا لِمَا يَسْتَمْتِعُ بِهِ مِنَ الإِنْسِيِّ بِأَنْ يُطِيعَهُ الإِنْسِيُّ فِي بَعْضِ مَا يُرِيدُهُ، إِمَّا فِي شِرْكٍ، وَإِمَّا فِي فَاحِشَةٍ، وَإِمَّا فِي أَكْلِ حَرَامٍ، وَإِمَّا فِي قَتْلِ نَفْسٍ بِغَيْرِ حَقٍّ.

---

١) في (س) و(ك) و(م) (أبو أبرق) ولم أجد عَلَماً بهذه الكُنية، وكنت مستيقناً أنه تصحيفٌ، ثم مع طول البحث في مصادر التفسير والتاريخ ظهر لي أنه الصَّحابي أبو بُرْدَة هانئ بن نيَّار ابن عمرو القُضاعي الأنصاري، غلبت عليه كنيته، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وهو خال البراء بن عازب، مات سنة ٤٢هـ وقد ثبت أنه كان كاهناً في الجاهلية بما ذكره ابن عباس عنه بقوله: «كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود، فتنافر إليه أناسٌ من أسلم من اليهود فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ رواه ابن أبي حاتم في التفسير ٣/ ٩٩١، والطبراني في الكبير ١٠/ ٦٦، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح»، وحسّن إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥، أسد الغابة ٥/ ٣٨٢، الإصابة ١١/ ٣٤

فَالشَّيَاطِينُ لَهُمْ غَرَضٌ فِيمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ، وَلَهُمْ لَذَّةٌ فِي الشَّرِّ وَالفِتَنِ يُحِبُّونَ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ لَهُمْ، وَهُمْ يَأْمُرُونَ السَّارِقَ أَنْ يَسْرِقَ وَيَذْهَبُونَ إِلَى أَهْلِ المَالِ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ سَرَقَ مَتَاعَكُمْ.

وَلِهَذَا يُقَالُ: القُوَّةُ المَلَكِيَّةُ، وَالبَهِيمِيَّةُ، والسَّبُعِيَّةُ، والشَّيْطَانِيَّةُ، فَإِنَّ المَلَكِيَّةَ فِيهَا العِلْمُ النَّافِعُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالبَهِيمِيَّةَ فِيهَا الشَّهَوَاتُ كَالأَكْلِ وَالشُّرْبِ، والسَّبُعِيَّةَ فِيهَا الغَضَبُ وَهُوَ دَفْعُ المُؤْذِي، وَأَمَّا الشَّيْطَانِيَّةُ فَشَرٌّ مَحْضٌ لَيْسَ فِيهَا جَلْبُ مَنْفَعَةٍ، وَلَا دَفْعُ مَضَرَّةٍ.

الفلاسفة ينكرون عالم الجن والشياطين

وَالفَلَاسِفَةُ وَنَحْوُهُمْ مِمَّنْ لَا يَعْرِفُ الجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ لَا يَعْرِفُونَ هَذِهِ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَ الشَّهْوَةَ وَالغَضَبَ، وَالشَّهْوَةُ وَالغَضَبُ خُلِقَا لِمَصْلَحَةٍ وَمَنْفَعَةٍ؛ لَكِنَّ المَذْمُومَ هُوَ العُدْوَانُ فِيهِمَا، وَأَمَّا الشَّيْطَانُ فَيَأْمُرُ بِالشَّرِّ الَّذِي لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ، وَيُحِبُّ ذَلِكَ، كَمَا فَعَلَ إِبْلِيسُ بِآدَمَ لَمَّا وَسْوَسَ لَهُ، وَكَمَا امْتَنَعَ مِنَ السُّجُودِ لَهُ، فَالحَسَدُ/ يَأْمُرُ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَالحَاسِدُ لَا يَنْتَفِعُ بِزَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ المَحْسُودِ؛ لَكِنْ يُبْغِضُ ذَلِكَ، وَقَدْ يَكُونُ بُغْضُهُ لِفَوَاتِ غَرَضِهِ وَقَدْ لَا يَكُونُ. [ص/٢٢]

وَمِنَ اسْتِمْتَاعِ الإِنْسِ بِالجِنِّ اسْتِخْدَامُهُمْ فِي إِحْضَارِ بَعْضِ مَا يَطْلُبُونَهُ مِنْ مَالٍ وَطَعَامٍ وَثِيَابٍ وَنَفَقَةٍ؛ فَقَدْ يَأْتُونَ بِبَعْضِ ذَلِكَ، وَقَدْ يَدُلُّونَهُ عَلَى كَنْزٍ وَغَيْرِهِ.

وَاسْتِمْتَاعُ الجِنِّ بِالإِنْسِ اسْتِمْتَاعُهُمْ فِيمَا يُرِيدُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ كُفْرٍ وَفُسُوقٍ وَمَعْصِيَةٍ.

وَمِنْ اسْتِمْتَاعِ الإِنْسِ بِالجِنِّ اسْتِخْدَامُهُمْ فِيمَا يَطْلُبُهُ الإِنْسُ مِنْ شِرْكٍ، وَقَتْلٍ، وَفَوَاحِشَ، فَتَارَةً يَتَمَثَّلُ الجِنِّيُّ فِي صُورَةِ الإِنْسِيِّ، فَإِذَا اسْتَغَاثَ بِهِ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ أَتَاهُ فَظَنَّ أَنَّهُ الشَّيْخُ نَفْسُهُ، وَتَارَةً يَكُونُ التَّابِعُ قَدْ نَادَى شَيْخَهُ وَهَتَفَ بِهِ: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ، فَيَنْقُلُ الجِنِّيُّ ذَلِكَ الكَلَامَ إِلَى الشَّيْخِ بِمِثْلِ صَوْتِ الإِنْسِيِّ حَتَّى يَظُنَّ الشَّيْخُ أَنَّهُ صَوْتُ الإِنْسِيِّ بِعَيْنِهِ، ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ يَقُولُ: نَعَمْ، وَيُشِيرُ إِشَارَةً يَدْفَعُ بِهَا ذَلِكَ المَكْرُوهَ، فَيَأْتِي الجِنِّيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الصَّوْتِ وَالفِعْلِ، فَيَظُنُّ ذَلِكَ الشَّخْصُ أَنَّهُ شَيْخُهُ نَفْسُهُ، وَهُوَ الَّذِي أَجَابَهُ، وَهُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ حَتَّى أَنَّ تَابِعَ الشَّيْخِ قَدْ يَكُونُ يَدُهُ فِي إِنَاءٍ يَأْكُلُ، فَيَضَعُ الجِنِّيُّ/ يَدَهُ فِي صُورَةِ يَدِ الشَّيْخِ وَيَأْخُذُ مِنَ الطَّعَامِ؛ فَيَظُنُّ ذَلِكَ التَّابِعُ أَنَّهُ شَيْخُهُ حَاضِرٌ مَعَهُ، وَالجِنِّيُّ يُمَثِّلُ لِلشَّيْخِ نَفْسِهِ مِثْلَ ذَلِكَ الإِنَاءِ؛ فَيَضَعُ يَدَهُ فِيهِ حَتَّى يَظُنَّ الشَّيْخُ أَنَّ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَإِذَا حَضَرَ المُرِيدُ ذَكَرَ لَهُ الشَّيْخُ أَنَّ يَدِي كَانَتْ فِي الإِنَاءِ فَيُصَدِّقُهُ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَسَافَةُ شَهْرٍ، وَالشَّيْخُ مَوْضِعَهُ وَيَدُهُ لَمْ تَطُلْ، وَلَكِنَّ الجِنِّيَّ مَثَّلَ لِلشَّيْخِ، وَمَثَّلَ لِلْمُرِيدِ حَتَّى ظَنَّ كُلٌّ مِنْهُمَا أَنَّ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الآخَرِ، وَإِنَّمَا كَانَ عِنْدَهُ مَا مَثَّلَهُ الجِنِّيُّ وَخَيَّلَهُ.

[١٨٧/ب]

وَإِذَا سُئِلَ الشَّيْخُ المَخْدُومُ عَنْ أَمْرٍ غَائِبٍ إِمَّا سَرِقَةٍ وَإِمَّا شَخْصٍ مَاتَ، وَطُلِبَ مِنْهُ أَنْ يُخْبِرَ بِحَالِهِ أَوْ عِلَّةٍ فِي النِّسَاءِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الجِنِّيَّ قَدْ يُمَثِّلُ ذَلِكَ فَيُرِيهِ صُورَةَ المَسْرُوقِ، فَيَقُولُ الشَّيْخُ: ذَهَبَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا !! ثُمَّ إِنْ كَانَ صَاحِبُ المَالِ مُعَظَّمًا وَأَرَادَ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى سَرِقَتِهِ مَثَّلَ لَهُ الشَّيْخُ الَّذِي أَخَذَهُ، أَوْ المَكَانَ الَّذِي فِيهِ المَالُ، فَيَذْهَبُونَ إِلَيْهِ فَيَجِدُونَهُ كَمَا قَالَ !!، وَالأَكْثَرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ يُظْهِرُونَ صُورَةَ المَالِ وَلَا يَكُونُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي سَرَقَ المَالَ مَعَهُ أَيْضاً جِنِّيٌّ يَخْدُمُهُ !!.

وَالجِنُّ يَخَافُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا أَنَّ الإِنْسَ يَخَافُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَإِذَا دَلَّ الجِنِّيُّ عَلَيْهِ جَاءَ إِلَيْهِ أَوْلِيَاءُ السَّارِقِ فَآذَوْهُ، وَأَحْيَاناً لَا يَدُلُّ لِكَوْنِ السَّارِقِ وَأَعْوَانِهِ يَخْدِمُونَهُ وَيَرْشُونَهُ كَمَا يُصِيبُ مَنْ يَعْرِفُ اللُّصُوصَ مِنَ الإِنْسِ، تَارَةً يَعْرِفُ السَّارِقَ وَلَا يُعَرِّفُ بِهِ إِمَّا لِرَغْبَةٍ يَنَالُهَا مِنْهُ، وَإِمَّا لِرَهْبَةٍ وَخَوْفٍ مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ المَالُ المَسْرُوقُ لِكَبِيرٍ يَخَافُهُ وَيَرْجُوهُ عَرَّفَ سَارِقَهُ، فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنِ اسْتِمْتَاعِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ.

وَالجِنُّ مُكَلَّفُونَ كَتَكْلِيفِ الإِنْسِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ مُرْسَلٌ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَكُفَّارُ الجِنِّ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِالنُّصُوصِ وَإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ.

احكام الجان
ص٦١ مقرر

وَأَمَّا مُؤْمِنُوهُمْ فَفِيهِمْ قَوْلَانِ، وَأَكْثَرُ العُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُمْ يُثَابُونَ أَيْضاً وَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي رَبَضِهَا يَرَاهُمُ الإِنْسُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَ الإِنْسَ، عَكْسُ الحَالِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ الطبراني فِي مُعْجَمِهِ الصَّغِيرِ يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي إِسْنَادِهِ"[1].

---

١) لم أقف عليه في الطبراني الصغير المطبوع ولا غيره، فمن وجده فليضفه هنا مشكوراً.
قال عنه الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط في تحقيقه ٥٧: «لم أجده».
وقال الشيخ أبو الأشبال الزهيري في تحقيقه ٨٩: «لم أقف عليه».
وقال الشيخ عبدالرحمن الفريوائي في شيخ الإسلام وجهوده في الحديث وعلومه ٢/ ٣٠٥:
«لم أجد الحديث في المعجم الصغير للطبراني ..».
وقال الشيخ مشهور حسن في فتح المنان ١٤٨: «لم أظفر به».
وقد قال شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٤/ ٢٣٣-٢٣٤: «فذهب الجمهور من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد إلى أنهم يدخلون الجنة، وروي في حديث رواه الطبراني أنهم يكونون في ربض الجنة يراهم الإنس من حيث لا يرونهم».
وقال كذلك في الفتاوى ١٩/ ٣٨-٣٩: «وأما مؤمنهم فجمهور العلماء على أنه في الجنة، وقد رُوي أنهم يكونون في ربض الجنة تراهم الإنس من حيث لا يرونهم، [وهذا القول مأثور عن مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد]»، وما بين المعكوفين أثبته بعد عبارة «وأما مؤمنهم فجمهور العلماء على أنه في الجنة»، لتستقيم العبارة إذا قد تُشكل مع المقطع السابق كما استشكلها الشبلي في آكام المرجان ٦٧، والعيني في عُمدة القاري ٣٢/ ٧٤.
ونسب هذا القول الإمام ابن القيم للتابعي سهل بن عبدالله كما في طريق الهجرتين ٤١٨، وأما في مفتاح دار السعادة ١/ ٧١ فقال: «قيل أنهم يكونون في ربض الجنة، يراهم أهل الجنة

وَقَدْ احْتَجَّ[1] ابْنُ أَبِي لَيْلَى[2] وَأَبُو يُوسُفَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

---

ولا يرونهم كما كانوا في الدُّنيا يرون بني آدم من حيث لا يرونهم، ومثلُ هذا لا يُعلم إلا بتوقيف تنقطع الحجة عنده، فإن ثبت حجة يجب اتباعها، وإلا فهو مما يُحكى ليُعلم، وصحته موقوفة على الدَّليل».

وقال ابن كثير في تفسيره ٧/ ٣٠٤: «ومِن النَّاس مَن زعم أنهم في الجنَّة يراهم بنو آدم ولا يرون بني آدم عكس ما كانوا عليه في الدار الدُّنيا. ومن النَّاس مَن قال: لا يأكلون في الجنَّة ولا يشربون، وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس، عِوَضًا عن الطعام والشراب كالملائكة، لأنهم من جنسهم. وكل هذه الأقوال فيها نظرٌ، ولا دليل عليها».

ونسبه الشبلي في آكام المَرجان ٦٧، والعيني في عمدة القارئ ٣٢/ ٧٤، والسيوطي في لقط المَرجان في أحكام الجان ٧٩، وفي الأشباه والنظائر له ١/ ٤٣٥، وابن نجيم في الأشباه والنظائر ١/ ٣٣٠، والألوسي في تفسيره ١٤/ ١١٩ عن الحارث المحاسبي.

١) نقل قولهما ابن حزم في الفصل ٣/ ١٤٧، وتابعه شيخ الإسلام على ذلك.

فائدة فقهية: الإمام أبو يوسف مع أنَّ شهرته الفقهية مِن تلاميذ أبي حنيفة إلاَّ أنَّه مُتابِعٌ لابن أبي ليلى في كثيرٍ مِن المسائل مُخالفٌ لشيخه الأول، كشهادة الأعمى، وزكاة الثمار، والتوكيل في المُطالبة بالحقوق وإثباتها، وفي صلاة الخوف، وفي حُكم المُصرَّاة مِن الأنعام، وفي دِيَة قتيل الفريقين، وخيار الشرط، ورفع اليدين في تكبيرات العيد، ومعنى الشفق في أوقات الصلاة، وغير ذلك، ولأبي يوسف كتاب سمَّاه (اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى) حققه: أبو الوفا الأفغاني، ومطبوع بمطبعة الوفاء بمصر.

٢) هو محمَّد بن عبدالرَّحمن بن أبي ليلى، أبو عبدالرَّحمن الأنصاري الكوفي، الإمام القاضي الفقيه، مِن كبار علماء الكوفة وقرائها، لم يكن يعتني بضبط الحديث قدر اعتنائه بالقُرآن، ولذلك عده المُحدثون صدوقًا، مات سنة ١٤٨هـ أو التي تليها.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾[1].

وَقَدْ ذُكِرَ الجِنُّ وَالإِنْسُ الأَبْرَارُ وَالفُجَّارُ فِي الأَحْقَافِ وَالأَنْعَامِ.

وَاحْتَجَّ الأَوْزَاعِيُّ[2] وَغَيْرُهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝٥٦﴾[3]، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي [الأَحْقَافِ][4]: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ۝١٨ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ وَقَدْ تَقَدَّمَ قَبْلَ هَذَا ذِكْرُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَقَوْلُهُ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا

---

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٠، الوافي بالوفيات ٣/ ٢٢١، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠١

١) سورة الأنعام، آية: ١٣٢، سورة الأحقاف، آية: ١٩

٢) هو عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الشامي، شيخ الإسلام العلامة الإمام الفقيه العابد، كان ثقة حجة جليل القدر مهاباً، من أصحاب المذاهب الفقهية المندثرة، قال عنه الإمام مالك: «الأوزاعيُّ إمامٌ يُقتدى به»، مات سنة ١٥٧هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧، البداية والنهاية ١٠/ ١١٥، شذرات الذهب ١/ ٢٤١

٣) سورة الرحمن، آية: ٥٦

٤) في (س) و(ك) و(م) (الأعراف) وهو تصحيفٌ، والصواب ما أثبته، وبها التبس على الدكتور الطويان في تحقيقه لكتاب النبوات لشيخ الإسلام حيث ظنَّ أنَّ شيخ الإسلام جعل هذه الآية دليلاً لابن أبي ليلى وأبي يوسف فقط، بينما دليل الأوزاعي قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾، والأظهر أنَّ الأوزاعي يستدل بالآيتين آية الأنعام والأحقاف، وآية الرحمن، والله أعلم.

عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾[1]، ثُمَّ قَالَ:/ ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[2]. [١٩٧/ا]

قَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ[3]: «دَرَجَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَذْهَبُ عُلُوًّا، وَدَرَجَاتُ أَهْلِ النَّارِ تَذْهَبُ سُفْلًا»[4].

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الْجِنِّ: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾[5] وَقَالُوا: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾[6]/ فَفِيهِمُ الْكُفَّارُ، وَالْفُسَّاقُ، وَالْعُصَاةُ، وَفِيهِمْ مَنْ فِيهِ عِبَادَةٌ وَدِينٌ بِنَوْعٍ مِنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ كَمَا فِي [١٢٧/ب]

---

١) سورة الأحقاف، آية: ١٦

٢) سورة الأحقاف، آية: ١٩

٣) سبقت ترجمته.

٤) رواه مُسنداً الطبري في تفسيره ٢١/١٤٦ (ت: التركي) بلفظ: «دَرَجُ أَهْلِ النَّارِ يَذْهَبُ سَفَالًا، وَدَرَجُ أَهْلِ الجَنَّةِ يَذْهَبُ عُلُوًّا»، وذكره البغوي مُعلقاً في المعالم ٧/٢٥٩ قريباً من لفظ الطبري.

٥) سورة الجن، آية: ١١

٦) سورة الجن، آية: ١٤-١٥

الإِنْسِ، وَكُلُّ نَوْعٍ مِنَ الجِنِّ يَمِيلُ إِلَى نَظِيرِهِ مِنَ الإِنْسِ، فَالْيَهُودُ مَعَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى مَعَ النَّصَارَى، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْفُسَّاقُ مَعَ الْفُسَّاقِ، وَأَهْلُ الجَهْلِ وَالبِدَعِ مَعَ أَهْلِ الجَهْلِ وَالبِدَعِ.

استخدام الإنس للجان

وَاسْتِخْدَامُ الإِنْسِ لَهُمْ مِثْلُ اسْتِخْدَامِ الإِنْسِ لِلإِنْسِ بِشَيْءٍ:

مِنْهُمْ: مَنْ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ، وَالشِّرْكِ، وَالْقَوْلِ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ، وَقَدْ يَظُنُّونَ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَفْعَالِ الشَّيَاطِينِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَسْتَخْدِمُهُمْ فِي أُمُورٍ مُبَاحَةٍ إِمَّا إِحْضَارِ مَالِهِ، أَوْ دَلَالَةٍ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ مَالٌ لَيْسَ لَهُ مَالِكٌ مَعْصُومٌ، أَوْ دَفْعِ مَنْ يُؤْذِيهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا كَاسْتِعَانَةِ الإِنْسِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ.

وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ: أَنْ يَسْتَعْمِلَهُمْ فِي طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ كَمَا يُسْتَعْمَلُ الإِنْسُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، فَيَأْمُرَهُمْ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ كَمَا يَأْمُرُ الإِنْسَ وَيَنْهَاهُمْ، وَهَذِهِ حَالُ نَبِيِّنَا ﷺ، وَحَالُ مَنِ اتَّبَعَهُ وَاقْتَدَى بِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَهُمْ أَفْضَلُ الخَلْقِ، فَإِنَّهُمْ يَأْمُرُونَ الإِنْسَ وَالجِنَّ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، وَيَنْهَوْنَ الإِنْسَ وَالجِنَّ عَمَّا نَهَاهُمُ اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، إِذْ كَانَ نَبِيُّنَا

محمد ﷺ مبعوثاً بذلك إلى الثقلين الإنس والجن، وقد قال الله له: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

وعمر ا لما نادى: «يا سارية[3] الجبل ا»، قال: «إن لله جنوداً يبلغون صوتي»[4].

---

١) سورة يوسف، آية: ١٠٨

٢) سورة آل عمران، آية: ٣١

٣) هو الصحابي الجليل سارية بن زُنَيم بن عمرو الدؤلي، أبو زُنَيم الكناني، من قادة عُمَر بن الخطاب في بلاد فارس، مات سنة ٣٠هـ تقريباً.

٤) رواه البيهقي في الاعتقاد ٣٢١، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٥٠٧-٥٠٨، وغيرهما، وحسّنه ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ١٣١ وقال: «وهذا إسنادٌ جيدٌ حسن»، وكذلك ابن حجر في الإصابة ١/ ٤١٠ وقال: «إسناده حسنٌ»، ووافقه السخاوي في المقاصد الحسنة ٢٤٦ وقال: «وهو كما قال شيخنا إسنادٌ حسنٌ»، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٣٨١ وقال: «وإسناده ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ حسنٌ»، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (١١١٠).

وَجُنُودُ الله هُمْ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَمِنْ صَالِحِي الجِنِّ، فَجُنُودُ الله بَلَّغُوا صَوْتَ عُمَرَ إِلَى سَارِيَةَ، وَهُوَ أَنَّهُمْ نَادَوْهُ بِمِثْلِ صَوْتِ عُمَرَ، وَإِلَّا نَفْسُ صَوْتِ عُمَرَ لَا يَصِلُ نَفْسُهُ فِي هَذِهِ المَسَافَةِ البَعِيدَةِ، وَهَذَا كَالرَّجُلِ يَدْعُو آخَرَ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ فَيُعَانُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَقُولُ الوَاسِطَةُ بَيْنَهُمَا: يَا فُلَانُ، وَقَدْ يَقُولُ لِمَنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْهُ: يَا فُلَانُ احْبِسِ المَاءَ، تَعَالَ إِلَيْنَا/ [١٠٠/ب] وَهُوَ لَا يَسْمَعُ صَوْتَهُ، فَيُنَادِيهِ الوَاسِطَةُ بِمِثْلِ ذَلِكَ: يَا فُلَانُ احْبِسِ المَاءَ، أَرْسِلِ المَاءَ؛ إِمَّا بِمِثْلِ صَوْتِ الأَوَّلِ إِنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا صَوْتَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَضُرُّ بِأَيِّ صَوْتٍ كَانَ إِذَا عَرَفَ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ نَادَاهُ.

وَهَذِهِ حِكَايَةٌ[١]: كَانَ عُمَرُ مَرَّةً قَدْ أَرْسَلَ جَيْشاً، فَجَاءَ شَخْصٌ وَأَخْبَرَ أَهْلَ المَدِينَةِ بِانْتِصَارِ الجَيْشِ، وَشَاعَ الخَبَرُ، فَقَالَ عُمَرُ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا؟ قَالُوا: شَخْصٌ صِفَتُهُ كَيْتَ وَكَيْتَ فَأَخْبَرَنَا، فَقَالَ عُمَرُ: ذَاكَ [عُثَيْمٌ][٢] بَرِيدُ الجِنِّ، وَسَيَجِيءُ بَرِيدُ الإِنْسَانِ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ.

---

١) رواها ابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ٥ بسندٍ حسن، وبدون ذكر اسم الجنّي.

٢) في (س) و(ك) و(م) (أبو الهَيْثَم)!!، ولم أجده بهذا الاسم عند غير شيخ الإسلام من المؤرخين، مع أن شيخ الإسلام كرر هذا الاسم في رسالة إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، وهي ضمن مجموع الفتاوى ١٩/ ٦٣، وإنما الثابت هو (عُثَيْمٌ) بضم العين المهملة، كما عند

وَقَدْ يَأْمُرُ الْمَلِكُ بَعْضَ النَّاسِ بِأَمْرٍ وَيَسْتَكْتِمُهُ إِيَّاهُ، فَيَخْرُجُ فَيَرَى النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ بِهِ، فَإِنَّ الْجِنَّ تَسْمَعُهُ، وَتُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ، وَالَّذِينَ يَسْتَخْدِمُونَ الْجِنَّ فِي الْمُبَاحَاتِ يُشْبِهُ اسْتِخْدَامَ سُلَيْمَانَ لَكِنْ أُعْطِيَ مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بَعْدَهُ، وَسُخِّرَتْ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ.

وَهَذَا لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا تَفَلَّتَ عَلَيْهِ الْعِفْرِيتُ لِيَقْطَعَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ قَالَ: (فَأَخَذْتُهُ فَذَعَتُّهُ حَتَّى سَالَ لُعَابُهُ عَلَى يَدِي، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ ذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ فَأَرْسَلْتُه)[1]، فَلَمْ

---

الطبري في تاريخه ٢/ ٥٢٨-٥٢٩، وابن كثير في تاريخه ٧/ ١٢٦، وابن حجر في الإصابة ٤/ ٤٦٤، وأظن أنَّ شيخ الإسلام هكذا حفظه، أو هو تصحيفٌ عنده، والقِصة أوردها المؤرخون في انتهاء معركة نهاوند، التي قادها الصحابي النُّعمان بن مُقَرِّن المزني ضد الفُرس، فانتصر فيها المُسلمون، واستشهد قائدهم فيها، وسُمِّيت المعركة بفتح الفتوح.

١) هذا الحديث مجموع من عِدَّة روايات، فقد رواه البخاري في كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب: الْأَسِيرِ أَوْ الْغَرِيمِ يُرْبَطُ فِي الْمَسْجِدِ، رقم (٤٤١)، وفي كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب قَوْلِهِ {هَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}، رقم (٤٤٣٤) بلفظ (قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ) بَدَل (دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ)، ولم يذكر لفظ (فَذَعَتُّهُ) فيهما، ورواه في كِتَاب أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى {وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}، رقم (٣١٧٠)، بلفظ (دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ)، ولم يذكر لفظ (فَذَعَتُّهُ)، ورواه مسلم في كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ،

يَسْتَخْدِمُ الجِنَّ أَصْلاً(١)؛ لَكِنْ دَعَاهُمْ إِلَى الإِيمَانِ بِاللهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ، وَبَلَّغَهُمُ الرِّسَالَةَ، وَبَايَعَهُمْ كَمَا فَعَلَ بِالإِنْسِ.

وَالَّذِي أُوتِيَهُ ﷺ أَعْظَمُ مِمَّا أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ، فَإِنَّهُ اسْتَعْمَلَ الجِنَّ وَالإِنْسَ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَسَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَا لِغَرَضٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْداً رَسُولاً عَلَى أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً

---

بَابُ: اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، رقم (٩٣٣)، بلفظ (قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ) بَدَل (دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ)، وذكر لفظ (فَذَعَتُّهُ) وكلاهما عن أبي هريرة، أما لفظ (حَتَّى سَالَ لُعَابُهُ عَلَى يَدِي) فلم أجدها في الصحيحين، وإنما هي في المسند ٢٣/٣٩٩ بلفظ (حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ إِصْبَعَيَّ هَاتَيْنِ) عن أبي سعيد الخدري.

١) قال شيخنا عبد الرحمن المحمود: «هذا دليل على منع استخدام الجنّ خلافاً لما يزعمه بعض القراء، ويدعي أن ذلك جائز، وقد يحتج بكلام لشيخ الإسلام يوهم تجويزه للملك. والصواب -والله أعلم- أن الأمر له حالتان:

١- إحداهما: أن يخبر الجنّ عن أمر كالسحر أو غيره في المريض أثناء القراءة أو الرقية، فهذا لا بأس به من الاستفادة منه، لكن بشرط أن يؤخذ على أنه خبر عن مجهول قد يصدق وقد يكذب.

٢- أن يتعاون مع بعض الجن ويتفق معهم على أن يعينوه عند الحاجة، فهذا ممنوع ولم يفعله الرسول ﷺ ولا الصحابة في غزواتهم، وهو مدخل فتنة عظيمة».

مَلِكاً، فَداودُ وَسُلَيْمَانُ وَيُوسُفُ أَنْبِيَاءُ مُلُوكٌ، وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ رُسُلٌ عَبِيدٌ، فَهُوَ أَفْضَلُ كَفَضْلِ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ عَلَى الأَبْرَارِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَرَى هَذِهِ الْعَجَائِبَ الْخَارِقَةَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مِنْ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْعِلْمِ لَمْ يَعْرِفُوا الْفَرْقَ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الآيَاتِ الْخَارِقَةِ، وَمَا لِأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السَّحَرَةِ وَالْكُهَّانِ/ وَالْكُفَّارِ مِنَ [ص/١٢٥] الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ مِنَ الدَّاخِلِينَ فِي الإِسْلَامِ، فَجَعَلُوا الْخَوَارِقَ جِنْساً وَاحِداً، وَقَالُوا: كُلُّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مُعْجِزَةً إِذَا اقْتَرَنَتْ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ، وَالِاسْتِدْلَالِ بِهَا، وَالتَّحَدِّي بِمِثْلِهَا.

وَإِذَا ادَّعَى النُّبُوَّةَ مَنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِنَ الْكُفَّارِ وَالسَّحَرَةِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْلُبَهُ اللهُ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يُقَيِّضَ لَهُ مَنْ يُعَارِضُهُ، وَلَوْ عَارَضَ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّبِيَّ لَأَعْجَزَهُ اللهُ، فَخَاصَّةُ الْمُعْجِزَاتِ عِنْدَهُمْ مُجَرَّدُ كَوْنِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مُعْتَاداً لِلنَّاسِ.

قَالُوا: إِنَّ عَجْزَ النَّاسِ عَنِ الْمُعَارَضَةِ خَرْقُ عَادَةٍ فَهَذِهِ هِيَ الْمُعْجِزَاتُ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ ضَاهَوْا [أَسْلَافَهُمْ][1] مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ قَالُوا/ الْمُعْجِزَاتُ هِيَ [٥٧/ب]

---

١) في (م) (سَلَفَهُم)، وكلاهما بمعنى واحد، والله أعلم.

خَرْقُ العَادَةِ، لَكِنْ أَنْكَرُوا كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ السِّحْرُ وَالكَهَانَةُ إِلَّا مِنْ جِنْسِ الشَّعْبَذَةِ وَالحِيَلِ، لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الشَّيَاطِينَ تُعِينُ عَلَى ذَلِكَ.

وَأُولَئِكَ أَثْبَتُوا الكَرَامَاتِ، ثُمَّ زَعَمُوا أَنَّ المُسْلِمِينَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِرَجُلٍ صَالِحٍ أَوْ نَبِيٍّ قَالُوا: فَإِذَا ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ كَانَ صَالِحًا بِهَذَا الإِجْمَاعِ.

وَهَؤُلَاءِ أَنْفُسُهُمْ قَدْ ذَكَرُوا أَنَّهَا يَكُونُ لِلسَّحَرَةِ مَا هُوَ مِثْلُهَا، وَتَنَاقَضُوا فِي ذَلِكَ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

فَصَارَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مَا لِلسَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ، وَمَا يَفْعَلُهُ الشَّيَاطِينُ مِنَ العَجَائِبِ، وَظَنُّوا أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِرَجُلٍ صَالِحٍ؛ فَصَارَ مَنْ ظَهَرَتْ هَذِهِ لَهُ يَظُنُّ أَنَّهَا كَرَامَةٌ، فَيَقْوَى قَلْبُهُ بِأَنَّ طَرِيقَتَهُ هِيَ طَرِيقَةُ الأَوْلِيَاءِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمْ يَظُنُّ فِيهِ ذَلِكَ.

ثُمَّ يَقُولُونَ: الوَلِيُّ إِذَا تَوَلَّى لَا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ مُخَالِفًا لِمَا عُلِمَ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ، مِثْلِ تَرْكِ الصَّلَاةِ المَفْرُوضَةِ، وَأَكْلِ الخَبَائِثِ كَالخَمْرِ، وَالحَشِيشَةِ، وَالمَيْتَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِعْلِ الفَوَاحِشِ، وَالفُحْشِ وَالتَّفَحُّشِ فِي المَنْطِقِ، وَظُلْمِ النَّاسِ، وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالشِّرْكِ بِاللهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ

يَظُنُّ فِيهِ أَنَّهُ وَلِيٌّ مِنْ أَوْلِيَاءِ الله، قَدْ وَهَبَهُ هَذِهِ الكَرَامَاتِ بِلَا عَمَلٍ فَضْلاً مِنَ الله تَعَالَى، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْمَالِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنَّ هَذِهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيَاطِينِ تُضِلُّ بِهَا النَّاسَ وَتُغْوِيهِمْ.

طرائق الشياطين في إضلال بني آدم

وَدَخَلَتِ الشَّيَاطِينُ فِي أَنْوَاعٍ مِنْ ذَلِكَ:

فَتَارَةً يَأْتُونَ الشَّخْصَ فِي النَّوْمِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَأَنَا أَتُوبُكَ لِي، وَأَصِيرُ شَيْخَكَ، وَأَنْتَ تَتَوِّبُ النَّاسَ لِي، وَيُلْبِسُهُ، فَيُصْبِحُ وَعَلَى رَأْسِهِ مَا أَلْبَسَهُ، فَلَا يَشُكُّ أَنَّ الصِّدِّيقَ هُوَ الَّذِي جَاءَهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ، وَقَدْ جَرَى مِثْلُ هَذَا لِعِدَّةٍ مِنَ المَشَايِخِ بِالعِرَاقِ، وَالجَزِيرَةِ، وَالشَّامِ.

وَتَارَةً يَقُصُّ شَعْرَهُ فِي النَّوْمِ، فَيُصْبِحُ فَيَجِدُ شَعْرَهُ مَقْصُوصاً.

وَتَارَةً يَقُولُ: أَنَا الشَّيْخُ فُلَانٌ، فَلَا يَشُكُّ أَنَّ الشَّيْخَ نَفْسَهُ جَاءَهُ، وَقَصَّ شَعْرَهُ.

وَكَثِيراً مَا يَسْتَغِيثُ الرَّجُلُ بِشَيْخِهِ الحَيِّ أَوِ المَيِّتِ، فَيَأْتُونَهُ فِي صُورَةِ ذَلِكَ الشَّيْخِ، وَقَدْ يُخَلِّصُونَهُ مِمَّا يَكْرَهُ، فَلَا يَشُكُّ أَنَّ الشَّيْخَ نَفْسَهُ جَاءَهُ، أَوْ أَنَّ مَلَكاً

تَصَوَّرَ بِصُورَتِهِ وَجَاءَهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الَّذِي تَمَثَّلَ إِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ لَمَّا أَشْرَكَ بِاللهِ أَضَلَّتْهُ الشَّيَاطِينُ، وَالمَلَائِكَةُ لَا تُجِيبُ مُشْرِكًا.

وَتَارَةً يَأْتُونَ إِلَى مَنْ هُوَ خَالٍ فِي البَرِّيَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ مَلِكًا أَوْ أَمِيرًا كَبِيرًا، وَيَكُونُ كَافِرًا، وَقَدْ انْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ، وَعَطِشَ وَخَافَ المَوْتَ، فَيَأْتِيهِ فِي صُورَةِ إِنْسِيٍّ، وَيَسْقِيهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلَامِ وَيُتَوِّبُهُ، فَيُسْلِمُ عَلَى يَدَيْهِ، وَيُتَوِّبُهُ وَيُطْعِمُهُ، وَيَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَيَقُولُ مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا فُلَانٌ، وَيَكُونُ [مِنْ مُؤْمِنِي الجِنِّ][1]؛ كَمَا جَرَى مِثْلُ هَذَا لِي، كُنْتُ فِي مِصْرَ فِي قَلْعَتِهَا[2].

[١٢/٥] وَجَرَى مِثْلُ هَذَا/ إِلَى [كَبِيرٍ][3] مِنَ التُّرْكِ مِنْ نَاحِيَةِ المَشْرِقِ، وَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الشَّخْصُ: أَنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ!!، فَلَمْ يَشُكَّ ذَلِكَ الأَمِيرُ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ

---

١) في (س) (في موضع) وبعدها بياض، و(ك) (في موضع) والكلام مُتصلٌ، ومابين القوسين مُستدرك مِن (م)، وأشار ابن قاسم إلى أنها في الأصل (في موضع) وصححها.

٢) سُجن شيخ الإسلام أبو العبّاس في مصر أربع مرّات، ومنها هذه التي في سجن قلعة الجَبَل (وتُسمّى الجُبّ)، بالقاهرة (وتُسمّى بِمِصْرَ قديماً) في (ليلة الفطر) ١/ ١٠/ ٧٠٥هـ، وخرج في ٢٣/ ٣/ ٧٠٧هـ لمُدّة سنة ونصف تقريباً، وهي المقصودة هنا، والله أعلم.

٣) في (س) غير واضحة تماماً، وفي (ك) و(م) (كَبير) !!، وهي كذلك في جميع الطبعات باستثناء طبعة الأستاذ حسين يوسف غزال (ص ١١٧) كتبها (كَبير)، وأظنها أقرب

مَلِكُ مَارِدِينَ⁽¹⁾، وَأَرْسَلَ بِذَلِكَ مَلِكُ مَارِدِينَ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ رَسُولاً وَكُنْتُ فِي الحَبْسِ؛ فَاسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ، وَأَنَا لَمْ أَخْرُجْ مِنَ الحَبْسِ، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا جِنْيًا يُجِيبُنَا، فَيَصْنَعُ بِالتُّرْكِ التَّتَرِ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِهِمْ؛ لَمَّا جَاءُوا إِلَى دِمَشْقَ⁽²⁾ كُنْتُ أَدْعُوهُمْ

---

للصواب، لأن شيخ الإسلام يتحدث عن أميرٍ من أمراء التُّرك (التتار)، والأنسب أن يُقال في حقه (كَبِير) لأنه كبير قومه، وأمّا (كَثِير) فليس لها معنى على مُراد شيخ الإسلام، وقد استحسن ذلك شيخنا الدكتور عبدالرّحمن المحمود، وقال: «العلّه هو الصواب»، ولذلك أثبتُّها هكذا (كَبِير)، والله أعلم.

١) هو الملك المنصور نجم الدِّين غازي الأرتقي، كما قرره شيخنا المحمود في موقف ابن تيميَّة مِن الأشاعرة ١/ ١٧٤، ومَارِدِينَ: مدينة مشهورة في الجزيرة الفُراتية، وفيها قلعة عظيمة تُعتبر مِن أعظم القلاع، وفيها أفتى شيخ الإسلام بأنها دارٌ مُركبة بين الحرب والسِلم، وهي مِن أعظم الفتاوى التي تُظهر عبقرية شيخ الإسلام واجتهاده، وهي ضمن الفتاوى ٢٨/ ٢٤٠، والله أعلم.

٢) دِمَشْق: عاصمة الدولة الأموية، قال عنها ياقوت الحموي: «وهي جَنَّة الأرض بلا خلاف؛ لحسن عمارة، ونضارة بقعة، وكثرة فاكهة، ونزاهة رقعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب»، وفتحها المُسلمون في رجب سنة ١٤هـ بعد حصار ومنازلة، فدخلها أبو عُبيدة مِن الباب الغربي صُلحاً، ودخلها خالد بن الوليد مِن الباب الشرقي عُنوة، فاختصموا إلى عُمر ابن الخطَّاب فأجراها كلها صُلحاً، وهي الآن عاصمة بلاد سوريا، نفع الله بها وأهلها الإسلام والمُسلمين.

يُنظر: مُعجم البلدان ٢/ ٤٦٣

إِلَى الإِسْلَامِ، فَإِذَا نَطَقَ أَحَدُهُمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ، أَطْعَمْتُهُمْ مَا تَيَسَّرَ، فَعَمِلَ مَعَهُمْ مِثْلَ مَا كُنْتُ أَعْمَلُ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ إِكْرَامِي، لِيَظُنَّ ذَاكَ أَنِّي أَنَا الَّذِي فَعَلْتُ ذَلِكَ.

قَالَ لِي طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ: فَلِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا؟ قُلْتُ: لَا، إِنَّ المَلَكَ/ لَا يَكْذِبُ، وَهَذَا قَدْ قَالَ: أَنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ. [ص/١٦١]

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ رَأَى مَنْ قَالَ إِنِّي أَنَا الخَضِرُ!!، وَإِنَّمَا كَانَ جِنِّيًّا.

ثُمَّ صَارَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُكَذِّبُ بِهَذِهِ الحِكَايَاتِ إِنْكَارًا لِمَوْتِ الخَضِرِ، وَالَّذِينَ قَدْ عَرَفُوا صِدْقَهَا يَقْطَعُونَ بِحَيَاةِ الخَضِرِ، وَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ مُخْطِئٌ، فَإِنَّ الَّذِينَ رَأَوْا مَنْ قَالَ إِنِّي أَنَا الخَضِرُ هُمْ كَثِيرُونَ صَادِقُونَ، وَالحِكَايَاتُ مُتَوَاتِرَاتٌ؛ لَكِنْ أَخْطَأُوا فِي ظَنِّهِمْ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَإِنَّمَا كَانَ جِنِّيًّا.

وَلِهَذَا يَجْرِي مِثْلُ هَذَا لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَكَثِيرًا مَا يَأْتِيهِمْ فِي كَنَائِسِهِمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ الخَضِرُ، وَكَذَلِكَ اليَهُودُ يَأْتِيهِمْ فِي كَنَائِسِهِمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ الخَضِرُ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الحِكَايَاتِ الصَّادِقَةِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ هَذَا المَوْضِعُ، يُبَيِّنُ صِدْقَ مَنْ رَأَى شَخْصًا، وَظَنَّ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَأَنَّهُ غَلِطَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ الخَضِرُ، وَإِنَّمَا كَانَ جِنِّيًّا.

وَقَدْ يَقُولُ: أَنَا المَسِيحُ، أَوْ مُوسَى، أَوْ مُحَمَّدٌ، أَوْ أَبُو بَكْرٍ، أَوْ عُمَرُ، أَوْ الشَّيْخُ فُلَانٌ، فَكُلُّ هَذَا قَدْ وَقَعَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: (مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي)(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فِي صُورَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ»(٢).

وَهَذِهِ رُؤْيَةٌ فِي المَنَامِ، وَأَمَّا فِي اليَقَظَةِ فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ المَوْتَى يَجِيءُ بِنَفْسِهِ لِلنَّاسِ عِيَانًا قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ فَمِنْ جَهْلِهِ أُتِيَ، وَمِنْ هُنَا ضَلَّتِ النَّصَارَى حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ المَسِيحَ بَعْدَ أَنْ صُلِبَ - كَمَا يَظُنُّونَ - أَنَّهُ أَتَى إِلَى الحَوَارِيِّينَ، وَكَلَّمَهُمْ، وَوَصَّاهُمْ، وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي أَنَاجِيلِهِمْ، وَكُلُّهَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ.

---

١) رواه البخاري في كِتَابِ العِلْمِ، باب: إِثْمِ مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، رقم (١٠٧)، ومسلم في كِتَابِ الرُّؤْيَا، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، رقم (٤٢٠٦)، كلاهما عن أبي هريرة، وأمّا لفظة (حَقًّا) فلم أجدها في الصحيحين، وقد أدرجها في الحديث المذكور الدكتور مُصطفى البُغا في تحقيقه لصحيح البُخاري ١/ ٥٢، ولم أجدها في كافة نُسخ البُخاري المطبوعة، وهي عند الإمام أحمد في المُسند ٢/ ٤٢٥ بلفظ (الحَقّ)، والله أعلم.

٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأظنه بالمعنى، وإنما الثابت عنه ما رواه الإمام أحمد في المُسند ١٤/ ٢٠٠، والحاكم في المُستدرك ٤/ ٤٣٥ أن رجلاً قال لابن عباس: إني قد رأيته ﷺ فذكرتُ الحسن بن علي فشبهته به، فقال ابن عباس: إنّه كان يُشبِهُهُ.

قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، و لم يخرجاه بهذا السياقة»، ووافقه الذَّهبي.

وَذَاكَ الَّذِي جَاءَ كَانَ شَيْطَانًا، قَالَ أَنَا الْمَسِيحُ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ الْمَسِيحَ نَفْسَهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَشْتَبِهَ مِثْلُ هَذَا عَلَى الْحَوَارِيِّينَ كَمَا اشْتَبَهَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ شُيُوخِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنْ مَا أَخْبَرَهُمُ الْمَسِيحُ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ بِتَبْلِيغِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ تَبْلِيغُهُ، وَلَمْ يُرْفَعْ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَجِيئِهِ بَعْدَ أَنْ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ.

[٥/٥٢] وَأَصْحَابُ الْحَلَّاجِ[1] لَمَّا قُتِلَ كَانَ يَأْتِيهِمْ مَنْ يَقُولُ: أَنَا الْحَلَّاجُ !!، فَيَرَوْنَهُ فِي صُورَتِهِ عِيَانًا !!.

وَكَذَلِكَ شَيْخٌ بِمِصْرٍ يُقَالُ لَهُ الدُّسُوقِيُّ[2] بَعْدَ أَنْ مَاتَ كَانَ يَأْتِي أَصْحَابَهُ مِنْ جِهَتِهِ رَسَائِلُ، وَكُتُبٌ مَكْتُوبَةٌ، وَأَرَانِي صَادِقٌ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكِتَابَ الَّذِي

---

١) هو الحسين بن منصور الحلاّج الفارسي، أبو مُغيث - أو أبو عبدالله - البغدادي، إمامٌ صوفيٌّ قرمطيٌّ فيلسوفٌ، له مصنفات كثيرة منها (قرآن القُرآن والفُرقان)، و(الكبريت الأحمر)، مات مصلوباً على الزندقة ببغداد سنة ٣٠٩هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣، البداية والنهاية ١١/ ١٧٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٨١

٢) هو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش الدُّسُوقي، من كبار الصوفية بمصر، لُقِّب بالبُرهان وقد كثرت أخباره، وتعلق الناس به، وادّعى أصحابه أنه أحد الأقطاب الأربعة الذين يرجع

أَرْسَلَهُ، فَرَأَيْتُه بِخَطِّ الجِنِّ، وَقَدْ رَأَيْتُ خَطَّ الجِنِّ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَفِيهِ كَلَامٌ مِنْ كَلَامِ الجِنِّ، وَذَاكَ المُعْتَقِدُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْخَ حَيٌّ، وَكَانَ يَقُولُ: انْتَقَلَ ثُمَّ مَاتَ.

وَكَذَلِكَ شَيْخٌ آخَرُ كَانَ بِالمَشْرِقِ وَكَانَ لَهُ خَوَارِقُ مِنَ الجِنِّ، وَقِيلَ كَانَ بَعْدَ هَذَا يَأْتِي خَوَاصَّ أَصْحَابِهِ فِي صُورَتِهِ، فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ هُوَ.

وَهَكَذَا الَّذِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بَقَاءَ عَلِيٍّ، أَوْ بَقَاءَ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ، قَدْ كَانَ يَأْتِي إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِمْ جِنِّيٌّ فِي صُورَتِهِ، وَكَذَا مُنْتَظَرُ الرَّافِضَةِ[١]، قَدْ يَرَاهُ أَحَدُهُمْ أَحْيَانًا وَيَكُونُ المَرْئِيُّ جِنِّيًّا، فَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ وَاقِعٌ كَثِيرًا.

---

إليهم تدبير الأمور في هذا الكون!!، له كتاب اسمه (الجواهر)، ونُقل عنه كلاماً على طريقة غُلاة الصوفية مِمَّا لا معنى له، مات سنة ٦٧٦هـ وله ضريح مشهورٌ، وطريقة معلومةٌ.

يُنظر: تاج العروس ١/ ٦٣٠٤، والأعلام ١/ ٥٩.

١) يقصد ما تزعمه الرافضة بأنه (المهدي) ويُطلقون عليه بالمُنتظر، والغائب، والقائم، وغير ذلك، ولهم فيه مِن الخزعبلات ما تضحك منه الثكلى، فأمه حملت في جنبها وليس في رَحِمها، وولدته مِن فخذها لا مِن فرجها، وقد أختفي في مغارة في أحد الجبال، ولا يدرون أي جبل فمنهم مَن جعله في جبال المدينة، ومنهم مَن جعله في جبال مكة، ومنهم مَن جعله في جبال رضوى، وعُمره عِدَّة أشهر، وعنده طعامه وشرابه، وله سدنته وحُراسه، وأكاذيبهم فيه لا تنتهي.

وَكُلَّمَا كَانَ الْقَوْمُ أَجْهَلَ كَانَ عِنْدَهُمْ أَكْثَرَ، فَفِي الْمُشْرِكِينَ أَكْثَرَ مِمَّا فِي النَّصَارَى، وَهُوَ فِي النَّصَارَى كَمَا هُوَ فِي الدَّاخِلِينَ فِي الإِسْلَامِ، وَعَلَيْهِ الأُمُورُ يُسْلِمُ بِسَبَبِهَا نَاسٌ، وَيَتُوبُ بِسَبَبِهَا نَاسٌ يَكُونُونَ أَضَلَّ مِنْ أَصْحَابِهَا، فَيَنْتَقِلُونَ بِسَبَبِهَا إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، كَالشَّيْخِ الَّذِي فِيهِ كَذِبٌ وَفُجُورٌ مِنَ الإِنْسِ، قَدْ يَأْتِيهِ قَوْمٌ كُفَّارٌ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَيُسْلِمُونَ وَيَصِيرُونَ خَيْراً مِمَّا كَانُوا، وَإِنْ كَانَ قَصْدُ ذَلِكَ الرَّجُلِ فَاسِداً، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ)[1].

وهو يتضمن أن الضلال أو البدعة قد يكون مخففة لما هو أعظم منكراً، فيكون خيراً لهم من سابق حالهم

---

١) هذان حديثان أدرجهما شيخ الإسلام بمعنى واحد، وفي بعض مصنفاته فرقهما كما في السياسة الشرعية (٩) فقال: «وروي (بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ)».

فالأول: رواه البخاري في كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب: إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، رقم (٢٨٣٤)، ومسلم في كِتَاب الإِيمَانِ، بَابُ: غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ، رقم (١٦٢)، كلاهما عن أبي هريرة.

والثاني: رواه الإمام أحمد ٥/ ٤٥ عن أبي بَكْرَة، والطبراني في الأوسط ٤/ ٤٨١، كلاهما عن أنس بن مالك.

قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات» كما في المجمع ٥/ ٣٠٢

وقال المناوي نقلاً عن العراقي: «إسناده جيد» كما في فيض القدير ٢/ ٣٥٤

وَهَذَا كَالحُجَجِ وَالأَدِلَّةِ الَّتِي يَذْكُرُهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ وَالرَّأْيِ، فَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ بِهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ البَاطِلِ، وَيَقْوَى بِهَا قُلُوبُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ، وَإِنْ كَانَتْ فِي نَفْسِهَا بَاطِلَةً، فَغَيْرُهَا أَبْطَلُ مِنْهَا، وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ دَرَجَاتٌ، فَيَنْتَفِعُ بِهَا أَقْوَامٌ يَنْتَقِلُونَ بِهَا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.

وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ مُبْتَدِعَةِ المُسْلِمِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ وَالجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى بِلَادِ الكُفَّارِ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَانْتَفَعُوا بِذَلِكَ، وَصَارُوا مُسْلِمِينَ مُبْتَدِعِينَ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونُوا كُفَّارًا.

وَكَذَلِكَ بَعْضُ المُلُوكِ قَدْ يَغْزُو غَزْوًا يَظْلِمُ فِيهِ المُسْلِمِينَ وَالكُفَّارَ، وَيَكُونُ آثِمًا بِذَلِكَ، وَمَعَ هَذَا فَيَحْصُلُ بِهِ نَفْعُ خَلْقٍ كَثِيرٍ كَانُوا كُفَّارًا فَصَارُوا مُسْلِمِينَ، وَذَاكَ كَانَ شَرًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى القَائِمِ بِالوَاجِبِ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الكُفَّارِ فَهُوَ خَيْرٌ.

وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ،/ [س/٣٧] وَالفَضَائِلِ، وَالأَحْكَامِ، وَالقِصَصِ قَدْ يَسْمَعُهَا أَقْوَامٌ فَيَنْتَقِلُونَ بِهَا إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ كَذِبًا، وَهَذَا كَالرَّجُلِ يُسْلِمُ رَغْبَةً فِي الدُّنْيَا، وَرَهْبَةً مِنَ السَّيْفِ، ثُمَّ إِذَا أَسْلَمَ، وَطَالَ مُكْثُهُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ دَخَلَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، فَنَفْسُ ذُلِّ الكُفْرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَانْقِهَارُهُ، وَدُخُولُهُ فِي حُكْمِ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَبْقَى كَافِرًا، فَانْتَقَلَ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَخَفَّ الشَّرُّ الَّذِي كَانَ فِيهِ، ثُمَّ إِذَا أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ/ [ك/٥٧] أَدْخَلَ الإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ.

وَاللهُ تَعَالَى بَعَثَ الرُّسُلَ بِتَحْصِيلِ المَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ المَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ دَعَا الخَلْقَ بِغَايَةِ الإِمْكَانِ، وَنَقَلَ كُلَّ شَخْصٍ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ بِحَسَبِ الإِمْكَانِ ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

وَأَكْثَرُ المُتَكَلِّمِينَ يَرُدُّونَ بَاطِلاً بِبَاطِلٍ، وَبِدْعَةً بِبِدْعَةٍ؛ لَكِنْ قَدْ يَرُدُّونَ بَاطِلَ الكُفَّارِ مِنَ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ بِبَاطِلِ المُسْلِمِينَ، فَيَصِيرُ الكَافِرُ مُسْلِماً مُبْتَدِعاً.

وَأَخَصُّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَرُدُّ البِدَعَ الظَّاهِرَةَ كَبِدْعَةِ الرَّافِضَةِ بِبِدْعَةٍ أَخَفَّ مِنْهَا، وَهِيَ بِدْعَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ[2]، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا تَقَدَّمَ أَصْنَافَ البِدَعِ.

مقارنة المعتزلة عند شيخ الإسلام

وَلَا رَيْبَ أَنَّ المُعْتَزِلَةَ خَيْرٌ مِنَ الرَّافِضَةِ[3] وَمِنَ الخَوَارِجِ؛ فَإِنَّ المُعْتَزِلَةَ تُقِرُّ بِخِلَافَةِ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ، وَكُلُّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، وَكَذَلِكَ المَعْرُوفُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَتَوَلَّوْنَ عَلِيّاً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَضِّلُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ.

---

١) سورة الأحقاف، آية: ١٩

٢) بِدَعُ أهلُ السُّنَّة مثل بِدع الأذكار النبوية التي خُصِّصت بزمان أو مكان أو عدد مُعيَّن، فيلتزمها السُّني على غير وجهها، فيقع في البدعة مع بغائه على مذهب أهل السُّنة، والله أعلم.

٣) قال شيخ الإسلام في منهاج السُّنة ٥/ ١٠٣: «والرَّافضة فيهم من هو مُتعبد مُتورع زاهد لكن ليسوا في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء، فالمُعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدين،

وَلَكِنْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِ مُتَقَدِّمِيهِمْ⁽¹⁾ أَنَّهُ قَالَ: «فَسَقَ يَوْمَ الجَمَلِ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَلَا أَعْلَمُ عَيْنَهَا».

وَقَالُوا إِنَّهُ قَالَ: «لَوْ شَهِدَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ لَمْ أَقْبَلْ شَهَادَتَهُمَا لِفِسْقِ أَحَدِهِمَا لَا بِعَيْنِهِ، وَلَوْ شَهِدَ عَلِيٌّ مَعَ آخَرَ فَفِي قَبُولِ شَهَادَتِهِ قَوْلَانِ»⁽²⁾.

---

والكذب والفجور فيهم أقل منه في الرَّافضة، والزيدية من الشيعة خير منهم وأقرب إلى الصدق والعدل والعلم، وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج، ومع هذا فأهل السُّنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم، فإن الظُّلم حرام مُطلقاً كما تقدم، بل أهل السُّنة لكل طائفةٍ من هؤلاء خيرٌ من بعضهم لبعض، بل هم للرَّافضة خيرٌ وأعدل من بعض الرَّافضة لبعض، وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون: أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضاً، وهذا لأنَّ الأصل الذي اشتركوا فيه أصلٌ فاسد مبني على جهلٍ وظلمٍ، وهم مُشتركون في ظلم سائر المُسلمين، فصاروا بمنزلة قُطَّاع الطريق المشتركين في ظلم النَّاس، ولا ريب أنَّ المُسلم العَالِمَ العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض».

(1) نسب شيخ الإسلام هذه المقالة إلى «عمرو بن عُبيد وأصحابه» كما في الفتاوى ٣٥/ ٥٠، وفي منهاج السُّنة ٤/ ٢٢٤ إلى «عمرو بن عُبيد وغيره من شيوخ المُعتزلة»، وفي منهاج السُّنة كذلك ١/ ٨ إلى «عمرو بن عبيد وأمثاله من المُعتزلة»، وفي بيان تلبيس الجَهْمِيَّة ١/ ٥٥ إلى «قدماء المعتزلة كعمرو بن عبيد وذويه»، بينما نسب الشهرستاني في الملل والنحل ١/ ٦٢ (ت: المواري) أنَّ قائله واصل بن عطاء، وإنما عمرو بن عُبيد موافقٌ له في ذلك.

(2) نسب هذا القول لعمرو بن عبيد: ابن عدي الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال ٥/ ١٠٢، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢/ ١٧٨، والعمراني في الانتصار في الرد

وَهَذَا القَوْلُ شَاذٌّ فِيهِمْ، وَالَّذِي عَلَيْهِ عَامَّتُهُمْ تَعْظِيمُ عَلِيٍّ(١).

وَمِنَ المَشْهُورِ عِنْدَهُمْ ذَمُّ مُعَاوِيَةَ وَأَبِي مُوسَى وَعَمْرِو بْنِ العَاصِ لِأَجْلِ عَلِيٍّ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَفِّرُ هَؤُلَاءِ وَيُفَسِّقُهُمْ؛ بِخِلَافِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ تَابُوا مِنْ قِتَالِهِ، وَكُلُّهُمْ يَتَوَلَّى عُثْمَانَ، وَيُعَظِّمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَيُعَظِّمُونَ الذُّنُوبَ، فَهُمْ يَتَحَرَّوْنَ الصِّدْقَ كَالخَوَارِجِ، لَا يَخْتَلِقُونَ الكَذِبَ كَالرَّافِضَةِ، وَلَا يَرَوْنَ أَيْضاً اتِّخَاذَ دَارٍ غَيْرَ دَارِ الإِسْلَامِ كَالخَوَارِجِ، وَلَهُمْ كُتُبٌ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ، وَنَصْرِ الرَّسُولِ، وَلَهُمْ مَحَاسِنُ كَثِيرَةٌ يَتَرَجَّحُونَ عَلَى الخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ.

---

على المعتزلة القدرية الأشرار ٣/ ٨٢٦، والشاطبي في الاعتصام ١/ ١١٩، والذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧٥، بينما نسبه إلى واصل بن عطاء: الصفدي في الوافي بالوفيات ٧/ ٤٤٢، والبغدادي في الفرق بين الفرق ٣٠٥

١) الذي عليه جمهور المعتزلة هو تعظيم الخلفاء الأربعة، وعدم الطعن فيهم، وإنما خلافهم مع أهل السُّنة فيمن قاتل علياً رضي الله عنه سواء أهل الجمل أو أهل صفين كما قاله شيخ الإسلام هنا، وقال كما في الفتاوى ٤/ ١٥٥: «والمعتزلة .. كانوا يقررون خلافة الخلفاء الأربعة، ويعظمون من أئمة الإسلام وجمهورهم ما لا يعظمه أولئك - أي الخوارج -»، وقد قاله كذلك الأشعري في مقالات الإسلاميين ٢/ ١٤٥، والبغدادي في الفرق بين الفرق ١٢٠-١٢١، والله أعلم.

وَهُمْ قَصْدُهُمْ إِثْبَاتُ تَوْحِيدِ اللهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَصِدْقِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَأُصُولُهُمْ الخَمْسُ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الخَمْسِ؛ لَكِنَّهُمْ غَلِطُوا فِي بَعْضِ مَا قَالُوهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُصُولِهِمْ الخَمْسِ.

فَجَعَلُوا مِنَ التَّوْحِيدِ: نَفْيَ الصِّفَاتِ، وَإِنْكَارَ الرُّؤْيَةِ، وَالقَوْلَ بِأَنَّ القُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَوَافَقُوا فِي ذَلِكَ الجَهْمِيَّةَ.

وَجَعَلُوا مِنَ العَدْلِ: أَنَّهُ لَا يَشَاءُ مَا يَكُونُ، وَيَكُونُ مَا لَا يَشَاءُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ أَفْعَالَ العِبَادِ، فَنَفَوْا قُدْرَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ وَخَلْقَهُ لِإِثْبَاتِ العَدْلِ.

وَجَعَلُوا مِنَ الرَّحْمَةِ: نَفْيَ أُمُورٍ خَلَقَهَا لَمْ يَعْرِفُوا مَا فِيهَا مِنَ الحِكْمَةِ.

وَكَذَلِكَ هُمْ وَالخَوَارِجُ قَالُوا بِإِنْفَاذِ الوَعِيدِ لِيُثْبِتُوا أَنَّ الرَّبَّ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ؛ إِذْ كَانَ عِنْدَهُمْ قَدْ أَخْبَرَ بِالوَعِيدِ العَامِّ فَمَتَى لَمْ يَقُلْ بِذَلِكَ لَزِمَ كَذِبُهُ، وَغَلِطُوا فِي فَهْمِ الوَعِيدِ.

وَكَذَلِكَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ بِالسَّيْفِ قَصَدُوا بِهِ طَاعَةَ اللهِ وَرَسُولِهِ كَمَا يَقْصِدُهُ الخَوَارِجُ وَالزَّيْدِيَّةُ فَغَلِطُوا فِي ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ إِنْكَارُهُمْ لِلخَوَارِقِ غَيْرِ الْمُعجِزَاتِ قَصَدُوا بِهِ إِثْبَاتَ النُّبُوَّةِ وَنَصْرَهَا، وَغَلِطُوا فِيمَا سَلَكُوهُ، فَإِنَّ النَّصْرَ لَا يَكُونُ بِتَكْذِيبِ الحَقِّ، وَذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ لَمْ يُحَقِّقُوا/ خَاصَّةَ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ.

[٨٨/ب]

وَالأَشْعَرِيَّةُ مَا رَدُّوهُ مِنْ بِدَعِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ والجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَبَيَّنُوا مَا بَيَّنُوهُ مِنْ تَنَاقُضِهِمْ، وَعَظَّمُوا الحَدِيثَ وَالسُّنَّةَ وَمَذْهَبَ الجَمَاعَةِ، فَحَصَلَ بِمَا قَالُوهُ مِنْ بَيَانِ تَنَاقُضِ أَصْحَابِ البِدَعِ الكِبَارِ، وَرَدِّهِمْ مَا انْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ.

مراحل أبي الحسن الأشعري في الاعتقاد

فَإِنَّ الأَشْعَرِيَّ كَانَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَبَقِيَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً[1] يَقْرَأُ

---

١) نقل هذه الفائدة شيخ الإسلام عن الأشعري في بيان تلبيس الجهمية ٢/ ١٦١- ١٦٣ (ت: رشيد حسن)، وفي درء التعارض ٧/ ٢٣٦ (ت: محمد رشاد) مُسندة عن الشيخ خلف ابن عُمر المالكي، المُلقب بمُعلم الفقهاء، مات سنة ٣٧١هـ والذي رواها بإسناده عنه هو الحافظ أبو نصر السجزي في رسالته لأهل زَبيد [الإبانة في أصول الديانة] ١٤٠-١٤١ (ت: محمد باكريم)، فقال: «ذكره أبو نصر في رسالته إلى أهل زَبيد، قال: ولقد حكى [لي] محمد بن عبدالله المالكي المغربي، وكان فقيهاً صالحاً، عن الشيخ أبي سعيد البرقي، وهو من شيوخ فقهاء المالكيين ببرقة، عن أستاذه خلف المُعلم، وكان من فقهاء المالكيين، أنه قال: الأشعري أقام أربعين سنةً على الاعتزال، ثم أظهر التوبة، فرجع عن الفروع، وثبت على الأصول، قال أبو نصر: وهذا كلامُ خبيرٍ بمذهب الأشعري [وغَوْرِه]»، وفي ما بين المعكوفين خلافٌ:

فالأول: ليس عند السجزي في الإبانة، ولا شيخ الإسلام في درء التعارض، وإنما في بيان تلبيس الجهمية فقط، وهو مُهمّ جداً، لأنَّ حذفها يُسقط اتصال السند، وهذا لم ينتبه له الدكتور محمّد باكريم في تحقيقه ذلك، أو يُشير إليه.

والثاني: اتفق السجزي في الإبانة، وشيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهميّة على رسمها (وغُوَيْرِه)، ولم يُبيِّنها الدكتور رشيد حسن في تحقيقه لبيان تلبيس الجهميّة، أو يُشير إليها.

وكذلك رواها ابن عساكر في تبيين كذب المُفتري ٣٩ فقال: «وذكر أبو القاسم حجّاج بن محمّد الطرابلسي - مِن أهل طرابلس المغرب - قال: سألتُ أبا بكر إسماعيل بن [أبي محمّد بن] إسحاق [الأزدي] القيرواني المعروف بابن [عَزْرَة] ﷺ عن أبي الحسن الأشعري ﷺ، فقلتُ له: قيل لي عنه إنه كان مُعتزلياً، وإنّه لمّا رجع عن ذلك أبقى للمعتزلة نكتاً لم ينقضها، فقال لي: الأشعري شيخنا وإمامنا، ومَن عليه مُعوّلُنا، قام على مذاهب المُعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماماً»، وفي ما بين المعكوفين خلافٌ:

فالأول: أظنها تصحيفاً في الاسم، لأنه مشهور بإسماعيل بن إسحاق الأزدي كما نسبه القاضي عياض في ترتيب المدارك ٧/ ٢٧٤، والقاضي ابن عطية في فهرسته ٣٩، وابن خير الأشبيلي في فهرسته ٢٢٣، ٢٣٨.

والثاني: تصحّف عند القاضي عياض إلى (الأندي)، والصحيح أنّه (الأزدي)، وهكذا ذكره ابن عطية في فهرسته، وابن خير الأشبيلي في فهرسته، وابن عساكر في تبيينه.

والثالث: تصحّف عند القاضي عياض إلى (عَلْرَة)، والصحيح أنّه (عَزْرَة) وهكذا ذكره ابن عطية في فهرسته، وابن خير الأشبيلي في فهرسته، وابن عساكر في تبيينه، وأثبت محقق ترتيب المدارك (سعيد أعراب) أنَّ في نسخة (أ) (عَزْرَة)، قلتُ: وهي الأظهر، والله أعلم.

عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِي[١]، فَلَمَّا انْتَقَلَ عَنْ مَذْهَبِهِمْ كَانَ خَبِيرًا بِأُصُولِهِمْ، وَبِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَبَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ، وَأَمَّا مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ [مُخَالَفَةِ][٢] السُّنَّةِ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ المُعْتَزِلَةِ بَلْ هُوَ مِنَ القَدْرِ المُشْتَرَكِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الجَهْمِيَّةِ، وَأَمَّا خَصَائِصُ المُعْتَزِلَةِ فَلَمْ يُوَافِقْهُمُ الأَشْعَرِيُّ فِي شَيْءٍ مِنْهَا؛ بَلْ نَاقَضَهُمْ فِي جَمِيعِ أُصُولِهِمْ، وَمَالَ فِي مَسَائِلِ العَدْلِ وَالأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ إِلَى مَذْهَبِ جَهْمٍ وَنَحْوِهِ.

---

١) هو محمد بن عبدالوهاب الجُبّائي، منسوب إلى جُبّى قرية من قرى البصرة، أبو علي البصري، إمامٌ متكلمٌ، من أكابر شيوخ المُعتزلة، تزوج بأم أبي الحسن الأشعري، وقد تتلمذ عليه أبو الحسن مُدّة أربعين سنة ثم تركه، قال عنه الذهبي: «كان أبو عليٍّ - على بدعته - متوسّعاً في العلم، سيّال الذهن، وهو الذي ذلّل الكلام، وسهّله، ويسّر ما صَعُب منه»، ومن مُصنفاته (التفسير الكبير)، و(الرّد على ابن كُلاّب)، مات سنة ٣٠٣هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٨٣، وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٩، شذرات الذهب ٢/ ٢٤١

٢) لم يظهر لي أنّ موافقة الأشعري للسنة أنّه قدر مُشترك بين المُعتزلة والجَهميّة، وأظن أنّ في كلام الشيخ سقط كلمة بمعنى (مُخالفة) ليستقيم الكلام، وهو رأي الشيخ ناصر الفهد كذلك في كتابه صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيف ١١١، والله أعلم.

وَكَثِيرٌ مِنَ الطَّوَائِفِ كَالنَّجَّارِيَّةِ[1] أَتْبَاعِ الحُسَيْنِ النَّجَّارِ[2]، وَالضِّرَارِيَّةِ[3]/ [ص/٢٨] أَتْبَاعِ ضِرَارِ بْنِ عَمْرٍو[4] يُخَالِفُونَ المُعْتَزِلَةَ فِي القَدَرِ، وَالأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ، وَإِنْفَاذِ الوَعِيدِ.

---

١) فرقة من فرق المُعتزلة في الجملة، ويُطلق عليهم بعض المرّات (الحسينية)، وينسبون إلى الحسين النجّار، ويرون بنفي الرؤية، وتعطيل الصفات، وخلق القرآن، ومن أشهر علمائهم: إبراهيم بن لُقمان السوادي، ومحمّد بن عيسى البُرغُوث.
يُنظر: الفرق بين الفرق ٤٠، الملل والنحل ١/ ٦١

٢) هو الحسين بن محمّد بن عبدالله النجّار، أبو عبدالله الرّازي، إمامٌ معتزليٌ مُتكلّمٌ، ورأس فرقة النجّارية من المُعتزلة، له مُصنفات من أشهرها (إثبات الرُّسُل)، و(الإرجاء)، و(القضاء والقدر)، مات سنة ٢٢٠هـ تقريباً.
يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٥٤، الأعلام ٢/ ٢٥٣

٣) فرقة من فرق المُعتزلة في الجملة، وينتسبون إلى ضِرار بن عمرو الغطفاني، ويرون تعطيل الصفات، وإنكار عذاب القبر، وأنه إذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما قائم بالكتاب والسُّنّة، فالواجب أن يُقدم الحبشي، لأنّه أسهل لخلعه إذا حاد عن الطريق، ومن أشهر علمائهم: حفص الفرد.
يُنظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٧٠، الملل والنحل ١/ ٨١

٤) هو ضِرَار بن عمرو الغطفاني، القاضي والإمام المُعتزلي، ورأس فرقة الضرارية منهم، كان مشوهاً قد علاه الفالج، ومن عقائده جواز أن يكون جميع المُسلمين كفاراً في الباطن، وإنكار

وَالمُعْتَزِلَةُ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ طَرِيقِ أَهْلِ الكَشْفِ وَالخَوَارِقِ، وَالصُّوفِيَّةِ يَذُمُّونَهَا وَيَعِيبُونَهَا، وَكَذَلِكَ يُبَالِغُونَ فِي ذَمِّ النَّصَارَى أَكْثَرَ مِمَّا يُبَالِغُونَ فِي ذَمِّ اليَهُودِ، وَهُمْ إِلَى اليَهُودِ أَقْرَبُ كَمَا أَنَّ الصُّوفِيَّةَ وَنَحْوَهُمْ إِلَى النَّصَارَى أَقْرَبُ؛ فَإِنَّ النَّصَارَى عِنْدَهُمْ عِبَادَةٌ وَزُهْدٌ وَأَخْلَاقٌ بِلَا مَعْرِفَةٍ وَلَا بَصِيرَةٍ فَهُمْ ضَالُّونَ، وَاليَهُودُ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ وَنَظَرٌ بِلَا قَصْدٍ صَالِحٍ، وَلَا عِبَادَةٍ، وَلَا زُهْدٍ، وَلَا أَخْلَاقٍ كَرِيمَةٍ، فَهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصَارَى ضَالُّونَ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا الحَرْفِ اخْتِلَافًا بَيْنَ المُفَسِّرِينَ»[1].

---

عذاب القبر والجنة والنار، شهد عليه الإمام أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبدالرحمن الجمحي فأفتى بضرب عنقه فهرب، مات عام ٢٣٠هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٤، الوافي بالوفيات ٥/ ٢٦٠، الأعلام ٣/ ٢١٥

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١

وَرَوَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي رَوْقٍ(١) [عَنِ الضَّحَّاكِ](٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «وَغَيْرِ طَرِيقِ الضَّالِّينَ، وَهُمُ النَّصَارَى الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللهُ بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ، يَقُولُ: فَأَلْهِمْنَا دِينَكَ الحَقَّ - وَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - حَتَّى لَا تَغْضَبَ عَلَيْنَا كَمَا غَضِبْتَ عَلَى اليَهُودِ، وَلَا تُضِلَّنَا كَمَا أَضْلَلْتَ النَّصَارَى فَتُعَذِّبَنَا كَمَا تُعَذِّبُهُمْ، يَقُولُ: امْنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ بِرِفْقِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَرَأْفَتِكَ، وَقُدْرَتِكَ».

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا الحَرْفِ اخْتِلَافًا بَيْنَ المُفَسِّرِينَ»(٣).

---

١) هو عطية بن الحارث الهمداني، أبو رَوْق - بفتح الراء وسكون الواو بعدها قاف - الكوفي، صدوق، صاحب التفسير عن ابن عباس، وهو لم يدركه وإنما أخذ عن الضحاك بن مزاحم، والضحاك لم يلق ابن عباس وإنما أخذه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

يُنظر: الجرح والتعديل ٦/ ٣٨٢، تقريب التهذيب ٦٧٧

وهذا الأثر رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣١ والطبري في تفسيره ١/ ١٩٦ (ت: التركي)، ١/ ١٩٤ (ت: أحمد شاكر) كلاهما من طريق أبي رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس، وعند ابن أبي حاتم (بِجُرْأَتِهِمْ) بدل (بِفِرْيَتِهِمْ)، وأما كلمة (وَرَأْفَتِكَ) فهي عند ابن أبي حاتم (وَرِقَّتِكَ)، وعند الطبري محذوفة.

٢) ساقطة من (س) و(ك) و(م)، وأثبتها من تفسير ابن أبي حاتم، وتفسير الطبري.

٣) تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣١

وَقَدْ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عيينة: «كَانُوا يَقُولُونَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ اليَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ [مِنْ][1] عُبَّادِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ النَّصَارَى»[2].

فَأَهْلُ الكَلَامِ أَصْلُ أَمْرِهِمْ هُوَ النَّظَرُ فِي العِلْمِ وَدَلِيلِهِ، فَيُعَظِّمُونَ العِلْمَ، وَطَرِيقَهُ وَهُوَ الدَّلِيلُ، وَالسُّلُوكَ فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ النَّظَرُ.

وَأَهْلُ الزُّهْدِ يُعَظِّمُونَ الإِرَادَةَ وَالمُرِيدَ، وَطَرِيقَ أَهْلِ الإِرَادَةِ.

فَهَؤُلَاءِ يَبْنُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى الإِرَادَةِ، وَأُولَئِكَ يَبْنُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى النَّظَرِ، وَهَذِهِ هِيَ القُوَّةُ العِلْمِيَّةُ، وَلَا بُدَّ لِأَهْلِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ مِنْ هَذَا وَهَذَا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا وَهَذَا مُوَافِقًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ./ [٥١/ب]

---

١) سقطت في (س) و(م)، وهي ثابتة في (ك).

٢) لم أعثر على هذا الأثر مُسنداً على كثرة ما بحثتُ، وإنما يذكره العُلماء هكذا مُعلقاً كما في اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٦٧، ودرء التعارض ٤/ ١٣٧، والاستقامة ٩٦، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ٧٧، وإغاثة اللهفان ١/ ٦٧، وبدائع الفوائد ٢/ ٢٦٨، والبداية والنهاية ١١/ ١٥٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٣٨، الحِكَم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة ٢٢، وشرح الطحاوية ٤٩٦، وفيض القدير شرح الجامع الصغير ٥/ ٢٦١، وغيرها.

فالإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَمُوَافَقَةُ السُّنَّةِ، وَأُولَئِكَ عَظَّمُوا النَّظَرَ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الإِرَادَةِ، وَعَظَّمُوا جِنْسَ النَّظَرِ، وَلَمْ يَلْتَزِمُوا النَّظَرَ الشَّرْعِيَّ، فَغَلِطُوا مِنْ جِهَةِ كَوْنِ جَانِبِ الإِرَادَةِ لَمْ يُعَظِّمُوهُ، وَإِنْ كَانُوا يُوجِبُونَ الأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ، فَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَعْمَالَ القُلُوبِ وَحَقَائِقَهَا، وَمِنْ جِهَةِ أَنَّ النَّظَرَ لَمْ يُمَيِّزُوا فِيهِ بَيْنَ النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ الحَقِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الشَّارِعُ وَأَخْبَرَ بِهِ وَبَيْنَ النَّظَرِ البِدْعِيِّ البَاطِلِ المَنْهِيِّ عَنْهُ.

وَكَذَلِكَ الصُّوفِيَّةُ عَظَّمُوا جِنْسَ الإِرَادَةِ إِرَادَةِ القَلْبِ، وَذَمُّوا الهَوَى وَبَالَغُوا فِي البَابِ، وَلَمْ يُمَيِّزْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بَيْنَ الإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ المُوَافِقَةِ لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَبَيْنَ الإِرَادَةِ البِدْعِيَّةِ، بَلْ أَقْبَلُوا عَلَى طَرِيقِ الإِرَادَةِ دُونَ طَرِيقَةِ النَّظَرِ، وَأَعْرَضَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الدَّاخِلُ مِنْ هَاتَيْنِ الجِهَتَيْنِ؛ وَلِهَذَا صَارَ هَؤُلَاءِ يَمِيلُ إِلَيْهِمُ النَّصَارَى وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِمْ، وَأُولَئِكَ يَمِيلُ إِلَيْهِمُ اليَهُودُ وَيَمِيلُونَ إِلَيْهِمْ، وَبَيْنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى غَايَةُ التَّنَافُرِ وَالتَّبَاغُضِ.

وَكَذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِ الكَلَامِ وَالرَّأْيِ وَبَيْنَ أَهْلِ التَّصَوُّفِ وَالزُّهْدِ تَنَافُرٌ وَتَبَاغُضٌ، وَهَذَا وَهَذَا مِنَ الخُرُوجِ عَنِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

نَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، آمِينَ.

## فَصْلٌ

الرد على النصارى في بعض تحريفات الإنجيل

فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا كَانَ فِي كُتُبِ الأَنَاجِيلِ الَّتِي عِنْدَهُمْ أَنَّ المَسِيحَ صُلِبَ، وَأَنَّهُ بَعْدَ الصَّلْبِ بِأَيَّامٍ أَتَى إِلَيْهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: أَنَا المَسِيحُ ـ وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ تَمَثَّلَ عَلَى صُورَتِهِ، فَالشَّيْطَانُ لَيْسَ هُوَ لَحْمٌ وَعَظْمٌ ـ وَهَذِهِ أَثَرُ المَسَامِيرِ، أَوْ نَحْوُ هَذَا الكَلَامِ.

فَأَيْنَ الإِنْجِيلُ الَّذِي قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ (١)، وَقَالَ قَبْلَ هَذَا: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٢)، وَقَدْ قَالَ قَبْلَ هَذَا: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ / يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ

[٤٢/أ]

---

١) سورة المائدة، آية : ٤٧

٢) سورة المائدة، آية : ٤٦-٤٧

[٣٩٧/١] ﴿ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ (١)، وقال أيضاً: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ (٢)، وقال أيضاً: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) ﴾ (٣)، وهذا أمرٌ للنبي ﷺ بأن يقول لأهل الكتاب الذين بُعث إليهم - وهم من كان في وقته، ومن يأتي من بعدهم إلى يوم القيامة - لم يؤمر أن يقول ذلك لمن قد تاب منهم.

وكذلك قوله: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾ (٤) إخبارٌ عن اليهود الموجودين، وأنَّ عندهم التوراة فيها حكمُ الله، وكذلك قوله: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ (٥) هو أمرٌ من الله على لسان محمد لأهل الإنجيل، ومن لا يؤمر على لسان محمد ﷺ؟!.

---

١) سورة المائدة، آية: ٤٤-٤٤
٢) سورة المائدة، آية: ٦٦
٣) سورة المائدة، آية: ٦٨
٤) سورة المائدة، آية: ٤٣
٥) سورة المائدة، آية: ٤٧

خلاف العلماء في حقيقة تحريف الإنجيل

قِيلَ قَبْلَ هٰذَا إِنَّهُ قَدْ قِيلَ: لَيْسَ فِي الْعَالَمِ نُسْخَةٌ بِنَفْسِ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ؛ بَلْ ذٰلِكَ مُبَدَّلٌ؛ فَإِنَّ التَّوْرَاةَ انْقَطَعَ تَوَاتُرُهَا، وَالْإِنْجِيلَ إِنَّمَا أُخِذَ عَنْ أَرْبَعَةٍ، ثُمَّ مِنْ هٰؤُلَاءِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا فِي التَّوْرَاةِ أَوْ الْإِنْجِيلِ بَاطِلٌ، لَيْسَ مِنْ كَلَامِ اللّٰهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بَلْ ذٰلِكَ قَلِيلٌ.

وَقِيلَ: لَمْ يُحَرِّفْ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ حُرُوفِ الْكُتُبِ، وَإِنَّمَا حَرَّفُوا مَعَانِيَهَا بِالتَّأْوِيلِ.

وَهٰذَانِ الْقَوْلَانِ قَالَ كُلًّا مِنْهُمَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

ترجيح شيخ الإسلام في تحريف الإنجيل

وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الثَّالِثُ: وَهُوَ أَنَّ فِي الْأَرْضِ نُسَخًا صَحِيحَةً، وَبَقِيَتْ إِلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَنُسَخًا كَثِيرَةً مُحَرَّفَةً، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يُحَرَّفْ شَيْءٌ مِنَ النُّسَخِ، فَقَدْ قَالَ مَا لَا يُمْكِنُهُ نَفْيُهُ، وَمَنْ قَالَ جَمِيعُ النُّسَخِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حُرِّفَتْ، فَقَدْ قَالَ

مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ، وَالقُرْآنُ يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَيُخْبِرُ أَنَّ فِيهِمَا حُكْمَهُ، وَلَيْسَ فِي القُرْآنِ خَبَرٌ أَنَّهُمْ غَيَّرُوا جَمِيعَ النُّسَخِ"(1).

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَنَقُولُ: هُوَ سُبْحَانَهُ قَالَ: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾(2)، وَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ هُوَ مَا تَلَقَّوْهُ عَنِ المَسِيحِ، فَأَمَّا حِكَايَتُهُ لِحَالِهِ بَعْدَ أَنْ رُفِعَ فَهُوَ مِثْلُهَا فِي التَّوْرَاةِ ذِكْرُ وَفَاةِ مُوسَى ﷺ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الَّذِي فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ مِنَ الخَبَرِ عَنْ مُوسَى وَعِيسَى بَعْدَ تَوَفِّيهِمَا لَيْسَ هُوَ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ، وَمِمَّا تَلَقَّوْهُ عَنْ مُوسَى وَعِيسَى بَلْ هُوَ مِمَّا كَتَبُوهُ مَعَ ذَلِكَ لِلتَّعْرِيفِ بِحَالِ تَوَفِّيهِمَا،

---

1) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ١٧٥-١٧٨: «فأما تبديل ألفاظها فقال قائلون: بأنها جميعها بُدِّلت، وقال آخرون: لم تُبَدَّل ... وذهب آخرون من العُلماء إلى التوسط في هذين القولين منهم شيخنا الامامُ العَلاَّمةُ أبو العبَّاس ابن تيميةَ ﷺ فقال: (أمَّا مَن ذهب إلى أنها كُلُّها مُبَدَّلة مِن أولها إلى آخرها، ولم يبق منها حرف إلا بَدَّلوه فهذا بعيدٌ، وكذا مَن قال لم يُبَدَّل شيءٌ منها بالكلية بعيدٌ أيضاً، والحقُّ أنه دخلها تبديلٌ وتغييرٌ وتصرفوا في بعض ألفاظها بالزيادة والنقص، كما تصرفوا في معانيها، وهذا معلومٌ عند التأمل، ولبسطه موضع آخر، والله أعلم)».

2) سورة المائدة، آية : ٤٧

وَهَذَا خَبَرٌ مَحْضٌ مِنَ المَوْجُودِينَ بَعْدَهُمَا عَنْ حَالِهِمَا، لَيْسَ هُوَ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِمَا، وَلَا هُوَ مِمَّا [أَمَرَا](1) بِهِ فِي حَيَاتِهِمَا، وَلَا مِمَّا [أَخْبَرَا](2) بِهِ النَّاسَ./ [٨٨/ب]

وَكَذَلِكَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾(3)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾(4)، فَإِنَّ إِقَامَةَ الْكِتَابِ الْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ فِي الكِتَابِ مِنَ التَّصْدِيقِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ، وَمَا كَتَبَهُ الَّذِينَ نَسَخُوهُ مِنْ بَعْدِ وَفَاةِ الرَّسُولِ، وَمِقْدَارُ عُمُرِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ، لَيْسَ هُوَ مِمَّا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى الرَّسُولِ، وَلَا مِمَّا أَمَرَ بِهِ، وَلَا أَخْبَرَ بِهِ.

وَقَدْ يَقَعُ مِثْلُ هَذَا فِي الكُتُبِ المُصَنَّفَةِ، يُصَنِّفُ الشَّخْصُ كِتَابًا فَيَذْكُرُ نَاسِخُهُ فِي آخِرِهِ عُمُرَ المُصَنِّفِ، وَنَسَبَهُ، وَسِنَّهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ هُوَ مِنْ كَلَامِ المُصَنِّفِ.

---

١) في (س) و(ك) أمر، للمفرد، بينما في (م) أمرا، للمثنى، وهو الأظهر.

٢) في (س) و(ك) أخبر، للمفرد، بينما في (م) أخبرا، للمثنى، وهو الأقرب.

٣) سورة المائدة، آية: ٦٨

٤) سورة المائدة، آية: ٦٦

وَلِهَذَا أَمَرَ الصَّحَابَةُ وَالعُلَمَاءُ بِتَجْرِيدِ القُرْآنِ، وَأَنْ لَا يَكْتُبَ فِي المُصْحَفِ غَيْرَ القُرْآنِ، فَلَا يُكْتَبُ أَسْمَاءُ السُّوَرِ، وَلَا التَّخْمِيسُ، وَالتَّعْشِيرُ[1]، وَلَا آمِينَ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ، وَالمَصَاحِفُ القَدِيمَةُ كَتَبَهَا أَهْلُ العِلْمِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَفِي المَصَاحِفِ مَنْ قَدْ كَتَبَ نَاسِخُهَا: أَسْمَاءَ السُّوَرِ، وَالتَّخْمِيسَ، وَالتَّعْشِيرَ،

---

١) التخميس: هو كتابة كلمة (خمس) أو الرمز لها بحرف (خ) عند نهاية كل خمس آيات من القرآن، التعشير: هو كتابة كلمة (عشر) أو الرمز لها بحرف (ع) عند نهاية كل عشر آيات من القرآن، وفيها خلافٌ بين السَّلف فمنهم مَن كرهها وعلى رأسهم ابن مسعود رضي الله عنه، ولم أجد له مُخالفاً من الصَّحابة، ثم تابعه عطاء ومجاهد والنخعي وغيرهم، ومنهم مَن أباحها وعلى رأسهم قتادة ومالك في رواية عنه وعليه أكثر القُراء، وقد فصَّل فيها شيخ الإسلام ورجَّح أنَّ القولان كُلٌّ له وجهه، فقال كما في الفتاوى ١٢/٥٨٦: «والصَّحابة كتبوا المصاحف لَمَّا كتبوها بغير شكل ولا نقط، لأنهم كانوا عرباً لا يلحنون ثم لَمَّا حدث اللحن نقط النَّاس المصاحف وشكلوها، فإن كُتبت بلا شكل ولا نقط جاز، وإن كُتبت بنقط وشكل جاز، ولم يُكره في أظهر قولي العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد»، ومن أبدع المصنفات المعاصرة في ذلك كتاب (المُتحف في أحكام المُصحف) للدكتور صالح الرشيد جزاه الله خيراً، وهو حريٌ بأن يُقتنى ويُتدارس، وقد أظهر القولين في المسألة في أكثر من موطن، وقد أشار إلى قول شيخ الإسلام كما في (الفرقان بين الحقّ والبُطلان)، ولكنه لم يُشر إلى ترجيح شيخ الإسلام كما في هذا الموطن، والله أعلم

وَالوَقْفِ، وَالإِبْتِدَاءِ، وَكَتْبِ فِي آخِرِ المُصْحَفِ تَصْدِيقِهِ، وَدُعَاءٍ، وَكَتْبِ اسْمِهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ القُرْآنِ.

الرَّدُّ على النصارى في زعمهم صلب المسيح

فَهَكَذَا مَا فِي الإِنْجِيلِ مِنَ الخَبَرِ عَنْ صَلْبِ المَسِيحِ، وَتَوَفِّيهِ، وَمَجِيئِهِ بَعْدَ رَفْعِهِ إِلَى الحَوَارِيِّينَ، لَيْسَ هُوَ مِمَّا قَالَهُ المَسِيحُ، وَإِنَّمَا هُوَ مِمَّا رَآهُ مَنْ بَعْدَهُ، وَالَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ هُوَ مَا سُمِعَ مِنَ المَسِيحِ المُبَلِّغِ عَنِ اللهِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِذَا كَانَ الحَوَارِيُّونَ قَدِ اعْتَقَدُوا أَنَّ المَسِيحَ صُلِبَ، وَأَنَّهُ أَتَاهُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَهُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا عَنِ المَسِيحِ الإِنْجِيلَ وَالدِّينَ فَقَدْ دَخَلَتِ الشُّبْهَةُ.

قِيلَ: الحَوَارِيُّونَ وَكُلُّ مَنْ نَقَلَ عَنِ الأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ مَا نَقَلُوهُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ الحُجَّةَ فِي كَلَامِ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَمَوْقُوفٌ عَلَى الحُجَّةِ/ إِنْ كَانَ حَقًّا قُبِلَ وَإِلَّا رُدَّ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَا نَقَلَهُ الصَّحَابَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ يَجِبُ قَبُولُهُ؛ لَا سِيَّمَا المُتَوَاتِرُ كَالقُرْآنِ وَكَثِيرٌ مِنَ السُّنَنِ، وَأَمَّا مَا قَالُوهُ مِمَّا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ فَإِجْمَاعُهُمْ مَعْصُومٌ، وَمَا تَنَازَعُوا فِيهِ رُدَّ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ.

[ص/٢٠]

وَعُمَرُ قَدْ كَانَ أَوَّلًا أَنْكَرَ مَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى رَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ.

الخَبَرَ عَنْ قَتْلِهِ إِلَى اليَهُودِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [1]، فَإِنَّهُمْ بِهَذَا الكَلَامِ يَسْتَحِقُّونَ العُقُوبَةَ؛ إِذْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ جَوَازَ قَتْلِ المَسِيحِ، وَمَنْ جَوَّزَ قَتْلَهُ فَهُوَ كَمَنْ قَتَلَهُ، فَهُمْ فِي هَذَا القَوْلِ كَاذِبُونَ، وَهُمْ آثِمُونَ، وَإِذَا قَالُوهُ فَخْراً لَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ الفَخْرُ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقْتُلُوهُ،/ وَحَصَلَ الوِزْرُ [١٠/ ١١١] لِاسْتِحْلَالِهِمْ ذَلِكَ، وَسَعْيِهِمْ فِيهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: (إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ)[2].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ [3] قِيلَ: هُمُ اليَهُودُ، وَقِيلَ النَّصَارَى، وَالآيَةُ تَعُمُّ الطَّائِفَتَيْنِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ قِيلَ: مِنْ قَتْلِهِ، وَقِيلَ: مِنْهُ أَيْ فِي شَكٍّ مِنْهُ هَلْ صُلِبَ أَمْ لَا، كَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَتِ اليَهُودُ: هُوَ سَاحِرٌ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: إِنَّهُ

---

١) سورة النساء، آية: ١٥٧

٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} فسمّاهم المؤمنين، رقم (٣٠)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، رقم (٥١٣٩)، كلاهما عن أبي بكرة.

٣) سورة النساء، آية: ١٥٧

إلَهٌ، فاليهودُ والنَّصارَى اختلفُوا هَلْ صُلِبَ أمْ لا؟!، وَهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾، فَإذَا كَانَ هَذَا فِي الصَّلْبِ فَكَيْفَ فِي الَّذِي جَاءَ بَعْدَ الرَّفْعِ، وَقَالَ إنَّهُ هُوَ المَسِيحُ ؟.

حكم إيمان الحواريين بصلب المسيح

فَإنْ قِيلَ: [إذَا][1] كَانَ الحَوَارِيُّونَ الَّذِينَ أدْرَكُوهُ قَدْ حَصَلَ هَذَا فِي إيمَانِهِمْ، فَأيْنَ المُؤْمِنُونَ بِهِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾[3].

قِيلَ: ظَنُّ مَنْ ظَنَّ مِنْهُمْ أنَّهُ صُلِبَ لا يَقْدَحُ فِي إيمَانِهِ إذَا كَانَ لَمْ يُحَرِّفْ مَا جَاءَ بِهِ المَسِيحُ، بَلْ هُوَ مُقِرٌّ بِأنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ ألْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاعْتِقَادُهُ بَعْدَ هَذَا أنَّهُ صُلِبَ لا يَقْدَحُ فِي إيمَانِهِ، فَإنَّ هَذَا اعْتِقَادُ مَوْتِهِ عَلَى/ وَجْهٍ مُعَيَّنٍ، وَغَايَةُ الصَّلْبِ أنْ يَكُونَ قَتْلاً لَهُ، وَقَتْلُ النَّبِيِّ لا يَقْدَحُ فِي نُبُوَّتِهِ، وَقَدْ قَتَلَ بَنُو إسْرَائِيلَ كَثِيراً مِنَ الأنْبِيَاءِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ

[١٦١/ك]

---

١) سقطَ في (س)، وفي (ك) الكلام مُتصلٌ، وهو مستدركٌ في (م).

٢) سورة آل عمران، آية : ٥٥

٣) سورة الصف، آية : ١٤

رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾[1] الآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[2].

وَكَذَلِكَ اعْتِقَادُ مَنِ اعْتَقَدَ مِنْهُمْ أَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ الرَّفْعِ وَكَلَّمَهُمْ هُوَ مِثْلُ اعْتِقَادِ كَثِيرٍ مِنْ مَشَايِخِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُمْ فِي الْيَقَظَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ؛ بَلْ هَذَا كَانَ يَعْتَقِدُهُ مَنْ هُوَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ اتِّبَاعاً لِلسُّنَّةِ، وَاتِّبَاعاً لَهُ، وَكَانَ فِي الزُّهْدِ وَالعِبَادَةِ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ، وَكَانَ يَأْتِيهِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، فَهَذَا غَلَطٌ مِنْهُ لَا يُوجِبُ كُفْرَهُ.

فَكَذَلِكَ ظَنُّ مَنْ ظَنَّ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَسِيحُ لَا يُوجِبُ خُرُوجَهُمْ عَنِ الإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ، وَلَا يَقْدَحُ فِيمَا نَقَلُوهُ عَنْهُ.

[ص/٣٦] وَعُمَرُ لَمَّا/ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَمُتْ، وَلَكِنْ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى، وَأَنَّهُ لَا يَمُوتُ حَتَّى يَمُوتَ أَصْحَابُهُ، لَمْ يَكُنْ هَذَا قَادِحاً فِي إِيمَانِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ غَلَطاً، وَرَجَعَ عَنْهُ.

---

١) سورة آل عمران، آية: ١٤٦

٢) سورة آل عمران، آية: ١٤٤

## فصل

الجمع بين الذم لمن عمل بالظن والجواز للعمل به في مواضع من الشريعة

وقوله تعالى في عيسى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ (١) هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم، وكذلك قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ (٢)، وكذلك قوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ (٤)، وقوله: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (٥)، فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون إلا الظن.

---

١) سورة النساء، آية: ١٥٧

٢) سورة النجم، آية: ٢٣

٣) سورة النجم، آية: ٢٨

٤) سورة يونس، آية: ٦٦

٥) سورة يونس، آية: ٣٥

وَالقِيَاسِ مُنَازِعٌ كَبَعْضِ الرَّافِضَةِ مِثْلِ المُوسَوِيِّ[١] وَنَحْوِهِ لَمْ يُنَازِعْ فِي الأَخْبَارِ؛ فَإِنَّ الإِمَامِيَّةَ عُمْدَتُهُمْ عَلَى مَا نُقِلَ عَنِ الاثْنَيْ عَشَرَ، فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الرِّوَايَةِ، وَلَا

---

(٢) المعتزلة البغداديون: وهم متفلسفة المعتزلة الذين سكنوا بغداد، ومن أشهر علمائهم بشر ابن المعتمر، وأحمد بن أبي دؤاد، وثمامة بن الأشرس، وأبو الحسن الخيّاط، وأبو القاسم البلخي.

(وكلهم متفقون على الأصول الخمسة المشهورة، ولكن البصريون قد تفننوا في التنظير العلمي بينما البغداديون نقلوه إلى التطبيق العملي، وكذلك فإنّ البصريين لم تدخلهم الفلسفة اليونانية بل غالب مسائلهم عقلية، بينما البغداديون تأثروا كثيراً بالفلسفة اليونانية زمن الخليفة المأمون العباسي وامتزج بها مذهبهم، كذلك فإنّ البصريين غلب عليهم الزُّهد والبُعد عن مخالطة الملوك، بينما البغداديون أصابهم شهوة الرئاسة والاختلاط بالملوك، ولذا كان خطر البغداديون على المسلمين أكثر من البصريين خاصة بعد إحداثهم مسألة خلق القُرآن وفتنة الناس بها، فنال المُسلمون منهم البلاء العظيم من القتل والتعذيب حتى أطفأ الله فتنتهم بالإمام أحمد والخليفة المتوكل العباسي).

١) سمّاه شيخ الإسلام في منهاج السُّنة ٢/ ١٤٥ بـ (أبي القاسم الموسوي المعروف بالمُرتضى)، وهو علي بن الحسين بن موسى القرشي، أبو القاسم الموسوي البغدادي، اشتهر بلقب المُرتضى ونقيب الطالبين، إمامٌ كبيرٌ جمع بين التشيع والاعتزال، له مُصنفات منها (الغُرر والدُّرر)، و(الشافي في الإمامة)، (الذخيرة في الأصول)، قال عنه الذهبي: «هو جامع كتاب نهج البلاغة، المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطلٌ، وفيه حقٌ، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها»، مات سنة ٤٣٦هـ.

يُوجَدُ مَنْ يَسْتَغْنِي عَنْ الظَّوَاهِرِ وَالأَخْبَارِ وَالأَقْيِسَةِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَعْمَلَ بِبَعْضِ ذَلِكَ مَعَ تَجْوِيزِ نَقِيضِهِ، وَهَذَا عَمَلٌ بِالظَّنِّ، وَالقُرْآنُ قَدْ حَرَّمَ اتِّبَاعَ الظَّنِّ.

تنوع طرق العلماء في العمل بالظن

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ طُرُقُ النَّاسِ فِي جَوَازِ هَذَا:

فَطَائِفَةٌ قَالَتْ: لَا يُتَّبَعُ قَطُّ إِلَّا العِلْمُ وَلَا يُعْمَلُ بِالظَّنِّ أَصْلًا، وَقَالُوا إِنَّ خَبَرَ الوَاحِدِ يُفِيدُ العِلْمَ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي الظَّوَاهِرِ، بَلْ يَقُولُونَ نَقْطَعُ بِخَطَأِ مَنْ خَالَفَنَا، وَنَنْقُضُ حُكْمَهُ كَمَا يَقُولُهُ داود وَأَصْحَابُهُ، وَهَؤُلَاءِ عُمْدَتُهُمْ إِنَّمَا هُوَ مَا يَظُنُّونَهُ ظَاهِرًا، وَأَمَّا الاسْتِصْحَابُ فَالاسْتِصْحَابُ فِي كَثِيرٍ مِنَ المَوَاضِعِ مِنْ أَضْعَفِ الأَدِلَّةِ، وَهُمْ فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَحْتَجُّونَ بِهِ قَدْ لَا يَكُونُ مَا احْتَجُّوا بِهِ ظَاهِرَ اللَّفْظِ؛ بَلِ الظَّاهِرُ خِلَافُهُ.

فَطَائِفَةٌ قَالَتْ: لَمَّا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى وُجُوبِ العَمَلِ بِالظَّنِّ الرَّاجِحِ كُنَّا مُتَّبِعِينَ لِلْعِلْمِ، فَنَحْنُ نَعْمَلُ بِالعِلْمِ عِنْدَ وُجُودِ العِلْمِ لَا نَعْمَلُ بِالظَّنِّ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ القَاضِي أَبِي بَكْرٍ[1] وَأَتْبَاعِهِ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٨٨، البداية والنهاية ١٢/ ٥٣، شذرات الذهب ٣/ ٢٥٦

(١) هو الإمام الباقلاني، وسبقت ترجمته صفحة (٢٩١).

[ك/٦٢] وَهُنَا السُّؤَالُ المَشْهُورُ فِي حَدِّ الفِقْهِ: أَنَّهُ [العِلْمُ][1]/ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ العَمَلِيَّةِ[2].

حقيقة حد الفقه عند الأصوليين والفقهاء

وَقَالَ الرَّازِيُّ: «العِلْمُ بِالأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ العَمَلِيَّةِ المُسْتَدَلِّ عَلَى أَعْيَانِهَا بِحَيْثُ لَا يُعْلَمُ كَوْنُهَا مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: الفِقْهُ مِنْ بَابِ الظُّنُونِ فَكَيْفَ جَعَلْتَهُ عِلْمًا؟

قُلْتُ: المُجْتَهِدُ إِذَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ مُشَارَكَةُ صُورَةٍ لِصُورَةٍ فِي مَنَاطِ الحُكْمِ قَطَعَ بِوُجُوبِ العَمَلِ بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ ظَنُّهُ، [فَالحُكْمُ مَعْلُومٌ][3] قَطْعًا، وَالظَّنُّ وَاقِعٌ فِي طَرِيقِهِ»[4].

وَحَقِيقَةُ هَذَا الجَوَابِ أَنَّ هُنَا مُقَدِّمَتَيْنِ:

---

١) في (س) و(ك) (العَمَلِ)، وهو تصحيفٌ، وصوابه (العِلْم) كما جاء في (م).

٢) ناقش شيخ الإسلام هذه المسألة في الاستقامة ٦٢- ٧٦، وجامع الرسائل ٢/ ١٠١، فلتراجع هناك.

٣) في (س) و(ك) و(م) (فالعِلْم حاصِلٌ)، والتصحيح من المحصول للرازي.

٤) المحصول في علم الأصول ١/ ٩٢ (ت: طه العلواني).

إحداهما: أنَّهُ قَدْ حصَلَ عِنْدِي ظَنٌّ.

والثَّانِيَةُ: قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ القَطْعِيُّ عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ/ هَذَا الظَّنِّ. [س/٣٢]

فالمُقَدِّمَةُ الأولى وِجْدَانِيَّةٌ، والثَّانِيَةُ عَمَلِيَّةٌ اسْتِدْلَالِيَّةٌ؛ فَلَيْسَ الظَّنُّ هُنَا مُقَدِّمَةً فِي الدَّلِيلِ كَمَا تَوَهَّمَهُ بَعْضُهُمْ.

لكِنْ يُقَالُ: العَمَلُ بِهَذَا الظَّنِّ هُوَ حُكْمُ أُصُولِ الفِقْهِ، لَيْسَ هُوَ الفِقْهَ، بَلِ الفِقْهُ هُوَ ذَاكَ الظَّنُّ الحَاصِلُ بِالظَّاهِرِ؛ وَخَبَرُ الوَاحِدِ وَالقِيَاسُ وَالأُصُولُ تُفِيدُ أَنَّ العَمَلَ بِهَذَا الظَّنِّ وَاجِبٌ، وَإِلَّا فَالفُقَهَاءُ لَا يَتَعَرَّضُونَ لِهَذَا، فَهَذَا الحُكْمُ العَمَلِيُّ الأُصُولِيُّ لَيْسَ هُوَ الفِقْهَ، وَهَذَا الجَوَابُ جَوَابُ القَاضِي أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ بَنَاهُ عَلَى أَصْلِهِ، فَإِنَّ عِنْدَهُ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ، وَلَيْسَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ، وَلَا عَلَى الظَّنِّ دَلِيلٌ يُوجِبُ تَرْجِيحَ ظَنٍّ عَلَى ظَنٍّ؛ بَلِ الظُّنُونُ عِنْدَهُ بِحَسَبِ الاتِّفَاقِ.

وَقَالَ الغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ نَصَرَ قَوْلَهُ: قَدْ يَكُونُ بِحَسَبِ مَيْلِ النَّفْسِ إِلَى أَحَدِ القَوْلَيْنِ دُونَ الآخَرِ، كَمَيْلِ ذِي الشِّدَّةِ إِلَى قَوْلٍ، وَذِي اللِّينِ إِلَى قَوْلٍ[1].

---

(١) يُنظر: المستصفى ٢/ ٤١١ (ت: الأشقر)، روضة الناظر ١٩١.

وَحِينَئِذٍ فَعِنْدَهُمْ مَتَى وَجَدَ الْمُجْتَهِدُ ظَنّاً فِي نَفْسِهِ فَحُكْمُ اللهِ فِي حَقِّهِ اتِّبَاعُ هَذَا الظَّنِّ.

إنكار بعض الأصوليين للرأي في اتباع الظن

وَقَدْ أَنْكَرَ أَبُو الْمَعَالِي وَغَيْرُهُ عَلَيْهِ هَذَا الْقَوْلَ إِنْكَاراً بَلِيغاً، وَهُمْ مَعْذُورُونَ فِي إِنْكَارِهِ، فَإِنَّ هَذَا أَوَّلاً مُكَابَرَةٌ، فَإِنَّ الظُّنُونَ عَلَيْهَا أَمَارَاتٌ وَدَلَائِلُ يُوجِبُ وُجُودُهَا تَرْجِيحَ ظَنٍّ عَلَى ظَنٍّ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ، وَالشَّرِيعَةُ جَاءَتْ بِهِ، وَرَجَّحَتْ شَيْئاً عَلَى شَيْءٍ.

وَالكَلَامُ فِي شَيْئَيْنِ: فِي اتِّبَاعِ الظَّنِّ، وَفِي الفِقْهِ هَلْ هُوَ مِنَ الظُّنُونِ؟

المسألة الأولى في اتباع الظن

أَمَّا الأَوَّلُ: فَالجَوَابُ الصَّحِيحُ هُوَ الجَوَابُ الثَّالِثُ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِ فَإِنَّمَا أَمَرَ بِالعِلْمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي المَسَائِلِ الخَفِيَّةِ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الأَدِلَّةِ، وَيَعْمَلَ بِالرَّاجِحِ، وَكَوْنُ هَذَا هُوَ الرَّاجِحُ أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَهُ أَمْرٍ مَقْطُوعٍ بِهِ، وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّ تَرْجِيحَ هَذَا عَلَى هَذَا فِيهِ شَكٌّ عِنْدَهُ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ، وَإِذَا ظَنَّ الرُّجْحَانَ، فَإِنَّمَا ظَنَّهُ لِقِيَامِ دَلِيلٍ عِنْدَهُ عَلَى أَنَّ هَذَا رَاجِحٌ.

[٣/١٦٢] وَفَرْقٌ بَيْنَ اعْتِقَادِ/ الرُّجْحَانِ وَرُجْحَانِ الِاعْتِقَادِ، أَمَّا اعْتِقَادُ الرُّجْحَانِ فَقَدْ يَكُونُ عِلْماً، وَقَدْ لَا يَعْمَلُ حَتَّى يَعْلَمَ الرُّجْحَانَ، وَإِذَا ظَنَّ الرُّجْحَانَ أَيْضاً فَلَا بُدَّ أَنْ يَظُنَّهُ بِدَلِيلٍ يَكُونُ عِنْدَهُ أَرْجَحَ مِنْ دَلِيلِ الجَانِبِ الآخَرِ، وَرُجْحَانُ هَذَا

غَيْرُ مَعْلُومٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الأَمْرُ إِلَى رُجْحَانٍ مَعْلُومٍ عِنْدَهُ، فَيَكُونُ مُتَّبِعاً لِمَا عَلِمَ أَنَّهُ أَرْجَحُ، وَهَذَا اتِّبَاعٌ لِلْعِلْمِ لَا لِلظَّنِّ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الأَحْسَنِ كَمَا قَالَ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾[1]، وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3]، فَإِذَا كَانَ أَحَدُ الدَّلِيلَيْنِ هُوَ الأَرْجَحَ فَاتِّبَاعُهُ هُوَ الأَحْسَنُ، وَهَذَا مَعْلُومٌ.

فَالوَاجِبُ عَلَى المُجْتَهِدِ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ أَرْجَحُ مِنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ العَمَلُ بِأَرْجَحِ الدَّلِيلَيْنِ المُتَعَارِضَيْنِ، وَحِينَئِذٍ فَمَا عَمِلَ إِلَّا بِالعِلْمِ[4]، وَهَذَا جَوَابُ [أَهْلِ

---

١) سورة الأعراف، آية : ١٤٥

٢) سورة الزمر، آية : ١٨

٣) سورة الزمر، آية : ٥٥

٤) ذهب جمهور الأصوليين على وجوب الترجيح بين الأدلة المتعارضة، والعمل بالراجح منها، وهو عِلمٌ في حق صاحبه لاجتهاده في تحصيله، كما قال علاء الدين البخاري الحنفي في كشف الأسرار ٤/ ٧٦: «ذهب الجمهور إلى صحة الترجيح، ووجوب العمل بالراجح؛ متمسكين في ذلك بإجماع الصحابة والسَّلف على تقديم بعض الأدلة الظنية على البعض»، وقال الشوكاني في إرشاد الفحول ٢/ ٢٦٣ «الترجيح بين المتعارضين .. متفقٌ عليه، ولم يخالف في ذلك إلاَّ من لا يُعتد به، ومن نظر في أحوال الصحابة والتابعين وتابعيهم ومَن

الحُسَيْنِ البَصْرِيُّ وأَبِي حَامِدٍ الغَزَالِي والرَّازِي](١) وَغَيْرِهِمْ.

---

بعدهم وجدهم متفقين على العمل بالراجح وترك المرجوح»، وقد خالف بعضهم، وخلافهم إمَّا مشكوكٌ في ثبوته، أو لا يُعتد به لانفراده، ومن أشهر المُخالفين (أبو عبدالله الحُسين البصري المُعتزلي)، والنقل عنه مُختلفٌ فيه كما قال الإمام الجويني في البرهان ٢/ ١١٤٣: «وحكى القاضي - أي الباقلاني - عن البصري المُلقَّب بِجُعَلٍ أنَّه أنكر القول بالترجيح، ولم أرَ في شيءٍ من مُصنَّفاته مع بحثي عنها»، ونقله عنه كذلك السبكي في الإبهاج ٥/ ٣٢٢، والزركشي في البحر المحيط ٤/ ٤٢٥، وقد جاء في المنخول للغزالي ٥٣٣ (ت: محمَّد هيتو) ذكر كلام القاضي فتصحَّف عنده (أبو عبدالله الحُسين البصري) إلى (أبي الحُسين البصري) ولم يتنبه له مُحققه، وقال شيخ الإسلام في المسودة ٢٧٧: «يجوز ترجيح أحد الدليلين الظنيين على الآخر عند عامة العلماء، واختلف النقل فيه عن البصري»، والله أعلم.

١) في (س) و(ك) و(م) (الحسن البصري وأبي وغيرهم)، وقد أشكل عليَّ كثيراً، وقد اجتهدتُ قدر ما أستطيع - مع معرفتي بعجزي وتقصيري - في تصحيح هذه الفقرة مع وجود شيءٍ في النفس، وما زلتُ غير واثق، لأني أظنُّه تصحيفاً، فإنَّ الحسن البصري (السَّلفي) لا أعلم له كلاماً في الترجيح بين الأدلة، والحُسين البصري (المُعتزلي) رأيه مُخالفٌ في ذلك كما سبق، وإنما أقرب عَلَمٍ يرى بذلك هو أبو الحُسين البصري (المُعتزلي).

وأيضاً فإنَّ شيخ الإسلام ليس من عادته نقل المسائل العلمية التي يرجحها والده ليقول هُنا (وأبي)، وإنما أقرب عَلَمين هما أبو حامد الغزالي، وأبو عبدالله الرَّازي، وقد كان شيخ الإسلام يجمع بينهم خاصة في المسائل الأصولية، وأيضاً لأنَّ الضمير في كلمة (غيرهم)

وَالقُرْآنُ ذَمَّ مَنْ لَا يَتَّبِعُ إِلَّا الظَّنَّ، فَلَمْ يَسْتَنِدْ ظَنُّهُ إِلَى عِلْمٍ بِأَنَّ هَذَا أَرْجَحُ مِنْ غَيْرِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[2]، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ المَوَاضِعِ يَذُمُّ الَّذِينَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، فَعِنْدَهُمْ ظَنٌّ مُجَرَّدٌ لَا عِلْمَ مَعَهُ، وَهُمْ يَتَّبِعُونَهُ، وَالَّذِي جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ وَعَلَيْهِ عُقَلَاءُ النَّاسِ أَنَّهُمْ لَا يَعْمَلُونَ إِلَّا بِعِلْمٍ بِأَنَّ هَذَا أَرْجَحُ مِنْ هَذَا، فَيَعْتَقِدُونَ الرُّجْحَانَ اعْتِقَادًا عَمَلِيًّا؛ لَكِنْ لَا يَلْزَمُ إِذَا كَانَ أَرْجَحَ أَنْ لَا يَكُونَ المَرْجُوحُ هُوَ الثَّابِتَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ.

وَهَذَا كَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: (وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ وَإِنَّمَا أَقْضِي بِنَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ)[3]، فَإِذَا أَتَى أَحَدُ الخَصْمَيْنِ

---

للجمع، فكان الأقرب ذكر الثلاثة فما فوق، وهم أظهر القائلين بوجوب العمل بالراجح على المجتهد، والله أعلم.

وأمّا كلام أبي الحسين البصري ففي المُعتمد في أصول الفقه ٢/ ٩٥٢ (ت: محمّد حميد الله)، وكلام الغزالي ففي المستصفى ٢/ ٤١١ (ت: الأشقر)، وكلام الرازي في المحصول ٦/ ١٧ (ت: العلواني)، والله أعلم.

١) سورة النجم، آية: ٢٨

٢) سورة الأنعام، آية: ١٤٨

٣) سبق تخريجه.

بِحُجَّتِهِ، مِثْلَ بَيِّنَةٍ تَشْهَدُ لَهُ، وَلَمْ يَأْتِ الآخَرُ بِشَاهِدٍ مَعَهَا، كَانَ الحَاكِمُ عَالِمًا بِأَنَّ حُجَّةَ هَذَا أَرْجَحُ فَمَا حَكَمَ إِلَّا بِعِلْمٍ؛ لَكِنَّ الآخَرَ قَدْ يَكُونُ لَهُ حُجَّةٌ لَا يَعْلَمُهَا، أَوْ لَا يُحْسِنُ أَنْ يُبَيِّنَهَا، مِثْلَ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَضَاهُ، أَوْ أَبْرَأَهُ، وَلَهُ بَيِّنَةٌ تَشْهَدُ بِذَلِكَ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُهَا، أَوْ لَا يَذْكُرُهَا، أَوْ لَا يَجْسُرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِذَلِكَ، فَيَكُونَ هُوَ الْمُضَيِّعَ لِحَقِّهِ حَيْثُ لَمْ يُبَيِّنْ حُجَّتَهُ، وَالحَاكِمُ لَمْ يَحْكُمْ إِلَّا بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ، وَضَيَاعُ حَقِّ هَذَا كَانَ مِنْ عَجْزِهِ وَتَفْرِيطِهِ لَا مِنَ الحَاكِمِ.

(١٦/٣) وَهَكَذَا أَدِلَّةُ الأَحْكَامِ فَإِذَا تَعَارَضَ خَبَرَانِ/ أَحَدُهُمَا مُسْنَدٌ ثَابِتٌ، وَالآخَرُ مُرْسَلٌ، كَانَ الْمُسْنَدُ الثَّابِتُ أَقْوَى مِنَ الْمُرْسَلِ، وَهَذَا مَعْلُومٌ؛ لِأَنَّ الْمُحَدِّثَ بِهَذَا قَدْ عَلِمَ عَدْلَهُ وَضَبْطَهُ، وَالآخَرَ لَمْ يَعْلَمْ عَدْلَهُ وَلَا ضَبْطَهُ، كَشَاهِدَيْنِ زَكَّى أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُزَكِّ الآخَرَ، فَهَذَا الْمُزَكَّى أَرْجَحُ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ قَوْلُ الآخَرِ هُوَ الحَقَّ؛ لَكِنَّ الْمُجْتَهِدَ إِنَّمَا عَمِلَ بِعِلْمٍ، وَهُوَ عِلْمُهُ بِرُجْحَانِ هَذَا عَلَى هَذَا؛ لَيْسَ مِمَّنْ لَمْ يَتَّبِعْ إِلَّا الظَّنَّ وَلَمْ يَكُنْ تَبَيَّنَ لَهُ إِلَّا بَعْدَ الاجْتِهَادِ/ التَّامِّ (ص/١٢٢) فِيمَنْ أَرْسَلَ ذَلِكَ الحَدِيثَ، وَفِي تَزْكِيَةِ هَذَا الشَّاهِدِ فَإِنَّ الْمُرْسَلَ قَدْ يَكُونُ رَاوِيهِ عَدْلًا حَافِظًا كَمَا قَدْ يَكُونُ هَذَا الشَّاهِدُ عَدْلًا.

وَنَحْنُ لَيْسَ مَعَنَا عِلْمٌ بِانْتِفَاءِ عَدَالَةِ الرَّاوِي، لَكِنْ مَعَنَا عَدَمُ العِلْمِ بِعَدَالَتِهِمَا، وَقَدْ لَا نَعْلَمُ عَدَالَتَهُمَا مَعَ تَقْوِيَتِهَا، وَرُجْحَانِهَا فِي نَفْسِ الأَمْرِ، فَمِنْ هُنَا

يقعُ الخطأُ في الاجتهادِ؛ لكنْ هذا لا سبيلَ إلى أنْ يُكلِّفَهُ العالِمُ أنْ يدعَ ما يعلَمُهُ إلى أمرٍ لا يعلَمُهُ، لإمكانِ ثُبوتِهِ في نفسِ الأمرِ، فإذا كانَ لا بُدَّ مِنْ ترجيحِ أحدِ القولَيْنِ، وجبَ ترجيحُ هذا الَّذي عَلِمَ ثُبوتَهُ على ما لا يعلَمُ ثُبوتَهُ، وإنْ لمْ يعلَمْ انتِفاءَهُ مِنْ جِهَتِهِ، فإنَّهما إذا تعارَضا، وكانا مُتناقِضَيْنِ، فإثباتُ أحدِهِما هوَ نفيُ الآخرِ، فهذا الدَّليلُ المعلومُ قدْ عَلِمَ أنَّهُ يُثبِتُ هذا، وينفي ذلكَ، وذلكَ المجهولُ بالعكسِ، فإذا كانَ لا بُدَّ مِنَ التَّرجيحِ وجبَ قطعاً ترجيحُ المعلومِ ثُبوتُهُ على ما لمْ يعلَمْ ثُبوتَهُ.

ولكنْ قدْ يُقالُ: إنَّهُ لا يقطعُ بثُبوتِهِ.

وقدْ قُلْنا: فرقٌ بيْنَ اعتِقادِ الرُّجحانِ ورُجحانِ الاعتِقادِ، أمَّا اعتِقادُ الرُّجحانِ فهوَ عِلمٌ، والمُجتهِدُ ما عمِلَ إلَّا بذلكَ العِلمِ، وهوَ اعتِقادُ رُجحانِ هذا على هذا، وأمَّا رُجحانُ هذا الاعتِقادِ على هذا الاعتِقادِ فهوَ الظَّنُّ؛ لكنْ لمْ يكُنْ مِمَّنْ قالَ اللهُ فيهِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [1]، بلْ هُنا ظَنُّ رُجحانِ هذا، وظَنُّ رُجحانِ ذاكَ، وهذا الظَّنُّ هوَ الرَّاجحُ، ورُجحانُهُ معلومٌ، فحكَمَ بما عَلِمَهُ مِنَ الظَّنِّ الرَّاجحِ، ودليلِهِ الرَّاجحِ، وهذا معلومٌ لهُ لا مظنونٌ عِندَهُ، وهذا يُوجدُ في جميعِ العُلومِ والصِّناعاتِ كالطِّبِّ والتِّجارةِ وغيرِ ذلكَ.

المسألة التاسعة في الوهم أن الفقه من باب الظنون

---

١) سورة النجم، آية: ٢٣

وَأَمَّا الجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِمْ: «الفِقْهُ مِنْ بَابِ الظُّنُونِ»[1].

فَقَدْ أَجَابَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَبُو الخَطَّابِ[2] بِجَوَابٍ آخَرَ[3]، وَهُوَ أَنَّ العِلْمَ المُرَادُ بِهِ العِلْمُ الظَّاهِرُ، وَإِنْ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ الأَمْرُ بِخِلَافِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾[4].

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ عَنْهُ جَوَابَيْنِ:

---

١) قال شيخ الإسلام في الاستقامة ٦٧: «والمقصود هنا ذكر أصلين هما: بيان فساد قولهم (الفقه من باب الظنون)، وبيان أنه أحق باسم العلم من الكلام الذي يدعون أنه علم، وأن طرق الفقه أحق بأن تُسمى أدلة من طريق الكلام.
والأصل الثاني: في بيان أنَّ غالب ما يتكلمون فيه من الأصول ليس بعلم ولا ظن صحيح، بل ظن فاسد، وجهل مركب».

٢) هو محفوظ بن أحمد بن حسن بن أحمد الكلوذاني، أبو الخطَّاب البغدادي الحنبلي، فقيهٌ أصوليٌّ، له مُصنفات مشهورة منها (الانتصار في المسائل الكبار)، و(التمهيد في الأصول)، و(التهذيب في الفرائض)، مات سنة ٥١٠هـ.
يُنظر: ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٧٠، الوافي بالوفيات ٢/ ١٣٦

٣) في كتابه التمهيد في أصول الفقه ١/ ٤٠ (ت: مُفيد أبو عمشة).

٤) سورة الممتحنة، آية: ١٠

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُقَالَ جُمْهُورُ مَسَائِلِ الفِقْهِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاسُ، وَيُفْتُونَ بِهَا، هِيَ ثَابِتَةٌ بِالنَّصِّ، أَوْ الإِجْمَاعِ، وَإِنَّمَا يَقَعُ الظَّنُّ وَالنِّزَاعُ فِي قَلِيلٍ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَهَذَا/ مَوْجُودٌ فِي سَائِرِ العُلُومِ، وَكَثِيرٌ مَسَائِلِ الخِلَافِ هِيَ فِي أُمُورٍ قَلِيلَةِ الوُقُوعِ، وَمُقَدَّرَةٍ، وَأَمَّا مَا لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ مِنَ العِلْمِ مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِمْ وَيَحْرُمُ وَيُبَاحُ فَهُوَ مَعْلُومٌ مَقْطُوعٌ بِهِ، وَمَا يُعْلَمُ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً جُزْءٌ مِنَ الفِقْهِ، وَإِخْرَاجُهُ مِنَ الفِقْهِ قَوْلٌ لَمْ يُعْلَمْ أَحَدٌ مِنَ المُتَقَدِّمِينَ قَالَهُ، وَلَا احْتَرَزَ بِهَذَا القَيْدِ أَحَدٌ إِلَّا الرَّازِيَّ، وَنَحْوُهُ، وَجَمِيعُ الفُقَهَاءِ يَذْكُرُونَ فِي كُتُبِ الفِقْهِ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَاسْتِقْبَالِ القِبْلَةِ، وَوُجُوبَ الوُضُوءِ، وَالغُسْلِ مِنَ الجَنَابَةِ، وَتَحْرِيمِ الخَمْرِ، وَالفَوَاحِشِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا يُعْلَمُ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً. [١٦٧/ب]

وَأَيْضاً فَكَوْنُ الشَّيْءِ مَعْلُوماً مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً أَمْرٌ إِضَافِيٌّ، فَحَدِيثُ العَهْدِ بِالإِسْلَامِ، وَمَنْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ، قَدْ لَا يَعْلَمُ هَذَا بِالكُلِّيَّةِ فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِ يَعْلَمُهُ بِالضَّرُورَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ لِلسَّهْوِ، وَقَضَى بِالدِّيَةِ عَلَى العَاقِلَةِ، وَقَضَى أَنَّ الوَلَدَ لِلفِرَاشِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، مِمَّا يَعْلَمُهُ الخَاصَّةُ بِالضَّرُورَةِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُهُ أَلْبَتَّةَ.

الجَوَابُ الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ الفِقْهُ لَا يَكُونُ فِقْهاً إِلَّا مِنَ المُجْتَهِدِ المُسْتَدِلِّ، وَهُوَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ هَذَا الدَّلِيلَ أَرْجَحُ، وَهَذَا الظَّنَّ أَرْجَحُ، فَالفِقْهُ هُوَ عِلْمُهُ

بِرُجْحَانِ هَذَا الدَّلِيلِ وَهَذَا الظَّنِّ؛ لَيْسَ الفِقْهُ قَطْعَهُ بِوُجُوبِ العَمَلِ أيْ بِمَا أدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ، بَلْ هَذَا القَطْعُ مِنْ أُصُولِ الفِقْهِ، وَالأُصُولِيُّ يَتَكَلَّمُ فِي جِنْسِ الأَدِلَّةِ، وَيَتَكَلَّمُ كَلامًا كُلِيًّا.

فَيَقُولُ: يَجِبُ إذَا تَعَارَضَ دَلِيلانِ أنْ يُحْكَمَ بِأَرْجَحِهِمَا.

وَيَقُولُ أيْضًا: إذَا تَعَارَضَ العَامُّ وَالخَاصُّ فَالخَاصُّ أرْجَحُ، وَإِذَا تَعَارَضَ المُسْنَدُ وَالمُرْسَلُ فَالمُسْنَدُ أرْجَحُ.

وَيَقُولُ أيْضًا: العَامُّ المُجَرَّدُ عَنْ قَرَائِنِ التَّخْصِيصِ شُمُولُهُ الأَفْرَادَ أرْجَحُ مِنْ عَدَمِ شُمُولِهِ، وَيَجِبُ العَمَلُ بِذَلِكَ.

فَأَمَّا الفَقِيهُ فَيَتَكَلَّمُ فِي دَلِيلٍ مُعَيَّنٍ فِي حُكْمٍ مُعَيَّنٍ، مِثْلَ أنْ يَقُولَ قَوْلَهُ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (١) خَاصٌّ فِي أهْلِ الكِتَابِ، وَمُتَأَخِّرٌ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾ (٢)، وَتِلْكَ الآيَةُ لا تَتَنَاوَلُ أهْلَ الكِتَابِ، وَإِنْ تَنَاوَلَتْهُمْ فَهَذَا خَاصٌّ مُتَأَخِّرٌ؛ فَيَكُونُ نَاسِخًا وَمُخَصِّصًا، فَهُوَ يَعْلَمُ أنَّ دَلالَةَ هَذَا النَّصِّ عَلَى الحِلِّ أرْجَحُ مِنْ دَلالَةِ ذَلِكَ النَّصِّ عَلَى التَّحْرِيمِ، وَهَذَا الرُّجْحَانُ

---

١) سورة المائدة، آية: ٥

٢) سورة البقرة، آية: ٢٢١

مَعْلُومٌ عِنْدَهُ/ قطعًا، وَهَذَا الفِقْهُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ الفَقِيهُ هُوَ عِلْمٌ قَطْعِيٌّ لَا ظَنِّيٌّ، [ص/٢٧]
وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ/ كَانَ مُقَلِّدًا لِلأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ[1]، وَالجُمْهُورِ الَّذِينَ جَوَّزُوا نِكَاحَ [هـ/١٦]
الكِتَابِيَّاتِ، وَاعْتِقَادُ المُقَلِّدِ لَيْسَ بِفِقْهٍ.

وَلِهَذَا قَالَ المُسْتَدِلُّ عَلَى أَعْيَانِهَا: وَالفَقِيهُ قَدْ اسْتَدَلَّ عَلَى عَيْنِ الحُكْمِ المَطْلُوبِ وَالمَسْئُولِ عَنْهُ، وَحَيْثُ لَا يَعْلَمُ الرُّجْحَانَ فَهُوَ مُتَوَقِّفٌ لَا قَوْلَ لَهُ.

وَإِذَا قِيلَ لَهُ: فَقَدْ قَالَ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[2].

قَالَ: هَذَا نَزَلَ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، وَالمُرَادُ بِهِ المُشْرِكَاتُ، فَإِنَّ سَبَبَ النُّزُولِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُنَّ مُرَادَاتٌ قَطْعًا، وَسُورَةُ المَائِدَةِ بَعْدَ ذَلِكَ فَهِيَ خَاصٌّ مُتَأَخِّرٌ، وَذَاكَ عَامٌّ مُتَقَدِّمٌ، وَالخَاصُّ المُتَأَخِّرُ أَرْجَحُ مِنَ العَامِّ المُتَقَدِّمِ، وَلِهَذَا لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ فَارَقَ عُمَرُ امْرَأَةً مُشْرِكَةً، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْكِحُونَ المُشْرِكَاتِ إِلَى حِينِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ، وَلَوْ كَانَتْ آيَةُ البَقَرَةِ قَدْ نَزَلَتْ قَبْلَ هَذِهِ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ آيَةَ البَقَرَةِ بَعْدَ آيَةِ المُمْتَحَنَةِ، وَآيَةَ المَائِدَةِ بَعْدَ آيَةِ البَقَرَةِ.

---

١) هم أصحاب المذاهب الفقهية المشهورة المتّبعة، وهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك ابن أنس، ومحمّد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن محمّد بن حنبل رحمهم الله أجمعين.

٢) سورة الممتحنة، آية: ١٠

فَهَذَا النَّظَرُ وَأَمْثَالُهُ هُوَ نَظَرُ الفَقِيهِ العَالِمِ بِرُجْحَانِ دَلِيلٍ، وَظَنٌّ عَلَى دَلِيلٍ، وَهَذَا عِلْمٌ لا ظَنٌّ، فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الظَّنَّ لَهُ أَدِلَّةٌ تَقْتَضِيهِ، وَأَنَّ العَالِمَ إِنَّمَا يَعْلَمُ بِمَا يُوجِبُ العِلْمَ بِالرُّجْحَانِ لا بِنَفْسِ الظَّنِّ، إِلَّا إِذَا عَلِمَ رُجْحَانَهُ، وَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي لا يُعْلَمُ رُجْحَانُهُ فَلَا يَجُوزُ اتِّبَاعُهُ، وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي ذَمَّ اللهُ بِهِ مَنْ قَالَ فِيهِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [١]، فَهُمْ لا يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ لَيْسَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ، وَلَوْ كَانُوا عَالِمِينَ بِأَنَّهُ ظَنٌّ رَاجِحٌ لَكَانُوا قَدْ اتَّبَعُوا عِلْمًا لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَتَّبِعُ إِلَّا الظَّنَّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

---

١) سورة النجم، آية: ٢٣

## فصلٌ

العمل بالظن الراجح عند المجتهد

فَهَاهُنَا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: الظَّنُّ الرَّاجِحُ فِي نَفْسِ المُسْتَدِلِّ المُجْتَهِدِ.

والثَّانِي: الأَدِلَّةُ ـ الَّتِي يُسَمِّيهَا بَعْضُ المُتَكَلِّمِينَ أَمَارَاتٍ ـ الَّتِي تَعَارَضَتْ، وَعَلِمَ المُسْتَدِلُّ بِأَنَّ الَّتِي أَوْجَبَتْ ذَلِكَ الظَّنَّ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهَا.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي نَفْسِ الأَمْرِ دَلِيلٌ آخَرُ عَلَى القَوْلِ الآخَرِ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ المُسْتَدِلُّ، وَهَذَا هُوَ الوَاقِعُ فِي عَامَّةِ مَوَارِدِ الاجْتِهَادِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَسْمَعُ نَصًّا عَامًّا كَمَا سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ [نهى عن][1] قَطْعِ الخُفَّيْنِ، وَأَنَّهُ

---

١) في (س) و(ك) و(م) (نَهى عَنْ) وأظنه تصحيفاً، لأني بحثت كثيراً عن نصٍّ عام ينهى فيه النبي ﷺ عن قطع الخفين فلم أعثر على ذلك؛ بل الأحاديث ظاهرةٌ بوجوب قطع الخُفَّين للمُحْرِم، وإنَّما الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ من ذكر شيخ الإسلام لأثر ابن عُمَر أنَّه أراد الرُّخصة للنساء دون الرِّجال، بدليل قوله كما سيأتي قريباً في النصِّ المُحقق: «فَكَانُوا يُفْتُونَ بِأَنَّ الحَائِضَ عَلَيْهَا الوَدَاعُ، وَعَلَيْهَا قَطْعُ الخُفَّيْنِ»، وهو مما كان يخفى على ابن عمر، وكان يأمر بقطع الخُفّين للرِّجال والنساء؛ حتى أُخبر برُخصة النبي ﷺ للنساء؛ كما جاء في صحيح ابن خُزيمة ٤/ ٢٠١: «أنَّ ابْنَ عُمَرَ قَدْ كَانَ صَنَعَ ذَلِكَ يَعْنِي قَطْعَ الخُفَّيْنِ لِلنِّسَاءِ حَتَّى حَدَّثَتْهُ

أَمَرَ أَنْ لَا يَخْرُجَ أَحَدٌ حَتَّى يُوَدِّعَ البَيْتَ(١)، أَوْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ(٢)، وَظَاهِرُهُ العُمُومُ، وَهَذَا رَاجِعٌ عَلَى [الإِسْتِصْحَابِ](٣) النَّافِي لِلتَّحْرِيمِ، فَعَمِلُوا / بِهَذَا الرَّاجِحِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ قَطْعًا أَنَّ النَّهْيَ أَوْلَى مِنَ الاِسْتِصْحَابِ؛ [١٧/ب] لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعَ الاِسْتِصْحَابِ دَلِيلٌ خَاصٌّ؛ وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ يَعْلَمُوهُ لَمْ يَجُزْ

---

صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ رَخَّصَ لِلنِّسَاءِ فِي الخُفَّيْنِ»، قال الشيخ الأعظمي: إسناده حسن.

وهذا الأثر أيضًا أشكل كذلك على الشيخ أبي الأشبال الزهيري حيث أعرض عن تخريجه؛ مع أنه خرّج الحديث الذي قبله والذي بعده، والله أعلم.

١) أي المسجد الحرام بالطواف فيه بما يُسمّيه الفقهاء بطواف الوداع، وهو ما رواه مُسلمٌ في كِتَاب الحَجِّ، باب: وُجُوبِ طَوَافِ الوَدَاعِ وَسُقُوطِهِ عَنِ الحَائِضِ، رقم (٣٢٨٣) بلفظ: (لاَ يَنْفِرَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ) من حديث ابن عبّاس.

٢) لما رواه البُخاري في كتاب الأشربة، باب: آنية الفضة، رقم (٥٦٣٥)، ومسلمٌ في كتاب اللباس والزينة، باب: تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالْحَرِيرِ عَلَى الرَّجُلِ وَإِبَاحَتِهِ لِلنِّسَاءِ، رقم (٥٥١٠) بلفظ مطول ومنه: (وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمَ أَوْ عَنْ تَخَتُّمٍ بِالذَّهَبِ وَعَنْ شُرْبٍ بِالْفِضَّةِ وَعَنِ الْمَيَاثِرِ وَعَنِ الْقَسِّيِّ وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ) كلاهما عن البراء بن عازب.

٣) في (س) و(ك) (الاستيحاب)، وهو تصحيفٌ، وفي (م) (الاستصحاب)، وهو الأظهر في المواضع الثلاثة.

لهم أن يعدلوا عما علموه إلى ما لم يعلموه، فكانوا يفتون بأن الحائض عليها الوداع، وعليها قطع الخفين، وأن قليل الحرير وكثيره حرام، وابن الزبير كان يحرمه على الرجال والنساء؛ لعموم قوله ﷺ: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة)[1].

وكان في نفس الأمر نصوص خاصة بأن النبي ﷺ رخص للحائض أن تنفر بلا وداع، وأنها تلبس الخفين، وغيرهما، مما نهى عنه المحرم، ولكن تجتنب النقاب، والقفازين، وأنه رخص في موضع أصبعين، أو ثلاث، أو أربعة من الحرير كما بين ذلك في الصحيح في رواية عمر[2]، ولم يعرف به ابنه عبدالله،

---

١) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب: لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه، رقم (٥٣٨٤)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، رقم (٣٨٦٦)، كلاهما عن أنس بن مالك.
ورواه البخاري في كتاب اللباس، باب: لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه، رقم (٥٣٨٥) عن ابن الزبير مرسلاً، وفي كتاب اللباس، باب: لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه، رقم (٥٣٨٦) عن ابن الزبير عن عمر مرفوعاً.
٢) لما رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب، والحرير على الرجل وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه

وَكَانَ لَهُ جُبَّةٌ مَكْفُوفَةٌ بِالحَرِيرِ، فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ وَنَحْوُهُ هَذِهِ النُّصُوصَ الخَاصَّةَ، رَجَعُوا، وَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ دَلِيلٌ أَقْوَى مِنَ الدَّلِيلِ الَّذِي يَسْتَصْحِبُونَهُ، وَلَمْ يَعْلَمُوا بِهِ، وَهُمْ فِي الحَالَيْنِ إِنَّمَا حَكَمُوا بِعِلْمٍ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ لَمْ يَتَّبِعْ إِلَّا الظَّنَّ، فَإِنَّهُمْ أَوَّلًا رَجَّحُوا العُمُومَ عَلَى اسْتِصْحَابِ البَرَاءَةِ الأَصْلِيَّةِ، وَهَذَا تَرْجِيحٌ بِعِلْمٍ، فَإِنَّ هَذَا رَاجِحٌ بِلَا رَيْبٍ، وَالشَّرْعُ طَافِحٌ بِهَذَا.

فَمَا أَوْجَبَهُ اللهُ أَوْ حَرَّمَهُ فِي كِتَابِهِ كَالوُضُوءِ، وَالصَّلَاةِ، وَالحَجِّ، وَغَيْرِهِمَا هِيَ نُصُوصٌ عَامَّةٌ، وَمَا حَرَّمَهُ كَالمَيْتَةِ، وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الخِنْزِيرِ، حَرَّمَهُ بِنُصُوصٍ عَامَّةٍ، وَهِيَ رَاجِحَةٌ وَمُقَدَّمَةٌ عَلَى البَرَاءَةِ الأَصْلِيَّةِ النَّافِيَةِ لِلْوُجُوبِ وَالتَّحْرِيمِ، فَمَنْ رَجَّحَ ذَلِكَ فَقَدْ حَكَمَ بِعِلْمٍ، وَحَكَمَ بِأَرْجَحِ الدَّلِيلَيْنِ المَعْلُومِ الرُّجْحَانِ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ لَمْ يَتَّبِعْ إِلَّا الظَّنَّ، لَكِنْ لِتَجْوِيزِهِ أَنْ يَكُونَ النَّصُّ مَخْصُوصًا صَارَ عِنْدَهُ ظَنٌّ رَاجِحٌ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا تَخْصِيصَ هُنَاكَ قَطَعَ بِالعُمُومِ، وَكَذَلِكَ لَوْ عَلِمَ إِرَادَةَ نَوْعٍ قَطَعَ بِانْتِفَاءِ الخُصُوصِ.

---

لِلرَّجُلِ مَا لَمْ يَزِدْ عَلَى أَرْبَعِ أَصَابِعَ، رقم (٥٥٣٨) أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ خَطَبَ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ «نَهَى نَبِيُّ اللهِ ﷺ عَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ إِلَّا مَوْضِعَ إِصْبَعَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ».

وَهَذَا القَوْلُ فِي سَائِرِ الأَدِلَّةِ، مِثْلَ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِنُصُوصٍ وَتَكُونَ مَنْسُوخَةً وَلَمْ يَبْلُغْهُ النَّاسِخُ، كَالَّذِينَ نَهَوْا عَنِ الانْتِبَاذِ فِي الأَوْعِيَةِ، وَعَنْ زِيَارَةِ/ القُبُورِ، وَلَمْ يَبْلُغْهُمُ النَّصُّ النَّاسِخُ. [ص/٣٤]

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهُمُ النَّسْخُ مِثْلَ مَنْ كَانَ مِنَ المُسْلِمِينَ بِالبَوَادِي، وَبِمَكَّةَ، وَالحَبَشَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَهَؤُلَاءِ غَيْرُ الَّذِينَ كَانُوا بِالمَدِينَةِ، وَصَلَّى بَعْضُهُمْ صَلَاةً إِلَى القِبْلَتَيْنِ بَعْضَهَا إِلَى هَذِهِ القِبْلَةِ، وَبَعْضَهَا إِلَى هَذِهِ القِبْلَةِ، لَمَّا بَلَغَهُمُ النَّسْخُ وَهُمْ فِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ، فَاسْتَدَارُوا فِي صَلَاتِهِمْ مِنْ جِهَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلَى جِهَةِ الكَعْبَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ إِلَى جِهَةِ اليَمَنِ.

فَالقَاضِي أَبُو بَكْرٍ وَنَحْوُهُ مِنَ الَّذِينَ يَنْفُونَ أَنْ يَكُونَ فِي البَاطِنِ حُكْمٌ مَطْلُوبٌ بِالاجْتِهَادِ أَوْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ، وَيَقُولُونَ: مَا ثَمَّ إِلَّا الظَّنُّ الَّذِي فِي نَفْسِ المُجْتَهِدِ، وَالأَمَارَاتُ لَا ضَابِطَ لَهَا، وَلَيْسَتْ أَمَارَةٌ/ أَقْوَى مِنْ أَمَارَةٍ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا قَالُوا ذَلِكَ لَزِمَهُمْ أَنْ يَكُونَ الَّذِي عَمِلَ بِالمَرْجُوحِ دُونَ الرَّاجِحِ مُخْطِئًا، وَعِنْدَهُمْ لَيْسَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ خَطَأٌ. [٥/٦٨]

قول السلف والجمهور في تغليب الأمارات بعضها على بعض

وَأَمَّا السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ الأَرْبَعَةُ وَالجُمْهُورُ فَيَقُولُونَ: بَلِ الأَمَارَاتُ بَعْضُهَا أَقْوَى مِنْ بَعْضٍ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَعَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَجْتَهِدَ وَيَطْلُبَ الأَقْوَى، فَإِذَا رَأَى دَلِيلًا أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ وَلَمْ يَرَ مَا يُعَارِضُهُ عَمِلَ بِهِ، وَلَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا

وُسْعَهَا، وَإِذَا كَانَ فِي البَاطِنِ مَا هُوَ أَرْجَحُ مِنْهُ كَانَ مُخْطِئًا مَعْذُورًا، وَلَهُ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ وَعَمَلِهِ بِمَا بُيِّنَ لَهُ رُجْحَانُهُ، وَخَطَؤُهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَذَلِكَ البَاطِنُ هُوَ الحُكْمُ؛ لَكِنْ بِشَرْطِ القُدْرَةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، فَمَنْ عَجَزَ عَنْ مَعْرِفَتِهِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِتَرْكِهِ.

فَإِذَا أُرِيدَ بِالخَطَإِ الإِثْمُ فَلَيْسَ المُجْتَهِدُ بِمُخْطِئٍ؛ بَلْ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ مُطِيعٌ لله، فَاعِلٌ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ، وَإِذَا أُرِيدَ بِهِ عَدَمُ العِلْمِ بِالحَقِّ فِي نَفْسِ الأَمْرِ فَالمُصِيبُ وَاحِدٌ، وَلَهُ أَجْرَانِ كَمَا فِي المُجْتَهِدِينَ فِي جِهَةِ الكَعْبَةِ؛ إِذَا صَلَّوْا إِلَى أَرْبَعِ جِهَاتٍ، فَالَّذِي أَصَابَ الكَعْبَةَ ـ وَاحِدٌ وَلَهُ أَجْرَانِ لِاجْتِهَادِهِ وَعَمَلِهِ ـ كَانَ أَكْمَلَ مِنْ غَيْرِهِ، وَالمُؤْمِنُ القَوِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَمَنْ زَادَهُ اللهُ عِلْمًا وَعَمَلًا زَادَهُ أَجْرًا بِمَا زَادَهُ مِنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ.

فضل العلم وأهله على غيرهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾[1]، قَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ[2]: بِالعِلْمِ[3].

---

١) سورة الأنعام، آية: ٨٣

٢) هو زيد بن أسلم العدوي العُمري، أبو أسامة المدني، إمامٌ ثقةٌ عالمٌ الفقيه الكبير، مولى عمر بن الخطاب، كانت له حلقة العلم في مسجد النبي ﷺ، ويحضرها كبار الفقهاء، قال عنه أبو حازم الأعرج: لم يبق أحدٌ أرضى لديني ونفسي منه، مات سنة ١٣٦هـ.
يُنظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣١٦، تقريب التهذيب ٣٢٦

٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٣٣٥

وَكَذَلِكَ قَالَ فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[1].

وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ جَمِيعَ الْمُجْتَهِدِينَ إِنَّمَا قَالُوا بِعِلْمٍ، وَاتَّبَعُوا الْعِلْمَ، وَأَنَّ الْفِقْهَ مِنْ أَجَلِّ الْعُلُومِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ؛ لَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَ الْآخَرِ؛ إِمَّا بِأَنْ سَمِعَ مَا لَمْ يَسْمَعْ الْآخَرُ، وَإِمَّا بِأَنْ فَهِمَ مَا لَمْ يَفْهَمْ الْآخَرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[2].

تقسيم الدين الى اصول وفروع لم يكن معروفا عند الصحابة والتابعين

وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الِاجْتِهَادِ وَالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ فِي الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَلَمْ يُفَرِّقْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ بَيْنَ أُصُولٍ وَفُرُوعٍ، بَلْ جَعْلُ الدِّينِ قِسْمَيْنِ أُصُولاً وَفُرُوعًا لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا فِي الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ إِنَّ الْمُجْتَهِدَ الَّذِي اسْتَفْرَغَ وُسْعَهُ فِي طَلَبِ الْحَقِّ يَأْثَمُ لَا فِي الْأُصُولِ وَلَا فِي الْفُرُوعِ، وَلَكِنَّ هَذَا التَّفْرِيقَ ظَهَرَ مِنْ جِهَةِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَأَدْخَلَهُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ مَنْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ.

---

١) سورة يوسف، آية: ٧٦

٢) سورة الأنبياء، آية: ٧٨-٧٩

[١/٦٩] وَحَكَوْا عَنْ/ عُبَيْدِالله بْنِ الحَسَنِ العَنْبَرِيِّ[1] أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ»[2]، وَمُرَادُهُ أَنَّهُ لَا يَأْثَمُ.

موقف الأئمة الأربعة من قبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم

وَهَذَا قَوْلُ عَامَّةِ الأَئِمَّةِ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمَا، وَلِهَذَا يَقْبَلُونَ شَهَادَةَ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، وَيُصَلُّونَ خَلْفَهُمْ.

وَمَنْ رَدَّهَا كَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ فَلَيْسَ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمًا لِإِثْمِهِمَا؛ لَكِنَّ المَقْصُودَ إِنْكَارُ المُنْكَرِ، وَهَجْرُ مَنْ أَظْهَرَ البِدْعَةَ، فَإِذَا هُجِرَ، وَلَمْ يُصَلَّ خَلْفَهُ، وَلَمْ تُقْبَلْ شَهَادَتُهُ، كَانَ ذَلِكَ مَنْعًا لَهُ مِنْ إِظْهَارِ البِدْعَةِ؛ وَلِهَذَا فَرَّقَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بَيْنَ الدَّاعِيَةِ لِلْبِدْعَةِ المُظْهِرِ لَهَا، وَغَيْرِهِ.

---

١) هو عبيدالله بن الحسن بن الحصين العنبري البصري، من سادات أهل البصرة وقاضيها، وثّقه ابن حبان وابن سعد والنسائي وابن حجر، مات سنة ١٦٨هـ، قال عنه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المحلى ٢/ ١٦٩: «وهو الذي قال: أنَّ كل مُجتهدٍ مُصيبٌ، وأُخذت عليه هذه الغلطة، وقيل أنّه رجع عنها».

يُنظر: ثقات ابن حبّان ٧/ ١٤٣، تهذيب الأسماء واللغات ٤٤١، تقريب التهذيب ٦٣٠

٢) وهي من القواعد الأصولية، قال شيخنا عبد الرحمن المحمود: «الكبار، والصواب فيها قول جماهير العلماء من الخلف والسلف وهو أن المصيب واحد»، والأولى أن يُقال: (لكُلِّ مُجتهدٍ نصيبٌ)، أو (كُل مُجتهدٍ مأجورٌ)، وراجعها في البرهان في أصول الفقه ٢/ ٨٦٠، وإرشاد الفحول ٤٣٦

وَكَذَلِكَ قَالَ الخِرَقِيُّ[1]: «وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ مَنْ يَجْهَرُ بِبِدْعَةٍ أَوْ [بِمُنْكَرٍ][2] أَعَادَ»، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

التفريق بين الأصول والفروع ليس له ضابط عند من قاله

وَالَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَ الأُصُولِ وَالفُرُوعِ لَمْ يَذْكُرُوا ضَابِطاً يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ.

بَلْ تَارَةً يَقُولُونَ: هَذَا قَطْعِيٌّ، وَهَذَا ظَنِّيٌّ، وَكَثِيرٌ مِنْ مَسَائِلِ الأَحْكَامِ قَطْعِيٌّ، وَكَثِيرٌ مِنْ مَسَائِلِ الأُصُولِ ظَنِّيٌّ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ، فَإِنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ قَطْعِيّاً وَظَنِّيّاً أَمْرٌ إِضَافِيٌّ.

---

١) هو عُمَر بن الحسين بن عبدالله الخِرَقي، أبو القاسم الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي، من أعيان الحنابلة، وصنَّف في المذهب كثيراً، ومن أشهرها (المختصر في الفقه الحنبلي)، ولم تظهر مصنَّفاته، لأنه هاجر من بغدادٍ لَمَّا ظهر بها سبُّ الصحابة، وأودع كتبه في دارٍ فاحترقت، ومات بدمشق سنة ٣٣٤هـ.

يُنظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢٠٤، الوافي بالوفيات ٧/ ١٤٠

٢) في (س) و(ك) و(م) (بِبِدْعَةٍ أَوْ مُنْكَرٍ) اهـ، وفي مختصر الخِرَقي (حاشية آل إسماعيل) ٥٦ (بِبِدْعَةٍ أَوْ بِمُنْكَرٍ) بحرف الجر، وعند ابن قُدامة في المُغني (ت: التركي والحلو) ٣/ ١٧، والزركشي في شرحه ٣/ ٨٥ (ت: شيخنا الجبرين): (بِبِدْعَةٍ أَوْ يُنْكِرُ)، وذكر شيخنا الجبرين في تحقيقه: (أن النُّسخ فيها خلاف، والصوابُ أنَّه فعلٌ مُضارعٌ).

[ص/٣٦] وَتَارَةً يَقُولُونَ: الأُصُولُ هِيَ العِلْمِيَّاتُ الخَبَرِيَّاتُ، وَالفُرُوعُ العَمَلِيَّاتُ، / وَكَثِيرٌ مِنَ العَمَلِيَّاتِ مَنْ جَحَدَهَا كَفَرَ كَوُجُوبِ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالحَجِّ.

وَتَارَةً يَقُولُونَ: هَذِهِ عَقْلِيَّاتٌ، وَهَذِهِ سَمْعِيَّاتٌ، وَإِذَا كَانَتْ عَقْلِيَّاتٍ لَمْ يَلْزَمْ تَكْفِيرُ المُخْطِئِ، فَإِنَّ الكُفْرَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ يَتَعَلَّقُ بِالشَّرْعِ، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

وَإِذَا تَدَبَّرَ الإِنْسَانُ تَنَازُعَ النَّاسِ وَجَدَ عِنْدَ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنَ العِلْمِ مَا لَيْسَ عِنْدَ الأُخْرَى كَمَا فِي مَسَائِلِ الأَحْكَامِ.

مِثَالُ ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ فِي الأُصُولِ الخَمْسَةِ: التَّوْحِيدِ، وَالعَدْلِ، وَالمَنْزِلَةِ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ، وَمَسَائِلِ الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ، وَإِنْفَاذِ الوَعِيدِ، وَهِيَ الَّتِي تُوَالِي المُعْتَزِلَةُ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَتَبَرَّءُونَ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُمْ قَصَدُوا تَوْحِيدَ الرَّبِّ، وَإِثْبَاتَ عَدْلِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَصِدْقِهِ، وَطَاعَةَ أَمْرِهِ، لَكِنْ غَلِطُوا فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ نَاقَضُوهُمْ مِنَ الجَهْمِيَّةِ، وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ كَأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ وَأَصْحَابِهِ، فَإِنَّهُمْ نَاقَضُوهُمْ فِي الأُصُولِ الخَمْسَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ

لَيْسَ عِنْدَ أُولَئِكَ، وَكَانَ عِنْدَ أُولَئِكَ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ، وَكُلٌّ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ لَمْ تُحِطْ عِلْمًا بِمَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ بَيَانِ هَذِهِ الأُمُورِ؛ بَلْ عَلِمُوا بَعْضًا وَجَهِلُوا بَعْضًا.

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُجْبِرَةَ هُمْ فِي الحَقِيقَةِ لَا يُثْبِتُونَ للهِ عَدْلًا، وَلَا حِكْمَةً، وَلَا رَحْمَةً،/ وَلَا صِدْقًا، فَأُولَئِكَ قَصَدُوا إِثْبَاتَ هَذِهِ الأُمُورِ، أَمَّا العَدْلُ فَعِنْدَهُمْ كُلُّ [٢٠/ب] مُمْكِنٍ فَهُوَ عَدْلٌ، وَالظُّلْمُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْمُمْتَنِعُ فَلَا يَكُونُ ثَمَّ عَدْلٌ يُقْصَدُ فِعْلُهُ، وَظُلْمٌ يُقْصَدُ تَرْكُهُ؛ وَلِهَذَا يُجَوِّزُونَ عَلَيْهِ فِعْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا.

وَيَقُولُونَ: القَبِيحُ هُوَ مَا نُهِيَ عَنْهُ وَهُوَ لَا نَاهِيَ لَهُ، وَيُجَوِّزُونَ الأَمْرَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا وَشِرْكًا، وَالنَّهْيَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ كَانَ تَوْحِيدًا وَمَعْرُوفًا، فَلَا ضَابِطَ عِنْدَهُمْ لِلْفِعْلِ؛ فَلِهَذَا أَلْزَمُوهُمْ جَوَازَ إِظْهَارِ الْمُعْجِزَاتِ عَلَى يَدِ الكَاذِبِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ جَوَابٌ صَحِيحٌ وَلَمْ يَذْكُرُوا فَرْقًا بَيْنَ الْمُعْجِزَاتِ وَغَيْرِهَا، وَلَا مَا بِهِ يُعْلَمُ صِدْقُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا إِذَا نَقَضُوا أَصْلَهُمْ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾[1]،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨

وَعِنْدَهُمْ هَذَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ فَلَيْسَ فِي الْمُمْكِنِ بَسْطٌ وَجَوْزٌ حَتَّى يَكُونَ قَائِمًا بِهَذَا دُونَ هَذَا، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

وَكَذَلِكَ الحِكْمَةُ عِنْدَهُمْ لَا يَفْعَلُ لِحِكْمَةٍ، وَقَدْ فَسَّرُوا الحِكْمَةَ إِمَّا بِالعِلْمِ، وَإِمَّا بِالقُدْرَةِ، وَإِمَّا بِالإِرَادَةِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ القَادِرَ قَدْ يَكُونُ حَكِيمًا، وَيَكُونُ غَيْرَ حَكِيمٍ، كَذَلِكَ المُرِيدُ قَدْ تَكُونُ إِرَادَتُهُ حِكْمَةً، وَقَدْ تَكُونُ سَفَهًا، وَالعِلْمُ يُطَابِقُ المَعْلُومَ سَوَاءٌ كَانَ حِكْمَةً أَوْ سَفَهًا، فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي نَفْسِ الأَمْرِ أَنَّ اللهَ حَكِيمٌ، وَكَذَلِكَ الرَّحْمَةُ مَا عِنْدَهُمْ فِي نَفْسِ الأَمْرِ إِلَّا إِرَادَةُ تَرْجِيحِ أَحَدِ المِثْلَيْنِ بِلَا مُرَجِّحٍ نِسْبَتُهَا إِلَى نَفْعِ العِبَادِ وَضَرَرِهِمْ سَوَاءٌ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي نَفْسِ الأَمْرِ رَحْمَةٌ وَلَا مَحَبَّةٌ أَيْضًا.

وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَبُيِّنَ تَنَاقُضُهُمْ فِي الصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ؛ حَيْثُ أَثْبَتُوا الإِرَادَةَ مَعَ نَفْيِ المَحَبَّةِ وَالرِّضَا وَمَعَ نَفْيِ الحِكْمَةِ، وَبُيِّنَ تَنَاقُضُهُمْ وَتَنَاقُضُ كُلِّ مَنْ أَثْبَتَ بَعْضَ الصِّفَاتِ دُونَ بَعْضٍ، وَأَنَّ المُتَفَلْسِفَةَ نُفَاةَ الإِرَادَةِ أَعْظَمُ تَنَاقُضًا مِنْهُمْ؛ فَإِنَّ الرَّازِيَّ ذَكَرَ فِي (المَطَالِبِ العَالِيَةِ)[1] مَسْأَلَةَ

---

[1] يعتبر من أشهر مُصنفات الرازي في العقيدة، قال ابن قاضي شهبة عنه في طبقات الشافعية: «وكتاب المطالب العالية في ثلاث مجلدات، ولم يتمه، وهو من آخر تصانيفه».

موقف الرازي من إثبات الصفات والرد عليه

الإِرَادَةِ، وَرَجَّحَ فِيهَا نَفْيَ الإِرَادَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يُجِيبَ عَنْ حُجَّةِ الْمُتَفَلْسِفَةِ عَلَى أُصُولِ أَصْحَابِهِ الجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، فَفَرَّ إِلَيْهِمْ.

وَكَذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا مِنَ الْمَسَائِلِ، فَهُوَ تَارَةً يُرَجِّحُ قَوْلَ الْمُتَفَلْسِفَةِ، وَتَارَةً يُرَجِّحُ قَوْلَ الْمُتَكَلِّمَةِ، وَتَارَةً يَحَارُ وَيَقِفُ،/ وَاعْتَرَفَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ بِأَنَّ طَرِيقَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ لَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلَا تَرْوِي غَلِيلًا. [٢٧/ب]

وَقَالَ: «قَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلَا تَرْوِي غَلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، اقْرَأْ فِي الإِثْبَاتِ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [(١)]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [(٢)]، وَاقْرَأْ فِي

---

وقال عنه شيخ الإسلام كما في الفتاوى ١٧/٣٢٧: «وهو في المطالب العالية يخلط كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين، وهو في مسألة الحدوث و القدم حائر»، وقال في درء التعارض: «المطالب العالية وهي آخر ما صنفه، وجمع فيها غاية علومه»، وقد طُبع بتحقيق أحمد حجازي السقا، بدار الكتاب العربي، بيروت.

١) سورة طه، آية: ٥

٢) سورة فاطر، آية: ١٠

النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾[2]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»[3].

---

١) سورة الشورى، آية : ١١

٢) سورة طه، آية : ١١٠

٣) هي جزء من وصيته الرّازي لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني حين احتضاره، ووداعه للدّنيا وما فيها، وفيها من العبر ما الله به عليم، وقد أوردها بتمامها الذّهبي في تاريخ الإسلام ٤٣/ ٢٢١، والسبكي في طبقات الشافعية ٨/ ٩٠، وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٦٦-٤٦٨، ولأهميتها عند كل طالب علم يرجو نجاته يوم القيامة من اتباع مسالك الشيطان أوردها هنا كما هي عند الذّهبي: «يقول العبد الراجي رحمة الله ربه، الواثق بكرم مولاه، محمّد بن عُمَر بن الحُسين الرّازي، وهو أول عهده بالآخرة، وآخر عهده بالدُّنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاسي، ويتوجه إلى مولاه كل آبق: أحمد الله تعالى بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهاداتهم، وأحمده بالمحامد التي يستحقها، عرفتها أو لم أعرفها لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب، وصلاته على الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين، وجميع عباد الله الصالحين، ثم اعلموا إخواني في الدِّين وأخلائي في طلب اليقين، أنّ النّاس يقولون: (إنّ الإنسان إذا مات انقطع عمله، وتعلقه عن الخلق)، وهذا مخصص من وجهين:

الأول: أنه بقي منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء، والدعاء له عند الله أثر.

الثاني: ما يتعلق بالأولاد، وأداء الجنايات.

أما الأول: فاعلموا أنني كنتُ رَجُلاً محباً للعلم، فكنت أكتب في كل شيء شيئاً لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقاً أو باطلاً. إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات، موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتُ فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلالة لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة، من وجوب وجوده، ووحدته، وبراءته عن الشركاء في القدم، والأزلية، والتدبير، والفعالية، فذلك هو الذي أقول به، وألقى الله به، وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدِّقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح، المتعين للمعنى الواحد، فهو كما هو، والذي لم يكن كذلك أقول:

يا إله العالمين، إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فلك ما مدَّ به قلمي، أو خطر ببالي فأستشهد وأقول: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقرير اعتقدت أنه الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذلك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثني، وارحمني، واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين.

وأقول: ديني متابعة الرسول محمد ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدِّين عليهما، اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مُقيل العثرات، أنا كنتُ حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: (أنا عند ظن عبدي بي)، وأنتَ قُلتَ: ﴿

فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ عَدْلَ الرَّبِّ، وَلَا حِكْمَتَهُ، وَلَا رَحْمَتَهُ، وَكَذَلِكَ الصِّدْقُ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا أَنْ يُقِيمُوا الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ اللهَ صَادِقٌ تَعَذَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: الصِّدْقُ فِي الكَلَامِ النَّفْسَانِيِّ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ الأُمُورَ، وَمَنْ يَعْلَمُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَقُومَ فِي نَفْسِهِ خَبَرٌ بِخِلَافِ/ عِلْمِهِ، وَعَلَى هَذَا اعْتَمَدَ الغَزَالِيُّ وَغَيْرُهُ. [م/١٣٧]

---

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، فهبْ أني ما جئتُ بشيء، فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم، فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت، وبعد الموت، وعند الموت، وسهِّل عليَّ سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين.

وأما الكُتب التي صنفتها، واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني مَن نظر فيها بصالح دعائه، على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيء فإني ما أردتُ إلاَّ تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكُلِّ على الله . . .

سمعتُ ـ أي الذَّهبي ـ وصيته كُلَّها من الكمال عُمَر بن إلياس بن يُونس المراغي».

وهذا الجزء المستشهد به من كتاب الرَّازي (أقسام اللذَّات)، وقد أورده شيخ الإسلام كثيراً في كُتبه كمنهاج السُّنة ٥/ ٢٧٢، والحموية ١٨٩، وغيرهما.

وقد علق عليها شيخ الإسلام في منهاج السُّنة بكلامٍ نفيس جداً، فيا ليت أهل الكلام يتأملونه، ومنه قوله: «وهو صادقٌ فيما أخبر به أنه لم يستفد مِن بحوثه في الطُّرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا، وأنه لم يجد فيها ما يشفي عليلاً، ولا يروي غليلاً، فإنَّ مَن تدبَّر كُتُبه كلها لم يجد فيها مسألةً واحدةً مِن مسائل أصول الدِّين موافقةً للحق الذي يدُلُّ عليه المنقول والمعقول؛ بل يذكر في المسألة عِدَّة أقوال، والقول الحق لا يعرفه، فلا يذكره».

الرَّدُّ على الأشاعرة في إثباتهم الصدق في الكلام النفساني

فَقِيلَ لَهُمْ: هَذَا ضَعِيفٌ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الصِّدْقُ فِي ذَلِكَ المَعْنَى لَا يَنْفَعُ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ الصِّدْقُ فِي العِبَارَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ، وَيُمَيِّزُ بَيْنَ الأَفْعَالِ عِنْدَهُمْ.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا الخَبَرَ النَّفْسَانِيَّ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ يُخْبِرُكَ بِالكَذِبِ، فَيَقُومُ فِي نَفْسِهِ مَعْنًى لَيْسَ هُوَ العِلْمُ، وَهُوَ مَعْنَى الخَبَرِ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ العَالِمَ قَدْ يَقُومُ فِي نَفْسِهِ خَبَرٌ بِخِلَافِ عِلْمِهِ.

وَالرَّازِيُّ لَمَّا ذَكَرَ مَسْأَلَةَ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ وَلَا يَعْنِي بِهِ شَيْئًا خِلَافًا لِلْحَشْوِيَّةِ(١) !!.

---

(١) كثيرٌ مِن المُعتزلة والأشاعرة وغيرهم يجعلونه لقباً لأهل السُّنة لأنهم يثبتون الصفات على ظاهرها، وذلك لتنفير النّاس عن اتّباعهم، والأخذ بأقوالهم، كما ذكر ذلك الصنعاني في إجابة السائل شرح بغية الأمل ١/ ٧٨، وابن عيسى في شرح نونية ابن القيّم ٢/ ٧٧، وغيرهما، وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ٣/ ١٨٥ - ١٨٦: «هذا اللفظ أول مَن ابتدعه المُعتزلة، فإنهم يُسمون الجماعة والسّواد الأعظم الحشو؛ كما تُسمّيهم الرّافضةُ الجمهور، وحشو النّاس هم عموم النّاس وجمهورهم، وهم غير الأعيان المتميزين، يقولون هذا مِن حشو النّاس، كما يقال هذا من جمهورهم، وأول مَن تكلم بهذا عمرو بن عُبيد،

قِيلَ لَهُ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْ طَوَائِفِ الأُمَّةِ إِنَّ اللهَ لَا يَعْنِي بِكَلَامِهِ شَيْئًا؟ وَإِنَّمَا النِّزَاعُ هَلْ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَفْهَمُ العِبَادُ مَعْنَاهُ.

وَقِيلَ لَهُ: هَبْ أَنَّ فِي هَذَا نِزَاعًا فَهُوَ لَمْ يُقِمْ دَلِيلًا عَلَى امْتِنَاعِ ذَلِكَ.

بَلْ قَالَ: هَذَا عَيْبٌ أَوْ نَقْصٌ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ.

فَقِيلَ لَهُ: إِمَّا أَنْ يُرِيدَ المَعْنَى القَائِمَ بِالذَّاتِ، أَوْ العِبَارَاتِ المَخْلُوقَةَ.

أَمَّا الأَوَّلُ: فَلَا يَجُوزُ إِرَادَتُهُ هُنَا؛ لِأَنَّ المَسْأَلَةَ هِيَ فِيمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالحُرُوفِ المَنْظُومَةِ، وَلَا يَعْنِي بِهِ شَيْئًا، وَذَلِكَ القَائِمُ بِالذَّاتِ هُوَ نَفْسُ المَعْنَى، وَإِنْ أَرَدْتَ الحُرُوفَ ـ وَهُوَ مُرَادُهُ ـ فَتِلْكَ عِنْدَكَ مَخْلُوقَةٌ، وَيَجُوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَخْلُقَ كُلَّ شَيْءٍ لَيْسَ مُنَزَّهًا عَنْ فِعْلٍ مِنَ الأَفْعَالِ، وَالعَيْبُ عِنْدَكَ هُوَ مَا لَا تُرِيدُهُ/ فَهَذَا مُمْتَنِعٌ. (١٧٢/ب)

---

وقال: (كان عبدالله بن عُمر حَشْوِيًا)، فالمُعتزلةُ سَمُّوا الجماعة حَشْوًا كما تُسَمِّيهم الرّافضةُ الجمهورَ».

قال شيخنا عبد الرحمن المحمود: «والجهمية والمعطلة والنفاة ونحوهم هم أحق بهذا اللقب لأنهم حشوا كتبهم بأقوال أهل الكلام والفلسفة وما لا فائدة فيه، وأعرضوا عن الكتاب والسنة».

فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ حُجَّةٌ لَا عَلَى صِدْقِهِ، وَلَا عَلَى تَنْزِيهِهِ عَنِ العَيْبِ فِي خِطَابِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَنْ يُنَزِّهُهُ عَنْ بَعْضِ الأَفْعَالِ.

وَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ عَدْلَهُ، وَلَا حِكْمَتَهُ، وَلَا رَحْمَتَهُ، وَلَا صِدْقَهُ.

وَالمُعْتَزِلَةُ قَصْدُهُمْ إِثْبَاتُ هَذِهِ الأُمُورِ؛ وَلِهَذَا يَذْكُرُونَهَا فِي خُطْبَةِ الصِّفَاتِ كَمَا يَذْكُرُهَا أَبُو الحُسَيْنِ البَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ كَمَا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ صُوَرِ الأَدِلَّةِ خُطْبَةٌ مَضْمُونُهَا: أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ عَدْلٌ ﴿لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [1]، وَأَنَّهُ ﴿بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [2]، وَأَظُنُّ فِيهَا إِثْبَاتَ صِدْقِهِ؛ وَلِهَذَا يُكَفِّرُونَ مَنْ يُجَوِّرُهُ، أَوْ يُكَذِّبُهُ، أَوْ يُسَفِّهُهُ، أَوْ يُشَبِّهُهُ؛ وَلَكِنْ قَدْ غَلِطُوا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ كَمَا قَدْ نُبِّهَ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

استيعاب الحق لا يكون إلا مع أهل الإيمان والاتباع

فَكِلَا الطَّائِفَتَيْنِ مَعَهَا حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلَمْ يَسْتَوْعِبِ الحَقَّ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ، وَآمَنَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ كُلِّهِ عَلَى وَجْهِهِ، لَمْ يُؤْمِنْ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرْ بِبَعْضٍ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الرَّحْمَةِ الَّذِينَ لَا يَخْتَلِفُونَ، بِخِلَافِ أُولَئِكَ

---

١) سورة يونس، آية : ٤٤

٢) سورة البقرة، آية : ١٤٣ ، وسورة الحج، آية : ٦٥

المُخْتَلِفِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[1].

---

1) سورة هود، آية: ١١٨-١١٩

## فَصْلٌ

منهج الناس في إثبات الصفات أو نفيها عن الله

والجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ مُشْتَرِكُونَ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ، وَابْنُ كُلَّابٍ[1]، وَمَنْ تَبِعَهُ ـ كَالأَشْعَرِيِّ، وَأَبِي العَبَّاسِ القَلَانِسِيِّ[2]، وَمَنْ تَبِعَهُمْ ـ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ؛ لَكِنْ لَمْ يُثْبِتُوا الصِّفَاتِ الاخْتِيَارِيَّةَ مِثْلَ كَوْنِهِ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ، وَمِثْلَ كَوْنِ فِعْلِهِ الاخْتِيَارِيِّ يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَمِثْلَ كَوْنِهِ يُحِبُّ وَيَرْضَى عَنِ المُؤْمِنِينَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ،

---

١) هو عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب ـ وهو بضم الكاف وتشديد اللام ـ القطان، أبو محمد البصري، إمامٌ فقيهٌ متكلِّمٌ، قيل له ابن كُلَّاب بمعنى (الخطاف) لأنه كان صاحب بيان وفصاحة يجتذب النَّاسَ إلى معتقده إذا ناظرهم عليه كما يجتذب الكُلَّابُ الشيء، وله مُصنفات منها (خلق الأفعال)، و(الرَّد على المُعتزلة)، وأنصفه شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٥/ ٥٥٥ بقوله عنه: «وكان ممَّن انتدب للرَّد عليهم ـ أي المُعتزلة ـ أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب، وكان له فضلٌ وعلمٌ ودِينٌ، ومَن قال أنَّه ابتدع ما ابتدعه ليظهر دين النصارى في المُسلمين كما يذكره طائفةٌ في مثالبه، ويذكرون أنَّه أوصى أخته بذلك، فهذا كذبٌ عليه، وإنما افترى هذا عليه المُعتزلة والجَهْمِيَّةُ الذين رَدَّ عليهم، فإنَّهم يزعمون أن مَن أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى»، واختلف في سنة وفاته، وعدَّها الزركلي سنة ٢٤٥هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٤، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٩٩

٢) هو أحمد بن عبدالرَّحمن بن خالد القلانسي، أبو العبَّاس الرازي، كان مِن العُلَماء الكبار المُنتمين لمذهب ابن كُلَّاب، وهو مِن أقران أبي الحسن الأشعري، ولم أقف على سنة وفاته.

يُنظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٣٠٠، تبيين كذب المفتري ٣٩٨

وَيَغْضَبُ وَيُبْغِضُ الْكَافِرِينَ بَعْدَ كُفْرِهِمْ، وَمِثْلَ كَوْنِهِ يَرَى أَفْعَالَ الْعِبَادِ بَعْدَ أَنْ يَعْمَلُوهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] فَأَثْبَتَ رُؤْيَةً مُسْتَقْبَلَةً، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

وَمِثْلَ كَوْنِهِ نَادَى مُوسَى حِينَ أَتَى لَمْ يُنَادِهِ قَبْلَ ذَلِكَ بِنِدَاءٍ قَائِمٍ بِذَاتِهِ؛ فَإِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ والجَهْمِيَّةَ يَقُولُونَ: خَلَقَ نِدَاءً فِي الْهَوَاءِ.

والكُلَّابِيَّةُ[3]، والسَّالِمِيَّةُ يَقُولُونَ: النِّدَاءُ قَائِمٌ بِذَاتِهِ وَهُوَ قَدِيمٌ؛ لَكِنْ سَمِعَهُ مُوسَى فَاسْتَجَدُّوا سَمَاعَ مُوسَى، وَإِلَّا فَمَا زَالَ عِنْدَهُمْ مُنَادِيًا.

---

١) سورة التوبة، آية: ١٠٥

٢) سورة يونس، آية: ١٤

٣) الكُلَّابِيَّة: اتباع أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب القطان، ومن أقوالهم: أنَّ الإيمان لا يتفاضل، ولا يزيد ولا ينقص، وأنَّ القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالمشيئة والقدرة، ومن أشهر علمائهم: أبو عبدالله الحارث المحاسبي، وأبو العباس أحمد القلانسي، وأبو علي محمد بن عبدالوهاب الثقفي.

يُنظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٢٤٩ - ٢٥٢، الفصل لابن حزم ٤/ ٢٠٨

وَالقُرْآنُ وَالأَحَادِيثُ وَأَقْوَالُ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ كُلُّهَا تُخَالِفُ هَذَا وَهَذَا، وَتُبَيِّنُ أَنَّهُ نَادَاهُ حِينَ جَاءَ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ فِي وَقْتٍ بِكَلَامٍ مُعَيَّنٍ، كَمَا قَالَ:/ [٥/٢٢] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ (٢).

حجية كلام الله من النصوص وأقوال السلف تدل على الله على الحقيقة

وَالقُرْآنُ فِيهِ مِئُون (٣) مِنَ الآيَاتِ تَدُلُّ عَلَى هَذَا الأَصْلِ، وَأَمَّا الأَحَادِيثُ فَلَا تُحْصَى، وَهَذَا قَوْلُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالسَّلَفِ وَجُمْهُورِ العُقَلَاءِ؛ وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُاللهِ ابْنُ المُبَارَكِ، وَالإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَغَيْرُهُمَا: «لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ، وَكَيْفَ شَاءَ».

وَهَذَا قَوْلُ عَامَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ فَلِهَذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَمْ نَعْرِفْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ.

---

١) سورة الأعراف، آية : ١١

٢) سورة آل عمران، آية : ٥٩

٣) مِئُون: جمع مئة، من الأعداد على وزن رئة، وجمعها في حال الرفع (مئون)، وفي حال النصب والجر (مئين) أو (مئات) على حسب تقاسيم النُّحاة، والله أعلم.

[ص/١٢٨] وَالَّذِينَ قَالُوا مِنَ المُتَأَخِّرِينَ: هُوَ قَدِيمٌ، كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَتَصَوَّرْ المُرَادَ./ بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ قَدِيمٌ فِي عِلْمِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَدِيمٌ، أَيْ مُتَقَدِّمُ الوُجُودِ، مُتَقَدِّمٌ عَلَى ذَاتِ زَمَانِ المَبْعَثِ، لا أَنَّهُ أَزَلِيٌّ لَمْ يَزَلْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ مُرَادُنَا بِقَدِيمٍ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

والمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهُ عَلَى هَذَا الأَصْلِ إِذَا خَلَقَ المَخْلُوقَاتِ رَآهَا، وَسَمِعَ أَصْوَاتَ عِبَادِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ إِذْ كَانَ خَلْقُهُ لَهُمْ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَبِذَلِكَ صَارُوا يُرَوْنَ وَيُسْمَعُ كَلَامُهُمْ، وَقَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّهُ يَخُصُّ بِالنَّظَرِ وَالاسْتِمَاعِ بَعْضَ المَخْلُوقَاتِ كَقَوْلِهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: مَلِكٌ كَذَّابٌ، وَشَيْخٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[1].

---

١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الإِزَارِ وَالمَنِّ بِالعَطِيَّةِ.. رقم (١٥٦)، عن أبي هريرة، ولكن بتقديم (شَيْخٌ زَانٍ) على (مَلِكٌ كَذَّابٌ).

وَكَذَلِكَ فِي الاسْتِمَاعِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾[1] أَيْ اسْتَمَعَتْ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)[2]، وَقَالَ: (للهُ أَشَدُّ إِذْنًا إِلَى صَاحِبِ القُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ القَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ)[3]، فَهَذَا تَخْصِيصٌ بِالإِذْنِ، وَهُوَ الاسْتِمَاعُ لِبَعْضِ الأَصْوَاتِ دُونَ بَعْضٍ.

وَكَذَلِكَ سَمِعَ الإِجَابَةَ كَقَوْلِهِ: (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)[4]، وَقَوْلِ [زَكَرِيَّا][5]:

---

١) سورة الانشقاق، آية: ٢

٢) رواه البخاري في كتاب التَّوْحِيدِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ الكِرَامِ البَرَرَةِ، رقم (٦٩٨٩)، ومسلم في كتاب صَلَاةِ المُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ: اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ، رقم (١٣١٩)، كِلاهما عن أبي هريرة.

٣) رواه ابن ماجه في كتاب إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، بَاب: فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ، رقم (١٣٣٠)، وأحمد ٤٨/ ٤٧٥، كِلاهما عن فضالة بن عُبيد، وضعّفه الشيخ الألباني في ضعيف ابن ماجه، وغيره، وضعفه كذلك الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المُسند.

٤) رواه البخاري في كتاب الأَذَانِ، بَابُ: التَّكْبِيرِ إِذَا قَامَ مِنَ السُّجُودِ، رقم (٧٤٧)، ومسلمٌ في كتاب الصَّلَاةِ، بَابُ: إِثْبَاتِ التَّكْبِيرِ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا رَفْعَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَيَقُولُ فِيهِ سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رقم (٥٩١)، كِلاهما عن أبي هريرة.

٥) في (س) و(ك) و(م) (الخليل) وهو تصحيفٌ، والصواب ما أثبته إن شاء الله.

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٨﴾(١)، [وَقَوْلِ الخَلِيلِ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾(٢)](٣) يَقْتَضِي التَّخْصِيصَ بِهَذَا السَّمْعِ، فَهَذَا التَّخْصِيصُ ثَابِتٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ تَخْصِيصٌ بِمَعْنًى يَقُومُ بِذَاتِهِ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ - كَمَا تَقَدَّمَ -، وَعِنْدَ النُّفَاةِ هُوَ تَخْصِيصٌ بِأَمْرٍ مَخْلُوقٍ مُنْفَصِلٍ لَا بِمَعْنًى يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَتَخْصِيصُ مَنْ يُحِبُّ بِالنَّظَرِ وَالاسْتِمَاعِ المَذْكُورِ يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مُنْتَفٍ عَنْ غَيْرِهِمْ.

حقيقة الرؤية والسمع لله تعالى

لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ هَلْ يُقَالُ: إِنَّ نَفْسَ الرُّؤْيَةِ وَالسَّمْعِ الَّذِي هُوَ مُطْلَقُ الإِدْرَاكِ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَلَا يُمْكِنُ وُجُودُ مَسْمُوعٍ وَمَرْئِيٍّ إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهِ كَالعِلْمِ.

أَوْ يُقَالُ: إِنَّهُ أَيْضاً بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَيُمْكِنُهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى بَعْضِ المَخْلُوقَاتِ، وَهَذَا فِيهِ قَوْلَانِ:

---

١) سورة آل عمران، آية: ٣٨

٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٩

٣) في (س) و(ك) و(م) (وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبِّي سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾)، وهو تصحيفٌ، والصواب ما أثبته إن شاء الله.

الأَوَّلُ: قَوْلُ مَنْ لَا يَجْعَلُ ذَلِكَ مُتَعَلِّقًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ مُتَعَلِّقًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَقَدْ يَقُولُونَ: مَتَى وُجِدَ/ المَرْئِيُّ وَالمَسْمُوعُ وَجَبَ تَعَلُّقُ الإِدْرَاكِ بِهِ. [٢٦/ب]

وَالقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ جِنْسَ السَّمْعِ وَالرُّؤْيَةِ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَهَذَا هُوَ المَأْثُورُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ؛ كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجَوْنِيِّ[1] قَالَ: «مَا نَظَرَ اللهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا رَحِمَهُ، وَلَكِنَّهُ قَضَى أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ»[2].

---

١) هو عبدالملك بن حبيب الأزدي أو الكندي، أبو عِمران الجَوني البصري، مشهورٌ بكنيته، إمامٌ ثقةٌ، غلب عليه الكلام في الحكمة، مات سنة ١٢٨هـ وقيل بعدها.
يُنظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٥، تقريب التهذيب ٦١٤

٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٢٥٠٩ بلفظ: «إنَّ الله لم ينظر إلى شيء قط إلاَّ رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكن لا ينظر إليهم»، وفيه صُحِّف (الجوني) إلى (الجُنْدُبي)، وهو كذلك عند الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٩٩ ، وفيه صُحِّف (أبو عِمران) إلى (أبي عمرو)، والصواب ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميَّة، والله أعلم.

حقيقة الذكر والنسيان من الله تعالى

وَقَدْ يُقَالُ: هَذَا مِثْلُ الذِّكْرِ وَالنِّسْيَانِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[1]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُه فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُه فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُه هَرْوَلَةً)[2].

فَهَذَا الذِّكْرُ يَخْتَصُّ بِمَنْ ذَكَرَهُ، فَمَنْ لَا يَذْكُرُهُ لَا يَحْصُلُ لَهُ هَذَا الذِّكْرُ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ ذَكَرَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الذِّكْرِ الَّذِي أَنْزَلَهُ أَعْرَضَ عَنْهُ؛ كَمَا قَالَ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[3]، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ

---

١) سورة البقرة، آية: ١٥٢، وقد وقع في (س) و(ك) و(م) ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ بحذف الفاء، وهو تصحيفٌ.

٢) رواه البخاري في كتاب التَّوْحِيدِ، بَابُ: قَوْلِ الله تَعَالَى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾، رقم (٦٨٥٦)، ومسلم في كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، بَابُ: الحَثُّ عَلَى ذِكْرِ الله تَعَالَى، رقم (٤٨٣٢)، كِلاهما عن أبي هريرة.

٣) سورة طه، آية: ١٢٤-١٢٦

بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾(١).

وَقَدْ فَسَّرُوا(٢) هَذَا النِّسْيَانَ بِأَنَّهُ [تَرْكٌ](٣)، وَهَذَا النِّسْيَانُ ضِدُّ ذَلِكَ الذِّكْرِ، وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الكَافِرِ يُحَاسِبُهُ قَالَ: (أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي)(٤)، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ أَهْلَ طَاعَتِهِ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ أَيْضاً، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ هَذَا العَبْدَ، وَعَلِمَ مَا سَيَعْمَلُهُ قَبْلَ أَنْ يَعْمَلَهُ، وَلَمَّا عَمِلَ عَلِمَ مَا عَمِلَ، وَرَأَى عَمَلَهُ، فَهَذَا النِّسْيَانُ لَا يُنَاقِضُ مَا عَلِمَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَالِ هَذَا.

---

١) سورة التوبة، آية : ٦٧

٢) وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاس والسُّدِّي كما عند ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٣١٨، والطبري في تفسيره ١٤/ ٢٤٦.

٣) في (س) كلمة غير واضحة تماماً، وفي (ك): (تَرْكٌ)، وفي (م) قال: «بياض بالأصل»، وقال الشيخ الفهد في صيانة مجموع الفتاوى: «تركُ ذكره»، بينما أثبت الشيخ الزهيري كلمة (تَرْكٌ) مع أنَّ الكلمة غير واضحة تماماً في المخطوط الذي قال أنَّه اعتمد عليه وهو (س)، وما أدري هل اطلع على (ك) أم لا، ولذلك أثبتُّ ما هو منصوص عليه في (ك)، والله أعلم.

٤) رواه مسلم في كتاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ ، بَابٌ، رقم (٥٢٧٠)، عن أبي هريرة.

## فَصْلٌ

جِمَاعُ الفرقان بين الحق والباطل هو متابعة القرآن والسنة

جِمَاعُ الفُرْقَانِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالرَّشَادِ وَالغَيِّ، وَطَرِيقِ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ، وَطَرِيقِ الشَّقَاوَةِ وَالهَلَاكِ: أَنْ يُجْعَلَ مَا بَعَثَ اللهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، هُوَ الحَقُّ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، وَبِهِ يَحْصُلُ الفُرْقَانُ وَالهُدَى وَالعِلْمُ وَالإِيمَانُ، فَيُصَدَّقُ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَمَا سِوَاهُ مِنْ كَلَامِ سَائِرِ النَّاسِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ، / فَإِنْ وَافَقَهُ فَهُوَ حَقٌّ، وَإِنْ خَالَفَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ. [ص/٣٧]

وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ هَلْ وَافَقَهُ أَوْ خَالَفَهُ لِكَوْنِ ذَلِكَ الكَلَامِ مُجْمَلًا لَا يُعْرَفُ مُرَادُ صَاحِبِهِ، أَوْ قَدْ عُرِفَ مُرَادُهُ، وَلَكِنْ لَمْ يُعْرَفْ هَلْ جَاءَ الرَّسُولُ بِتَصْدِيقِهِ أَوْ تَكْذِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُمْسِكُ فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِعِلْمٍ.

وَالعِلْمُ مَا قَامَ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ، وَالنَّافِعُ مِنْهُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَقَدْ يَكُونُ عِلْمٌ مِنْ غَيْرِ الرَّسُولِ؛ لَكِنْ فِي أُمُورٍ / دُنْيَوِيَّةٍ مِثْلِ الطِّبِّ وَالحِسَابِ وَالفِلَاحَةِ وَالتِّجَارَةِ، وَأَمَّا الأُمُورُ الإِلَهِيَّةُ وَالمَعَارِفُ الدِّينِيَّةُ فَهَذِهِ العِلْمُ فِيهَا مَأْخَذُهُ عَنِ الرَّسُولِ، فَالرَّسُولُ أَعْلَمُ الخَلْقِ بِهَا، وَأَرْغَبُهُمْ فِي تَعْرِيفِ الخَلْقِ بِهَا، وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى بَيَانِهَا وَتَعْرِيفِهَا، فَهُوَ فَوْقَ كُلِّ أَحَدٍ فِي العِلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ بِهَا يَتِمُّ المَقْصُودُ. [٢٧/٥]

حال علم الدين من غير الرسول فهو ناقص أو فاسد.

وَمَنْ سِوَى الرَّسُولِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي عِلْمِهِ بِهَا نَقْصٌ أَوْ فَسَادٌ.

وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ إِرَادَةٌ فِيمَا عَلِمَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يُبَيِّنْهُ إِمَّا لِرَغْبَةٍ، وَإِمَّا لِرَهْبَةٍ وَإِمَّا لِغَرَضٍ آخَرَ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بَيَانُهُ نَاقِصاً لَيْسَ بَيَانُهُ الْبَيَانَ عَمَّا عَرَفَهُ الْجَنَانُ[1].

صفة بيان الرسول لعلوم الدين.

وَبَيَانُ الرَّسُولِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

تَارَةً يُبَيِّنُ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ الدَّالَّةَ عَلَيْهَا، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الْيَقِينِيَّةِ عَلَى الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْمَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ.

وَتَارَةً يُخْبِرُ بِهَا خَبَراً مُجَرَّداً لِمَا قَدْ أَقَامَهُ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالدَّلَائِلِ الْيَقِينِيَّاتِ عَلَى أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ الْمُبَلِّغُ عَنِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا يَقُولُ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَقَّ، وَأَنَّ اللهَ شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ، وَأَعْلَمَ عِبَادَهُ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ صَادِقٌ مُصَدُوقٌ فِيمَا بَلَّغَهُ عَنْهُ.

---

[1]) الجَنَانُ: بفتح الجيم، القَلْبُ، وسُمي بذلك لأنه يستر ما به من الأعمال، فإنَّ مادة (جَنّ) في اللغة تدُلّ على الستر والخفاء، ومنه (الجنَّة، والجِنّ، والجنون، والجنين) وغيرها.

الأدلة التي تبين صدق الرسول نوعان: عقلية وشرعية.

وَالأَدِلَّةُ الَّتِي بِهَا نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَهِيَ أَدِلَّةٌ عَقْلِيَّةٌ تُعْلَمُ صِحَّتُهَا بِالعَقْلِ، وَهِيَ أَيْضاً شَرْعِيَّةٌ سَمْعِيَّةٌ لَكِنَّ الرَّسُولَ بَيَّنَهَا، وَدَلَّ عَلَيْهَا، وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا.

وَجَمِيعُ طَوَائِفِ النُّظَّارِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ اشْتَمَلَ عَلَى الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ فِي المَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ، وَهُمْ يَذْكُرُونَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمُ الأُصُولِيَّةِ، وَفِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَعَامَّةُ النُّظَّارِ أَيْضاً يَحْتَجُّونَ بِالأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ الخَبَرِيَّةِ المُجَرَّدَةِ فِي المَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ، فَإِنَّهُ إِذَا ثَبَتَ صِدْقُ الرَّسُولِ وَجَبَ تَصْدِيقُهُ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ.

أقسام العلوم

وَالعُلُومُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

النوع الأول: الأدلة العقلية المجردة

مِنْهَا مَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ، وَأَحْسَنُ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ الَّتِي بَيَّنَهَا القُرْآنُ وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا الرَّسُولُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ أَجَلَّ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ، وَأَكْمَلَهَا، وَأَفْضَلَهَا مَأْخُوذٌ عَنِ الرَّسُولِ؛ فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَذْهَلُ عَنْ هَذَا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَحُ فِي الدَّلَائِلِ العَقْلِيَّةِ مُطْلَقاً لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي ذِهْنِهِ أَنَّهَا هِيَ الكَلَامُ المُبْتَدَعُ الَّذِي أَحْدَثَهُ مَنْ أَحْدَثَهُ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْرِضُ عَنْ تَدَبُّرِ القُرْآنِ، وَطَلَبِ الدَّلَائِلِ اليَقِينِيَّةِ العَقْلِيَّةِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي ذِهْنِهِ أَنَّ القُرْآنَ إِنَّمَا

يَدُلُّ بِطَرِيقِ الخَبَرِ فَقَطْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُعْلَمَ بِالعَقْلِ قَبْلَ ذَلِكَ ثُبُوتُ النُّبُوَّةِ وَصِدْقُ الخَبَرِ حَتَّى يُسْتَدَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَبَرِ مَنْ ثَبَتَ بِالعَقْلِ صِدْقُهُ.

النوع الثاني: الأدلة السمعية المجردة

وَمِنْهَا مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُ الأَنْبِيَاءِ إِلَّا بِخَبَرِ الأَنْبِيَاءِ، وَخَبَرُهُمُ المُجَرَّدُ هُوَ دَلِيلٌ سَمْعِيٌّ، مِثْلَ تَفَاصِيلِ مَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنَ الأُمُورِ الإِلَهِيَّةِ، وَالمَلَائِكَةِ، وَالعَرْشِ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلِ مَا يُؤْمَرُ بِهِ وَيُنْهَى عَنْهُ، فَأَمَّا نَفْسُ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَعِلْمِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا لَا يُعْلَمُ بِالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ./ [٢٦/ك]

النوع الثالث: الأدلة السمعية العقلية

وَإِنْ كَانَتِ الأَدِلَّةُ وَالآيَاتُ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الأَنْبِيَاءُ هِيَ أَكْمَلُ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ؛ لَكِنْ مَعْرِفَةُ هَذِهِ لَيْسَتْ مَقْصُورَةً عَلَى الخَبَرِ المُجَرَّدِ، وَإِنْ كَانَتْ أَخْبَارُ الأَنْبِيَاءِ المُجَرَّدَةُ تُفِيدُ العِلْمَ اليَقِينِيَّ أَيْضاً؛ فَيُعْلَمُ بِالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ الَّتِي أَرْشَدُوا إِلَيْهَا، وَيُعْلَمُ بِمُجَرَّدِ خَبَرِهِمْ لَمَّا عُلِمَ صِدْقُهُمْ بِالأَدِلَّةِ وَالآيَاتِ وَالبَرَاهِينِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى صِدْقِهِمْ.

وَقَدْ تَنَازَعَ النَّاسُ فِي العِلْمِ بِالمَعَادِ، وَبِحُسْنِ الأَفْعَالِ وَقُبْحِهَا، فَأَكْثَرُ النَّاسِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُعْلَمُ بِالعَقْلِ مَعَ السَّمْعِ، وَالقَائِلُونَ بِأَنَّ العَقْلَ يُعْلَمُ بِهِ الحُسْنُ وَالقُبْحُ أَكْثَرُ مِنَ القَائِلِينَ بِأَنَّ المَعَادَ يُعْلَمُ بِالعَقْلِ.

قَالَ أَبُو الخَطَّابِ: «هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الفُقَهَاءِ والمُتَكَلِّمِينَ»[1].

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: المَعَادُ، وَالحُسْنُ وَالقُبْحُ؛ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمُجَرَّدِ الخَبَرِ، وَهُوَ قَوْلُ الأَشْعَرِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الأَئِمَّةِ كَالقَاضِي أَبِي يَعْلَى، وَأَبِي المَعَالِي الجُوَيْنِيِّ، وَأَبِي الوَلِيدِ البَاجِيِّ، وَغَيْرِهِمْ.

وَكُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مِنَ العُلُومِ مَا يُعْلَمُ بِالعَقْلِ وَالسَّمْعِ الَّذِي هُوَ مُجَرَّدُ الخَبَرِ مِثْلَ كَوْنِ أَفْعَالِ العِبَادِ مَخْلُوقَةً لله، أَوْ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ، وَكَوْنِ رُؤْيَتِهِ مُمْكِنَةً أَوْ مُمْتَنِعَةً، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

[ص/١٠٠] وَكُتُبُ/أُصُولِ الدِّينِ لِجَمِيعِ الطَّوَائِفِ مَمْلُوءَةٌ بِالاحْتِجَاجِ بِالأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ الخَبَرِيَّةِ؛ لَكِنَّ الرَّازِيَّ طَعَنَ فِي ذَلِكَ فِي (المَطَالِبِ العَالِيَةِ)، قَالَ: «لِأَنَّ الاسْتِدْلَالَ بِالسَّمْعِ مَشْرُوطٌ بِأَنْ لَا يُعَارِضَهُ قَاطِعٌ عَقْلِيٌّ، فَإِذَا عَارَضَهُ العَقْلِيُّ وَجَبَ تَقْدِيمُهُ عَلَيْهِ».

---

١) التمهيد ١/ ١٨٧

قَالَ: «وَالعِلْمُ بِانْتِفَاءِ المُعَارِضِ العَقْلِيِّ مُتَعَذِّرٌ»، وَهُوَ إِنَّمَا يَثْبُتُ بِالسَّمْعِ مَا عُلِمَ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ الرَّسُولَ أَخْبَرَ بِهِ كَالْمَعَادِ، وَقَدْ يَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ أَئِمَّتِهِ الوَاقِفَةِ فِي الوَعِيدِ، كَالأَشْعَرِيِّ، وَالقَاضِي أَبِي بَكْرٍ، وَغَيْرِهِمَا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا وَقَفُوا فِي أَخْبَارِ الوَعِيدِ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ العُمُومَ عِنْدَهُمْ لَا يُفِيدُ القَطْعَ، أَوْ لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِصِيَغِ العُمُومِ وَقَدْ تَعَارَضَتْ عِنْدَهُمُ الأَدِلَّةُ؛ وَإِلَّا فَهُمْ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةَ لله؛ كَالوَجْهِ، وَاليَدِ، بِمُجَرَّدِ السَّمْعِ وَالخَبَرِ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ قَوْلُ الأَشْعَرِيِّ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُ أَئِمَّةِ أَصْحَابِهِ، لَكِنْ أَبُو المَعَالِي وَأَتْبَاعُهُ لَا يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةَ؛ بَلْ فِيهِمْ مَنْ يَنْفِيهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ فِيهَا كَالرَّازِيِّ وَالآمِدِيِّ.

فَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: قَوْلُ الأَشْعَرِيِّ يَتَنَوَّعُ مِنْ قَوْلِ هَؤُلَاءِ، بِأَنْ يُقَالَ: لَا يُعْرَفُ أَنَّهُمُ اعْتَمَدُوا فِي الأُصُولِ عَلَى دَلِيلٍ سَمْعِيٍّ؛ لَكِنْ يُقَالُ: المَعَادُ يَحْتَجُّونَ عَلَيْهِ بِالقُرْآنِ وَالأَحَادِيثِ؛ وَلَكِنَّ الرَّازِيَّ هُوَ الَّذِي سَلَكَ فِيهِ طَرِيقَ العِلْمِ الضَّرُورِيِّ أَنَّ الرَّسُولَ جَاءَ بِهِ.

وَفِي الحَقِيقَةِ فَجَمِيعُ الأَدِلَّةِ اليَقِينِيَّةِ تُوجِبُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا، وَالأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةُ الخَبَرِيَّةُ تُوجِبُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَخْبَارِ الرَّسُولِ؛ لَكِنْ مِنْهَا مَا تَكْثُرُ أَدِلَّتُهُ كَخَبَرِ الأَخْبَارِ المُتَوَاتِرَةِ، وَيَحْصُلُ بِهِ عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ دَلِيلٍ، وَقَدْ يُعَيِّنُ الأَدِلَّةَ وَيَسْتَدِلُّ بِهَا، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ./ [١٣/٥]

وَالمَقْصُودُ هُنَا: أَنْ يُؤْخَذَ مِنَ الرَّسُولِ العُلُومُ الإِلَهِيَّةُ الدِّينِيَّةُ سَمْعِيُّهَا وَعَقْلِيُّهَا، وَيُجْعَلَ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الأُصُولَ؛ لِدَلَالَةِ الأَدِلَّةِ اليَقِينِيَّةِ البُرْهَانِيَّةِ عَلَى أَنَّ مَا قَالَهُ حَقٌّ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا؛ فَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ عَامَّتُهَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ جُمْلَةً، وَتَفَاصِيلُ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ المَوْجُودَةِ فِي القُرْآنِ وَالحَدِيثِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَفْصِيلًا.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ إِنَّمَا بُعِثُوا بِتَعْرِيفِ هَذَا، فَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ، وَأَحَقُّهُمْ بِبَيَانِهِ، وَأَوْلَاهُمْ بِالحَقِّ فِيهِ.

وَأَيْضًا فَمَنْ جَرَّبَ مَا يَقُولُونَهُ، وَيَقُولُهُ غَيْرُهُمْ، وَجَدَ الصَّوَابَ مَعَهُمْ، وَالخَطَأَ مَعَ مُخَالِفِيهِمْ، كَمَا قَالَ الرَّازِيُّ ـ مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ طَعْنًا فِي الأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ حَتَّى ابْتَدَعَ قَوْلًا مَا عُرِفَ بِهِ قَائِلٌ مَشْهُورٌ غَيْرُهُ، وَهُوَ أَنَّهَا لَا تُفِيدُ اليَقِينَ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُ يَقُولُ ـ: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلَامِيَّةَ، وَالمَنَاهِجَ الفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلَا تَرْوِي غَلِيلًا، وَوَجَدْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ

القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[1]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[3]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾[4]، قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

وأيضاً فمن اعتبر ما عند الطوائف الذين لم يعتصموا بتعليم الأنبياء وإرشادهم وإخبارهم، وجدهم كلهم حائرين ضالين شاكين مرتابين، أو جاهلين جهلاً مركباً، فهم لا يخرجون عن المثلين اللذين في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٣٩ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾[5].

---

١) سورة فاطر، آية: ١٠

٢) سورة طه، آية: ٥

٣) سورة الشورى، آية: ١١

٤) سورة طه، آية: ١١٠

٥) سورة النور، آية: ٣٩-٤٠

## فَصْلٌ

طرائق أهل البدع في التلقي والاستدلال على أصول الاعتقاد

وَأَهْلُ الضَّلَالِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا هُمْ كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: «أَهْلُ البِدَعِ وَالشُّبُهَاتِ»[1]، يَتَمَسَّكُونَ بِمَا هُوَ بِدْعَةٌ فِي الشَّرْعِ، وَمُشْتَبِهٌ فِي العَقْلِ، كَمَا قَالَ فِيهِمْ الإِمَامُ أَحْمَدُ قَالَ: «هُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الكِتَابِ، مُخَالِفُونَ لِلكِتَابِ، مُتَّفِقُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الكِتَابِ، [يَقُولُونَ عَلَى اللهِ، وَفِي اللهِ، وَفِي كِتَابِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ][2]، يَحْتَجُّونَ بِالمُتَشَابِهِ مِنَ الكَلَامِ، وَيُضِلُّونَ [جُهَّالَ][3] النَّاسِ بِمَا يُشَبِّهُونَ عَلَيْهِمْ»[4].

وَالمُفْتَرِقَةُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ تَجْعَلُ لَهَا دِينًا وَأُصُولَ دِينٍ قَدْ ابْتَدَعُوهُ بِرَأْيِهِمْ، ثُمَّ يَعْرِضُونَ عَلَى ذَلِكَ القُرْآنَ وَالحَدِيثَ، فَإِنْ وَافَقَهُ احْتَجُّوا بِهِ اعْتِضَادًا لَا اعْتِمَادًا.

[٢٨/ق] وَإِنْ خَالَفَهُ فَتَارَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَهَذَا فِعْلُ أَئِمَّتِهِمْ.

---

١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٤٢٢، والطبري في تفسيره ٩/ ٦٧٠.

٢) ساقط من (س) و(ك) و(م)، وأثبته من الرّد على الزنادقة والجهمية.

٣) ساقط من (س) و(ك) و(م)، وأثبته من الرّد على الزنادقة والجهمية.

٤) الرّد على الزنادقة والجهمية (ت: العجمي) ١٧٠ - ١٧٣

وَتَارَةً يُعْرِضُونَ عَنْهُ، وَيَقُولُونَ: نُفَوِّضُ مَعْنَاهُ إِلَى الله، وَهَذَا فِعْلُ عَامَّتِهِمْ.

وَعُمْدَةُ الطَّائِفَتَيْنِ فِي البَاطِنِ غَيْرُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، يَجْعَلُونَ أَقْوَالَهُمْ البِدْعِيَّةَ مُحْكَمَةً يَجِبُ اتِّبَاعُهَا، وَاعْتِقَادُ مُوجَبِهَا،/ وَالْمُخَالِفُ إِمَّا كَافِرٌ، وَإِمَّا جَاهِلٌ لَا يَعْرِفُ هَذَا البَابَ، وَلَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِالمَعْقُولِ وَلَا بِالأُصُولِ، وَيَجْعَلُونَ كَلَامَ الله وَرَسُولِهِ الَّذِي يُخَالِفُهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ، وَالرَّاسِخُونَ عِنْدَهُمْ مَنْ كَانَ مُوَافِقاً لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ القَوْلِ؛ وَهَؤُلَاءِ أَضَلُّ مِمَّنْ تَمَسَّكَ بِمَا تَشَابَهَ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ الكِتَابِ، وَتَرَكَ الْمُحْكَمَ كَالنَّصَارَى وَالخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ؛ إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ أَخَذُوا بِالْمُتَشَابِهِ مِنْ كَلَامِ الله وَجَعَلُوهُ مُحْكَماً، وَجَعَلُوا الْمُحْكَمَ مُتَشَابِهاً. [ص١١٧]

وَأَمَّا أُولَئِكَ ـ كَنُفَاةِ الصِّفَاتِ مِنَ الجَهْمِيَّةِ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَغَيْرِهِمْ، وَكَالفَلَاسِفَةِ ـ فَيَجْعَلُونَ مَا ابْتَدَعُوهُ هُمْ بِرَأْيِهِمْ هُوَ الْمُحْكَمَ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يُوَافِقُهُ، وَيَجْعَلُونَ مَا جَاءَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ وَإِنْ كَانَ صَرِيحاً قَدْ يُعْلَمُ مَعْنَاهُ بِالضَّرُورَةِ يَجْعَلُونَهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ!!

وَلِهَذَا كَانَ هَؤُلَاءِ أَعْظَمَ مُخَالَفَةً لِلْأَنْبِيَاءِ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْبِدَعِ حَتَّى قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ(١)، وَعَبْدُاللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَغَيْرُهُمَا كَطَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ: «أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ نُفَاةَ الصِّفَاتِ خَارِجُونَ عَنِ الثِّنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»، قَالُوا: «وَأُصُولُهَا أَرْبَعَةٌ: الشِّيعَةُ، وَالْخَوَارِجُ، وَالْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ»(٢).

---

١) هو يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني، أبو محمد الكوفي، إمامٌ زاهدٌ كبير القدر مُتبعٌ للسُّنة، مِن أقران سفيان الثوري وابن المبارك، وثَّقه يحيى بن معين، وقال عنه أبو حاتم: لا يحتج به، وقال البخاري: دفن كتبه، فكان حديثه لا يجيء كما ينبغي، مات سنة ١٩٥هـ
يُنظر: التاريخ الكبير ٨/ ٣٨٥، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٠، ميزان الاعتدال ٤/ ٤٦٢

٢) أثر يوسف بن أسباط أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة ٢/ ٦٥٧ (ت: الجوابرة)، والآجري في الشريعة ١/ ١٧٦ (ت: شيخنا الدميجي)، وابن بطة في الإبانة ١/ ٣٧٧ (ت: رضا نعسان) كُلهم مِن طريق المُسيِّب بن واضح عن ابن أسباط، والمُسيِّبُ قال فيه أبو حاتم: «صدوق يخطئ كثيراً»، وكان النسائي حسن الرأي فيه، ووهِم شيخنا الدميجي في نقله عن ابن حجر قوله في اللسان: «وقال النسائي والدارقطني والعقيلي مَتْرُوكٌ»، لأن الحافظ أراد (عبدالوهاب بن الضحاك) لا (المُسيِّب بن واضح)، والأثر في الجملة لا بأس به، والله أعلم.
وأمَّا أثر ابن المبارك فقد أخرجه ابن بطة في الإبانة ١/ ٣٧٩-٣٨٠ مِن طريق حفص بن حُميد المروزي عن ابن المبارك، وحفصٌ قال فيه يحيى بن معين: «صالحٌ»، ووثَّقه ابن حِبَّان، وقال الحافظ ابن حجر: «صدوقٌ»، والأثر في الجملة لا بأس به كذلك، والله أعلم.

أقوال العلماء في معنى المتشابه في الآيات القرآنية

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [1] فِي الْمُتَشَابِهَاتِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا آيَاتٌ بِعَيْنِهَا تَتَشَابَهُ عَلَى كُلِّ النَّاسِ.

والثَّانِي: وَهُوَ الصَّحِيحُ، أَنَّ التَّشَابُهَ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ، فَقَدْ يَتَشَابَهُ عِنْدَ هَذَا مَا لَا يَتَشَابَهُ عِنْدَ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ ثَمَّ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ لَا تَشَابُهَ فِيهَا عَلَى أَحَدٍ، وَتِلْكَ الْمُتَشَابِهَاتُ إِذَا عُرِفَ مَعْنَاهَا صَارَتْ غَيْرَ مُتَشَابِهَةٍ؛ بَلِ الْقَوْلُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [2]، وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﷺ: (الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ

---

وقد قال شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٣/ ٣٥٠: « وأما تعيين الفِرَق الهالكة فأقدم مَن بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط ثم عبدالله بن المبارك، وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين، قالا: أصول البدع أربعة: الرَّوافض، والخوارج، والقدرية، والمُرجئة».

١) سورة آل عمران، آية: ٧

٢) سورة هود، آية: ١

بيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمورٌ مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)(١)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾(٢).

وَقَدْ صَنَّفَ أَحْمَدُ كِتَاباً فِي (الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ والجَهْمِيَّةِ فِيمَا شَكَّتْ فِيهِ مِنْ مُتَشَابِهِ القُرْآنِ وَتَأَوَّلُوهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ)(٣) وَفَسَّرَ تِلْكَ الآيَاتِ كُلَّهَا، وَذَمَّهُمْ عَلَى

---

١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، بَابُ: فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رقم (٥٠)، ومسلم في كتاب المُسَاقَاةِ، بَابُ: أَخْذِ الحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، رقم (٢٩٩٦)، كلاهما عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ.

٢) سورة البقرة، آية: ٧٠

٣) هو مِن أنفس الردود على الجَهْمِيَّة، وإن شكك بعض العُلَماء في نسبه إليه، وقد صحح نسبه جمعٌ مِن العُلَماء منهم شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وقد استفاد منه شيخ الإسلام كثيراً، ونقل منه في عِدَّة مصنفات له منها (منهاج السُّنة ٥/ ٢٧٣)، و(الدرء ١/ ١٨، ٢٠٧، ٢٢١)، والتسعينية (١/ ٢١٥)، وغيرها، حتى قال في درء التعارض ١/ ٢٠٧: «ولهذا قال الإمام أحمد في أول ما كتبه في (الرَّدِّ على الزَّنَادِقَة والجَهْمِيَّة فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأوله على غير تأويله) ممَّا كتبه في حبسه، وقد ذكره الخلال في (كتاب السُّنة)، والقاضي أبو يعلى، وأبو الفضل التميمي، وأبو الوفاء بن عقيل، وغير واحدٍ مِن أصحاب أحمد، ولم ينفه أحدٌ منهم عنه»، وقال عنه ابن القيِّم كما في اجتماع الجيوش الإسلامية ٣١٨ (ت: الشبري): «قال الخلال: كتبت هذا الكتاب ـ أي الرَّد على الزَّنَادِقَة والجَهْمِيَّة ـ مِن خط عبدالله، وكتبه عبدالله مِن خط أبيه، واحتج القاضي أبو يعلى في كتابه (إبطال التأويل) بما نقله منه عن أحمد، وذكر ابن عقيل في كتابه بعض ما فيه عن أحمد ونقله عن أصحابه قديماً وحديثاً، ونقل منه

أَنَّهُمْ تَأَوَّلُوا ذَلِكَ المُتَشَابِهَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَعَامَّتُهَا آيَاتٌ مَعْرُوفَةٌ قَدْ تَكَلَّمَ العُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِهَا، / مِثْلَ الآيَاتِ الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا نَافِعُ بْنُ الأَزْرَقِ[1] ابْنَ عَبَّاسٍ. [٢٧/ب]

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ آيَةً إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُعْلَمَ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَمَاذَا عُنِيَ بِهَا»[2].

---

البيهقي وعزاه إلى أحمد، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحمد، ولم يَمتنع من أحد من متقدمي أصحابه ولا متأخريهم طعنٌ فيه»، والكتاب قام بتحقيقه الشيخ إسماعيل الأنصاري، بمطبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، والدكتور علي النشار، بدار المعارف، والدكتور عبدالرحمن عميرة، بدار اللواء، والشيخ صبري شاهين، بدار الثبات، والشيخ دغش العجمي، بدار غراس، (وهي أجودها)، وهناك رسالة ماجستير للطالب عيسى مصطفى بعنوان (موقف الإمام أحمد بن حنبل من الزَّنَادِقَة والجَهْمِيَّة) من جامعة أم القرى، وهي غير مطبوعة، وعندي نسخةٌ منها.

١) هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، أبو راشد البصري، من رؤوس الخوارج دعاةً وشجاعةً وجبروتاً، وإليه تُنسب طائفة الأزارقة منهم، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية، مات سنة ٦٥هـ.

يُنظر: تاريخ الطبري ٥/ ٥٢٨، الفرق بين الفرق ٥٢، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٤١

٢) رواه أبو عُبيد القاسم بن سلاَّم في فضائل القُرآن ٤٢ بلفظ: «وَمَا أَرَادَ بِهَا»، والثعلبي في الكشف والبيان ١/ ٨٦ بلفظ: «وَمَا مَعْنَاهَا»، بدل «وَمَاذَا عُنِيَ بِهَا».

وَمَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ إِنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ فَقَدْ أَصَابَ أَيْضاً، وَمُرَادُهُ بِالتَّأْوِيلِ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، مِثْلَ وَقْتِ السَّاعَةِ، وَمَجِيءِ أَشْرَاطِهَا، وَمِثْلَ كَيْفِيَّةِ نَفْسِهِ، وَمَا أَعَدَّهُ فِي الْجَنَّةِ لِأَوْلِيَائِهِ.

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ نُزُولِ الآيَةِ احْتِجَاجُ النَّصَارَى بِمَا تَشَابَهَ عَلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ: (إِنَّا) و (نَحْنُ)، وَهَذَا يَعْرِفُ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْوَاحِدُ الْمُعَظَّمُ الَّذِي لَهُ أَعْوَانٌ؛ لَمْ يُرِدْ بِهِ أَنَّ الآلِهَةَ ثَلَاثَةٌ، فَتَأْوِيلُ هَذَا الَّذِي هُوَ تَفْسِيرُهُ يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ.

وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَا قِيلَ فِيهِ: (إِيَّايَ)، وَمَا قِيلَ فِيهِ (إِنَّا) لِدُخُولِ الْمَلَائِكَةِ فِيمَا يُرْسِلُهُمْ فِيهِ؛ إِذْ كَانُوا رُسُلَهُ، وَأَمَّا كَوْنُهُ هُوَ الْمَعْبُودَ الإِلَهَ فَهُوَ لَهُ وَحْدَهُ وَلِهَذَا لَا يَقُولُ: (فَإِيَّانَا فَاعْبُدُوا) وَلَا (إِيَّانَا فَارْهَبُوا) بَلْ مَتَى جَاءَ الأَمْرُ بِالعِبَادَةِ وَالتَّقْوَى وَالْخَشْيَةِ وَالتَّوَكُّلِ ذَكَرَ نَفْسَهُ وَحْدَهُ بِاسْمِهِ الْخَاصِّ، وَإِذَا ذَكَرَ الأَفْعَالَ الَّتِي يُرْسِلُ فِيهَا الْمَلَائِكَةَ قَالَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾[1]، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾[2]، ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾[3]، وَنَحْوَ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ تَأْوِيلَ هَذَا ـ وَهُوَ حَقِيقَةُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَصِفَاتِهِمْ وَكَيْفِيَّةِ إِرْسَالِ الرَّبِّ لَهُمْ ـ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

---

١) سورة الفتح، آية: ١

٢) سورة القيامة، آية: ١٨

٣) سورة القصص، آية: ٣

الواجب على العباد أن يجعلوا الوحي هو الأصل والإمام الحكم.

والمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الوَاجِبَ أَنْ يُجْعَلَ مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ هُوَ الأَصْلَ، وَيُتَدَبَّرَ مَعْنَاهُ، وَيُعْقَلَ، وَيُعْرَفَ بُرْهَانُهُ وَدَلِيلُهُ، إِمَّا العَقْلِيُّ، وَإِمَّا الخَبَرِيُّ السَّمْعِيُّ، وَيُعْرَفَ دَلَالَةُ القُرْآنِ عَلَى هَذَا وَهَذَا، وَتُجْعَلَ أَقْوَالُ النَّاسِ الَّتِي قَدْ تُوَافِقُهُ وَتُخَالِفُهُ مُتَشَابِهَةً مُجْمَلَةً.

فَيُقَالُ لِأَصْحَابِ هَذِهِ الأَلْفَاظِ: يُحْتَمَلُ كَذَا وَكَذَا، وَيُحْتَمَلُ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ أَرَادُوا بِهَا مَا يُوَافِقُ خَبَرَ الرَّسُولِ قُبِلَ، وَإِنْ أَرَادُوا بِهَا مَا يُخَالِفُهُ رُدَّ.

وَهَذَا مِثْلُ لَفْظِ المُرَكَّبِ[1]، والجِسْمِ[2]،

---

١) المُرَكَّب: هو ما يدُلُّ جزء لفظه على جزء معناه، ومنه المُرَكَّب التَّام الَّذي يصح السُّكوت عليه، والمُرَكَّب غير التَّام الذي لا يصح السكُوت عليه.

يُنظر: التعريفات للجرجاني ٢٩٤، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٥/ ٢٠٥-٢٠٦: «ولهذا كان لفظ المُرَكَّب عندهم يقال على خمسة معانٍ: على المُرَكَّب من الوجود والماهية، والمُرَكَّب من الذات والصفات، والمُرَكَّب من الخاص والعام، والمُرَكَّب من المادة والصورة، والقائلون بالجوهر الفرد يثبتون التركيب من الجواهر المفردة، والمحققون من أهل العلم يعلمون أنَّ تسمية مثل هذه المعاني تركيباً أمرٌ اصطلاحي، وهو إمَّا أمر ذهني لا وجود له في الخارج، وإمَّا أن يعود إلى صفاتٍ متعددةٍ قائمةٍ بالموصوف، وهذا حقٌّ»، وبمعناه كذلك في الفتاوى ٦/ ١٠٣-١٠٤.

٢) الجِسم: هو ما قام بذاته في العالم، ومنه الجسم التعليمي الَّذي يقبل الانقسام طُولاً وعَرضاً وعُمقاً، والجسم الطبيعي الَّذي يُفرض فيه الطُّول والعَرض والعُمْق.

والمُتَحَيِّـــــــــــــــزِ(١)، والجَـــــــــــــــوْهَرِ(٢)،

---

يُنظر: التعريفات للجرجاني ١٣٩، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للأنصاري ٧١، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٧/ ٣٢٤: «تبيَّن أنَّ من قال الجسم هو المؤلف المُركَّب واعتقد أنَّ الأجسام مُركَّبة من الجواهر الفردة فقد ادَّعى معنىً عقلياً يُنازعه فيه أكثر العقلاء من بني آدم، و لم يُنقل عن أحدٍ من السَّلف أنَّه وافقه عليه، وأنَّه جعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدُلُّ على معنى لا يدُلُّ عليه اللفظ في اللغة، فقد غيَّر معنى اللفظ في اللغة، وادَّعى معنىً عقلياً فيه نزاعٌ طويلٌ، وليس معه من الشرع ما يوافق ما ادَّعاه من معنى اللفظ، ولا ما ادَّعاه من المعنى العقلي، فاللغة لا تدُلُّ على ما قاله، والشرع لا يدُلُّ على ما قاله، و العقل لم يدُلَّ على مُسميات الألفاظ، و إنما يدُلُّ على المعنى المُجرد وذلك فيه نزاعٌ طويلٌ»، ومعناه كذلك في الفتاوى ٥/ ٤٢١.

١) المُتحيِّز: هو الفراغ المُتوهَّم الذي يشغله شيءٌ مُمتدٌّ كالجسم، أو يشغله شيءٌ غيرُ مُمتدٍّ كالجوهر الفَرد.

يُنظر: التعريفات للجرجاني ١٥٧، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٧/ ٣٢٦-٣٢٧: «وكذلك النزاع في لفظ التحيُّز والجهة ونحو ذلك، فمن الناس مَن يقول هو مُتحيِّزٌ، وهو في جهةٍ، و منهم مَن يقول ليس بمُتحيِّزٍ، وليس في جهةٍ، ومنهم مَن يقول هو في جهةٍ وليس بمُتحيِّزٍ، ولفظ المُتحيِّز يتناول الجسم والجوهر الفرد، ولفظ الجوهر قد يُراد به المُتحيِّز، وقد يُراد به الجوهر الفرد، ومن الفلاسفة مَن يدَّعي إثبات جواهر قائمة بأنفسها غير مُتحيِّزة، ومُتأخروا أهل الكلام كالشهرستاني والرَّازي والآمدي ونحوهم يقولون ليس في العقل ما يُحيل ذلك!!».

٢) الجَوْهر: هو ماهيةٌ إذا وجدتْ في الأعيان كانت لا في موضعٍ، وهو مُنحصِرٌ في خمسةٍ: هَيُوليٍّ، وصُورةٍ، وجسمٍ، ونفسٍ، وعَقلٍ، وهو ما يُقابل التَّحيُّز.

يُنظر: التعريفات للجرجاني ١٤١، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة للأنصاري ٧١، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٩/ ٢٩٨-٢٩٩: «لفظ الجوهر فيه إجمالٌ ... وهؤلاء منهم مَن يُريد بالجوهر

والجهة(١)، والعرض(٢)،

---

التحيز، فيكون الجسم المتحيز عندهم جوهراً، وقد يُريدون به الجوهر الفرد، وهو الجزء الذي لا يتجزأ، والعقلاء متنازعون في إثبات هذا، وهو أنَّ الأجسام هل هي مُركَّبة من الجواهر المفردة، أم من المادة والصورة، أم ليست مُركَّبة من هذا ولا من هذا على ثلاثة أقوال، أصحها الثالث: أنَّها مُركَّبة لا من الجواهر المفردة، ولا من المادة والصورة، وهذا قول ... جمهور الفقهاء، وأهل الحديث والصوفية وغيرهم بل هو قول أكثر العقلاء».

١) الجهة: هي الجانب والناحية، والجهة والحيِّز متلازمان في الوجود، إلا أنَّ الحيِّز مقصدٌ للمُتحرك بالحصول فيه، والجهة مقصدٌ له بالوصول إليها والقُرب منها، فالجهة مُنتهى الحركة، لا ما تَصِحُّ فيه الحركة.

يُنظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ للدكتور جميل صليبا ١/ ٤١٩، وقال شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٣/ ٤١-٤٢: «لفظ الجهة قد يُراد به شيءٌ موجود غير الله فيكون مخلوقاً، كما إذا أُريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يُراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أُريد بالجهة ما فوق العالم، ومعلومٌ أنَّه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك، وقد عُلِم أنَّ ما ثَمَّ موجودٌ إلاَّ الخالق والمخلوق، والخالق مُباينٌ للمخلوق، والله سبحانه وتعالى ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، فيُقال لمن نفى الجهة أتريد بالجهة أنها شيءٌ موجودٌ مخلوقٌ، فالله ليس داخلاً في المخلوقات، أم تُريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب أنَّ الله فوق العالم مُباينٌ للمخلوقات، وكذلك يُقال لمن قال أنَّ الله في جهة أتريد بذلك أنَّ الله فوق العالم، أو تريد به أن الله داخل في شيءٍ من المخلوقات، فإن أردتَ الأول فهو حقٌّ، وإن أردتَ الثاني فهو باطلٌ».

٢) العَرَض: هو الموجود الذي يحتاجُ في وُجُوده إلى موضع، ومنه الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوُجُود كالبياض والسواد، ومنه الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسُّكون، أو هو ما قام بغيره.

[ص/١٢] وَنَحوِ ذَلِكَ، وَلَفظِ الحَيِّزِ(١) وَنَحوِ ذَلِكَ،/ فَإِنَّ هَذِهِ الأَلفَاظَ لَا تُوجَدُ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالمَعنَى الَّذِي يُرِيدُهُ أَهلُ هَذَا الاصطِلَاحِ؛ بَل وَلَا فِي اللُّغَةِ أَيضاً؛ بَل هُم

---

يُنظر: التعريفات للجرجاني ٢٢٥، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ٩/ ٣٠٠: «ولفظ العَرَض في اللغة له معنى وهو: ما يعرض ويزول كما قال تعالى ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ عند أهل الاصطلاح الكلامي قد يُراد بالعَرَض ما يقوم بغيره مُطلقاً، وقد يُراد بها ما يقوم بالجسم من الصفات، ويُراد به في غير هذا الاصطلاح أموراً أخرى، ومعلومٌ أنَّ مذهب السَّلف والأئمة وعامة أهل السُّنة والجماعة إثبات صفات الله، وأنَّ له عِلماً وقُدرةً وحياةً وكلاماً ويُسمون هذه الصفات، ثم منهم مَن يقول هي صفات وليست أعراضاً، لأن العَرَض لا يبقى زمانين وهذه باقيةٌ، ومنهم مَن يقول بل تُسمَّى أعراضاً لأن العَرَض قد يبقى، وقول مَن قال أنَّ كُلَّ عَرَض لا يبقى زمانين قول ضعيفٌ، وإذا كانت الصفات الباقية تُسمَّى أعراضاً جاز أن تُسمَّى هذه أعراضاً، ومنهم مَن يقول أنا لا أُطلق ذلك بناء على أنَّ الإطلاق مُستنده الشرع».

١) الحَيِّز: هو المكان عند جمهور المُتكلمين، وهو عندهم بمعنى الفراغ المُتوهَّم مع اعتبار حصول الجسم فيه، وعند المنطقيين هو الفراغ المُتوهَّم من غير اعتبار حصول الجسم فيه أو عدمه.

يُنظر: التعريفات للجرجاني ١٥٧، كشَّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/ ٢٩٨، وقال شيخ الإسلام في الفتاوى ١٧/ ٣٠٤-٣٠٥: «وأمَّا الألفاظ التي لا تُوجد في الكتاب والسُّنة بل ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المُسلمين لا إثباتها ولا نفيها، وقد تنازع فيها النَّاس فهذه الألفاظ لا تُثبت ولا تُنفى إلَّا بعد الاستفسار عن معانيها، فإن

يَخْتَصُّونَ بِالتَّعْبِيرِ بِهَا عَلَى مَعَانٍ لَمْ يُعَبِّرْ غَيْرُهُمْ عَنْ تِلْكَ المَعَانِي بِهَذِهِ الأَلْفَاظِ، فَيُفَسِّرُ تِلْكَ المَعَانِي بِعِبَارَاتٍ أُخْرَى، وَيُبْطِلُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ القُرْآنُ بِالأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ وَالسَّمْعِيَّةِ.

وَإِذَا وَقَعَ الاسْتِفْسَارُ وَالتَّفْصِيلُ تَبَيَّنَ الحَقُّ مِنَ البَاطِلِ، وَعُرِفَ وَجْهُ الكَلَامِ عَلَى أَدِلَّتِهِمْ، فَإِنَّهَا مُلَفَّقَةٌ مِنْ مُقَدِّمَاتٍ مُشْتَرَكَةٍ يَأْخُذُونَ اللَّفْظَ المُشْتَرَكَ فِي إِحْدَى المُقَدِّمَتَيْنِ بِمَعْنًى، وَفِي المُقَدِّمَةِ الأُخْرَى بِمَعْنًى آخَرَ، فَهُوَ فِي صُورَةِ اللَّفْظِ دَلِيلٌ، وَفِي المَعْنَى لَيْسَ بِدَلِيلٍ؛ كَمَنْ يَقُولُ: سُهَيْلٌ بَعِيدٌ مِنَ الثُّرَيَّا، لَا يَجُوزُ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهَا وَلَا يَتَزَوَّجَهَا، وَالَّذِي قَالَ:

أَيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ..............................

---

وجدت معانيها مما أثبته الرّب لنفسه أثبت، وإن وجدت مما نفاه الرّب عن نفسه نُفيت، وإن وجدنا اللفظ أثبت به حقٌّ وباطلٌ، أو نُفي به حقٌّ وباطلٌ، أو كان مُجملاً يُراد به حقٌّ وباطلٌ، وصاحبه أراد به بعضها لكنه عند الإطلاق يُوهم الناس أو يُفهمهم ما أراد وغير ما أراد فهذه الألفاظ لا يُطلق إثباتها ولا نفيها، كلفظ الجوهر والجسم والتحيُّز والجهة ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل في هذا المعنى، فقلَّ مَن تكلم بها نفياً أو إثباتاً إلاَّ وأدخل فيها باطلاً وإن أراد بها حقاً، والسَّلف والأئمة كرهوا هذا الكلام المُحدَث لاشتماله على باطلٍ وكذبٍ وقولٍ على الله بلا علم».

أَرَادَ امْرَأَةً اسْمُهَا الثُّرَيَّا، وَرَجُلاً اسْمُهُ [سُهَيْلٌ](١).

ثُمَّ قَالَ:

........................... عَمْرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ/ [٨٠/أ]

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ(٢).

---

١) في (س) و(ك) (سُهَيْلاً)، وفي (م) (سُهَيْلٌ)، والأظهر أنها بالرفع خبر المُبتدأ كما قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

٢) هذا مِن شعر عُمَر بن أبي ربيعة المخزومي يتغزل في عشيقته الثُّريا بنت عبدالله بن الحارث ابن أمية، وكانت رائعة الجمال، وكان يقول فيها:

أحسنُ النجم في السماء الثُّريا والثُّريا في الأرض زين النساء.

وقد تزوجها سهيل بن عبدالرَّحمن بن عوف، ونقلها معه إلى مِصر، والشاعر هنا يرثي نفسه كيف فاتته مع عشقه لها بطريق الكناية حيث يرمز بالثُّريا للنجم المعروف الذي يطلع من جهة الشَّام، وبسهيلٍ للكوكب الذي يطلع من جهة اليمن، وهو يقصد المرأة وزوجها، فجعل ذلك مَثلاً بعدُ للناس، ومات عُمَرُ بعد أن تاب، وأحسن التوبة، وقد عاش ثمانين سنة، ويقال إنه تغزل أربعين سنة، وتنسك أربعين سنة، ويعفوا الله عمّا سلف.

والمفسرون غالباً يذكرون الأبيات في تفسير قوله تعالى ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢)، والفقهاء غالباً ما يذكروها في اليمين، وحكم الحلف بعَمْرك، أو في باب النكاح عند تفسيرهم للجمع الذي بمعنى الوطء، وحبذا مُراجعة القصة في غريب الحديث

وَهَذَا لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ، فَجَمَلَ يُعْجِبُهُ، وَإِنْكَارُهُ مِنَ الظَّاهِرِ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ، وَقَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَى أَدِلَّتِهِمُ الْمُفَصَّلَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

وَالأَصْلُ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ نُفَاةُ الصِّفَاتِ، وَعَطَّلُوا مَا عَطَّلُوهُ حَتَّى صَارَ مُنْتَهَاهُمْ إِلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي جَحَدَ الْخَالِقَ، وَكَذَّبَ رَسُولَهُ مُوسَى فِي أَنَّ اللهَ كَلَّمَهُ، هُوَ اسْتِدْلَالُهُمْ عَلَى حُدُوثِ الْعَالَمِ بِأَنَّ الأَجْسَامَ مُحْدَثَةٌ، وَاسْتِدْلَالُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنَ الْحَوَادِثِ، وَلَمْ تَسْبِقْهَا، وَمَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الْحَوَادِثِ، وَلَمْ يَسْبِقْهَا، فَهُوَ مُحْدَثٌ.

وَهَذَا أَصْلُ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ أَطْبَقَ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ عَلَى ذَمِّهِمْ، وَأَصْلُ قَوْلِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ أَطْبَقُوا عَلَى ذَمِّهِمْ، وَقَدْ صَنَّفَ النَّاسُ مُصَنَّفَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، فِيهَا أَقْوَالُ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ فِي ذَمِّ الْجَهْمِيَّةِ، وَفِي ذَمِّ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

السلف لم يذموا جنس الكلام بل ذموا الباطل منه

وَالسَّلَفُ لَمْ يَذُمُّوا جِنْسَ الْكَلَامِ، فَإِنَّ كُلَّ آدَمِيٍّ يَتَكَلَّمُ، وَلَا ذَمُّوا الِاسْتِدْلَالَ وَالنَّظَرَ وَالْجَدَلَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَالِاسْتِدْلَالَ بِمَا بَيَّنَهُ اللهُ

---

لأبي عبيد ٢/ ١٦٣، البداية والنهاية ٩/ ١٠٩، أخبار مكة للفاكهاني ٥/ ٣٣٢، ديوان عمر ابن أبي ربيعة ٩، وغيرها من مصادر اللغة والتاريخ.

وَرَسُولُهُ، بَلْ وَلَا ذَمُّوا كَلَامًا هُوَ حَقٌّ؛ بَلْ ذَمُّوا الْكَلَامَ الْبَاطِلَ، وَهُوَ الْمُخَالِفُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهُوَ الْمُخَالِفُ لِلْعَقْلِ أَيْضًا وَهُوَ الْبَاطِلُ.

فَالكَلَامُ الَّذِي ذَمَّهُ السَّلَفُ هُوَ الْكَلَامُ الْبَاطِلُ، وَهُوَ الْمُخَالِفُ لِلشَّرْعِ وَالعَقْلِ، وَلَكِنْ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ خَفِيَ عَلَيْهِ بُطْلَانُ هَذَا الْكَلَامِ.

فَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَقَدَهُ مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ وَالعَقْلِ حَتَّى اعْتَقَدَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلَ اسْتَدَلَّ بِهِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَجْعَلُهُ أَصْلَ الدِّينِ، وَلَا يَحْصُلُ الإِيمَانُ، أَوْ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ؛ وَلَكِنْ مَنْ عَرَفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، عَلِمَ بِالإِضْطِرَارِ أَنَّ الرَّسُولَ وَالصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا يَسْلُكُونَ هَذَا الْمَسْلَكَ، فَصَارَ مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ يَعْرِفُ أَنَّ هَذَا بِدْعَةٌ.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ فَاسِدٌ؛ بَلْ يَظُنُّ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ صَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ العَقْلِ؛ لَكِنَّهُ طَوِيلٌ، أَوْ يَبْعُدُ الْمَعْرِفَةَ، أَوْ هُوَ طَرِيقٌ مُخِيفَةٌ مُخْطِرٍ يُخَافُ عَلَى سَالِكِهِ، فَصَارُوا يَعِيبُونَهُ كَمَا يُعَابُ الطَّرِيقُ الطَّوِيلُ، وَالطَّرِيقُ الْمُخِيفُ، مَعَ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّهُ يُوَصِّلُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَأَنَّهُ صَحِيحٌ فِي نَفْسِهِ.

وصول أهل الكلام إلى الحيرة والشك

وَأَمَّا الحُذَّاقُ العَارِفُونَ تَحْقِيقَهُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ بَاطِلٌ عَقْلاً وَشَرْعاً، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِطَرِيقٍ مُوَصِّلٍ إِلَى المَعْرِفَةِ؛ بَلْ إِنَّمَا يُوَصِّلُ لِمَنْ اعْتَقَدَ صِحَّتَهُ إِلَى الجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَمَنْ تَبَيَّنَ لَهُ تَنَاقُضُهُ أَوْصَلَهُ إِلَى الحَيْرَةِ وَالشَّكِّ.

وَلِهَذَا صَارَ حُذَّاقُ سَالِكِيهِ يَنْتَهُونَ إِلَى الحَيْرَةِ وَالشَّكِّ؛ إِذْ كَانَ حَقِيقَتُهُ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ فَهُوَ حَادِثٌ مَسْبُوقٌ بِالعَدَمِ، وَلَيْسَ فِي الوُجُودِ قَدِيمٌ، وَهَذَا مُكَابَرَةٌ؛ فَإِنَّ الوُجُودَ مَشْهُودٌ، وَهُوَ إِمَّا حَادِثٌ وَإِمَّا قَدِيمٌ، وَالحَادِثُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَدِيمٍ؛ فَثَبَتَ وُجُودُ القَدِيمِ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ.

وَكَذَلِكَ مَا ابْتَدَعَهُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ ابْنُ سِينَا[1] وَأَتْبَاعُهُ مِنَ الاسْتِدْلَالِ بِالمُمْكِنِ عَلَى الوَاجِبِ أَبْطَلُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا قَدْ بُسِطَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ فَهُوَ مُمْكِنٌ، لَيْسَ فِي الوُجُودِ مَوْجُودٌ بِنَفْسِهِ؛ مَعَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا هَذَا طَرِيقاً لِإِثْبَاتِ/ الوَاجِبِ بِنَفْسِهِ؛ كَمَا يَجْعَلُ أُولَئِكَ هَذَا طَرِيقاً [١٨٧/أ]

---

١) هو الحسين بن عبدالله بن سينا، أبو علي الفيلسوف المشهور، كان بارعاً في الطب في زمانه، له المؤلفات العديدة من أشهرها ((الشفا)) و((الإشارات)) و((القانون))، وكان يقول بمكفرات كقدم العالم، ونفي المعاد الجسماني، وأنَّ الله لا يعلم الجزئيات، وبها كفَّره الغزالي في تهافت الفلاسفة، وقد أتهم بانتمائه لمذهب الإسماعيلية الباطني، مات سنة ٤٢٨هـ.

يُنظر: وفيات الأعيان ١/ ٤١٩، لسان الميزان ٢/ ٢٩١

لِإِثْبَاتِ الْقَدِيمِ، وَكِلَاهُمَا يُنَاقِضُ ثُبُوتَ الْقَدِيمِ وَالْوَاجِبِ، فَلَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِثْبَاتُ قَدِيمٍ وَلَا وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ، مَعَ أَنَّ ثُبُوتَ مَوْجُودٍ/ قَدِيمٍ، وَوَاجِبٍ بِنَفْسِهِ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ. [ص/١٢]

القديم والواجب بين الفلاسفة والجهمية

وَلِهَذَا صَارَ حُذَّاقُ هَؤُلَاءِ إِلَى أَنَّ الْمَوْجُودَ الْوَاجِبَ وَالْقَدِيمَ هُوَ الْعَالَمُ بِنَفْسِهِ، وَقَالُوا: هُوَ اللهُ. وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رَبٌّ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ؛ إِذْ كَانَ ثُبُوتُ الْقَدِيمِ الْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ لَا بُدَّ مِنْهُ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ، وَيَزْعُمُونَ وَنَحْوُهُ مِمَّنْ أَنْكَرَ الصَّانِعَ مَا كَانَ يُنْكِرُ هَذَا الْوُجُودَ الْمَشْهُودَ.

فَلَمَّا كَانَ حَقِيقَةُ قَوْلِ أُولَئِكَ يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُ لَيْسَ مَوْجُودٌ قَدِيمٌ وَلَا وَاجِبٌ؛ لَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا يَلْزَمُهُمْ؛ بَلْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا الدَّلِيلَ عَلَى إِثْبَاتِ الْقَدِيمِ الْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ، وَلَكِنْ وَصَفُوهُ بِصِفَاتِ الْمُمْتَنِعِ، فَقَالُوا: لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا هُوَ صِفَةٌ وَلَا مَوْصُوفٌ، وَلَا يُشَارُ إِلَيْهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ عَدَمَهُ، وَكَانَ هَذَا مِمَّا تَنْفِرُ عَنْهُ الْعُقُولُ وَالْفِطَرُ، وَيُعْرَفُ أَنَّ هَذَا صِفَةُ الْمَعْدُومِ الْمُمْتَنِعِ لَا صِفَةُ الْمَوْجُودِ.

فَدَلِيلُهُمْ فِي نَفْسِ الأَمْرِ يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُ مَا ثَمَّ قَدِيمٌ وَلَا وَاجِبٌ، وَلَكِنْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا القَدِيمَ وَالوَاجِبَ، وَهَذَا الَّذِي أَثْبَتُوهُ هُوَ مُمْتَنِعٌ، فَمَا أَثْبَتُوا قَدِيمًا وَلَا وَاجِبًا.

فَجَاءَ آخَرُونَ مِنْ جَهْمِيَّتِهِم فَرَأَوْا هَذَا مُكَابَرَةً، وَلَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ القَدِيمِ وَالوَاجِبِ، فَقَالُوا: هُوَ هَذَا العَالَمُ، فَكَانَ قُدَمَاءُ الجَهْمِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهَؤُلَاءِ قَالُوا: هُوَ عَيْنُ المَوْجُودَاتِ، وَالمَوْجُودُ القَدِيمُ الوَاجِبُ هُوَ نَفْسُ المَوْجُودِ المُحْدَثِ المُمْكِنِ.

وَالحُلُولُ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَتْهُ الجَهْمِيَّةُ لِلنَّاسِ حَتَّى عَرَفَهُ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ وَرَدُّوهُ، وَأَمَّا حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ فَهُوَ النَّفْيُ أَنَّهُ لَا دَاخِلَ العَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَكِنَّ هَذَا لَمْ تَسْمَعْهُ الأَئِمَّةُ، وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّهُ قَوْلُهُمْ إِلَّا مِنْ بَاطِنِهِمْ؛ وَلِهَذَا كَانَ الأَئِمَّةُ يَحْكُونَ عَنِ الجَهْمِيَّةِ أَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَحْكُونَ عَنْهُمْ وَصْفَهُ بِالصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ، وَشَاعَ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّ الجَهْمِيَّةَ يَصِفُونَهُ بِالسُّلُوبِ حَتَّى قَالَ أَبُو تَمَّامٍ[1]:

---

١) هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، أبو تمام الشاعر المشهور، كان أوحد عصره في ديباجة لفظه، وصناعة شعره، وحسن أسلوبه، وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره، وله كتاب الحماسة، وهو كتاب يدل على حسن اختياره، مات سنة ٢٣١هـ يُنظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٦٣، البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٩، شذرات الذهب ٢/ ٧٢

جَهْمِيَّةُ الأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهَا          قَدْ حُلِّيَتْ بِمَحَاسِنِ الأَشْيَاءِ[1]

وَهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا نَفْيَ القَدِيمِ وَالوَاجِبِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَقْصِدُهُ أَحَدٌ مِنَ العُقَلَاءِ لَا مُسْلِمٌ وَلَا كَافِرٌ؛ إِذْ كَانَ خِلَافَ مَا يَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ بِبَدِيهَةِ عَقْلِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا قُدِّرَ أَنَّ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ حَادِثَةٌ عَنْ عَدَمٍ لَزِمَ أَنَّ كُلَّ المَوْجُودَاتِ حَدَثَتْ بِأَنْفُسِهَا، وَمِنَ المَعْلُومِ بِبَدَاهَةِ العُقُولِ أَنَّ الحَادِثَ لَا يَحْدُثُ بِنَفْسِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

وَقَدْ قِيلَ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ مِنْ غَيْرِ رَبٍّ خَلَقَهُمْ.

وَقِيلَ: مِنْ غَيْرِ مَادَّةٍ.

وَقِيلَ: مِنْ غَيْرِ عَاقِبَةٍ وَجَزَاءٍ.

---

١) ديوان أبي تمام ١١ (ت: الدكتور شاهين عطية)، وهو يتمدَّح بالخمر، في قصيدة مطلعها:

أكلَ الزَّمانُ لطولِ مكثِ بقائها          مَا كَانَ خَامَرَهَا مِنَ الأَقْذَاءِ

وعند أبي تمام: (قد لقَبُوهَا جَوهرَ الأشيَاءِ)، بدل (قَدْ حُلِّيَتْ بِمَحَاسِنِ الأَشْيَاءِ)، وأورده بلفظه شيخ الإسلام في درء التعارض ١/٢٦٩.

٢) سورة الطور، آية: ٣٥

وَالأَوَّلُ مُرَادٌ قَطْعًا، فَإِنَّ كُلَّ مَا خُلِقَ مِنْ مَادَّةٍ أَوْ لِغَايَةٍ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ خَالِقٍ، وَمَعْرِفَةُ الفِطَرِ أَنَّ المُحْدَثَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحْدِثٍ أَظْهَرُ فِيهَا مِنْ أَنَّ كُلَّ مُحْدَثٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَادَّةٍ خُلِقَ مِنْهَا، وَغَايَةٍ خُلِقَ لَهَا، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ العُقَلَاءِ نَازَعَ فِي هَذَا وَهَذَا، وَلَمْ يُنَازِعْ فِي الأَوَّلِ./ [٨٢/ب]

طَائِفَةٌ قَالَتْ: إِنَّ هَذَا العَالَمَ حَدَثَ مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ أَحْدَثَهُ؛ بَلْ مِنَ الطَّوَائِفِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ قَدِيمٌ بِنَفْسِهِ وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ لَيْسَ لَهُ صَانِعٌ، وَأَمَّا أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ مُحْدَثٌ حَدَثَ بِنَفْسِهِ بِلَا صَانِعٍ فَهَذَا لَا يُعْرَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مَعْرُوفَةٍ وَإِنَّمَا يُحْكَى عَمَّنْ لَا يُعْرَفُ.

وَمِثْلُ هَذَا القَوْلِ وَأَمْثَالِهِ يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِمَّنْ حَصَلَ لَهُ فَسَادٌ فِي عَقْلِهِ صَارَ بِهِ إِلَى السَّفْسَطَةِ(١)، وَالسَّفْسَطَةُ تَعْرِضُ لِآحَادِ النَّاسِ وَفِي بَعْضِ الأُمُورِ؛ وَلَكِنْ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ كُلُّهُمْ سُوفِسْطَائِيَّةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ: هَذَا لَا يُتَصَوَّرُ؛ فَلِهَذَا لَا يُعْرَفُ عَنْ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ أَنَّهُمْ قَالُوا بِحُدُوثِ العَالَمِ مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ.

وَهَؤُلَاءِ لَمَّا اعْتَقَدُوا أَنَّ كُلَّ مَوْصُوفٍ، أَوْ كُلَّ مَا قَامَتْ بِهِ صِفَةٌ أَوْ فِعْلٌ بِمَشِيئَتِهِ فَهُوَ مُحْدَثٌ وَمُمْكِنٌ، لَزِمَهُمُ القَوْلُ بِحُدُوثِ كُلِّ مَوْجُودٍ؛ إِذْ كَانَ الخَالِقُ

---

(١) السَّفْسَطَةُ: هي إنكار حقائق الأشياء، أو الطعن في بديهيات الأمور.

جَلَّ جَلَالُهُ مُتَّصِفاً بِمَا يَقُومُ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَالْأُمُورِ الاخْتِيَارِيَّاتِ، مِثْلَ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَيَخْلُقُ مَا يَخْلُقُهُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ اعْتَقَدُوا انْتِفَاءَ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَنْهُ؛ لِاعْتِقَادِهِمْ صِحَّةَ الْقَوْلِ بِأَنَّ مَا قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ وَالْحَوَادِثُ فَهُوَ حَادِثٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَخْلُو مِنَ الْحَوَادِثِ، وَمَا لَمْ يَخْلُ مِنَ [ص١٧] الْحَوَادِثِ/ فَهُوَ حَادِثٌ، وَإِذَا كَانَ حَادِثاً كَانَ لَهُ مُحْدِثٌ قَدِيمٌ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ أَثْبَتُوا الرَّبَّ، وَأَنَّهُ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ، وَوُجُودُهُ مُطْلَقٌ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَعَيَّنُ، وَيَقُولُونَ: هُوَ بِلَا إِشَارَةٍ وَلَا تَعْيِينٍ.

وَهَذَا الَّذِي أَثْبَتُوهُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْخَارِجِ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الذِّهْنِ، فَكَانَ مَا أَثْبَتُوهُ وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ الصَّانِعُ لِلْعَالَمِ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ، وَكَانَ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ تَعْطِيلَ الصَّانِعِ.

فَجَاءَ إِخْوَانُهُمْ فِي أَصْلِ الْمَقَالَةِ[١]، وَقَالُوا: هَذَا الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ الْمُجَرَّدُ عَنِ الصِّفَاتِ هُوَ الْوُجُودُ السَّارِي فِي الْمَوْجُودَاتِ، فَقَالُوا بِحُلُولِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: هُوَ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ.

---

١) هم المُعتزلة وقد اتفقوا الجهميَّة في طرق حدوث العالم وإثبات الخالق.

وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الوُجُودِ وَالثُّبُوتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ التَّعْيِينِ وَالإِطْلَاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ فِي العَالَمِ كَالْمَادَّةِ فِي الصُّورَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ فِي العَالَمِ كَالزُّبْدِ فِي اللَّبَنِ، وَكَالزَّيْتِ والشَّيْرَجِ[1] فِي السِّمْسِمِ، وَالزَّيْتُونِ، وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى هَؤُلَاءِ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

**والمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الأَصْلَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ قَوْلُهُمْ: مَا قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ وَالأَفْعَالُ وَالأُمُورُ الاخْتِيَارِيَّةُ أَوْ الحَوَادِثُ فَهُوَ حَادِثٌ، ثُمَّ قَالُوا: وَالجِسْمُ لَا يَخْلُو مِنَ الحَوَادِثِ.**

طرق المعتزلة في إثبات حدوث العالم ووجود الخالق

**وَأَثْبَتُوا ذَلِكَ بِطُرُقٍ:**

**مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا يَخْلُو عَنْ الأَكْوَانِ الأَرْبَعَةِ: الحَرَكَةِ، وَالسُّكُونِ، وَالاجْتِمَاعِ، وَالافْتِرَاقِ.**

**وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا يَخْلُو عَنْ الحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ فَقَطْ.**

---

١) الشَّيْرَجُ: هو دُهْنُ السِّمْسِم.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا يَخْلُو عَنِ الأَعْرَاضِ، وَالأَعْرَاضُ كُلُّهَا حَادِثَةٌ، وَهِيَ لَا تَبْقَى زَمَانَيْنِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الآمِدِيِّ، وَزَعَمَ أَنَّ أَكْثَرَ أَصْحَابِ الأَشْعَرِيَّةِ اعْتَمَدُوا عَلَيْهَا.

[ل ٨٢/أ] وَالرَّازِيُّ اعْتَمَدَ عَلَى طَرِيقَةِ/ الحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ.

وَقَدْ بُسِطَ الكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الطُّرُقِ، وَجَمِيعِ مَا احْتَجُّوا بِهِ عَلَى حُدُوثِ الجِسْمِ وَإِمْكَانِهِ، وَذَكَرْنَا فِي ذَلِكَ كَلَامَهُمْ هُمْ أَنْفُسِهِمْ فِي فَسَادِ جَمِيعِ هَذِهِ الطُّرُقِ، وَأَنَّهُمْ هُمْ بَيَّنُوا فَسَادَ جَمِيعِ مَا اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى حُدُوثِ الجِسْمِ وَإِمْكَانِهِ، وَبَيَّنُوا فَسَادَهَا طَرِيقًا طَرِيقًا بِمَا ذَكَرُوهُ، كَمَا قَدْ بُسِطَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

قول الهشامية والكرامية في وجود العالم وإثبات الخالق

وَأَمَّا الهِشَامِيَّةُ[1]، وَالكَرَّامِيَّةُ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَقُولُ بِأَنَّهُ جِسْمٌ قَدِيمٌ، فَقَدْ شَارَكُوهُمْ فِي أَصْلِ هَذِهِ المَقَالَةِ؛ لَكِنْ لَمْ يَقُولُوا بِحُدُوثِ كُلِّ جِسْمٍ، وَلَا قَالُوا:

---

(١) فرقة من فرق الرافضة، ينتسبون إلى هشام بن الحكم الرافضي، وهشام بن سالم الجواليقي، يزعمون أنَّ معبودهم جسمٌ، وله نهاية وحد، طويل عريض عميق، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان ذو لون وطعم ورائحة.

يُنظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٨، الملل والنحل ١/ ٥٣

إِنَّ الجِسْمَ لَا يَنْفَكُّ عَنِ الحَوَادِثِ؛ إِذْ كَانَ القَدِيمُ عِنْدَهُمْ جِسْماً قَدِيماً، وَهُوَ خَالٍ مِنَ الحَوَادِثِ.

وَقَدْ قِيلَ: أَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي الإِسْلَامِ أَنَّ القَدِيمَ جِسْمٌ هُوَ هِشَامُ بْنُ الحَكَمِ[1]، كَمَا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ فِي الإِسْلَامِ نَفْيَ الجِسْمِ هُوَ الجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ.

وَكَلَامُ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ فِي ذَمِّ الجَهْمِيَّةِ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ، فَإِنَّ مَرَضَ التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ مَرَضِ التَّجْسِيمِ[2]، وَإِنَّمَا كَانَ السَّلَفُ يَذُمُّونَ المُشَبِّهَةَ كَمَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ

---

١) هو هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، أبو محمد الكوفي، رئيس الطائفة الهشامية، وكان رافضياً مجسِّماً، وهو لصيق بالبرامكة الرافضة، وقد هرب لمّا دارت عليهم الدوائر، له مُصنفات عديدة منها (اختلاف الناس في الإمامة)، و(الدلالات على حدوث الأشياء)، واختلف في سنة وفاته ما بين ١٩٠هـ إلى ٢٣٠هـ وذلك لاستتاره عن أنظار الخلفاء.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٣، الوافي بالوفيات ٧/ ٤١٤، الأعلام ٨/ ٨٥

٢) قال شيخ الإسلام كما في درء التعارض ١/ ٢٠٩: «ومما يوضح هذا أنَّ السَّلف والأئمة كثر كلامهم في ذم الجَهْمِيَّة النُّفاة للصفات، وذموا المُشبهة أيضاً، وذلك في كلامهم أقل بكثير من ذَمِّ الجَهْمِيَّة، لأنَّ مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه، وأمَّا ذكر التجسيم وذَمّ المُجسمة فهذا لا يُعرف في كلام أحدٍ من السَّلف والأئمة، كما لا يعرف في كلامهم أيضاً القول بأن الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجَهْمِيَّة نفي الجسم»، وقال كذلك في درء التعارض ٦/ ٢٦٦: «فإن كل قول يكون أبعد عن الحق تكون

ابْنُ حَنْبَلٍ [1] وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهْوَيْهِ [2] وَغَيْرُهُمَا قَالُوا: الْمُشَبِّهَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَيَدٌ كَيَدِي، وَقَدَمٌ كَقَدَمِي.

---

حجج صاحبه أضعف من حجج مَن هو أقل خطأ منه، وقول المعطلة لمَّا كان أبعد عن الحق من قول المجسمة كانت حجج أهل التعطيل أضعف من حجج أهل التجسيم، ولما كان مرض التعطيل أعظم كان عناية الكتب الإلهية بالرد على أهل التعطيل أعظم، وكانت الكتب الإلهية قد جاءت بإثبات صفات الكمال على وجه التفصيل مع تنزيهه عن أن يكون له فيها مثيل، بل يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، ويأتون بإثباتٍ مُفصلٍ، ونفيٍ مُجملٍ».

٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب وقيل أبو محمد النيسابوري، المشهور بـ(ابن رَاهَوَيْهِ) قال الصفدي: «أجمع المُحدِّثون على أن هذا (رَاهَوَيْهِ) يقولونه بفتح الهاء والواو وسكون الياء، وفيما هذه مما رُكِّب من أسماء الأصوات أن يقولوا فيه (رَاهُوْيَه) بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء، ولد (رَاهَوَيْهِ) في طريق مكة، فقالت المراوزة: (رَاهَوَيْهِ) بأنه وُلِدَ في الطريق»، وهو إمامٌ جبل في الحديث والتفسير والفُتيا، قال عنه الإمام أحمد: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله»، وقال مرَّة لما سُئل عنه: «إسحاق عندنا إمامٌ مِن أئمة المُسلمين»، وقال نعيم بن حماد: «إذا رأيتَ الخراساني يتكلم في إسحاق فاتهمه في دينه»، مات سنة ٢٣٨هـ.

يُنظر: طبقات الحنابلة ١/ ١٠٩، سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨، تهذيب التهذيب ١/ ١٩٠

قول الكلابية في إثبات الصفات

وَابْنُ كُلَّابٍ وَمَنْ تَبِعَهُ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ [فَأَمَّا الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ][1] فَيَنْفُونَهَا، قَالُوا: لِأَنَّهَا حَادِثَةٌ، وَلَوْ قَامَتْ بِهِ الْحَوَادِثُ لَكَانَ حَادِثًا، لِأَنَّ مَا قَبِلَ الشَّيْءَ لَمْ يَخْلُ عَنْهُ وَعَنْ ضِدِّهِ، فَلَوْ قَبِلَ بَعْضَ هَذِهِ الْحَوَادِثِ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ وَمِنْ ضِدِّهِ، فَلَمْ يَخْلُ مِنَ الْحَوَادِثِ فَيَكُونُ حَادِثًا.

قول الكرامية في إثبات الصفات

وَمُحَمَّدُ بْنُ كَرَّامٍ[2] - كَانَ بَعْدَ ابْنِ كُلَّابٍ فِي عَصْرِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ - أَثْبَتَ أَنَّهُ يُوصَفُ بِالصِّفَاتِ الاخْتِيَارِيَّاتِ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ وَلَكِنْ عِنْدَهُ يَمْتَنِعُ أَنَّهُ كَانَ فِي الْأَزَلِ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ لِامْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا، فَلَمْ يَقُلْ بِقَوْلِ السَّلَفِ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ، بَلْ قَالَ: إِنَّهُ صَارَ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَمَا صَارَ يَفْعَلُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ.

وَقَالَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُ: إِنَّ الْحَوَادِثَ الَّتِي تَقُومُ بِهِ لَا يَخْلُو مِنْهَا وَلَا يَزُولُ عَنْهَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَامَتْ بِهِ الْحَوَادِثُ ثُمَّ زَالَتْ عَنْهُ كَانَ قَابِلاً

---

١) سقط في (س) و(ك)، وهي مُستدركة من (م).

٢) هو محمد بن كرّام - بتشديد الراء وفتحها - بن عراف بن خُزابه، أبو عبدالله السجستاني، إمامٌ مُتكلمٌ مُجسِّمٌ، وكان زاهداً عابداً، كثُرَ أتباعه في خُراسان ثم قلوا وتلاشوا، مات سنة ٢٥٥هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٢٣، البداية والنهاية ١١/ ٢٠، لسان الميزان ٥/ ٣٥٣

لِحُدُوثِهَا وَزَوَالِهَا، وَإِذَا كَانَ قَابِلاً لِذَلِكَ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الحَوَادِثِ فَهُوَ حَادِثٌ.

وَإِنَّمَا يُقْبَلُ عَلَى أَصْلِهِمْ أَنَّهُ تَقُومُ بِهِ الحَوَادِثُ فَقَطْ؛ كَمَا يُقْبَلُ أَنْ يَفْعَلَهَا وَيُحْدِثَهَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا لَمْ تَخْلُ مِنْهُ؛ كَمَا لَمْ يَلْزَمْ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ فَاعِلاً لَهَا، وَالحُدُوثُ عِنْدَهُمْ غَيْرُ الإِحْدَاثِ، وَالقُرْآنُ عِنْدَهُمْ حَادِثٌ لَا مُحْدَثٌ؛ لِأَنَّ المُحْدَثَ يَفْتَقِرُ إِلَى إِحْدَاثٍ، بِخِلَافِ الحُدُوثِ.

[س/١٨] وَهُمْ إِذَا قَالُوا: كَانَ خَالِياً مِنْهَا/ فِي الأَزَلِ، وَكَانَ سَاكِناً؛ لَمْ يَقُولُوا إِنَّهُ قَامَ بِهِ حَادِثٌ؛ بَلْ يَقُولُونَ السُّكُونُ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ كَمَا يَقُولُهُ الفَلَاسِفَةُ؛ وَلَكِنْ [illegible] الحَرَكَةَ/ أَمْرٌ وُجُودِيٌّ؛ بِخِلَافِ مَا يَقُولُهُ [مَنْ يَقُولُهُ][1] مِنَ المُعْتَزِلَةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ: إِنَّ السُّكُونَ أَمْرٌ وُجُودِيٌّ كَالحَرَكَةِ، فَإِذَا حَصَلَ بِهِ حَادِثٌ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ عَدَمُ هَذَا الحَادِثِ، فَإِنَّمَا يَعْدَمُ الحَادِثُ بِإِحْدَاثٍ يَقُومُ بِهِ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ.

وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يَمْتَنِعُ عَدَمُ الجِسْمِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ البَارِيَ يَقُومُ بِهِ إِحْدَاثُ المَخْلُوقَاتِ وَإِفْنَاؤُهَا، فَالحَوَادِثُ الَّتِي تَقُومُ بِهِمْ تَقُومُ بِهِ لَوْ أَفْنَاهَا لَقَامَ بِهِ الإِحْدَاثُ وَالإِفْنَاءُ؛ فَكَانَ قَابِلاً لِأَنْ يَحْدُثَ فِيهِ حَادِثٌ، وَيَفْنَى ذَلِكَ الحَادِثُ،

---

١) سقط في (س) و(ك)، وهي مُستدركة من (م).

وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْدَاثٍ وَإِفْنَاءٍ، فَلَمْ يَخْلُ مِنَ الحَوَادِثِ، وَمَا لَمْ يَخْلُ مِنْهَا فَهُوَ حَادِثٌ، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّ القَابِلَ لِلشَّيْءِ لَا يَخْلُو عَنْهُ وَعَنْ ضِدِّهِ كَمَا قَالَتِ الكُلَّابِيَّةُ.

لَكِنَّ المُعْتَزِلَةَ يَقُولُونَ: السُّكُونُ ضِدُّ الحَرَكَةِ، فَالقَابِلُ لِأَحَدِهِمَا لَا يَخْلُو عَنْهُ وَعَنِ الآخَرِ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: السُّكُونُ لَيْسَ بِضِدٍّ وُجُودِيٍّ؛ بَلْ هُوَ عَدَمِيٌّ، وَإِنَّمَا الوُجُودِيُّ هُوَ الإِحْدَاثُ وَالإِفْنَاءُ؛ فَلَوْ قَبِلَ قِيَامَ الإِحْدَاثِ وَالإِفْنَاءِ بِهِ لَكَانَ قَابِلاً لِقِيَامِ الأَضْدَادِ الوُجُودِيَّةِ، وَالقَابِلُ لِلشَّيْءِ لَا يَخْلُو عَنْهُ وَعَنْ ضِدِّهِ.

وَهَؤُلَاءِ لَمَّا أَرَادَ مُنَازِعُوهُمْ إِبْطَالَ قَوْلِهِمْ كَانَ عُمْدَتُهُمْ بَيَانَ تَنَاقُضِ أَقْوَالِهِمْ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو المَعَالِي وَأَتْبَاعُهُ، وَكَمَا ذَكَرَ الآمِدِيُّ تَنَاقُضَهُمْ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ قَدْ ذُكِرَتْ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ، وَغَايَتُهَا أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى مُنَاقَضَتِهِمْ لَا عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ المُنَازِعِ.

وَثَمَّ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ تَقُولُ: إِنَّهُ تَقُومُ بِهِ الحَوَادِثُ وَتَزُولُ، وَإِنَّهُ كَلَّمَ مُوسَى بِصَوْتٍ، وَذَلِكَ الصَّوْتُ عُدِمَ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالحَدِيثِ مِنَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ.

وَأَظُنُّ الْكَرَّامِيَّةَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ، وَإِلَّا فَالْقَوْلُ بِفَنَاءِ الصَّوْتِ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ مُوسَى مِنْ جِنْسِ الْقَوْلِ بِقِدَمِهِ؛ كَمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ مِنَ السَّالِمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَمِنَ الْحَنْبَلِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ يَقُولُ: إِنَّهُ كَلَّمَ مُوسَى بِصَوْتٍ سَمِعَهُ مُوسَى، وَذَلِكَ الصَّوْتُ قَدِيمٌ، وَهَذَا الْقَوْلُ يُعْرَفُ فَسَادُهُ بِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ كَلَّمَهُ بِصَوْتٍ حَادِثٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتَ بَاقٍ لَا يَزَالُ هُوَ وَسَائِرُ مَا يَقُومُ بِهِ مِنَ الْحَوَادِثِ هِيَ أَقْوَالٌ يُعْرَفُ فَسَادُهَا بِالْبَدِيهَةِ.

وَإِنَّمَا أَوْقَعَ هَذِهِ الطَّوَائِفَ فِي هَذِهِ الأَقْوَالِ ذَلِكَ الأَصْلُ الَّذِي تَلَقَّوْهُ عَنِ الْجَهْمِيَّةِ؛ وَهُوَ أَنَّ مَا لَمْ يَخْلُ مِنَ الْحَوَادِثِ فَهُوَ حَادِثٌ، وَهُوَ بَاطِلٌ عَقْلًا وَشَرْعًا، وَهَذَا الأَصْلُ فَاسِدٌ مُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، وَبِهِ اسْتَطَالَتْ عَلَيْهِمُ الْفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ، فَلَا لِلْإِسْلَامِ نَصَرُوا، وَلَا لِعَدُوِّهِ كَسَرُوا، بَلْ قَدْ خَالَفُوا السَّلَفَ وَالأَئِمَّةَ، وَخَالَفُوا الْعَقْلَ وَالشَّرْعَ، وَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ عَدُوَّهُمْ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالدَّهْرِيَّةِ وَالْمَلَاحِدَةِ بِسَبَبِ غَلَطِهِمْ فِي هَذَا الأَصْلِ الَّذِي جَعَلُوهُ أَصْلَ دِينِهِمْ وَلَوِ اعْتَصَمُوا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ لَوَافَقُوا الْمَنْقُولَ وَالْمَعْقُولَ، وَثَبَتَ لَهُمُ/ الأَصْلُ؛ وَلَكِنْ ضَيَّعُوا الأُصُولَ فَحُرِمُوا الْوُصُولَ؛ وَالأُصُولُ اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ. [ق٤٠٠]

وأخذوا أصولاً ظنوا أنها أصول ثابتة وكانت كما ضرب الله المثلين، مثل البناء والشجرة، فقال في المؤمنين والمنافقين: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

والأصول مأخوذة من أصول الشجرة وأساس البناء؛ ولهذا يقال فيه: الأصل ما ابتنى عليه غيره، أو ما تفرع عنه غيره.

فالأصول الثابتة هي أصول الأنبياء كما قيل:

أيها المغتدي لتطلب علماً ... كل علم عبد لعلم الرسول

---

١) سورة التوبة، آية: ١٠٩

٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٤-٢٧

تَطْلُبُ الفَرْعَ كَيْ تُصَحِّحَ حُكْمًا ... ثُمَّ أَغْفَلْتَ أَصْلَ أَصْلِ الأُصُولِ(١)

وَاللهُ يَهْدِينَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا المُؤْمِنِينَ إِلَى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، / وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

أص ١١٠

وَهَذِهِ الأُصُولُ يَنْبَنِي عَلَيْهَا مَا فِي القُلُوبِ، وَيَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا، وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ مَثَلَ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ، وَمَثَلَ الكَلِمَةِ الخَبِيثَةِ الَّتِي فِي

ضرب الأمثال في الفرق بين أهل الإيمان

---

١) أصل البيتين معارضة لبيتين كان أبو عبدالله ابن مجاهد ـ من أقران أبي الحسن الأشعري ـ ينشدهما لبعض المتكلمين، ولم أستطع الوقوف على قائلهما تحديداً، ورواهما عنه الخطيب البغدادي في تاريخه ١/ ٣٤٣، وعنه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ٣٥٧، بلفظ:

أَيُّهَا المُغْتَدِي لِيَطْلُبَ عِلْمًا ... كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الكَلَامِ
تَطْلُبُ الفِقْهَ كَيْ تُصَحِّحَ حُكْمًا ... ثُمَّ أَغْفَلْتَ مَنْزِلَ الأَحْكَامِ

وقد تفرد شيخ الإسلام بذكر المعارضة هنا فقط من كتبه، على حسب ما أطلعت، وقد أوردها كذلك ابن أبي العز في شرح الطحاوية ٨٢ (ت: التركي) بخلاف يسير، وهو:

أَيُّهَا المُغْتَدِي [لِيَطْلُبَ] عِلْمًا ... كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الرَّسُولِ
تَطْلُبُ الفَرْعَ كَيْ تُصَحِّحَ [أَصْلًا] ... [كَيْفَ] أَغْفَلْتَ [عِلْمَ] أَصْلِ الأُصُولِ

ولم أقف على قائلهما أيضاً مع طول البحث. وقد ذكر لي بعض مشايخنا قديماً أنه من شعر عبدالله بن المبارك، وذكر بعض الفضلاء أنه من شعر ابن عبدالبر، والله أعلم.

قُلُوبِ الكَافِرِينَ، والكَلِمَةُ: هِيَ قَضِيَّةٌ جَازِمَةٌ، وَعَقِيدَةٌ جَامِعَةٌ، وَنَبِيُّنَا ﷺ أُوتِيَ فَوَاتِحَ الكَلَامِ؛ وَخَوَاتِمَهُ؛ وَجَوَامِعَهُ؛ فَبُعِثَ بِالعُلُومِ الكُلِّيَّةِ وَالعُلُومِ الأَوَّلِيَّةِ والآخِرِيَّةِ عَلَى أَتَمِّ قَضِيَّةٍ.

فَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ - وَهِيَ العَقِيدَةُ الإِيمَانِيَّةُ التَّوْحِيدِيَّةُ - كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، فَأَصْلُ أُصُولِ الإِيمَانِ ثَابِتٌ فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ كَثَبَاتِ أَصْلِ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [1]، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مَثَّلَ الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ - أَيْ: كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ - بِشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ.

فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ لَهَا أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي قَلْبِ المُؤْمِنِ، وَلَهَا فَرْعٌ عَالٍ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي قَلْبٍ ثَابِتٍ؛ كَمَا قَالَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [2]، فَالمُؤْمِنُ عِنْدَهُ يَقِينٌ وَطُمَأْنِينَةٌ، وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ ثَابِتٌ مُسْتَقِرٌّ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ ثَابِتٌ عَلَى الإِيمَانِ مُسْتَقِرٌّ لَا يَتَحَوَّلُ

---

١) سورة فاطر، آية: ١٠

٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٧

عَنْهُ، وَالكَلِمَةُ الخَبِيثَةُ ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ [١]، [اُسْتُؤْصِلَتْ وَاجْتُثَّتْ كَمَا يُقْطَعُ الشَّيْءُ يُجْتَثُّ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ] [٢] ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ لا مَكَانَ تَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَلَا اسْتِقْرَارَ فِي/ المَكَانِ، فَإِنَّ القَرَارَ يُرَادُ بِهِ مَكَانُ الاسْتِقْرَارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [٣]، وَقَالَ: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ [٤]، وَيُقَالُ: فُلَانٌ مَا لَهُ قَرَارٌ أَيْ ثَبَاتٌ، وَقَدْ فُسِّرَ القَرَارُ فِي الآيَةِ بِهَذَا وَهَذَا.

[ق ١٨٦]

لا منفعة للباطل لصاحبه في الدنيا والآخرة

فَالمُبْطِلُ لَيْسَ قَوْلُهُ ثَابِتاً فِي قَلْبِهِ، وَلَا هُوَ ثَابِتٌ فِيهِ، وَلَا يَسْتَقِرُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي المَثَلِ الآخَرِ: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٥]، فَإِنَّهُ وَإِنِ اعْتَقَدَهُ مُدَّةً، فَإِنَّهُ عِنْدَ الحَقِيقَةِ يَخُونُهُ كَالَّذِي يُشْرِكُ بِاللهِ؛ فَعِنْدَ الحَقِيقَةِ يَضِلُّ عَنْهُ مَا كَانَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ.

---

١) سورة إبراهيم، آية: ٢٦

٢) ساقطة مِن (س) و(ك)، ثابتة في (م).

٣) سورة إبراهيم، آية: ٢٩

٤) سورة غافر، آية: ٦٤

٥) سورة الرعد، آية: ١٧

وَكَذَلِكَ الأَعْمَالُ البَاطِلَةُ الَّتِي يَعْتَقِدُهَا الإِنْسَانُ عِنْدَ الحَقِيقَةِ تَخُونُهُ وَلَا تَنْفَعُهُ؛ بَلْ هِيَ كَالشَّجَرَةِ الخَبِيثَةِ الَّتِي اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ أَصْلُهَا ثَابِتٌ كَانَ لَهُ فَرْعٌ فِي السَّمَاءِ يُوَصِّلُهُ إِلَى اللهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[1].

أهمية التوحيد الأصل في الوصول للغاية المحمودة

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَصْلٌ ثَابِتٌ، فَإِنَّهُ يُحْرَمُ الوُصُولَ؛ لِأَنَّهُ ضَيَّعَ الأُصُولَ؛ وَلِهَذَا تَجِدُ أَهْلَ البِدَعِ وَالشُّبُهَاتِ لَا يَصِلُونَ إِلَى غَايَةٍ مَحْمُودَةٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾[2]، وَاللهُ سُبْحَانَهُ بَعَثَ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الكُتُبَ؛ بِأَنْ يَكُونَ هُوَ المَعْبُودَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِنَّمَا يُعْبَدُ بِمَا أَمَرَ بِهِ عَلَى أَلْسُنِ رُسُلِهِ.

وَأَصْلُ عِبَادَتِهِ مَعْرِفَتُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَذْهَبُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَمَا وَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ.

---

١) سورة فاطر، آية: ١٠

٢) سورة الرعد، آية: ١٤

وآخرين يكبرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عبدوه حق عبادته، والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ في ثلاث مواضع؛ ليثبت عظمته في نفسه، وما يستحقه من الصفات، وليثبت وحدانيته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وليثبت ما أنزله على رسله، فقال في الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية، وقال في الحج: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، وقال في الأنعام: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وفي المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار، فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره؛ كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته، وأن يجاهد فيه حق جهاده، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

---

١) سورة الحج، آية: ٧٤

٢) سورة الزمر، آية: ٦٧

٣) سورة الحج، آية: ٧٣-٧٤

٤) سورة الأنعام، آية: ٩١

[1]/ وَقَالَ: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ [2]، وَالْمَصْدَرُ هُنَا مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ، [ص/١٧]
/ وَالْفَاعِلُ مُرَادٌ، أَيْ حَقَّ جِهَادِهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَحَقَّ تُقَاتِهِ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِهَا، [ط/٨٢]
وَاقْدُرُوهُ قَدْرَهُ الَّذِي بَيَّنَهُ لَكُمْ، وَأَمَرَكُمْ بِهِ، فَصَدِّقُوا الرَّسُولَ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَطِيعُوهُ فِيمَا أَوْجَبَ وَأَمَرَ.

وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ عَنْ طَاقَةِ الْبَشَرِ فَذَلِكَ لَا يُذَمُّ أَحَدٌ عَلَى تَرْكِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَاقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السِّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهْوِ» [3].

وَدَلَّتْ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ لَهُ قَدْرًا عَظِيمًا، لَا سِيَّمَا قَوْلُهُ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [4].

---

١) سورة الحج، آية : ٧٨

٢) سورة آل عمران، آية : ١٠٢

٣) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب: نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة، رقم (٤٨٣٥)، ومسلم في كتاب صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم (١٤٨١)، كلاهما عن عائشة أم المؤمنين.

٤) سورة الزمر، آية : ٦٧

وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ فَقَدْ قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ»[1].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالأَرْضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى أُصْبُعٍ؛ فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ؛ وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ يَهُودِيٌّ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ؛ مَا تَقُولُ إِذَا وَضَعَ اللهُ السَّمَاءَ عَلَى ذِهِ؟، وَالأَرْضَ عَلَى ذِهِ؟، وَالْجِبَالَ وَالْمَاءَ عَلَى ذِهِ؟، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى ذِهِ؟، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[3]. رَوَاهُ الإِمَامُ

---

١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ٣١٢، والطبري في تفسيره ١١/ ٥٢٤.

٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}، رقم (٦٨٦٤)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب، رقم (٤٩٩٣)، كلاهما عن عبدالله بن مسعود.

٣) سورة الزمر، آية ـ ٦٧.

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، والتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الضُّحَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ: «غَرِيبٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[1].

عظمة الله أعظم مما صوره الخبر

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ عَظَمَتَهُ أَعْظَمُ مِمَّا وَصَفَ ذَلِكَ الخَبَرُ؛ فَإِنَّ الَّذِي فِي الآيَةِ أَبْلَغُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟»[2].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى. ثُمَّ يَقُولُ: أَيْنَ المُلُوكُ؟ أَيْنَ

---

١) رواه الترمذي في كتاب تَفْسِيرِ القُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ، رقم (٣١٦٣)، والإمام أحمد ٥/ ١٨٦كلاهما من طريق أبي كُدَيْنَة (يحيى بن المهلب البجلي) عن عطاء بن السائب عن أبي الضُّحى (مُسلم بن صبيح) عن عبدالله بن عباس.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ».

وقال الألباني: «ضعيف» كما في ضعيف الترمذي، وظلال الجنة.

٢) رواه البخاري في كتاب الرِّقَاقِ، بَابٌ: يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، رقم (٦٠٣٨)، ومسلم في كتاب صِفَةِ القِيَامَةِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابٌ، رقم (٤٩٩٤)، كلاهما عن أبي هريرة.

الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟)، ورواه مسلم أبسط من هذا، وذكر فيه أنه يأخذ الأرض بيده الأخرى[1].

وقد روى ابن أبي حاتم: «حدثنا أبي ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال: تكلمت اليهود في صفة الرب تبارك وتعالى؛ فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [ثم بين للناس عظمته فقال:][2] ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]، فجعل صفته التي وصفوه بها شركا»[4].

---

١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى {لما خلقت بيدي}، رقم (٦٨٦٣)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب، رقم (٤٩٩٥) بلفظه، كلاهما عن عبدالله بن عمر.

٢) سقط من (س) و(ك) و(م)، وأثبته من تفسير الطبري إذا هذا الأثر ناقص من تفسير ابن أبي حاتم المطبوع.

٣) سورة الزمر، آية : ٦٧

٤) الأثر عند ابن أبي حاتم في تفسيره المطبوع معلقاً ١٠/ ٣٢٥٥، وشيخ الإسلام اعتمد على نسخة مسندة لم يعثر عليها، وهو كذلك عند الطبري في تفسيره ٢١/ ٣٢٨ من طريق عبد بن

وَقَالَ: «حَدَّثَنَا أَبِي ثنا أَبو نُعَيمٍ ثنا الحَكَمُ - يَعْنِي أَبَا مُعَاذٍ - عَنِ الحَسَنِ قَالَ: عَمَدَتِ اليَهُودُ فَنَظَرُوا فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالمَلَائِكَةِ؛ فَلَمَّا فَرَغُوا أَخَذُوا/ يُقَدِّرُونَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾»[1]. [٨٨/ب]

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَعْظَمُ مِمَّا وَصَفُوهُ وَأَنَّهُمْ لَمْ يُقَدِّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فَكُلُّ مَنْ جَعَلَ مَخْلُوقاً مِثْلاً لِلخَالِقِ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ، فَأَحَبَّهُ مِثْلَ مَا يُحِبُّ الخَالِقَ، أَوْ وَصَفَهُ بِمِثْلِ مَا يُوصَفُ بِهِ الخَالِقُ، فَهُوَ مُشْرِكٌ سَوَّى بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ المَخْلُوقِ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فَعَدَلَ بِرَبِّهِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى لَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا مِثْلَ لَهُ، وَمَنْ جَعَلَهُ مِثْلَ المَعْدُومِ وَالمُمْتَنِعِ فَهُوَ شَرٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّهُ مُعَطِّلٌ مُمَثِّلٌ، وَالمُعَطِّلُ شَرٌّ مِنَ المُشْرِكِ.

---

حُميد ثنا يعقوب - ابن عبدالله القُمّي - عن جعفر - ابن أبي المُغيرة القُمّي - عن سعيد بن جبير، ويعقوب وجعفر كِلاهما قال عنه الحافظ في التقريب (صدوقٌ يهم).

١) الأثر عند ابن أبي حاتم في تفسيره المطبوع مُعلقاً ١٠/ ٣٢٥٥، وما عند ابن أبي حاتم جاء بلفظ: «اليهود نظروا في خلق السموات والأرض والملائكة، فلما زاغوا أخذوا يقدرونه، فأنزل الله ...»، وهكذا ذكره السيوطي في الدُّر المنثور ٨/ ٢٧٢

وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَا يُثْبِتُ لَا الأَسْمَاءَ وَلَا الصِّفَاتِ كَالجَهْمِيَّةِ المَحْضَةِ وَالمَلَاحِدَةِ، قِيلَ لَهُ: فَلَا بُدَّ أَنْ تُثْبِتَ مَوْجُودًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا جِسْمًا.

وَإِنْ قَالَ: لَا أُسَمِّيهِ بِاسْمِ لَا إِثْبَاتٍ وَلَا نَفْيٍ، قِيلَ لَهُ: سُكُوتُكَ لَا يَنْفِي الحَقَائِقَ، وَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ حَقًّا ثَابِتًا مَوْجُودًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بَاطِلًا مَعْدُومًا.

وَأَيْضًا: فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْرِفْهُ فَأَنْتَ جَاهِلٌ فَلَا تَتَكَلَّمْ، وَإِنْ عَرَفْتَهُ فَلَا بُدَّ/ أَنْ تُمَيِّزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ، مِثْلَ أَنْ تَقُولَ: رَبُّ العَالَمِينَ، أَوِ القَدِيمُ الأَزَلِيُّ، أَوِ المَوْجُودُ بِنَفْسِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَحِينَئِذٍ فَقَدْ أَثْبَتَّ حَيًّا مَوْجُودًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ وَأَثْبَتَّهُ فَاعِلًا، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ مَا هُوَ كَذَلِكَ إِلَّا الجِسْمَ [١٥٩/ا]

وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّهُ جَاحِدٌ لَهُ، قِيلَ لَهُ: فَهَذَا المَوْجُودُ مَشْهُودٌ، فَإِنْ كَانَ قَدِيمًا أَزَلِيًّا مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ فَقَدْ يُثْبِتُ جِسْمَ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ مَوْجُودٍ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ مَا فَرَرْتَ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مَخْلُوقًا مَصْنُوعًا فَلَهُ خَالِقٌ خَلَقَهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدِيمًا أَزَلِيًّا؛ فَقَدْ ثَبَتَ المَوْجُودُ القَائِمُ بِنَفْسِهِ القَدِيمُ الأَزَلِيُّ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ، وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

من بنى تنزيهه لله عن النقائص بنفي الجسم أو التركيب فلا يمكنه أن ينزهه عن عيب أصلاً

وَهُنَا قَدْ نَبَّهْنَا عَلَى ذَلِكَ هُوَ أَنَّهُ: كُلُّ مَنْ بَنَى تَنْزِيهَهُ لِلرَّبِّ عَنْ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ عَلَى نَفْيِ الجِسْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُنَزِّهَهُ عَنْ عَيْبٍ أَصْلاً بِهَذِهِ الحُجَّةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ جَعَلَ عُمْدَتَهُ نَفْيَ التَّرْكِيبِ.

وَمَنْ تَدَبَّرَ مَا ذَكَرُوهُ فِي كُتُبِهِمْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِيمُوا حُجَّةً عَلَى وُجُودِهِ؛ فَلَا هُمْ أَثْبَتُوهُ، وَأَثْبَتُوا لَهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ، وَلَا نَزَّهُوهُ وَنَفَوْا عَنْهُ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ؛ إِذْ كَانَ إِثْبَاتُهُ هُوَ إِثْبَاتَ حُدُوثِ الجِسْمِ، وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَى ذَلِكَ دَلِيلاً، وَالنَّفْيُ اعْتَمَدُوا فِيهِ عَلَى ذَلِكَ، وَهُمْ مُتَنَاقِضُونَ فِيهِ لَوْ كَانُوا أَقَامُوا دَلِيلاً عَلَى نَفْيِ كَوْنِهِ جِسْماً؛ فَكَيْفَ إِذَا لَمْ يُقِيمُوا عَلَى ذَلِكَ دَلِيلاً وَتَنَاقَضُوا.

وَهَذَا مِمَّا يُبَيِّنُ لَكَ أَنَّ مَنْ خَرَجَ عَنْ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَيْسَ مَعَهُ عِلْمٌ لَا عَقْلِيٌّ وَلَا سَمْعِيٌّ؛ لَا سِيَّمَا فِي هَذَا المَطْلُوبِ الأَعْظَمِ. لَكِنَّهُمْ قَدْ يَكُونُونَ مُعْتَقِدِينَ لِعَقَائِدَ صَحِيحَةٍ عَرَفُوهَا بِالفِطْرَةِ العَقْلِيَّةِ، وَبِمَا سَمِعُوهُ مِنَ القُرْآنِ، وَدِينِ المُسْلِمِينَ، فَقُلُوبُهُمْ تُثْبِتُ مَا تُثْبِتُ، وَتَنْفِي مَا تَنْفِي بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الفِطْرَةِ المُكَمَّلَةِ بِالشِّرْعَةِ المُنَزَّلَةِ؛ لَكِنَّهُمْ سَلَكُوا هَذِهِ الطُّرُقَ البِدْعِيَّةَ، وَلَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ أَصْلاً؛ وَلَكِنْ يُسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِهِمْ إِبْطَالُ بَعْضِهِمْ لِقَوْلِ المُبْطِلِ الآخَرِ وَبَيَانُ تَنَاقُضِهِ.

عصمة الصحابة
عن البحث فيما
من التجسيم

وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرُوا الْمَقَالاتِ الْبَاطِلَةَ فِي الرَّبِّ جَعَلُوا يَرُدُّونَهَا بِأَنَّ ذَلِكَ تَجْسِيمٌ كَمَا فَعَلَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ فِي (هِدَايَةِ الْمُسْتَرْشِدِينَ)[1]، وَغَيْرُهُ، فَلَمْ يُقِيمُوا حُجَّةً عَلَى أُولَئِكَ الْمُبْطِلِينَ، وَرَدُّوا كَثِيراً مِمَّا يَقُولُ الْيَهُودُ بِأَنَّهُ تَجْسِيمٌ، وَقَدْ كَانَ الْيَهُودُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانُوا أَحْيَاناً يَذْكُرُونَ لَهُ بَعْضَ الصِّفَاتِ كَحَدِيثِ الْحَبْرِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ الْيَهُودَ عَلَى أَشْيَاءَ كَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾[2] وَإِنَّ يَدَهُ مَغْلُولَةٌ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ قَطُّ إِنَّهُمْ يُجَسِّمُونَ، وَلَا أَنَّ فِي التَّوْرَاةِ تَجْسِيماً، وَلَا عَابَهُمْ بِذَلِكَ، وَلَا رَدَّ هَذِهِ الأَقْوَالَ الْبَاطِلَةَ بِأَنَّ هَذَا تَجْسِيمٌ؛ كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ فَعَلَهُ مِنَ النُّفَاةِ!!.

---

١) القاضي هو الإمام الباقلاني، وكتابه (هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين)، وقد نقل منه النووي مسائل في تهذيب الأسماء واللغات ٩٧٢، ١١٣٤، ولا أعلم هل طبع أم لا، وقد أطلع الأستاذ أحمد صقر (محقق كتاب إعجاز القرآن للباقلاني) كما في صفحة ٣٨-٣٩ على نسخة ناقصة له، ووصفه بقوله: «وقد بقي من هذا الكتاب مجلد، في مكتبة الأزهر، يحتوي على ٢٤٨ ورقة، كتبه محمد بن عبدالله المغربي بمدينة صور في سنة ٤٥٩، ولكن يد البلى قد عاثت فيه، وأتلفت كثيراً من أوراقه، وقد تركز إفسادها في أوراق متتالية (٨٦ - ١٠٥) فخرقت أوساطها، وجعلتها في حكم الأوراق المفقودة، ويشتمل هذا المجلد على أحد عشر جزءاً من تجزئة المؤلف، تبتدئ بأول الجزء السادس، وتنتهي بانتهاء الجزء السابع عشر، وهذه الأجزاء كلها مقصورة على القول في النبوات».

٢) سورة آل عمران، آية ١٨١

فَتَبَيَّنَ/ أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ مُخَالِفَةٌ لِلشَّرْعِ، وَالعَقْلِ، وَأَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِمَا بَعَثَ اللهُ بِهِ [س/١٨]
رَسُولَهُ، وَلِمَا فَطَرَ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، وَأَنَّ أَهْلَهَا مِنْ جِنْسِ الَّذِينَ قَالُوا/ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا [ه/١٠٠]
نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾[1].

وَقَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ فَسَادَ مَا ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ مِنْ أَنَّ طَرِيقَةَ الوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ مِنْ أَعْظَمِ الطُّرُقِ، وَبَيَّنَّا فَسَادَهَا، وَأَنَّهَا لَا تُفِيدُ عِلْمًا، وَأَنَّهُمْ لَمْ يُقِيمُوا دَلِيلاً عَلَى إِثْبَاتِ وَاجِبِ الوُجُودِ، وَأَنَّ طَرِيقَةَ الكَمَالِ أَشْرَفُ مِنْهَا، وَعَلَيْهَا اعْتِمَادُ العُقَلَاءِ قَدِيماً وَحَدِيثاً، وَهُوَ قَدِ اعْتَرَفَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ بِأَنَّهُ قَدْ تَأَمَّلَ الطُّرُقَ الكَلَامِيَّةَ، وَالمَنَاهِجَ الفَلْسَفِيَّةَ: فَمَا وَجَدَهَا تَشْفِي عَلِيلاً، وَلَا تَرْوِي غَلِيلاً، وَوَجَدَ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ القُرْآنِ.

طريقة الوجوب والإمكان من بدع ابن سينا التي لم يسبق إليها

وَطَرِيقَةُ الوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ لَمْ يَسْلُكْهَا أَحَدٌ قَبْلَ ابْنِ سِينَا، وَهُوَ أَخَذَهَا مِنْ كَلَامِ المُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ قَسَّمُوا الوُجُودَ إِلَى مُحْدَثٍ وَقَدِيمٍ، فَقَسَّمَهُ هُوَ إِلَى وَاجِبٍ وَمُمْكِنٍ؛ لِيُمْكِنَهُ القَوْلُ بِأَنَّ الفَلَكَ مُمْكِنٌ مَعَ قِدَمِهِ، وَخَالَفَ بِذَلِكَ عَامَّةَ العُقَلَاءِ مِنْ سَلَفِهِ، وَغَيْرِ سَلَفِهِ، وَخَالَفَ نَفْسَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ فِي المَنْطِقِ مَا ذَكَرَهُ

---

١) سورة الملك، آية: ١٠

سَلَفُهُ مِنْ أَنَّ الْمُمْكِنَ لَا يَكُونُ إِلَّا مُحْدَثًا، كَمَا قَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَلَكُوا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ انْتَهَتْ بِهِمْ إِلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ؛ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ جَحَدَ الْخَالِقَ، وَكَذَّبَ مُوسَى فِي أَنَّ اللهَ كَلَّمَهُ، وَهَؤُلَاءِ يَنْتَهِي قَوْلُهُمْ إِلَى جَحْدِ الْخَالِقِ، وَإِنْ أَثْبَتُوهُ قَالُوا: إِنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا نَادَى أَحَدًا، وَلَا نَاجَاهُ.

وَعُمْدَتُهُمْ فِي نَفْيِ ذَاتِهِ عَلَى نَفْيِ الْجِسْمِ، وَفِي نَفْيِ كَلَامِهِ وَتَكْلِيمِهِ لِمُوسَى عَلَى أَنَّهُ لَا تَحُلُّهُ الْحَوَادِثُ؛ فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُمْ رَبٌّ وَلَا مُرْسَلٌ؛ فَحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ يُنَاقِضُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الْمُبَلِّغُ لِرِسَالَةِ مُرْسِلِهِ، وَالرِّسَالَةُ هِيَ كَلَامُهُ الَّذِي بَعَثَهُ بِهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا لَمْ تَكُنْ رِسَالَةٌ.

وَلِهَذَا اتَّفَقَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَى أَنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَلَامًا يَقُومُ بِذَاتِهِ لَمْ يَقُلْ إِنَّهُ يَتَكَلَّمُ.

والنُّفَاةُ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْكَلَامُ صِفَةُ فِعْلٍ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مَخْلُوقٌ بَائِنٌ عَنْهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ صِفَةُ ذَاتٍ، بِمَعْنَى أَنَّهُ كَالْحَيَاةِ يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

وَكُلُّ طَائِفَةٍ مُصِيبَةٌ فِي إِبْطَالِ بَاطِلِ الأُخْرَى، وَالدَّلِيلُ يَقُومُ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ ذَاتٍ وَفِعْلٍ تَقُومُ بِذَاتِ الرَّبِّ، وَالرَّبُّ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَأَدِلَّةُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ صِفَةُ فِعْلٍ كُلُّهَا إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَهَذَا حَقٌّ، وَأَدِلَّةُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ صِفَةُ ذَاتٍ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ كَلَامَهُ يَقُومُ بِذَاتِهِ، وَهَذَا حَقٌّ.

وَأَمَّا مَنْ أَثْبَتَ أَحَدَهُمَا كَمَنْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ مَخْلُوقٌ، أَوْ قَالَ إِنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، /فَهَؤُلَاءِ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يُثْبِتُوا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ، وَلَا أَثْبَتُوا لَهُ كَلَامًا؛ [١٧٥/١] وَلِهَذَا يَقُولُونَ: مَا لَا يُعْقَلُ، هَذَا يَقُولُ: إِنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ قَامَ بِالذَّاتِ، وَهَذَا يَقُولُ: حُرُوفٌ، أَوْ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ قَدِيمَةٌ أَزَلِيَّةٌ لَازِمَةٌ لِذَاتِهِ، وَهَذَا يَقُولُ: مَخْلُوقٌ بَائِنٌ عَنْهُ.

وَلِهَذَا لَمَّا ظَهَرَ لِطَائِفَةٍ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ مَا فِي قَوْلِهِمْ مِنَ الْفَسَادِ وَلَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ هَذِهِ الأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ حَارُوا وَتَوَقَّفُوا، وَقَالُوا: نَحْنُ نُقِرُّ بِمَا عَلَيْهِ عُمُومُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ مَخْلُوقًا، أَوْ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، أَوْ مَعْنًى قَائِمٍ بِالذَّاتِ؛ فَلَا نَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا !!.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الهُدَى فِي هَذِهِ الأُصُولِ، وَمَعْرِفَةَ الحَقِّ فِيهَا، هُوَ مَعْرِفَةُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَهُوَ - المُوَافِقُ لِصَرِيحِ المَعْقُولِ - أَنْفَعُ وَأَعْظَمُ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ مِنَ العِلْمِ؛ لَا سِيَّمَا وَالقُلُوبُ تَطْلُبُ مَعْرِفَةَ الحَقِّ فِي هَذِهِ بِالفِطْرَةِ، وَلِمَا قَدْ رَأَوْا مِنَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا.

وَهَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ هَذَا الوَقْفَ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَفِيمَا صَنَّفُوهُ فِي أُصُولِ الدِّينِ كَمَا قَدْ رَأَيْتُ مِنْهُمْ مِنْ أَكَابِرِ شُيُوخِ العِلْمِ وَالدِّينِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ قَدْ صَنَّفُوا فِي أُصُولِ الدِّينِ مَا صَنَّفُوهُ وَلَمَّا تَكَلَّمُوا فِي مَسْأَلَةِ القُرْآنِ، وَهَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ، أَوْ قَدِيمٌ، أَوْ هُوَ الحُرُوفُ وَالأَصْوَاتُ، أَوْ مَعْنًى قَائِمٌ بِالذَّاتِ، نَهَوْا عَنْ هَذِهِ الأَقْوَالِ، وَقَالُوا: الوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ مَا قَالَهُ المُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ: «أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ»، وَيُمْسِكُ عَنْ هَذِهِ الأَقْوَالِ.

وَهَؤُلَاءِ تَوَقَّفُوا عَنْ حَيْرَةٍ وَشَكٍّ. وَلَهُمْ رَغْبَةٌ فِي العِلْمِ وَالهُدَى وَالدِّينِ، وَهُمْ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى مَعْرِفَةِ الحَقِّ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ؛ لَكِنْ لَمْ يَعْلَمُوا إِلَّا هذه الأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ: قَوْلَ/ المُعْتَزِلَةِ، وَالكُلَّابِيَّةِ، وَالسَّالِمِيَّةِ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تُبَيِّنُ فَسَادَ قَوْلِ الأُخْرَى، وَفِي كُلِّ قَوْلٍ مِنَ الفَسَادِ مَا يُوجِبُ الامْتِنَاعَ مِنْ قَبُولِهِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ هَذِهِ تَرْضَوْا بِالجَهْلِ البَسِيطِ، وَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ الجَهْلِ المُرَكَّبِ. [ص ١٩٠]

وَكَانَ أَسْبَابُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ وَافَقُوا هَؤُلَاءِ عَلَى أَصْلِ قَوْلِهِمْ وَدِينِهِمْ، وَهُوَ الإِسْتِدْلَالُ عَلَى حُدُوثِ الأَجْسَامِ، وَحُدُوثِ العَالَمِ بِطَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمُبْتَدَعِ كَمَا سَلَكَهَا مَنْ ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَجِلَّاءِ شُيُوخِ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّينِ، وَالإِسْتِدْلَالُ عَلَى إِمْكَانِهَا بِكَوْنِهَا مُرَكَّبَةً كَمَا سَلَكَ الشَّيْخُ الآخَرُ، وَهَذَا يَنْفِي عَنِ الوَاجِبِ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَذَلِكَ نَفْيٌ عَنْهُ أَنَّهُ جِسْمٌ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ، وَحُذَّاقُ النُّظَّارِ الَّذِينَ كَانُوا أَخْبَرَ بِهَذِهِ الطُّرُقِ وَأَعْظَمَ نَظَرًا وَاسْتِدْلَالًا بِهَا وَبِغَيْرِهَا قَدْ عَرَفُوا فَسَادَهَا، كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ [رَسُولَهُ][1] بِالهُدَى/ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ[2]، وَأَخْبَرَ: أَنَّهُ يَنْصُرُ رُسُلَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا[3]، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَجْزِي الإِنْسَانَ بِجِنْسِ عَمَلِهِ، فَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ. [١٩٢/٥]

---

١) في (س) و(ك) رُسُلَه، بالجمع، وفي (م) رسُولَه، بالمفرد، وهو الأقرب للآية.

٢) كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ سورة التوبة، آية: ٣٣، وسورة الصف، آية: ٩

٣) كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ سورة غافر، آية: ٥١

فَمَنْ خَالَفَ الرُّسُلَ عُوقِبَ بِمِثْلِ ذَنْبِهِ؛ فَإِنْ كَانَ قَدْ قَدَحَ فِيهِمْ، وَنَسَبَ مَا يَقُولُونَهُ إِلَى أَنَّهُ جَهْلٌ، وَخُرُوجٌ عَنِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ؛ ابْتُلِيَ فِي عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ، وَظَهَرَ مِنْ جَهْلِهِ مَا عُوقِبَ بِهِ.

وَمَنْ قَالَ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ تَعَمَّدُوا الْكَذِبَ أَظْهَرَ اللهُ كَذِبَهُ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُمْ جُهَّالٌ أَظْهَرَ اللهُ جَهْلَهُ.

فَفِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَقَارُونُ لَمَّا قَالُوا عَنْ مُوسَى إِنَّهُ سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَخْبَرَ اللهُ بِذَلِكَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [1]، وَطَلَبَ فِرْعَوْنُ إِهْلَاكَهُ بِالْقَتْلِ وَصَارَ يَصِفُهُ بِالْعُيُوبِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [2]، وَقَالَ: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ [3] أَهْلَكَ اللهُ

---

١) سورة غافر، آية: ٢٣-٢٤

٢) سورة غافر، آية: ٢٦

٣) سورة الزخرف، آية: ٥٢

فِرْعَوْنَ وَأَظْهَرَ كَذِبَهُ وَافْتِرَاءَهُ عَلَى اللهِ وَعَلَى رُسُلِهِ، وَأَذَلَّهُ غَايَةَ الإِذْلَالِ، وَأَعْجَزَهُ عَنِ الكَلَامِ النَّافِعِ؛ فَلَمْ يُبَيِّنْ حُجَّةً.

وَفِرْعَوْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ[1] كَانَ يُسَمَّى أَبَا الحَكَمِ؛ وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ أَبَا جَهْلٍ، وَهُوَ كَمَا سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبُو جَهْلٍ أَهْلَكَ بِهِ نَفْسَهُ وَأَتْبَاعَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَالَّذِينَ قَالُوا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ إِنَّهُ أَبْتَرُ[2]، وَقَصَدُوا أَنَّهُ يَمُوتُ فَيَنْقَطِعُ ذِكْرُهُ، عُوقِبُوا بِانْبِتَارِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[3]، فَلَا يُوجَدُ مَنْ شَنَأَ الرَّسُولَ ﷺ إِلَّا بَتَرَهُ اللهُ حَتَّى أَهْلُ البِدَعِ المُخَالِفُونَ لِسُنَّتِهِ.

---

١) هو عمرو بن هشام المخزومي القرشي، أحد صناديد قريش، ويُعتبر أكبر محرضي على النبي ﷺ، وقد أجهز عليه عبدالله بن مسعود في غزوة بدر الكبرى، وسمّاه النبي ﷺ: (فرعون هذه الأمة).

٢) ذكر المُفسرون أنها نزلت في: العاص بن وائل السهمي، وقيل في عقبة بن أبي مُعيط، وقيل في كعب بن الأشرف.

يُنظر: تفسير ابن أبي حاتم ٣/ ٩٤٧، ١٠/ ٣٤٧١، وتفسير الطبري ٧/ ١٤٢، ٢٤/ ٦٩٩.

٣) سورة الكوثر، آية: ٣

قِيلَ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ[1]: إِنَّ بِالْمَسْجِدِ قَوْمًا يَجْلِسُونَ لِلنَّاسِ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْبِدْعَةِ، فَقَالَ: «مَنْ جَلَسَ لِلنَّاسِ جَلَسَ النَّاسُ إِلَيْهِ؛ لَكِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَمُوتُونَ وَيَبْقَى ذِكْرُهُمْ، وَأَهْلَ الْبِدْعَةِ يَمُوتُونَ وَيَمُوتُ ذِكْرُهُمْ»[2].

وَهَؤُلَاءِ الْمُشَبِّهُونَ لِفِرْعَوْنَ الْجَهْمِيَّةُ نُفَاةُ الصِّفَاتِ الَّذِينَ وَافَقُوا فِرْعَوْنَ فِي جَحْدِهِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ

---

١) هو أبو بكر بن عيَّاش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ، مشهورٌ بكنيته، والأصح أنها اسمه، ثقةٌ عابدٌ إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيحٌ، وقال فيه ابن المبارك: «ما رأيتُ أحداً أسرع إلى السُّنة من أبي بكر بن عيَّاش»، مات سنة ١٩٣هـ أو بعدها بسنة.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٩٥، تقريب التهذيب ٣٦٦

٢) أخرجه الترمذي في العلل آخر السُّنن ٦/ ٢٣٤ (ت: بشّار عوّاد) وفي شرحه لابن رجب ١/ ٣٥٠ (ت: همّام سعيد)، بلفظ: «كُل من جلس جلسَ الناسُ إليه، وصاحب السُّنة إذا مات أحيى الله ذكره، والمبتدع لا يُذكر»، وشيخ الإسلام أورده هُنا بالمعنى، وقد كرره في الرد على البكري ١٧٥ (ت: محمّد عجال)، وفي تفسير سورة الكوثر كما الفتاوى ١٦/ ٥٢٨، وفي رسالة له إلى أصحابه في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ كما في الفتاوى ٢٨/ ٣٨، والله أعلم.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾[1]، وكان فرعون جاحداً للرب؛ فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال: ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[2]، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[4]. [٩٢/٥]

ومحمد ﷺ لما عرج به إلى ربه وفرض عليه الصلوات الخمس ذكر أنه رجع إلى موسى، وأن موسى قال له: ارجع إلى ربك فسله التخفيف إلى أمتك،

---

١) سورة غافر، آية: ٣٦-٣٧

٢) سورة غافر، آية: ٣٧

٣) سورة غافر، آية: ٣٧

٤) سورة القصص، آية: ٣٨-٤٢

ثم تواتر هذا في أحاديث المعراج، فموسى صدق محمدًا في أن ربه فوق، وفرعون كذب موسى في أن ربه فوق، فالمقرون بذلك متبعون لموسى ومحمد، والمكذبون بذلك موافقون لفرعون، وهذه الحجة مما اعتمد عليها غير واحد/ من النظار، وهي مما اعتمد عليها أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة»[1] وذكر عدة أدلة عقلية وسمعية على أن الله فوق العالم، وقال في أوله: «فإن قال قائل: قد أنكرتم قول [الجهمية، والقدرية، والخوارج، والروافض، والمعتزلة، والمرجئة][2]، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

ا م ١٠٠

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا ﷺ، وما [جاء][3] عن الصحابة، والتابعين، وأئمة

---

١) شيخ الإسلام ينقل عنه كثيرًا كما في إقامة الدليل على إبطال التحليل ٤٤٩، والكيلانية ٢٨، ودرء التعارض ١/ ٢٤١، ٢/ ٣٢٨، ٣/ ٣٤٤، ومنهاج السنة ٢/ ٣٦٣، والفتوى الحموية الكبرى ٤٩٨، وغيرها.

٢) هكذا في (س) و(ك) و(م)، وفي الإبانة تقديمٌ وتأخيرٌ في ذكر الطوائف، قال: «المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة»

٣) هكذا في (س) و(ك) و(م)، وفي الإبانة (روي).

[المسلمين]، [ونحن بذلك معتصمون][(١)]، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد ابن محمد بن حنبل [نضّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته][(٢)] قائلون، ولما خالف قوله [مجانبون][(٣)]، لأنه [الرئيس الكامل، والإمام الفاضل][(٤)] الذي أبان الله به الحق، [ودفع به الضلال][(٥)]، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع

١) هكذا في (س) و(ك) و(م)، وفي الإبانة (ت: عيون) (التهذيب)، وفي (ت: العصيمي) (المحدثين).

٢) سقط في (س) و(ك) و(م)، وأضفتها من الإبانة.

٣) سقط في (س) و(ك) و(م)، وأضفتها من الإبانة.

٤) في (س) و(ك) و(م) وفي الإبانة (ت: عيون)، وأما في (ت: العصيمي) (مخالفون).

٥) وفي (س) و(ك) و(م) (الإمام الكامل، والرئيس الفاضل)، وفي الإبانة (الإمام الفاضل، والرئيس الكامل) وهي موافقة لما جاء في إقامة الدليل على إبطال التحليل ١٥٨، ودرء التعارض ٢/ ٣٢٨، ٣/ ٣٤٤، والحموية الكبرى ٥٠٠، ولذا أثبت ما ورد في الإبانة وتوافق مع رسائل شيخ الإسلام المذكورة.

٦) سقط في (س) و(ك) و(م)، وأضفتها من الإبانة (ت: العصيمي)، بينما أثبت (بشير عيون) جملة (عند ظهور الضلال) وقال: «في الأصول: ودفع به، وما أثبتناه من نسخة ابن عساكر».

المُبْتَدِعِينَ، وَزَيْغِ الزَّائِغِينَ، وَشَكِّ الشَّاكِّينَ، فرَحِمَةُ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ مُقَدَّمٍ، [وَجَلِيلٍ مُعَظَّمٍ](١)، وَكَبِيرٍ [مُفَهَّمٍ](٢)، [وَعَلَى جَمِيعِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ](٣)"(٤).

وَذَكَرَ جُمْلَةَ الاِعْتِقَادِ، وَالْكَلَامَ عَلَى عُلُوِّ اللهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَعَلَى الرُّؤْيَةِ، وَمَسْأَلَةِ الْقُرْآنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

المعطلة لا يعتمدون ...

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْمُعَطِّلَةَ نُفَاةَ الصِّفَاتِ، أَوْ نُفَاةَ بَعْضِهَا، لَا يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؛ إِذْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ إِنَّمَا يَتَضَمَّنُ الْإِثْبَاتَ لَا النَّفْيَ؛ لَكِنْ يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يَظُنُّونَهُ أَدِلَّةً عَقْلِيَّةً، وَيُعَارِضُونَ بِذَلِكَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ.

---

١) سقط في (س) و(ك) و(م)، وأضفتها من الإبانة.

٢) هكذا في (س) و(ك) و(م)، وفي الإبانة (ت: العصيمي)، أما في الإبانة (ت: عيون) فقال (مُفَخَّم).

٣) مُثبته في (س) و(ك) و(م)، وفي الإبانة (ت: عيون)، وأوردها شيخ الإسلام في إقامة الدليل على إبطال التحليل ١٥٨، ودرء التعارض ٢/ ٢٢٨، ٣/ ٣٤٤، وقد سقطت من الحموية الكبرى ٥٠٠، والإبانة (ت: العصيمي) ولا أعلم ما السبب.

٤) الإبانة عن أصول الديانة (ت: بشير عيون) ٤٣، وفي (ت: العصيمي) ٢٠٠-٢٠١، وقد نقلها شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية ١/ ١٠٧-١٠٨ بأطول من هذا الموضع وأحسن مما نقلها هنا، وهي هناك أقرب للفظ الإبانة من هذا الموضع.

وَحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَذْكُرْ فِي ذَلِكَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ لَا مِنْ سَمْعٍ وَلَا عَقْلٍ، فَلَمْ يُخْبِرْ بِذَلِكَ خَبَرًا بَيَّنَ بِهِ الحَقَّ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَلَا ذَكَرَ أَدِلَّةً عَقْلِيَّةً تُبَيِّنُ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ عَلَى زَعْمِهِمْ، بِخِلَافِ غَيْرِ هَذَا فَإِنَّهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ الرَّسُولَ ذَكَرَ فِي القُرْآنِ أَدِلَّةً عَقْلِيَّةً عَلَى ثُبُوتِ الرَّبِّ، وَعَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ.

وَقَدْ يَقُولُونَ أَيْضًا: إِنَّهُ أَخْبَرَ بِالمَعَادِ؛ لَكِنْ نَفَوْا الصِّفَاتِ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ النَّفْيِ لَمْ يَذْكُرْهُ الرَّسُولُ فَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ، وَلَا ذَكَرَ دَلِيلًا عَقْلِيًّا عَلَيْهِ؛ بَلْ إِنَّمَا ذَكَرَ الإِثْبَاتَ؛/ وَلَيْسَ هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ حَقًّا، فَأَحْوَجَ النَّاسَ إِلَى التَّأْوِيلِ أَوْ التَّفْوِيضِ، فَلَمَّا نَسَبُوا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ لَا دَلِيلٌ سَمْعِيٌّ وَلَا عَقْلِيٌّ، لَا خَبَرَ يُبَيِّنُ الحَقَّ، وَلَا دَلِيلَ يَدُلُّ عَلَيْهِ عَاقَبَهُمُ اللهُ بِجِنْسِ ذُنُوبِهِمْ؛ فَكَانَ مَا يَقُولُونَهُ فِي هَذَا البَابِ خَارِجًا عَنِ العَقْلِ وَالسَّمْعِ؛ مَعَ دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ مِنَ العَقْلِيَّاتِ البُرْهَانِيَّةِ، فَإِذَا اخْتَبَرَهُ العَارِفُ وَجَدَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ مِنْ جِنْسِ شُبُهَاتِ أَهْلِ السَّفْسَطَةِ وَالإِلْحَادِ الَّذِينَ يَقْدَحُونَ فِي العَقْلِيَّاتِ وَالسَّمْعِيَّاتِ. [١٩٧/ ١]

وَأَمَّا السَّمْعُ فَخِلَافُهُمْ لَهُ ظَاهِرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَظُنُّ مَنْ يُعَظِّمُهُمْ وَيَتْبَعُهُمْ أَنَّهُمْ أَحْكَمُوا العَقْلِيَّاتِ، فَإِذَا حُقِّقَ الأَمْرُ وَجَدَهُمْ كَمَا قَالَ أَهْلُ النَّارِ

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾. وكما قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

فلمّا كانَ حقيقةُ قولِهم إنَّ القرآنَ والحديثَ ليسَ فيه في هذا البابِ دليلٌ سمعيٌّ ولا عقليٌّ سلَبَهُمُ اللهُ في هذا البابِ معرفةَ الأدلّةِ السمعيّةِ والعقليّةِ حتّى كانوا مِنْ أضلِّ البريّةِ؛ مع دعواهم أنّهم أعلمُ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ وأئمّةِ المسلمينَ؛ بل قد يدّعونَ أنّهم أعلمُ مِنَ النبيّينَ، وهذا ميراثٌ مِنْ فرعونَ وحزبِهِ اللّعينِ.

---

١) سورة الملك، آية: ١٠

٢) سورة النور، آية: ٣٩-٤٠

الجعد بن درهم أول من أظهر التعطيل في الإسلام

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ أَظْهَرَ فِي الإِسْلَامِ التَّعْطِيلَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ قَوْلُ فِرْعَوْنَ هُوَ الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ(١)، فَضَحَّى بِهِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِاللهِ القَسْرِيُّ(٢)، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللهُ ضَحَايَاكُمْ؛ إِنِّي مُضَحٍّ بِالجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيماً، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الجَعْدُ عُلُوّاً كَبِيراً»، ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ، وَشَكَرَ لَهُ عُلَمَاءُ المُسْلِمِينَ مَا فَعَلَهُ كَالحَسَنِ البَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ(٣).

---

١) هو الجعد بن درهم ـ لم يذكر المؤرخون في اسمه غير ذلك ـ واختلفوا في مواليه فمنهم من جعله (مولى سويد بن غفلة الجعفي)، ومنهم من جعله (مولى لبني مروان بن الحكم الأموي)، مبتدعٌ ضالٌ زنديقٌ، واختلف في سنة قتله كما سيأتي.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٣، ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٩

٢) هو خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القَسْري ـ بفتح القاف وسكون المهملة ـ تولى أمارة مكة للوليد بن عبدالملك، ثم لسليمان أخيه، ثم تولى أمارة العراقين (العراق وسوريا) لهشام بن عبدالملك، مات سنة ١٢٦هـ

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٢٥، الأعلام ٢/ ٢٩٧

٣) في هذه القصة مسألتان بين ماحيتين بإيجاز (وهي تكميل لجهد الدكتور محمّد بن خليفة التميمي في كتابه مقالة التعطيل والجعد بن درهم، وليس استدراكاً عليه أو تعقيباً):

الأولى/ التاريخية: إذ قد ذكرت لنا المصادر العلمية يومَ وشهرَ مقتل الجعد (وهو يوم عيد الأضحى العاشر من ذي الحجة)، وساعة مقتله (وهو بعد انقضاء خطبة العيد)، والمكان

(وهو أسفل المنبر)، والبلد (وهو واسط بالعراق)، والقاتل (وهو خالد القسري)، ولم تُبين تلك المصادر في أي عام جرى ذلك، مع أنَّ شيخ الإسلام صرَّح في مواضع بأنَّ الحادثة جرت في عهد الحسن البصري وأستحسنها، ومعلومٌ أن وفاة الحسن سنة ١١٠هـ ومنها هنا هذا الموضع (مجموع الفتاوى ١٢/ ٢٦، ١٢/ ٣٥٠، ٢٠/ ٣٠٢)، ولا أستبعد أنَّ يكون شيخ الإسلام واهماً في ذكر الحسن البصري من ضمن العُلماء الذين شكروا خالداً القسري على قتله الجعد بن درهم، لأمور أربعة:

(أحدها) أنَّ وفاة الحسن البصري كانت سنة ١١٠هـ

و(ثانيها) أنَّ شيخ الإسلام نصَّ في مواضع من كتبه أنَّ مقتل الجعد كان في سنة نيِّف وعشرين ومائة، أي بعد وفاة الحسن بأكثر من بضع عشرة عاماً.

و(ثالثها) أنَّ شيخ الإسلام ذكر القصة في كثير من كتبه، ولم يذكر فيها استحسان الحسن البصري كما سيأتي.

و(رابعها) أنني لم أجد متابعاً لشيخ الإسلام في زمانه على إيراد شُكر الحسن البصري لخالد القسري في قتله للجعد، ولعل الحسن أجاز قتل الجعد مع بعض العُلماء اللذين في زمانه، ولم يتم لهم الأمر إلاَّ بعد وفاة الحسن، والله أعلم.

وأمَّا المواضع التي اطلعت عليها ـ على عجز مني ـ في كُتب شيخ الإسلام حيث ذكر القصة ولم يذكر فيها الحسن البصري، على حدِّ السنة في الجملة، فمنها قوله: (فأما الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبدالله القسري على رؤوس الخلائق، ومالك يومئذ نكير، وذلك سنة نيِّف وعشرين ومائة)، كما في بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٢٣٠ (ت: الدكتور رشيد حسن)، ولم يُعلق الدكتور على السنة المذكورة؛ مع أنه جزم في ٢/ ٢٢٧ بقتل الجعد سنة ١١٨هـ !!،

---

وكذلك قاله شيخ الإسلام في فُتيا مسألة كلام الله ضمن المجموع ١٢/ ٥٠٤، وهي كذلك ضمن الفتاوى الكبرى ٥/ ٣٠ (ت: عطا)، وفي رسالة الرَّد على الطوائف المُلحدة ضمن الفتاوى الكبرى ٦/ ٣٧٧ نقلاً عن اللالكائي

وهذه اللفظة (سنة نيِّف وعشرين ومائة) كان شيخ الإسلام نقلها عن أبي حاتم الرازي كما في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة للالكائي ٣/ ٤٢٥ (ت: الدكتور الحمدان)، وأيضاً لم يُعلق الدكتور الحمدان على السَّنة المذكورة مع أنّه جزم في ١/ ٤١ بقتله سنة ١٢٤هـ اعتماداً على ذكر الإمام ابن كثير للقصة في أحداث سنة ١٢٤هـ وكذلك وافق الإمامَ ابن كثير الشيخُ محمد بن عبدالوهاب في مختصر السيرة ٣١٧، مع أنَّ ابن كثير نفسه مع كبار المؤرخين كالطبري في تاريخه، وابن الأثير في كامله، صرَّحوا بأن الأمير خالد القَسْري عُزل عن ولاية العراق في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٠هـ أي قبل عيد الأضحى لتلك السَّنة!!

وأمّا المؤرخون الآخرون فهم كذلك لم يثبتوا على تاريخ مُعيّن فمثلاً المؤرخ الزركلي في الأعلام ذكر أنه في سنة ١١٨هـ وتابعه أغلب المُحققين ومنهم شيخنا الدكتور عبدالرَّحمن المحمود في موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة، والدكتور رشيد حسن في تحقيق بيان تلبيس الجَهْمِيَّة، وغيرهما كثير.

وأمّا شيخنا العلاَّمة محمَّد العثيمين فقد ذكر في فتح رب البرية في تلخيص الحموية أنه سنة ١١٩هـ وشرحها في الدُّرة العثيمينية بشرح فتح رب البرية (٣٦٤-٣٦٨)، وأكد ما ذهب إليه بقوله عند مقتل الجهم بن صفوان سنة ١٢٨هـ: «بينهما تسع سنين»، ولم أجد لشيخنا مُتابعاً في ذلك.

وأما المؤرخ الصفدي فقد حدد في الوافي بالوفيات ١٣/٤ أنه في سنة ١٢٠هـ

وقد حدد شيخنا العلامة عبدالله الغنيمان فقد ذكر أن مقتله كان سنة ١٢٤هـ كما في شرح كتاب التوحيد من البخاري (١/ ١١).

وبهذا يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنه أقرب تاريخ لقتل الجعد إذا قمنا بأمرين: (أحدهما) استبعاد مقتله في حياة الحسن البصري إلى سنة ١١٠هـ (ثانيهما) استبعاد مقتله بعد عزل خالد القسري سنة ١٢٠هـ فلا يبقى لنا إلا سنة ١١٨هـ وهي التي رجحها المؤرخ الزركلي وتابعه الكثير من المحققين، أو سنة ١١٩هـ التي رجحها شيخنا الغنيمان، وأمّا ما رجحه الدكتور التميمي وهو ما بين سنة ١٠٦هـ إلى سنة ١١٠هـ فاستبعده للأمور الأربعة السابقة، والله أعلم.

الثانية/ الحديثية: أنّ هذه القصة أوردها البخاري في خلق أفعال العباد ٢/ ٩ (ت: الفهيد)، والدارمي في الرّد على الجهميّة ٢٠٩ (ت: البدر)، والآجري في الشريعة ١/ ٦٧١ (ت: شيخنا الدميجي)، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٦١٧ (ت: الحاشدي)، والذّهبي في العلو للعلي العظيم ٢/ ٩٢٥ (ت: البرّاك)، وغيرهم، كلهم مُتفقون أنه من طريق القاسم بن محمّد عن عبدالرّحمن بن محمّد بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جدّه، وهو إسناد ضعيفٌ بلا مُنازع، لأن محمّد بن حبيب قال فيه أبو حاتم الرّازي كما في الجرح والتعديل لابيه: «لا أعرفه»، وقال فيه ابن منده والذّهبي: «مجهول» كما في ميزان الاعتدال، ووافقهما ابن حجر في التقريب.

ومحمّد بن حبيب هو من أكبر علل القصة، عدا أنّ فيها أباه حبيب بن أبي حبيب، قال فيه الإمام أحمد «ما أعلمُ به بأساً»، وأمّا يحيى بن معين فنهى عن كتابة حديثه، وقال يحيى بن

أثر المعصية والضلال في زوال الدول ظاهر على مر التاريخ

وَهَذَا الجَعْدُ إِلَيْهِ يُنْسَبُ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الجَعْدِيُّ(١) آخِرُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ(٢)، وَكَانَ شُؤْمُهُ عَادَ عَلَيْهِ حَتَّى زَالَتِ الدَّوْلَةُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا ظَهَرَتِ البِدَعُ الَّتِي تُخَالِفُ دِينَ الرُّسُلِ انْتَقَمَ اللهُ مِمَّنْ خَالَفَ الرُّسُلَ وَانْتَصَرَ لَهُمْ.

---

سعيد فيه: «لم يكن في الحديث بذاك»، وقال الذهبي عنه: «فيه لين»، وقال ابن حجر عنه: «صدوقٌ يُخطئ»، وأمّا ابنه عبدالرحمن فقد قال عنه ابن حجر «مقبولٌ».

واستأنس بعض أهل العلم لطريقٍ آخر رواه ابن أبي حاتم في الرّد على الجَهْمِيَّة كما عند الذهبي في العلو ٢/ ٩٢٩ (ت: البرّاك) قال: ثنا عيسى بن أبي عمران الرملي، ثنا أيوب بن سويد، عن السري بن يحيى، وفيه عِلّتان وهما: عيسى بن أبي عمران قال عنه أبو حاتم الرازي: «غير صدوق»، ونهى ابنه عبدالرحمن عن كتابة حديثه. وأمّا أيوب بن سويد فقد ضعّفه الإمام أحمد كما قاله الذهبي في الكاشف، وقال عنه ابن حجر: «صدوقٌ يُخطئ».

وبهذا يظهر لي أنّ الإسنادين ضعيفان، ولا يُقوّي بعضهما الآخر، فالقصة من الناحية الحديثية ضعيفة، أمّا من الجهة التاريخية فهي مشهورةٌ جداً، وتناقلها العُلماء، واستفاضت عند أهل الحديث ولم يُنكروها، بل وتمادحوا لها، ونقد الروايات التاريخية التي لا تقدح في العقيدة لا تنضبط على طريقة المُحدثين الذين ينقدون الروايات الحديثية لتنقية ما جاءت به الشريعة من قولٍ وعملٍ، والله أعلم.

(١) لُقّبَ بذلك لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن، والقدر، حينما تولى مروان بن محمد امارة الجزيرة الفراتية، في أيام هشام بن عبدالملك، وكان الجعد من أهلها، ومن المُقربين عند مروان بن محمد

وَجَدَا لمَّا ظَهَرَتِ الملاحِدَةُ النَّاصِيَةُ، وَمَلَكُوا الشَّامَ وَغَيْرَهَا ظَهَرَ فِيهَا

[ص/١٠١] النِّفَاقُ وَالزَّنْدَقَةُ الَّذِي هُوَ بَاطِنُ/ أَمْرِهِمْ وَهُوَ حَقِيقَةُ قَوْلِ يَزْعُمُونَ إِنْكَارَ الصَّانِعِ

[هـ/١٠٥] وَإِنْكَارَ عِبَادَتِهِ، وَخِيَارُ مَا كَانُوا يَتَظَاهَرُونَ بِهِ الرَّفْضُ؛ فَكَانَ/ خِيَارُهُمْ وَأَقْرَبُهُمْ

إِلَى الإِسْلَامِ الرَّافِضَةُ، وَظَهَرَ بِسَبَبِهِمْ الرَّفْضُ وَالإِلْحَادُ حَتَّى كَانَ مَنْ كَانَ يَنْزِلُ

الشَّامَ مِثْلُ بَنِي حَمْدَانَ[٢] الغَالِيَةِ وَنَحْوِهِمْ مُتَشَيِّعِينَ؛ وَكَذَلِكَ مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي

بُوَيْه[٣] فِي المَشْرِقِ.

---

١) الدولة الأموية هي المرحلة الثانية في تملك إمارة المسلمين بعد المرحلة الأولى وهي (عصر الخلفاء الراشدين)، وقد مكثت في خلافتها قرابة ٨٣ عاماً، حكمها ١٤ خليفة، أولهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وآخرهم مروان بن محمد.

يُنظر. التاريخ الإسلامي (الدولة الأموية) محمود شاكر بتمامه، وهو فريدٌ في جمعه وعرضه، والجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ٥٧ - ٨٧

٢) بنو حمدان: بطن من بني تغلب بن وائل من بني تغلب العدنانية، وهم بنو حمدان بن حمدون التغلبي، وكانوا ملوكاً على الجزيرة العراقية والموصل وحلب، وأشهر مُلوكهم سيف الدولة الحمداني، وأشهر شعرائهم أبو فراس الحمداني، وهي دولة رافضية تملكت على أجزاء من العراق والشام من سنة ٢٩٢هـ إلى سنة ٤١٢هـ قرابة عشرون ومائة سنة.

ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ٣٨٦)، نهاية الأرب في فنون الأدب (٢٦/ ٦٩).

٣) بنو بويه: أصل نسبهم من الفرس، وقد سكنوا بلاد الديلم، وكانوا ملوكاً على بلاد فارس وأجزاء من العراق. وأشهر مُلوكهم علي بن بويه، وهي دولة رافضية تملكت على

فارس وما جاورها وأجزاء من العراق من سنة ٣٣٤هـ إلى سنة ٤٤٧هـ قرابة ثلاث عشرة ومائة سنة.

يُنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب ٢٦/ ٩٣، التاريخ الإسلامي ٦/ ١٤١

فائدة (١): أشهر الحركات السياسية الرافضية في دولة الإسلام هي: (الحمدانيون، البويهيون، العبيديون (الفاطميون)، السامانيون، الحشاشون، القرامطة، النصيرية، الدروز)، وانتماؤها للمذهب الشيعي الرافضي مشهورٌ عند العُلماء، ومنهم مَن يُعتبر فِرقة ملحِية من الرافضة مع حركتها السياسية، ومنهم مَن يُعتبر حركة سياسية مُرادها الحكم والسُّلطة فقط، والله أعلم.

فائدة (٢): كُل هذه الدويلات تنتمي إلى مذهب الإسماعيلية الباطنية، والحمدانيون يُعتبرون من الغُلاة فيهم، ماعدا البويهيون فينتمون إلى الرافضة الإمامية مع اتفاقهم مع المُعتزلة في بعض العقائد، وهم ممَّن مكنوا للمُعتزلة بعدما أطفأ اللهُ نورهم في زمن المتوكل بالله.

فائدة (٣): درج خلفاء المُسلمين في الدولة العبَّاسية على تلقيب أنفسهم انتماءً إلى الله، فيقولون: (المعتصم بالله، الواثق بالله، المتوكل بالله، المقتدر بالله)، وشابههم ملوك الدولة العُبيدية بمصر، فيقولون: (المستنصر بالله، المستعلي بالله، الحاكم بأمر الله، العزيز بالله)، أمَّا غالب ملوك هذه الدويلات الرافضية فيُلقبون أنفسهم إلى الدولة، فيقولون: (سيف الدولة، مؤيد الدولة، عماد الدولة، سعد الدولة)، بينما غالب ملوك أهل السُّنة يُلقبون أنفسهم إلى الدِّين، فيقولون: (نظام الدِّين، بدر الدِّين، صلاح الدِّين، ضياء الدِّين)، والله أعلم.

وَكَانَ ابْنُ بِـ وَأَمْثَالُ نَبِيٍّ مِنْ أَهْلِ دَعْوَتِهِمْ، قَالَ: وَبِسَبَبِ ذَلِكَ اشْتَغَلْتُ فِي الْفَلْسَفَةِ، وَكَانَ مَبْدَأُ ظُهُورِهِمْ مِنْ حِينِ تَوَلَّى الْمُقْتَدِرُ[1]، وَلَمْ يَكُنْ بَلَغَ بَعْدُ، وَهُوَ مَبْدَأُ انْحِلَالِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ[2]؛ وَلِهَذَا سُمِّيَ حِينَئِذٍ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأُمَوِيُّ الَّذِي كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ[3]، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ لَا يُسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ، وَيَقُولُ:

---

١) هو أبو الفضل (المقتدر بالله) جعفر بن (المعتضد بالله) أحمد، الخليفة الثامن عشر من خلفاء الدولة العباسية، وقد بويع بالخلافة وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وشهر واحد، وعشرين يوماً، ولم يكن ولي الخلافة قبله أحدٌ أصغرَ منه.

٢) الدولة العباسية هي المرحلة الثالثة في تملك إمارة المسلمين بعد المرحلة الأولى وهي (عصر الخلفاء الراشدين)، والمرحلة الثانية وهي (الدولة الأموية)، وقد مكثت في خلافتها قرابة ٥٢٤ عاماً، حكمها ٣٧ خليفة، أولهم عبدالله بن محمد السفّاح، وآخرهم المستعصم بالله عبدالله بن منصور.

يُنظر: التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية) تاماً، والجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ٨٨- ١٨٠

٣) وهو الأمير عبدالرحمن بن محمد الناصر الأموي، حيث تسمّى بأمير المؤمنين عام ٣١٦هـ تقريباً حين بلغه تولي (المقتدر بالله العباسي) وعمره ثلاثة عشر عاماً، ثم أكد في تسمية نفسه خليفةً وأميراً للمؤمنين في بلاد الأندلس بعدما بلغه مقتل الخليفة (المقتدر بالله العباسي) على يد مؤنس الخادم، واستبداد القادة الترك بالخلفاء، وقد دام حُكم الناصر ٥٠ عاماً.

لا يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ خَلِيفَتَانِ، فَلَمَّا وَلِيَ الْمُقْتَدِرُ، قَالَ: «هَذَا صَبِيٌّ لا تَصِحُّ وِلايَتُهُ»، فَسُمِّيَ بِهَذَا الاسْمِ.

العبيديون ملاحدة منافقون ونسبهم باطل عندهم

وَكَانَ بَنُو عُبَيْدِاللهِ الْقَدَّاحِ[1] الْمَلاحِدَةُ يُسَمُّونَ بِهَذَا الاسْمِ؛ لَكِنَّ هَؤُلاءِ كَانُوا فِي الْبَاطِنِ مَلاحِدَةً زَنَادِقَةً مُنَافِقِينَ، وَكَانَ نَسَبُهُمْ بَاطِلاً كَدِينِهِمْ؛ بِخِلافِ الأُمَوِيِّ وَالْعَبَّاسِيِّ فَإِنَّ كِلاهُمَا نَسَبُهُ صَحِيحٌ، وَهُمْ مُسْلِمُونَ كَأَمْثَالِهِمْ مِنْ خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

فَلَمَّا ظَهَرَ النِّفَاقُ وَالْبِدَعُ وَالْفُجُورُ الْمُخَالِفُ لِدِينِ الرَّسُولِ سُلِّطَتْ عَلَيْهِمُ الأَعْدَاءُ، فَخَرَجَتِ الرُّومُ النَّصَارَى إِلَى الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَأَخَذُوا الثُّغُورَ الشَّامِيَّةَ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ إِلَى أَنْ أَخَذُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ فِي أَوَاخِرِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ[2]، وَبَعْدَ هَذَا بِمُدَّةٍ حَاصَرُوا دِمَشْقَ. وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَسْوَإِ حَالٍ بَيْنَ

---

١) ينتسبون إلى عبدالله بن عبيدالله بن ميمون القداح أحد رؤوسهم وزعمائهم، وقد ملكوا المغرب العربي ومصر في منتصف القرن الثالث، وتسمّوا بالفاطميين، وأحدثوا بين المسلمين الكثير من البدع والمنكرات كتعظيم القبور والأضرحة، والاحتفال بميلاد النبي ﷺ.

يُنظر: البداية والنهاية ١٢/ ٢٦٧، حُسن المحاضرة ١/ ١٦٠

٢) دخل الصليبيون بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ في عهد المستظهر بالله الخليفة الثامن والعشرين من خلفاء الدولة العباسية، وقد قتلوا من أهلها يومئذٍ أكثر من سبعين ألفاً.

بِكُفَّارِ النَّصَارَى وَالْمُنَافِقِينَ الْمَلَاحِدَةِ، إِلَى أَنْ تَوَلَّى نُورُ الدِّينِ الشَّهِيدُ[1] وَقَامَ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ أَمْرِ الإِسْلَامِ، وَإِظْهَارِهِ، وَالْجِهَادِ لِأَعْدَائِهِ، ثُمَّ اسْتَنْجَدَ بِهِ مُلُوكُ مِصْرَ بَنُو عُبَيْدٍ عَلَى النَّصَارَى فَأَنْجَدَهُمْ، وَجَرَتْ فُصُولٌ كَثِيرَةٌ إِلَى أَنْ أُخِذَتْ مِصْرُ مِنْ

---

وخاضت خيولهم بحرٍ من الدماء، وقد حاول المسلمون صد عدوانهم ولكن ضعف السلاجقة، وغفلة المستظهر بالله، وخيانة النصيرية والدروز في الشام، والعبيديين في مصر، مكّنت للصليبيين من اغتصاب البيت المقدس، حتى قام الملك صلاح الدّين الأيوبي بجمع شتات المسلمين في سنوات عديدة فهزم خلالها الصليبيين، وهزمهم في معركة الخالدة حِطّين، وعُرض عليه تسليم القُدس فأبى إلاّ أن يدخلها عنوةً، وكان ذلك في ٢٧/ ٧/ ٥٨٣هـ فرحمه الله رحمة واسعة.

يُنظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٦/ ٢٤١-٣١٧

١) هو (نور الدِّين) محمود بن (عماد الدِّين) زنكي بن آق سُنقر التُّركي، الإمام المجاهد، والملك العادل، الملقب بنور الدِّين الشهيد، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانباً من اليمن، وخُطب له بالحرمين، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم، وكان يتمنى أن يموت شهيداً، فمات على فراشه بعلة (الخوانيق) في قلعة دمشق، فقيل له (الشهيد)، ومات سنة ٥٦٩هـ ومن أجمع ما صُنِّف في تاريخه (الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي)، وقد طبع بتحقيق الأستاذ إبراهيم الزيبق، بمؤسسة الرسالة.

و (الخوانيق) من الاختناق وهو امتناع نفوذ النَّفَس إلى الرئة والقلب، وهي ما تُسمّى في وقتنا الحاضر بالذبحة الصدرية، والله أعلم.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٦، الأعلام ٧/ ١٧٠

بَنِي عُبَيْدٍ أَخَذَهَا [صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْن أَيُوب بْن شَاذِيٍ](١)، وَخَطَبَ بِهَا لِبَنِي العَبَّاسِ؛ فَمِنْ حِينَئِذٍ ظَهَرَ الإِسْلَامُ بِمِصْرَ بَعْدَ أَنْ مَكَثَتْ بِأَيْدِي المُنَافِقِينَ المُرْتَدِّينَ عَنْ دِينِ الإِسْلَامِ [مِائَتَيِ سَنَةٍ](٢).

---

١) في (س) و(ك) و(م) (صلاح الدين بن سادي) بالسين المهملة، وفيه سقطٌ وتصحيفٌ من جهتين، الأول سقط اسم الأب (أيوب)، والثاني تصحيف اسم الجد (شاذي) وهو بالشين والذال المعجمتين، كما في سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٧٨، ووفيات الأعيان ١/ ٢٦٠، والأعلام ٢/ ٣٨، وقد اجتهد الشيخ ناصر الفهد في كتابه صيانة مجموع الفتاوى ١١١ في تصحيح اسم الجد (شاذي) فأخطأ إذ سماه (شادي) فأعجم الأول، وأهمل الثاني، والأظهر كما سبق أنه بمعجمتين، أي الشين والدال، والله أعلم.

وهو الأمير (صلاح الدين) يوسف بن (نجم الدين) أيوب بن شاذي الأيوبي الكُردي، السلطان الناصر المجاهد، مات سنة ٥٨٧هـ ومن أجمع المصادر في تاريخه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شدّاد)، وقد طبع بتحقيق الدكتور جمال الدين الشيّال، بمكتبة الخانجي.

٢) في (س) و(ك) و(م) [مائة سنة] وهو تصحيفٌ، لأن مُدة استيلاء العبيديين على مصر مائتي سنة كما قرره شيخ الإسلام نفسه في مجموع الفتاوى ٢٧/ ١٧٥: «فبنوا عُبيد الذين يسمون القداح الذين كانوا يقولون إنهم فاطميون وبنوا القاهرة، وبقوا مُلوكاً يدَّعُون أنهم علويون نحو مائتي سنة، وغلبوا على نصف مملكة الإسلام»، وقال كما في الفتاوى ٢٧/ ٤٨٦-٤٨٧: «دعاة للقرامطة الباطنيين الذين استولوا عليها مائتي سنة، فزرعوا فيهم

فَكَانَ الإِيمَانُ بِالرَّسُولِ، وَالجِهَادُ عَنْ دِينِهِ سَبَبًا لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَبِالعَكْسِ البِدَعُ وَالإِلْحَادُ وَمُخَالَفَةُ مَا جَاءَ بِهِ سَبَبٌ لِشَرِّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

فَلَمَّا ظَهَرَ فِي الشَّامِ وَمِصْرَ وَالجَزِيرَةِ الإِلْحَادُ وَالبِدَعُ سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الكُفَّارُ، وَلَمَّا أَقَامُوا مَا أَقَامُوهُ مِنَ الإِسْلَامِ، وَقَهْرِ المُلْحِدِينَ وَالمُبْتَدِعِينَ نَصَرَهُمُ اللهُ عَلَى الكُفَّارِ، تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

---

من أخلاق الزنادقة المنافقين وأهل الجهل المدعين وأهل الكذب الظالمين ما لم يمكن أن ينقلع إلا بعد حين، فإنه قد فتحها بزوال ملك العبيديين أهل الإيمان والسُّنة في الدولة النورية والصلاحية»، وقال كما في الفتاوى ٢٨/ ١٣٥ «فإنَّ القاهرة بقي ولاة أمورها نحو مائتي سنة على غير شريعة الإسلام، وكانوا يظهرون أنهم رافضة، وهم في الباطن إسماعيلية ونصيرية وقرامطة باطنية»، وقال كما في الفتاوى ٣٥/ ١٣٩ «بقيت البلاد المصرية مُدَّة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الإسلام والإيمان، حتى قالت فيها العلماء: إنها كانت دارَ رِدَّةٍ ونِفَاقٍ»، وقال كما في الفتاوى ٣٥/ ١٥١: « وفتحوا أيضاً ـ أي المسلمون ـ أرض مصر، فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة واتفقوا هم والنصارى، فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد، ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية»، وقال في منهاج السُّنة ٦/ ٤٢٢ «مُدَّة بني عُبيد القداح الذين أقاموا بالمغرب مُدَّة وبمصر نحو مائتي سنة»، والله أعلم

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[1]. [الله ٩٦]

عندما التزم المسلمون بالإسلام علا [illegible] نصرهم الله على أعدائهم

وَكَذَلِكَ لَمَّا كَانَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ قَائِمِينَ بِالإِسْلَامِ كَانُوا مَنْصُورِينَ عَلَى الْكُفَّارِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ التُّرْكِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبِدَعِ وَالإِلْحَادِ وَالْفُجُورِ سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[2].

---

١) سورة الصف، آية: ١٠-١٣

٢) سورة الإسراء، آية: ٤-٨

وَكَانَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ[1] يَقُولُ: «هُولَاكُو[2] - مَلِكُ التُّرْكِ التَّتَارِ الَّذِي قَهَرَ الْخَلِيفَةَ بِالْعِرَاقِ وَقَتَلَ بِبَغْدَادَ[3] مَقْتَلَةً عَظِيمَةً جِدًّا، يُقَالُ: قَتَلَ مِنْهُمْ أَلْفَ أَلْفٍ، وَكَذَلِكَ قَتَلَ بِحَلَبٍ دَارِ الْمُلْكِ؛ حِينَئِذٍ كَانَ بَعْضُ الشُّيُوخِ يَقُولُ هُوَ - لِلْمُسْلِمِينَ بِمَنْزِلَةِ بُخْتَ نَصَّرَ[4] لِبَنِي إِسْرَائِيلَ».

---

١) لم أقف على اسمه فيما بين يدي من المصادر، وقد ذكر شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٢١، والفتاوى الكبرى ٣/ ٥٤٢ (ت: عطا) أنه من أكابر التتار، فقال: «كما قال أكبر مقدميهم الذين قدموا إلى الشام، وهو يخاطب رُسل المسلمين، ويتقرب إليهم بأنَّا مُسلمون، فقال: (هذان آيتان عظيمتان جاءا من عند الله محمَّدٌ وجنكيز خان)، فهذا غاية ما يتقرب به أكبر مقدميهم إلى المُسلمين أن يسوي بين رسول الله - وأكرم الخلق عليه، وسيد ولد آدم، وخاتم المُرسلين - وبين مَلِكٍ كافرٍ مُشركٍ من أعظم المُشركين كُفراً وفساداً وعدواناً من جنس بخت نصر وأمثاله»

٢) هو هولاكو بن تولي خان بن جنكيز خان، ملك التتار وقائدهم في غزوهم لبغداد عاصمة الدولة العباسية، وهو من أنهى الخلافة العباسية فيها، وقتل آخر خلفائها، وكان طاغيةً متعطشاً للدماء، ومن حسناته على كُفره وجبروته إبادته لفرقة الحشاشين الإسماعيلية في جبال الألموت بإيران، والتي أسسها الحسن بن الصباح، والتي قد آذت المُسلمين سنين طويلة، وقد عجز المُسلمون عن تتبعهم وصد عدوانهم، وقد أهلك الله هولاكو سنة ٦٦٤هـ. يُنظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٨.

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ هَؤُلَاءِ دِيَارَ الْمُسْلِمِينَ ظُهُورُ الإِلْحَادِ وَالنِّفَاقِ وَالبِدَعِ؛ حَتَّى أَنَّهُ صَنَّفَ الرَّازِيُّ كِتَاباً فِي عِبَادَةِ الكَوَاكِبِ وَالأَصْنَامِ وَعَمَلِ السِّحْرِ سَمَّاهُ (السِّرُّ المَكْتُومُ فِي السِّحْرِ وَمُخَاطَبَةِ النُّجُومِ)"[3]!!.

---

١) بغداد: عاصمة الدولة العباسية، وهي الآن عاصمة بلاد العراق، قال عنها ياقوت الحموي: «أم الدُّنيا، وسيِّدة البلاد»، وكان أبو جعفر المنصور يُسمّيها (دارُ السَّلام)، وهو الذي خطَّها ومصَّرها سنة ١٤٥هـ وهي مدينة العُلماء مِن أئمة الإسلام، ردَّ اللهُ إليها عِزَّتها وسؤددها.

يُنظر: معجم البلدان ١/ ٤٥٦.

٢) هو: بخت نصر بن نبوزراذون بن سنحاريب ، وكان ملك عام ٧٧٩ بعد وفاة نبي الله موسى عليه السلام على بلاد فارس والعراق والشام ، وقد سالمه العرب ، وصالحه بنو إسرائيل ثم غدروا به ، فقاتلهم حتى أبادهم ، فخرب بيت المقدس وأحرقه ، فهرب من بقي منهم إلى مصر واحتموا بملكها ، فلحقهم بخت نصر إلى مصر فقتل ملكها وصلبه وحاز خزائن مصر، وسبى القبط وغيرهم.

ينظر: تاريخ الطبري ١/ ٥٣٨ ، تاريخ ابن خلدون ٢/ ٢٠٩.

٣) اختلف العُلماء في نسبة هذا الكتاب للرازي، على فريقين:

الأول/ مَن أثبته له: ومنهم الشيخ زين الدِّين سريجا بن محمد الملطي المتوفى سنة ٧٨٨هـ وقد ردَّ على الرازي في كتاب سمّاه (انقضاض الباري في انقضاض الرازي) كما في الأعلام للزركلي ٦/ ٣١٣، وكشف الظنون ٢/ ٩٨٩، وقد وقع خطأ طباعي عند الدكتور أحمد سعاد

حتى في تحقيقه لجزئه من بيان تلبيس الجهمية ٣/ ٥٣ حينما سمَّى الرَّد (انقضاص البازي في انفضاض البازي) !!.

وكذلك أثبته شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٤/ ٥٥: «صنَّف الرازي كتابه في عبادة الكواكب والأصنام، وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته، ورغب فيه، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المُسلمين، وإن كان قد يكون تاب منه وعاد إلى الإسلام».

والذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ٣٤٠: «وله كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم، سحرٌ صَرِيحٌ، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله تعالى»، وقال أيضاً في الضعفاء: «له السر المكتوم في مخاطبة النجوم يدل على ضلاله، وقلة إيمانه، فإنه سحرٌ صَرِيحٌ، فلعله تاب منه».

وابن كثير في تفسيره ١/ ٣٦٧: «وقد استقصى في كتاب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب إليه فيما ذكره القاضي ابن خلكان وغيره، ويقال: إنه تاب منه، وقيل: إنه صنَّفه على وجه إظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد، وهذا هو المظنون به، إلاَّ أنه ذكر فيه طرائقهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة، وكيفية ما يعملون وما يلبسونه، وما يتنسكون به».

وقد نسبه له غير هؤلاء جمعٌ من المؤرخين كابن خلكان في وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٩، واليافعي في مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٢/ ١٣٩، والقفطي في أخبار العلماء ١/ ١٢٤، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٥/ ٢٠، وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية ٢/ ٦٧، ومحمد الزركان في فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ٥٢، وشيخنا الدكتور عبدالرحمن المحمود في موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٢/ ٦٦١

وَيُقَالُ: إِنَّهُ صَنَّفَهُ لِأُمِّ(1) السُّلْطَانِ عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ [تَكْش](2) بْنِ جَلَالِ الدِّينِ خُوَارِزْم شاه(3)، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الأَرْضِ، وَكَانَ لِلرَّازِي بِهِ

---

ثانيًا/ ومنهم مَن نفاه عنه. وهما السُّبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٨٧ حيث أنكر أن يكون هذا الكتاب للرَّازي، بل وكابر أن يكون فيه سحرٌ أصلاً !!. وحاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ٩٨٩ حيث نسبه إلى أبي الحسن علي بن أحمد المغربي

وقد طُبع الكتاب في الهند كما قاله شيخنا المحمود، والله أعلم.

١) قال شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهميَّة ٣/ ٥٣ (ت: الدكتور أحمد حفظي): «وقد قيل إنه صنَّفه لأم الملك علاء الدِّين محمَّد بن تكش بن جلال الدِّين، وأنها أعطته عليه ألف دينار، وكان مقصودها ما فيه من السحر والعجائب، والتوصل بذلك إلى الرئاسة وغيرها من المآرب». وقد هربت هذه الملكة بين مملكتها بعد زوال مُلك ابنها فوقعت في الأسر ثم قُتلت، ولم أقف على اسمها، وعند الله تجتمع الخُصُوم. وجُملة (خُوارِزْم شاه) ليست مِن اسم الملك علاء الدِّين، وإنما هي وصفٌ له، ومعناها (مَلِك خوارزم)

يُنظر: الكامل في التاريخ ١٢/ ٣٧٢- ٣٧٣

٢) في (س) و(ك) و(م) (الكش) وهو تصحيفٌ، والأظهر ما أثبته، والله أعلم.

٣) هو السُّلطان (علاء الدِّين) محمَّد بن (علاء الدِّين) تكش بن أرسلان بن أتسز بن محمَّد ابن نوشتكين الخوارزمي، كان والده قد تملك الدُّنيا مِن السند والهند وما وراء النهر إلى خراسان إلى بغداد، وتملك محمَّدٌ بعد أبيه حتى أصبح مِن أعظم مُلوك الأرض، وهو مِن مدينة خوارزم المشهورة بين إيران وروسيا في وقتنا الحاضر، وتقع جنوبي بحر خوارزم والمعروف الآن بحر آرال، وهي في نهاية حوض نهر جيحون

اتصالٌ قويٌّ حتّى أنّهُ وصّى إليهِ على أولادِهِ، وصنّفَ لهُ كِتاباً سمّاهُ/ (الرّسالة العلائيّة في الاختيارات السّماويّة) [1].

[أ/م ٥٢]

وهذهِ الاختياراتُ لأهلِ الضّلالِ بدَلُ الاستخارةِ الّتي علّمها النّبيُّ ﷺ المُسلمينَ، كما قالَ جابرٌ في الحديثِ الصّحيحِ الّذي رواهُ البُخاريُّ وغيرُهُ: كانَ رسُولُ الله ﷺ يُعلّمُنا الاستخارةَ في الأُمورِ كُلّها، كما يُعلّمُنا السُّورةَ مِنَ القُرآنِ يقُولُ: (إذا همَّ أحدُكُم بالأمرِ فليركعْ ركعتينِ مِن غيرِ الفريضةِ، ثُمَّ ليقُلْ: اللّهُمَّ إنّي أستخيرُكَ بعلمِكَ، وأستقدِرُكَ بقُدرتِكَ، وأسألُكَ مِن فضلِكَ العظيمِ، اللّهُمَّ إنْ كُنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ - ويُسمّيهِ باسمِهِ - خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري فاقدُرْهُ لي، ويسِّرْهُ، ثُمَّ بارِكْ لي فيهِ، وإنْ كُنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمرَ

[illegible]

---

١) وقد نسبه للرازي ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١/ ٣١٥ وسمّاه (الاختيارات العلائية في التأثيرات السماوية)، والصفدي في الوافي بالوفيات وسمّاه (الاختيارات السماوية)، وحاجي خليفة في كشف الظنون وسمّاه (الأحكام العلائية في الأعلام السماوية)، وتابعه صدّيق حسن خان في أبجد العلوم في علم الاختيارات دون ذكر مؤلفه، وإسماعيل باشا في هدية العارفين.

فائدة: ذكر ابن الأثير في الكامل ١/ ٩٠ أنّ أول زمن وضعت فيه الاختيارات للملوك بالنجوم، لمّا وضعها (زرادشت) وكان عالماً بالنجوم للملك (بشتاسب) حتى بختنصر على (بخت نصر)، فأجابه (بشتاسب) إلى ذلك.

شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي
الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ)"(١)./ [٩٦/ق]

وَأَهْلُ النُّجُومِ لَهُمْ اخْتِيَارَاتٌ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلاً أَخَذَ طَالِعاً سَعِيداً، فَعَمِلَ فِيهِ ذَلِكَ العَمَلَ؛ لِيَنْجَحَ بِزَعْمِهِمْ، وَقَدْ صَنَّفَ النَّاسُ كُتُباً فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَذَكَرُوا كَثْرَةَ مَا يَقَعُ مِنْ خِلَافِ مَقْصُودِهِمْ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَكَمْ يُخْبِرُونَ مِنْ خَبَرٍ فَيَكُونُ كَذِباً، وَكَمْ يَأْمُرُونَ بِاخْتِيَارٍ فَيَكُونُ شَرّاً.

[الرازي [illegible] صنف في [illegible] [illegible] [illegible] والسجود لها]

وَالرَّازِيُّ صَنَّفَ الاخْتِيَارَاتِ لِهَذَا المَلِكِ، وَذَكَرَ فِيهِ الاخْتِيَارَ لِشُرْبِ الخَمْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا ذَكَرَ فِي (السِّرِّ المَكْتُومِ) فِي عِبَادَةِ الكَوَاكِبِ، وَدَعْوَتِهَا مَعَ السُّجُودِ لَهَا، وَالشِّرْكِ بِهَا، وَدُعَائِهَا مِثْلَ مَا يَدْعُو المُوَحِّدُونَ رَبَّهُمْ؛ بَلْ أَعْظَمَ !!، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا بِمَا يُظَنُّ أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لَهَا مِنَ الكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ !!، فَذَكَرَ أَنَّهُ يَتَقَرَّبُ إِلَى الزُّهَرَةِ بِفِعْلِ الفَوَاحِشِ، وَشُرْبِ الخَمْرِ، وَالغِنَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابُ: الدُّعَاءِ عِنْدَ الاسْتِخَارَةِ، رقم (٥٩٠٣)، عن جابر بن عبدالله.

وهذا في عصر الأمر يقرب إلى الشياطين الذين يأمرونهم بذلك، ويقولون لهم: «إن الكوكب نفسه يحب ذلك»، وإلا فالكواكب مسخرات بأمر الله، مطيعة لله لا تأمر بشرك، ولا غيره من المعاصي، ولكن الشياطين هي التي تأمر بذلك، ويسمونها روحانية الكواكب، وقد يجعلونها ملائكة وإنما هي شياطين.

فلما ظهر بأرض المشرق بسبب مثل هذا الملك ونحوه، ومثل هذا العالم ونحوه ما ظهر من الإلحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار[1]، فأبادوا هذا الملك، وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر، ويعلم تحقيق ما أخبر الله به في كتابه حيث يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ

---

١) يعني بهم التتر والمغول سماهم الرسول ﷺ بهم في قوله: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة» رواه البخاري، وكان قائدهم يومئذ (جنكيز خان)، واسمه تيموجين بن يسوكاي بهادر، ومعناه: الملك القاهر، استولى على الصين وما حولها وأقام دولة عملاقة، وكان له مراسلات مع ملك خوارزم علاء الدين محمد بن تكش، ولكن علاء الدين قتل رسله فقرر جنكيز خان الانتقام، وقضى على الدولة الخوارزمية، وعاد إلى أرضه، ومات سنة ٦٢٥هـ ومن أولاده منه التتر والمغول حتى سقطت بغداد على أيديهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[1]؛ أي أنَّ القرآنَ حقٌّ، وقال: ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[2]، وبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

علماء السنة في كل بلد أعلم من غيرهم بمقالة المخالفين في بلدهم

والمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَ انْقِرَاضُهَا بِسَبَبِ هَذَا الْجَعْدِ الْمُعَطِّلِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي أَوْجَبَتْ إِدْبَارَهَا، وَفِي آخِرِ دَوْلَتِهِمْ ظَهَرَ الْجَهْمُ ابْنُ صَفْوَانَ بِخُرَاسَانَ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَصْلَهُ مِنْ تِرْمِذ، وَأَظْهَرَ قَوْلَ الْمُعَطِّلَةِ النُّفَاةِ الْجَهْمِيَّةِ، وَقَدْ قُتِلَ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ، وَكَانَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَشْرِقِ أَعْلَمَ بِحَقِيقَةِ قَوْلِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ[3]، وَلِهَذَا يُوجَدُ لِعَبْدِاللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَشْرِقِ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْجَهْمِيَّةِ أَكْثَرُ مِمَّا يُوجَدُ لِغَيْرِهِمْ؛ مَعَ أَنَّ عَامَّةَ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَكَلَّمُوا فِيهِمْ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُونُوا ظَاهِرِينَ إِلَّا

---

١) سورة فصلت، آية : ٥٣

٢) سورة الأنبياء، آية : ٣٧

٣) وهذه القاعدة صحيحةٌ في الغالب، إذ أن عُلماء ذلك البلد الذي شاهدوا ظهور المُنكر، وربما حاوروا أصحابه، فهم أعلم بحقيقة ذلك المُنكر من غيرهم، سواء كان المُنكر من الشرك أو البدع أو المعاصي، والله أعلم

بِالْمَشْرِقِ، لَكِنْ قَوِيَ أَمْرُهُمْ لَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ[1] وَتَوَلَّى ابْنُهُ الْمُلَقَّبُ بِالْمَأْمُونِ[2] بِالْمَشْرِقِ، وَتَلَقَّى عَنْ هَؤُلَاءِ مَا تَلَقَّاهُ.

[١٨٠/ب] ثُمَّ لَمَّا وَلِيَ [الخِلَافَةَ][3] اجْتَمَعَ بِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ،/ وَدَعَا إِلَى قَوْلِهِمْ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وَكَتَبَ إِلَى بَغْدَادَ وَهُوَ بِالثَّغْرِ بِطَرَسُوسَ[4] الَّتِي بِبَلَدِ سِيسَ[5] - وَكَانَتْ إِذْ ذَاكَ أَعْظَمَ ثُغُورِ بَغْدَادَ، وَمِنْ أَعْظَمِ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ، يَقْصِدُهَا أَهْلُ الدِّينِ مِنْ كُلِّ

---

١) هو الخليفة هارون بن محمد الرشيد، الخليفة الخامس من خلفاء الدولة العباسية.

٢) هو الخليفة محمد بن هارون الرشيد، الخليفة السابع من خلفاء الدولة العباسية.

٣) في (س) و(ك) الخليفة، وفي (م) الخلافة، وهو الأقرب.

٤) طَرَسُوس: قال عنها ياقوت الحموي: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة؛ ولا يجوز سكون الراء إلا في ضرورة الشعر، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وهي كذلك موطن للصالحين والزُّهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين ينفقون فيها أجر الرباط في سبيل الله، ومات قريباً منها المأمون ثُمَّ ودُفِنَ فيها، وقد استولى عليها الروم سنة ٣٥٤هـ وظلت بيدهم حتى سنة ٦٢٣هـ وهي الآن مدينة من مُدن دولة تُركيا.

يُنظر: مُعجم البلدان ٤/ ٢٨.

٥) سِيس: يُسمّيها عُلماء البلدان (سِيسة)، والعامّة يُسمونها (سِيس)، وهي من أعظم مُدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطَرَسُوس، وقد عُمِرت في خلافة المتوكل على يدي علي بن يحيى الأرمني، ثم أخربتها الروم سنة ٣٥٤هـ وهي الآن مدينة من مُدن دولة تُركيا.

يُنظر: مُعجم البلدان ١/ ٢٠١، ٣/ ٢٩٧.

ناحية، ويُرابطون بها، رابط بها الإمام أحمد بن حنبل، والسري السقطي[١]، وغيرهما، وتولى قضاءها أبو عُبيد[٢]، وتولى قضاءها أيضاً صالح بن أحمد بن حنبل[٣]، ولهذا ذُكِرت في كتب الفقه كثيراً، فإنها كانت ثغراً عظيماً ـ فكتب من

---

١) هو سَرِيُّ بنُ المُغَلِّس السَّقَطِيُّ، أبو الحسن البغدادي، من كبار الزُّهاد، وهو خال الجنيد ابن محمد، وأستاذه، مات سنة ٢٥١هـ.

يُنظر: حلية الأولياء ١٠/ ١١٦، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٨٥، لسان الميزان ٣/ ١٣

٢) هو القاسم بن سلاَّم ـ بتشديد اللام ـ بن عبدالله الأزدي، أبو عبيد البغدادي ثم المكي، إمامٌ حافظٌ، وفقيهٌ لُغويٌّ، صاحب المصنفات المشهورة منها (فضائل القرآن)، و(غريب الحديث)، و(الأموال)، ولي قضاء طرطوس، قال عنه الإمام أحمد: «أبو عُبيد ممن يزداد كل يوم خيراً»، توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ.

يُنظر: طبقات الحنابلة ١/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٩٠

٣) هو صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو الفضل البغدادي، الإمام المحدِّث الفقيه القاضي، كان مُلازماً لأبيه وخادِماً له، مات سنة ٢٦٥هـ.

يُنظر طبقات الحنابلة ١/ ١٧٣، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٢٩

...ثُمَّ إلى نائبه ببغداد إسحق بن إبراهيم بن مُصْعَب(١) كِتَاباً يَدْعُو النَّاسَ فيه إلى أَنْ يَقُولُوا: «القُرْآنُ مَخْلُوقٌ»!!، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ.

ثُمَّ كَتَبَ كِتَاباً ثَانِياً يَأْمُرُ فِيهِ بِتَقْيِيدِ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ، وَإِرْسَالِهِ إِلَيْهِ، فَأَجَابَ أَكْثَرُهُمْ، ثُمَّ قَيَّدُوا سَبْعَةً لَمْ يُجِيبُوا، فَأَجَابَ مِنْهُمْ خَمْسَةٌ(٢) بَعْدَ القَيْدِ، وَبَقِيَ اثْنَانِ لَمْ

---

١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن زُرَيق الخزاعي، كان أمير بغداد ورئيس شرطتها عباسيين أكثر من عشرين سنة، من أيام المأمون إلى أيام المتوكل، وكان صارماً حازماً، وهو الذي كان يطلب الفقهاء ويمتحنهم بأمر المأمون، مات في آخر سنة ٢٣٥هـ.
يُنظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧١، العبر في خبر من غبر ٧٩، الوافي بالوفيات ٣/ ١٦٥

٢) الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنّ المأمون استدعى سبعة أولاً كما عند الطبري في تاريخه ١٠/ ٢٨٧، وابن كثير في البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٨ وهم: (محمّد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم المستملي، ويزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن الدورقي)، فأجاب جميعهم تحت ظل السيف والقهر، ثمّ استدعى غيرهم، منهم: (الإمام أحمد، وقُتيبة بن سعيد، وأبو حسّان الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتل، وعلي بن الجعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وأبو نصر التمّار، وأبو معمر القطيعي، ومحمّد بن حاتم بن ميمون، ومحمّد بن نوح، والنضر بن شميل، وعُبيدالله بن عُمَر القواريري، والحسن بن حمّاد سَجّادة، أبو مُسْهِر عبدالأعلى بن مُسْهِر الغسّاني، وجماعة) فأجابوا كذلك إلاّ الإمام أحمد بن حنبل، ومحمّد بن نُوح.

مُجِيبًا: الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ نُوحٍ(١)، فَأَرْسَلُوهُمَا/ إِلَيْهِ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلا إِلَيْهِ. ا ص/١٠٢

ثُمَّ أَوْصَى إِلَى أَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ(٢)، وَكَانَ هَذَا سَنَةَ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، وَبَقِيَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الحَبْسِ إِلَى سَنَةِ عِشْرِينَ، فَجَرَى مَا جَرَى مِنَ المُنَاظَرَةِ حَتَّى قَطَعَهُمْ بِالحُجَجِ، ثُمَّ لَمَّا خَافُوا الفِتْنَةَ ضَرَبُوهُ وَأَطْلَقُوهُ، وَظَهَرَ مَذْهَبُ النُّفَاةِ الجَهْمِيَّةِ وَامْتَحَنُوا النَّاسَ، فَصَارَ مَنْ أَجَابَهُمْ أَعْطَوْهُ، وَإِلَّا مَنَعُوهُ العَطَاءَ، وَعَزَلُوهُ مِنَ الوِلَايَاتِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ، وَكَانُوا إِذَا افْتَكُّوا الأَسْرَى يَمْتَحِنُونَ

---

١) هو محمد بن نُوح بن ميمون بن عبدالحميد العجلي، ناصر السُّنة، كان عالماً زاهداً ورعاً مشهوراً بالسُّنة والدِّين والثقة، أُمتحن بالقول بخلق القرآن فثبت على السُّنة، وحُمل مُقيداً مع الإمام أحمد بن حنبل متزاملين، وكان يقول للإمام أحمد: «أبا عبد الله!! الله الله.. إنك لست مثلي، إنك رجل يُقتدى بك، وقد مدَّ هذا الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله، واثبت لأمره !!»، ومرض في الطريق ومات وهو في ريعان شبابه، فوليه الإمام أحمد ودفنه، وقال عنه: «ما رأيتُ أقوم بأمر الله منه»، ولَزِمهُ لقبُ (صاحبُ أحمد بن حنبل) يعني في القيد لا العلم، مات سنة ٢١٨هـ.

يُنظر: العبر في خبر من غبر ٢٧٠، الوافي بالوفيات ٢/ ١٣٨

٢) هو (المعتصم بالله) محمد بن هارون الرشيد، الخليفة الثامن من خلفاء الدولة العباسية.

الأمير، فإن أجابهم امتحنوه، وإلا لم يمتحنوه. وكتب فاسيهم أحمد بن أبي دُؤاد[1] على ستارة الكعبة (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم)!!، لم يكتب وهو ﴿ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2].

---

١) هو أحمد بن (أبي دؤاد) فرج بن حريز بن مالك بن عبدالله بن عبّاد الإيادي، أبو عبدالله البغدادي، رئيس القضاة في الدولة العباسية، وكان فصيحاً مفوهاً شاعراً جواداً، وكان جهمياً عنيداً، يقول بخلق القرآن، وأفتى به للخلفاء في زمانه، وحرضهم على إلزامه للعامة، فحصل بسببه الفتن الكبيرة، والمحن الخطيرة التي أودت بقتل كثير من العُلماء، وأذية بعضهم، وهو الذي أفتى بقتل الإمام أحمد ومن يقول بقوله، وقد أهلكه الله بمرض بالفالج قبل موته بنحو أربع سنين، وصودرت أمواله وأملاكه، ومات سنة ٢٤٠هـ

يُنظر: ميزان الاعتدال ٣ / ١٣٨، الوافي بالوفيات ٢/ ٤٧٤

٢) سورة الشورى، آية: ١١، والقصة أوردها كذلك الإمام ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١/ ٥٥، فقال: «وقال حنبل - يعني ابن إسحاق - حججت في سنة إحدى وعشرين فرأيت في المسجد الحرام كسوة البيت من الديباج، وهي تخاط في صحن المسجد، وقد كُتب في الدارات (ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير)، فلما قدمتُ سألني أبو عبدالله - يعني الإمام أحمد - عن بعض الأخبار، فأخبرته بذلك، فقال أبو عبدالله: قاتلهُ الله !! الخبيث عمد إلى كتاب الله فغيّره، يعني ابن أبي دؤاد، يعني أزال ﴿ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾».

ثُمَّ وَلِيَ الوَاثِقُ(١)، وَاشْتَدَّ الأَمْرُ إِلَى أَنْ وَلِيَ المُتَوَكِّلُ(٢)، فَرَفَعَ المِحْنَةَ، وَظَهَرَتْ حِينَئِذٍ السُّنَّةُ(٣)، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

---

١) هو (الواثق بالله) هارون بن (المعتصم بالله) محمد بن هارون الرشيد، الخليفة التاسع من خلفاء الدولة العباسية.

٢) هو (المتوكل على الله) جعفر بن (الواثق بالله) هارون بن (المعتصم بالله) محمد بن هارون الرشيد، الخليفة العاشر من خلفاء الدولة العباسية.

٣) ظهر القول بـ(خلق القُرآن) للعامة بأمر الخليفة (المأمون) من سنة ٢١٢هـ إلى سنة ٢١٨هـ حيث مات فيها، وقد أوصى لأخيه من بعده (المُعتصم بالله) بإشعال فتنتها، وإكراه العُلماء فيها ليتقبلها العامة، فأوقد لها السيف والنطع حتى مات في سنة ٢٢٧هـ بعدما قتل كثيراً من العُلماء والعُبّاد، ثم أعقبها (الواثق) فما زال على رِكاب مَن قبله في الفتنة حتى مات سنة ٢٣٢هـ فجاء (المُتوكل) بعدهم وقد زُلزلت الأرض من هول هذه الفتنة في بلاط الخلافة، وحل شؤمها ثلاثةٌ منهم، فعزم على إنهائها، والمنع من خوضها، وردّ العامّة على السُّنة، وكان ذلك في مطلع سنة ٢٣٣هـ.

قال شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٤٧٩/١١ «فدامت هذه المحنة على المُسلمين بضع عشرة سنة في أواخر خلافة المأمون، وخلافة أخيه المُعتصم، والواثق بن المُعتصم، ثم إن الله تعالى كشف الغُمّة عن الأمة في ولاية المُتوكل على الله، والذي جعل اللهُ عامّة خلفاء بني العبّاس من ذريته دون ذرية الذين أقاموا المحنة لأهل السُّنة، فأمر المُتوكل برفع المحنة، وإظهار

والمقصود أن أئمة المسلمين قد عرفوا حقيقة قول الجهمية بيّنوه؛ حتى قال عبدالله بن المبارك: «إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية»[1]، وكان ينشد:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة    إلى النار واشتق اسمه من جهنم[2]

«وقيل له: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. قيل له: بحد؟ قال: بحد»[3].

---

الكتاب والسنة، وأن يُروى ما ثبت عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين من الإثبات النافي للتعطيل».

١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١١١، والآجري في الشريعة ١/ ٦٤٤ (ت: شيخنا الدميجي)، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٢/ ٩٧ (ت: الوابل)، كلهم بلفظه، وعند الدارمي في الرد على الجهمية ٢٦: «لأن أحكي كلام اليهود والنصارى أحبُّ إليَّ من أن أحكي كلام الجهمية»، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ١٩٢ (ت: المشيري).

٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/ ٢٨٢، بلفظ:

عجبت لشيطان أتى الناس داعياً    إلى النار واشتق اسمه من جهنم

ووافقه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١١، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٢٣٧، وأما لفظ شيخ الإسلام فقد وافقه عليه ابن القيم في الصواعق المرسلة ٤/ ١٣٩٨ (ت: الدخيل الله)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية ٤٩٤ (ت: التركي)

---

١) هذا الأثر لأهميته عند أهل السُّنة جعلتُ عن مسألتين:

الأولى: (تخريجه) هذا الأثر رواه مختصراً بدون جملة (الحدّ) الدارمي في الرّد على الجَهْمِيَّة ٤٧، وعبدالله بن أحمد في السُّنة ١/ ١١١، وابن منده في التوحيد ٣/ ٣٠٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٣٦، وغيرهم. ورواه بلفظه تاماً الدارمي في الرد على المريسي ١/ ٢٢٤، وفي الرّد على الجَهْمِيَّة ٩٨، وعبدالله بن أحمد في السُّنة ١/ ١٥٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٣٣٥، وغيرهم، كُلُّهم من طريق علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك، وصححه شيخ الإسلام كما الفتوى الحموية ٣١٧ وقال: «بأسانيد صحاح»، وفي القاعدة المراكشية ٦٧ - ٦٨ وقال: «وهذا مشهورٌ عن ابن المُبارك ثابتٌ عنه من غير وجه، وهو أيضاً ثابتٌ عن أحمد بن حنبل، وإسحاق بن رَاهَوَيْهِ، وغيرُ واحدٍ من الأئمة»، وابن القيِّم في اجتماع الجيوش الإسلامية ١٩١ وقال: «بأصح إسناد»، وكذلك في ٣٢٤ وقال: «وقد صحَّ عنه صحةً قريبةً من التواتر»، والذَّهبي في العلو ١/ ١١٠، والألباني في مختصر العلو ١٥٢، والقحطاني في تحقيقه كتاب السُّنة، والتّميري في تحقيقه اجتماع الجيوش الإسلامية، والحاشدي في تحقيقه كتاب الأسماء والصفات، وحسّنه البدر في تحقيقه الرّد على الجَهْمِيَّة، وبهذا يظهر أنَّ الأسانيد لابن المُبارك صحيحة، ولا مطعن فيه لأئمة الحديث، ولم أر مَن طعن فيه إلاَّ جَهْمِيّاً كالكوثري، أو زَيدياً سالكاً مسالك الرافضة كحسن بن فرحان المالكي، أما بعض المُنتسبين للسُّنة الذين ردُّوا مسألة الحدّ أو توقفوا فيها فليس لضعف الأثر عندهم، وإنما لأنهم لم يفهموا المقصود من إثبات السَّلف لذلك، والله أعلم.

الثانية: (معناه) الحدُّ لم يثبت شيءٌ في الكتاب والسُّنة، وهذا لا خلاف فيه، ولكنه جاء عن أئمة السَّلف إثباته، وذلك ردّاً على أئمة الجَهْمِيَّة (كالجهم والمريسي وابن أبي دؤاد) ومَن

تابعهم من المُنتسبين لأهل السُّنة (كالقاضي أبي يعلى وابن الزاغوني الحنبليان)، وجاء عرض الأئمة لهذه المسألة عند كلامهم على مسألة العلو، والاستواء على العرش، وأنه بائنٌ عن خلقه)، لا كما يقوله الجهميّةُ ومن شابههم (أنّ الله في كُل مكان)!!، وأول من أشتهر عنه إثبات الحدّ لله، وأنّه بائنٌ عن خلقه ـ على حسب علمي ـ هو عبدالله بن المُبارك، ثم تابعه أئمة أهل السُّنة كالإمام أحمد، وإسحاق ابن رَاهَوَيْهِ، وعبدالله بن الزبير الحُميدي، وسعيد ابن منصور، وعثمان بن سعيد الدَّارمي، وقُتيبة بن سعيد، وعبدالله بن أحمد، وأبي بكر الخلاَّل، وأبي عبدالله ابن مندْهُ، وأبي إسماعيل الهروي، وابن تيميَّة، وابن القيِّم، وغيرهم.

وقبل أن أوضح مقصود السَّلف بالحدّ أريد أن أبيّن معنى الحدُّ عند أهل اللغة:

فبعضهم جعله بمعنى: (المنع) فقط، وهو قول ابن دُريد في الجمهرة، وأبي عُبيد في الغريب.

وبعضهم جعله بمعنى: (الحاجز بين الشيئين) وهو قول الفراهيدي في العين، وابن فارس في المعجم وابن الأثير في النهاية، وابن منظور في اللسان، والفيروزآبادي في القاموس.

وبعضهم أضاف لها (النهاية والمنتهى لكل شيء) وهو قول الفراهيدي في العين، وابن الأثير في النهاية، والأزهري في التهذيب، وابن منظور في اللسان، والفيروزآبادي في القاموس.

وأمّا عند السَّلف (أهل التوحيد) فهم يطلقونه على معنيين:

الأول: إثبات العلو لله مع استوائه على العرش، وأنه بائنٌ ـ أي مُنفصلٌ ـ عن خلقه، وهذا لا شك فيه، ولا يستطيع أحدٌ نكرانه، وهو مُجمعٌ عليه عند السَّلف في إثباته.

الثاني: أنّ الخلق لا يحدُّون ذات الله أو صفاته، ولا يكيفون حدَّه ومُنتهاه، ولا يعلم مُنتهى الله إلاّ هو جل في عُلاه، وهذا سببُ إنكار بعض السَّلف لمسألة الحدِّ بقولهم: (ليس له حدٌّ)، أو (ليس عبر أن نقول في ذلك ـ أي من الصفات ـ بكيفٍ أو حدٍّ)، أو (ولا نصفُ الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غايةٍ)، ويقصدون (أنّ الخلق لا يحدُّون الله، ولا يُدركون كيفية

ذاته أو صفاته)، وقد جمع مُحصّل كلام السّلف شيخُ الإسلام ابن تيميةَ في بيان تلبيس الجهميةِ ٣/ ٥٩١ وأبدع في مقولته: «وقد ثبت عن أئمة السّلف أنهم قالوا (لله حَدٌّ)، وأن ذلك لا يعلمه غيره، وأنه مُباينٌ لخلقه، وفي ذلك لأهل الحديث والسّنة مصنفاتٌ، وهذا هو معنى التحيز عند مَن تكلم به من الأولين، فإن هؤلاء كثيراً ما يكون النزاع بينهم لفظياً، لكن أهل السّنة والحديث فيهم رعاية لألفاظ النصوص وألفاظ السلف، وكثيرٌ مِن مُثبتي ذلك يؤمن بألفاظ لا يفهم معناها، وقد يؤمن بلفظ ويكذب بمعنى آخر، غايته أن يكون فيه بعض معنى اللفظ الذي آمن به»، وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية ٢١٣ (ت: التركي وشعيب): «ومن المعلوم أن الحدَّ يُقال عَلَى ما ينفصل به الشيء، ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم؛ بل هو القيوم القائم بنفسه، المُقيم لما سواه فالحدُّ بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرَّب ونفي حقيقته، وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحدَّه العباد، فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السّنة»، والله أعلم.

أمّا ما أُثر عن الإمام الذَّهبي في ردِّه لمسألة الخوض في الحدِّ، وتوقفه في إثباته، كما في سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٥، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٠٧ وتابعه الشيخ محمَّد حامد الفقي كما تحقيقه الرَّد على المريسي للدَّارمي ٢٣، والشيخ أبو الأشبال الزهيري في تحقيقه الفرقان ١٦٢ - ١٦٤ فلا يُعوّل عليه، وذلك لأن الذَّهبي ـ غفر الله لنا وله ـ مُقعِّد لنفسه (عدم الخوض فيما لم يأتِ به الكتاب والسّنة)، وهي وإن كانت قاعدة مَتِيْنَة إلاّ أنها غير منضبطة عند الرَّد على أهل البدع لا عند الذَّهبي ولا غيره، وإنما العبرة بما أُثر عن أئمة السّلف وإقرار بعضهم بعضاً في ذلك، فهل جاء في القُرآن والسُّنة لفظة (بائنٌ) في الاستواء، أو (بذاته) في الاستواء، و(غير مخلوق) في القُرآن، أو غيرها، ومع ذلك أثبتها السّلف ردّاً على الجهميةِ والمُعتزلة الذين ينفون الاستواء، ويقولون بخلق القُرآن، وهكذا، والذَّهبي نَفْسُه قد قال

وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَاهُوَيْهِ، وَعُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ(١)، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ.

حقيقة قول الجهمية هو قول فرعون

وَحَقِيقَةُ قَوْلِ الجَهْمِيَّةِ المُعَطِّلَةِ هُوَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ، وَهُوَ جَحْدُ الخَالِقِ، وَتَعْطِيلُ كَلَامِهِ وَدِينِهِ كَمَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَفْعَلُ(٢)، فَكَانَ يَجْحَدُ الخَالِقَ جَلَّ جَلَالُهُ

---

(مخلوق الأرواح) كما في السير ١٦/ ٢٦٤، وقال بأنَّ (القرآن كلامُ الله مُنزَّلٌ غير مخلوق) كما في السير ١١/ ٢٩٠، فأنّى له ذلك بأن يُثبت بعضاً ويترك بعضاً، إلا أنه لم تنضبط معه تلك القواعد، وكان - أكرمه الله وأعزه - عفيف القلب واللسان يخشى على المسلمين من تكاثر الفتن عليهم، وتناحرهم بالسِّباب والغلّ والأحقاد، فهذا له ما كتب وقرر، وأرجو مراجعة كتاب (إثبات الحدِّ لله عز وجل) للدشتي، [وهي رسالة فريدةٌ، مطبوعة بتحقيق الشيخين سُلطان العتيبي، وعادل الغامدي]، والله أعلم.

١) هو عثمان بن سعيد بن خالد التميمي السجستاني، أبو سعيد الدَّارمي، الإمام الحافظ، مُحدِّث هراة، كان جذعاً في أعين المبتدعة، وقد ردَّ على محمد بن كرّام وطرده من هراة، له المصنفات الفريدة من أشهرها (المسند)، و(النقض على المريسي)، مات سنة ٢٨٠ هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣١٩، البداية والنهاية ١١/ ٦٩، شذرات الذهب ٢/ ١٧٦

٢) وقد كرر شيخ الإسلام في كثير من رسائله وقرر أنَّ كلام الجهميَّة وغُلاة الصُّوفية في نفيهم العلو والاستواء والبينونة هو عَيْنُ كلام فرعون، ومنه قوله: «إنَّ حقيقة هذا نزول إلى تعطيل الخالق وحقيقة هذا نزول إلى تعطيل كلام وتكليمه، وهذا حقيقة قول فرعون الذي أنكر الخالق وتكليمه لموسى، وهذا آل الأمر بمحققي هؤلاء إلى تعظيم فرعون وتوليه، وتصديقه في قوله (أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ) بل إلى تعظيمه على موسى، وإلى الاستخفاف بتكليم الله لموسى» كما في الفتاوى ١٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩، وقال أيضاً في الفتاوى

وَيَقُولُ: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [1]، وَيَقُولُ لِمُوسَى: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [2]، وَيَقُولُ: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [3]، وَكَانَ يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ اللهُ كَلَّمَ مُوسَى، أَوْ يَكُونَ لِمُوسَى إِلَهٌ فَوْقَ السَّمَوَاتِ،/ وَيُرِيدُ أَنْ يُبْطِلَ عِبَادَةَ اللهِ وَطَاعَتَهُ، وَيَكُونَ هُوَ الْمَعْبُودَ الْمُطَاعَ. [١٩٧/ا]

فَلَمَّا كَانَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ النُّفَاةِ يَئُولُ إِلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ؛ كَانَ مُنْتَهَى قَوْلِهِمْ إِنْكَارَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِنْكَارَ عِبَادَتِهِ، وَإِنْكَارَ كَلَامِهِ؛ حَتَّى ظَهَرُوا بِدَعْوَى التَّحْقِيقِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ، فَصَارُوا يَقُولُونَ: الْعَالَمُ هُوَ اللهُ، وَالْوُجُودُ وَاحِدٌ، وَالْمَوْجُودُ الْقَدِيمُ الْأَزَلِيُّ الْخَالِقُ هُوَ الْمَوْجُودُ الْمُحْدَثُ الْمَخْلُوقُ، وَالرَّبُّ هُوَ الْعَبْدُ، مَا ثَمَّ رَبٌّ وَعَبْدٌ وَخَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ، بَلْ هُوَ عِنْدَهُمْ فُرْقَانٌ.

طعن المعطلة في الأنبياء، وتنقصهم ومدحهم لفرعون

وَلِهَذَا صَارُوا يَعِيبُونَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَيَنْتَقِصُونَهُمْ؛ وَيَعِيبُونَ عَلَى نُوحٍ وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَغَيْرِهِمَا، وَيَمْدَحُونَ فِرْعَوْنَ، وَيُجَوِّزُونَ عِبَادَةَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ،

---

٢/ ١٦٠: فهنا أحدُ أصلي ابن عربي، وأما الأصل الآخر فقولهم (أنَّ وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه) وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين وإنما هو حقيقة قول فرعون.

١) سورة القصص، آية : ٣٨

٢) سورة الشعراء، آية : ٢٩

٣) سورة النازعات، آية : ٢٤

وَجَمِيعِ الأَصْنَامِ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِأَنْ تُعْبَدَ الأَصْنَامُ حَتَّى يَقُولُوا: إِنَّ عُبَّادَ الأَصْنَامِ لَمْ يَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ، وَأَنَّ اللهَ نَفْسَهُ هُوَ العَابِدُ وَهُوَ المَعْبُودُ، وَهُوَ الوُجُودُ كُلُّهُ، فَيَجْحَدُوا الرَّبَّ، وَأَبْطَلُوا دِينَهُ، وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَمَا أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَتَكْلِيمَهُ لِمُوسَى وَغَيْرِهِ.

وَقَدْ ضَلَّ فِي هَذَا جَمَاعَةٌ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِالكَلَامِ وَالفَلْسَفَةِ وَالتَّصَوُّفِ المُنَاسِبِ بِذَلِكَ كَابْنِ سَبْعِينَ(١)، وَالصَّدْرِ القُونَوِيِّ(٢) تِلْمِيذِ

---

(١) هو عبدالحق بن إبراهيم بن محمد الرقوطي، أبو محمد المُرسي، الشهير بابن سبعين، فيلسوفٌ صوفيٌّ مُتكلِّمٌ، تعمَّق بالفلسفة حتى ألحد، وقد جاور غار حراء راجياً النبوة لنفسه، له مُصنفات عدة منها (بد العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف)، و(حزب الفرج والاستخلاص بسر حقيقة كلمة الإخلاص)، وقال عنه الذهبي: «واُشتهر عنه أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله (لَا نَبِيَّ بَعْدِي)، فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام، مع أنَّ هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في رب العالمين: (إِنَّهُ حَقِيقَةُ المَوجُودَاتِ)، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»، مات سنة ٦٦٩هـ.

يُنظر: البداية والنهاية ١٣/ ٢٦١، شذرات الذهب ٥/ ٣٢٩، هدية العارفين ١/ ٢٦٠

(٢) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف الملاطي القُونَوِي، أبو عبدالله صدر الدِّين الصوفي، تزوج ابن عربي أمه، ورباه عنده، فهو ربيبه وتلميذه، له مُصنفات كثيرة منها (فكوك النصوص في مستندات حكم الفصوص للشيخ الأكبر)، و(كشف السِّر)، مات سنة ٦٧٢هـ وقال الحموي في معجم البلدان: «قُونِيَة: بالضم ثم السكون، ونون مكسورة، وياء مثناة من تحت خفيفة، من أعظم مُدن الإسلام بالروم وهي موضع مدينة القيروان».

يُنظر: الوافي بالوفيات ١/ ٢٣٣، هدية العارفين ٢/ ١٤

ابن عربي(١)، والبلياني(٢)، والتلمساني(٣)، وهو من حذاقهم علماً ومعرفة،

---

١) سيأتي ترجمته بعد قليل.

٢) هو عبدالله بن مسعود البلياني، أوحد الدين الشيرازي، فيلسوف صوفيّ مُنجّم، كان عارفاً بعلم الرمل، له مصنفات منها (رياض الطالبين)، و(الوحدة المطلقة)، مات سنة ٦٨٦هـ وقد سماه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ٢/ ٨٠: «عبدالله الفارسي البلياني»، وسماه في المجموع ٢/ ١١٥، ٢/ ٢٩٤، ٢/ ٢٩٧، والجواب الصحيح ٢/ ٥٩٦: «عبدالله البلياني»، وقال عنه كذلك كما في الفتاوى ٢/ ٤٧٣ بعد ذكره لأئمة الصوفية: «لكن ما رأيت فيهم من تحقّق هذا الكفر الذي ما كفّره أحد قطّ مثل التلمساني، وآخر يقال له البلياني من مشايخ شيراز، ومن شعره:

وفـي كـل شـيء لـه آيـة تـدل على أنـه عينـه.

وأيضاً:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذائقه».

قال السخاوي في الضوء اللامع: «البَلْيَاني: بفتح الموحدة، ثم لام ساكنة، بعدها تحتانية، ثم نون ساكنة، نِسْبةٌ لبَلْيَانَ من أعمال شيراز»

يُنظر: هدية العارفين ١/ ٤٦١، كشف الظنون ١/ ٦٢٢.

قال الدكتور عبدالعزيز العسكر في تحقيقه للجواب الصحيح ٢/ ٥٩٦: «ولم نعثر له على ترجمة بعد البحث الطويل، وخاصة في تراجم الصوفية»، فأرجو إضافة هذا التعريف هناك لتتم الفائدة، والله أعلم.

٣) هو سليمان بن علي بن عبدالله بن العابدي، يُلقب بالعفيف التلمساني، صوفيّ فيلسوفٌ، نُسب إليه الحلول والاتحاد والزندقة، له مؤلفات منها (شرح تائية ابن الفارض)، و(شرح فصوص الحكم لابن عربي)، و(شرح القصيدة العينية لابن سينا)، مات سنة ٦٩٠هـ.

يُنظر: البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٦، شذرات الذهب ٥/ ٤١٢.

وكان يظهر المذهب بالفعل، فيشرب الخمر، ويأتي المحرمات.

وحدثني الثقة[1] أنه قرأ عليه (فصوص الحكم)[2] لابن عربي[3]، وكان يظنه من كلام أولياء الله العارفين، فلما قرأه رآه يخالف القرآن !!، قال: فقلت

---

١) وهو الشيخ الصالح العالم العابد الزاهد كمال الدين أبو حفص عمر بن إلياس بن يونس المراغي، وقد صرّح شيخ الإسلام باسمه في حقيقة مذهب الاتحاديين القائلين بوحدة الوجود، وهي ضمن الفتاوى ٢/ ٢٤٤. وقال عنه ابن ناصر الدين في الرّد الوافر ٢١٥ (ت: الشاويش): «ذكره العلامة الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير قال: وهو شيخٌ حسن المنظر، ظاهر الوضاءة، عليه سيماء العبادة، ونعت علمٍ وتحقيقٍ. وذكر أنه سأله ـ أي ابن كثيرٍ يسأل المراغي ـ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فقال: هو عندي رجلٌ كبيرُ القدر، عالمٌ مجتهدٌ، شجاعٌ صاحب حق، كثير الرد على هؤلاء الحلولية والاتحادية والإنيّة ـ من يقول عن نفسه أنا الله وهو أنا ـ، واجتمعت به مراراً، وشكرته على ذلك، وكان أهل هذا المذهب الخبيث يجاءون معه كثيراً، وكان يقول لي: ألا تكون مثلي، فأقول له لا أستطيع».

٢) كتابٌ فلسفيٌ صوفيٌ مُليء بالشطحات والتناقضات، وقد رد عليه كثيرٌ من أهل العلم، ومن أشهرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته (الردُّ الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم) وهو ضمن مجموع الفتاوى ٢/ ٣٩٠. وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء: «ومن أردئ تواليفه كتاب (الفصوص) فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة». والكتاب طبعه الدكتور أبو العُلا عفيفي، بدار الكتاب العربي ببيروت.

٣) هو محمد بن علي بن محمد الطائي، أبو عبدالله الأندلسي الدمشقي، المعروف بمحيي الدين ابن عربي الشهير بالشيخ الأكبر، فيلسوفٌ صوفيٌ متكلمٌ، أحد رؤوس القائلين بالاتحاد ووحدة الوجود، يُعتبر من أكابر الصوفية وأئمتهم، ويتفاخرون بالانتساب إليه،

لَهُ: هَذَا الكَلَامُ يُخَالِفُ القُرْآنَ!!. فَقَالَ «القُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكٌ!!، وَإِنَّمَا التَّوْحِيدُ فِي كَلَامِنَا!!»، وَكَانَ يَقُولُ: «ثَبَتَ عِنْدَنَا فِي الكَشْفِ مَا يُخَالِفُ صَرِيحَ المَعْقُولِ»[1].

وَحَدَّثَنِي مَنْ كَانَ مَعَهُ وَمَعَ آخَرَ نَظِيرٍ لَهُ: فَمَرَّا عَلَى كَلْبٍ أَجْرَبَ مَيِّتٍ بِالطَّرِيقِ عِنْدَ دَارِ الطُّعْمِ، فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ: هَذَا أَيْضاً هُوَ ذَاتُ اللهِ؟، فَقَالَ: وَهَلْ ثَمَّ شَيْءٌ خَارِجٌ عَنْهَا؟ نَعَمْ الجَمِيعُ فِي ذَاتِهِ!!.

---

وخدمت حياً وميتاً، له المصنفات الشهيرة منها (فصوص الحكم)، (الفتوحات المكية)، واعتاد غالب أهل العلم أن يُفرقوا بينه وبين الإمام ابن العربي المعافري القاضي المالكي الأندلسي، صاحب (عارضة الأحوذي) بأل التعريف، فيحذفونها من ابن عربي الصوفي ويُضيفونها لابن العربي المعافري، مع أنَّ ورودها في ابن عربي لا بأس به، وهي عادة العلماء المغاربة والأندلسيين فقط، مات سنة ٦٣٨هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، فوات الوفيات ٣/ ٤٣٥.

(١) أورد شيخ الإسلام قول التلمساني في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ١٦٠، وهي ضمن الفتاوى ١١/ ٢٤٣، وكذلك في النبوات ١/ ٢٨٢، وفي الجواب الصحيح ٢/ ٤٨٥ (ت: العسكر) بلفظ (ما يُخالف صريح العقل)، أمّا ما جاء في الجواب الصحيح ٢/ ١٠٩-١١٠ (ت: العسكر) بلفظ (ما يخالف صريح النقل)، أظنه تصحيفاً لم يتنبه له المحقق، والله أعلم.

وَهَؤُلَاءِ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ هُوَ قَوْلُ فِرْعَوْنَ، لَكِنْ فِرْعَوْنُ مَا كَانَ يَخَافُ أَحَدًا يُنَافِقُهُ، فَلَمْ يُثْبِتِ الْخَالِقَ، وَإِنْ كَانَ فِي الْبَاطِنِ مُقِرًّا بِهِ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ إِلَّا مَخْلُوقٌ، لَكِنْ حُبُّ الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ وَالظُّلْمِ دَعَاهُ إِلَى الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ، كَمَا قَالَ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2]، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ مِنْ وَجْهٍ يُنَافِقُونَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُمْكِنُهُمْ إِظْهَارُ جُحُودِ الصَّانِعِ، وَمِنْ وَجْهٍ هُمْ ضُلَّالٌ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمَخْلُوقُ، فَكَانَ قَوْلُهُمْ هُوَ قَوْلَ فِرْعَوْنَ، لَكِنْ فِرْعَوْنُ كَانَ مُعَانِدًا مُظْهِرًا لِلْجُحُودِ وَالْعِنَادِ، وَهَؤُلَاءِ إِمَّا/ جُهَّالٌ ضُلَّالٌ، وَإِمَّا مُنَافِقُونَ مُبْطِنُونَ الْإِلْحَادَ وَالْجُحُودَ يُوَافِقُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي الظَّاهِرِ.

وَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ عَبْدُ السَّيِّدِ[3] الَّذِي كَانَ قَاضِيَ الْيَهُودِ ثُمَّ أَسْلَمَ، وَكَانَ مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ، وَمِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَحْسَنِهِمْ/ إِسْلَامًا، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَمِعُ بِشَيْخٍ

---

١) وهو الشيخ حسن الشيرازي، وقد صرّح شيخ الإسلام باسمه كما في الفتاوى ٢/ ٣٠٩، وفي ٢/ ٣٤٢، وستأتي ترجمته

٢) سورة النمل، آية: ١٣-١٤

٣) هو بهاء الدين عبد السيد بن (المهذب) إسحاق بن يحيى الإسرائيلي، الحكيم الفاضل، كان ديّان اليهود، وكان يحب المسلمين ويحضر مجالس الحديث، وقد أسلم على يدي شيخ الإسلام ابن تيمية لمّا بيّن له بطلان دينهم، وما هم عليه، وما بدلوه من كتابهم، وحرفوه من

مِنْهُمْ؛ يُقَالُ لَهُ الشَّرَفُ البَلاسِي⁽¹⁾ يُطْلَبُ مِنْهُ المَعْرِفَةُ وَالعِلْمُ. قَالَ: فَدَعَانِي إِلَى هَذَا المَذْهَبِ، فَقُلْتُ لَهُ: قَوْلُكُمْ يُشْبِهُ قَوْلَ فِرْعَوْنَ. قَالَ: وَنَحْنُ عَلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ !!.

---

الكلم عن مواضعه، وسمع الحديث من الإمام المزي حال يهوديته، ثم هداه الله للإسلام وأسلم، وتعلم القرآن، وجالس العلماء، وكان ماهراً في صناعة الطب والكحل، كان إسلامه يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة سنة ٧٠١هـ وحضر هو وأولاده إلى دار العدل فأسلموا جميعاً فأكرموا إكراماً زائداً، لأنهم أسلموا طائعين على بصيرة، وعُمل في تلك الليلة في داره ختمة، ووليمة عظيمة حضرها القضاة والعُلماء، وأسلم على يده جماعة من اليهود من أقاربه، وخرجوا يوم عيد الأضحى يكبرون مع المسلمين، وفرح الناس بهم فرحاً زائداً، وأكرموهم إكراماً عظيماً، ومات في جمادى الآخرة سنة ٧١٥هـ

يُنظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٢، الدرر الكامنة ١/ ٣١١

١) لم أقف على ترجمته في المصادر التي بين يديَّ الأمد مشقة في البحث، ولم أجده عند شيخ الإسلام إلا في هذا الموضع، مع أنه ذكر القصة في أكثر من موطن، وقد ذكر هذه القصة شيخ الإسلام في رسالة (حقيقة مذهب الاتحاديين) ضمن الفتاوى ٢/ ٣٥٩، وسمّى المُجادل مع عبدالسيّد (حسن الشيرازي) بدل (الشرف البلاسي)، وظننت أنَّ في أحدهما تصحيفاً، أو أنَّ القصة تكررت مع الرَّجُلين حتى وقفت على الترجمة في مظانها بعد المشقة والتحري، وظهر لي أنَّ الاسمين لرجلٍ واحدٍ، وهو حسن بن حمزة بن محمد الشيرازي، الشيخ الصوفي المُلقب بالقطب، الشهير بالبلاسي، من أقران التلمساني الصوفي، نزل القُدس، له من

فَقُلْتُ لِعَبْدِالسَّيِّدِ: وَاعْتَرَفَ لَكَ بِهَذَا؟! قَالَ: نَعَمْ.

وَكَانَ عَبْدُالسَّيِّدِ إِذْ ذَاكَ قَدْ ذَاكَرَنِي بِهَذَا الْمَذْهَبِ، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا مَذْهَبٌ فَاسِدٌ، وَهُوَ يَئُولُ إِلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ، فَحَدَّثَنِي بِهَذَا، فَقُلْتُ لَهُ: مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ عَلَى قَوْلِ فِرْعَوْنَ؛ لَكِنْ مَعَ إِقْرَارِ الْخَصْمِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ.

قَالَ عَبْدُالسَّيِّدِ: فَقُلْتُ لَهُ: لَا أَدَعُ مُوسَى وَأَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ. فَقَالَ: وَلِمَ؟ قُلْتُ: لِأَنَّ مُوسَى أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ؛ فَانْقَطَعَ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِالظُّهُورِ الْكَوْنِيِّ!!.

فَقُلْتُ لِعَبْدِالسَّيِّدِ ـ وَكَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ ـ: نَفَعَتْكَ الْيَهُودِيَّةُ، يَهُودِيٌّ خَيْرٌ مِنْ فِرْعَوْنِيٍّ.

وَفِيهِمْ جَمَاعَاتٌ لَهُمْ عِبَادَةٌ وَزُهْدٌ وَصِدْقٌ فِيمَا هُمْ فِيهِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ حَقٌّ، وَعَامَّتُهُمْ ـ الَّذِينَ يُقِرُّونَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الْخَلْقِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ ـ لَا يَفْهَمُونَ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ؛ بَلْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ تَحْقِيقُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ كَلَامِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ

---

التصانيف (تحفة الأحرار في بيان كشف الأسرار)، و(مراقد الموائد في قواعد العقائد العلوية)، مات سنة ٦٩٨هـ تقريباً.

انظر: هدية العارفين ١/ ٢٨٣

فِي حَقَائِقِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ، وَهُمْ مِنْ خَوَاصِّ أَوْلِيَاءِ الله، فَيَحْسَبُونَ هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ أُولَئِكَ، مِنْ جِنْسِ الفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ(١)، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ(٢)، وَأَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ(٣)، وَالسَّرِيِّ السَّقَطِيِّ، وَالجُنَيْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ(٤)، وَسَهْلِ بْنِ عَبْدِالله(٥)، وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ.

---

١) هو الفُضيل بن عياض بن مسعود التميمي، أبو علي المروزي، شيخ الحرم المكي، من أكابر العُبّاد، فقيهٌ عدلٌ، وعابدٌ ورعٌ، قال فيه ابن المبارك: «ما بَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنَ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ»، مات سنة ١٨٧هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٥، شذرات الذهب ١/ ٣١٦

٢) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلي التميمي، أبو إسحاق البلخي ثم الشامي، أحد الأعلام الزُّهاد، قال عنه سُفيان: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ بنُ أَدْهَمَ يُشْبِهُ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلَ، وَلَوْ كَانَ فِي الصَّحَابَةِ، لَكَانَ رَجُلاً فَاضِلاً»، مات سنة ١٦١هـ وقيل التي تليها.

يُنظر: حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٧

٣) هو عبدالرَّحمن بن أحمد بن عطية العنسي، أبو سليمان الدَّاراني الدمشقي، مِن كبار الزُّهاد، قال عنه الذَّهبي: «الإِمَامُ الكَبِيرُ، زَاهِدُ العَصْرِ»، مات سنة ٢١٥هـ.

يُنظر: صفة الصفوة ١/ ٤٦٧، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢

٤) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، أبو القاسم البغدادي، مِن كبار الزُّهاد، كان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في التصوف مشهورٌ مُدونٌ، قال عنه الذَّهبي: «الإِمَامُ، القُدْوَةُ، المُحَدِّثُ»، مات سنة ٢٩٧هـ أو التي تليها

وإنَّ عُرفاءَهم الذين يَعتمدون حقيقةَ قولِهم، يَعتمدون أنَّه ليسَ الأمرُ كذلكَ، ويَقولُونَ ما يَقُولُ ابنُ عَرَبيٍّ ونَحوُهُ: «إنَّ الأولياءَ أفضلُ مِنَ الأنبياءِ، وإنَّ خاتَمَ الأولياءِ أفضلُ مِن خاتَمِ الأنبياءِ، وإنَّ جميعَ الأنبياءِ يَستفيدونَ مَعرفةَ اللهِ مِن مِشكاةِ خاتَمِ الأولياءِ، وأنَّهُ يأخذُ مِنَ المَعدِنِ الَّذي يأخُذُ مِنهُ المَلَكُ الَّذي يُوحي إلى خاتَمِ الأنبياءِ»[2]، فإنَّهم مُتجهِّمةٌ مُتفلسِفةٌ يُخرجونَ أقوالَ المُتفلسِفةِ والجَهميَّةِ في قالَبِ الكَشفِ.

وعِندَ المُتفلسِفةِ أنَّ جِبريلَ إنَّما هوَ خَيالٌ في نَفسِ النَّبيِّ ليسَ هوَ مَلَكًا يأتي مِنَ السَّماءِ، والنَّبيُّ عِندَهُم يأخُذُ مِن هذا الخَيالِ، وأمَّا خاتَمُ الأولياءِ في زَعمِهِم فإنَّهُ يأخُذُ مِنَ العَقلِ المُجرَّدِ الَّذي يأخُذُ منهُ الخَيالُ؛ فهوَ يأخُذُ مِنَ المَعدِنِ الَّذي يأخُذُ منهُ المَلَكُ الَّذي يُوحي بهِ إلى الرَّسولِ، وهُم يُعظِّمونَ بزَعمِهِم!!.

---

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦، الوافي بالوفيات ٤/ ٥٥، الأعلام ٢/ ١٤١

١) هو سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى، أبو محمَّد التُّستَري، مِن كبار الزُّهاد، قال عنه الذهبي: «شيخُ العارفين، أبو محمَّد التُّستَريُّ، الصُّوفيُّ الزاهدُ ... لهُ كَلِماتٌ نافعةٌ، ومَواعظُ حَسَنةٌ، وقَدَمٌ راسِخٌ في الطَّريقِ»، مات سنة ٢٨٣هـ

يُنظر: صفة الصفوة ١/ ٤١٦، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢، الأعلام ٣/ ١٤٣

٢) يُنظر: شرح حديث جبريل (ت. الزهراني(?)) ٥٠٦ مع تعليق المحقق.

وَيَقُولُونَ مَا قَالَهُ صَاحِبُ (الفُصُوصِ)، قَالَ. «وَلَمَّا كَانَ فِرْعَوْنُ فِي مَنْصِبِ التَّحَكُّمِ صَاحِبَ الوَقْتِ، [وَأَنَّهُ الخَلِيفَةُ بِالسَّيْفِ][١]، وَأَنَّهُ جَارٍ فِي العُرْفِ النَّامُوسِيِّ؛ لِذَلِكَ قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٢] أَيْ وَإِنْ كَانَ الكُلُّ أَرْبَابًا بِنِسْبَةٍ مَا، فَأَنَا/ الأَعْلَى مِنْهُمْ بِمَا أُعْطِيهِ فِي الظَّاهِرِ مِنَ الحُكْمِ فِيكُمْ، قَالَ: وَلَمَّا عَلِمَتِ السَّحَرَةُ صِدْقَ فِرْعَوْنَ فِيمَا قَالَهُ لَمْ يُنْكِرُوهُ وَأَقَرُّوا لَهُ بِذَلِكَ، وَقَالُوا لَهُ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[٣]، [فَالدَّوْلَةُ لَكَ][٤]، قَالَ: فَصَحَّ قَوْلُ فِرْعَوْنَ ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٥]، [وَإِنْ كَانَ فِرْعَوْنُ عَيْنَ الحَقِّ][٦]»[٧].

الف/١٠٠١

---

١) ساقطة من (س) و(ك) و(م) وأثمتها من فصوص الحكم.

٢) سورة النازعات، آية : ٢٤

٣) سورة طه، آية : ٧٢

٤) ساقطة من (س) و(ك) و(م) وأثمتها من فصوص الحكم.

٥) سورة النازعات، آية : ٢٤

٦) في الفصوص (وَإِنْ كَانَ عَيْنَ الحَقِّ فَالصُّورَةُ لِفِرْعَوْنَ)، ولم يظهر لي الفرق بينهما في المعنى.

٧) فصوص الحكم ٢١٠- ٢١١

وحدثني الثقة - الذي كان منهم ثم رجع عنهم - أن أبغض الناس إليهم محمد بن عبدالله ﷺ. قال: وإذا نهق الحمار، ونبح الكلب سجدوا له، وقالوا: هذا هو الله! فإنه مظهر من المظاهر، قال: فقلت له: محمد بن عبدالله أيضاً مظهر من المظاهر فاجعلوه كسائر المظاهر، وأنتم تعظمون المظاهر كلها، أو اسكتوا عنه، قال: فقالوا لي: محمد نبغضه، فإنه أظهر الفرق، ودعا إليه، وعاقب من لم يقل به.

قال: فتناقضوا في مذهبهم الباطل، وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق.

قال لي: وهم يصرحون باللعنة له، ولغيره من الأنبياء، ولا ريب أنهم من أعظم الناس عبادة للشيطان، وكفراً بالرحمن، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا سمعتم صياح الديكة، فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار، ونباح الكلب، فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها

١) لم يظهر لي من الرجل الذي حدث شيخ الإسلام بهذه القصة، ولكن الشيخ أورد قصة قريبة لها في معناها في كتاب الاستقامة ٣٢٨-٣٢٩، ونقلها كذلك ابن القيم في المدارج ٤٦/٣.

رَأَتْ شَيْطَانًا)[1] فَهُمْ إِذَا سَمِعُوا نَهِيقَ الحِمَارِ وَنُبَاحَ الكَلْبِ تَكُونُ الشَّيَاطِينُ قَدْ حَضَرَتْ، فَيَكُونُ سُجُودُهُمْ لِلشَّيَاطِينِ.

وَكَانَ فِيهِمْ شَيْخٌ جَلِيلٌ[2] مِنْ أَعْظَمِهِمْ تَحْقِيقًا، لَكِنْ هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسُبُّونَ الأَنْبِيَاءَ، وَقَدْ صَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ (فَكُّ/ الأَزْرَارِ عَنْ أَعْنَاقِ [١/ص١٥٧] الأَسْرَارِ)[3] ذَكَرَ فِيهِ مُخَاطَبَةً جَرَتْ لَهُ مَعَ إِبْلِيسَ، وَأَنَّهُ قَالَ لَهُ مَا مَعْنَاهُ: إِنَّكُمْ قَدْ غَلَبْتُمُونِي وَقَهَرْتُمُونِي وَنَحْوَ هَذَا، لَكِنْ جَرَتْ لِي قِصَّةٌ تَعَجَّبْتُ مِنْهَا مَعَ شَيْخٍ

---

١) رواه البخاري في كِتَاب بَدْءِ الخَلْقِ، بَابٌ: خَيْرُ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، رقم (٣٠٥٨)، ومسلم في كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاِسْتِغْفَارِ، بَابٌ: اسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ عِنْدَ صِيَاحِ الدِّيكِ، رقم (٤٩٠٨)، كلاهما عن أبي هريرة بدون لفظ (نُبَاحَ الكَلْبِ).

٢) وهو الشيخ صفي الدين الحسين بن علي بن أبي المنصور، أبو عبدالله الخزرجي المالكي، من أئمة الصوفية بمصر، له كتاب اسمه (الرِّسَالَة)، توفي سنة ٦٨٢هـ وقد صرّح باسمه شيخ الإسلام كما في شرح الأصبهانية ٥٢٩، ومجموع الفتاوى ٢/ ٢٩٤.
ويُنظر في ترجمته: هدية العارفين ١/ ٣١٣، وإيضاح المكنون ٢/ ٢٢٩.

٣) وممن أثبته لمؤلفه ونقله عنه أبو حيّان في تفسيره البحر المحيط ١/ ١٣٧، والزركشي في البُرهان في علوم القرآن ٤/ ٦٠، والألوسي في روح المعاني ١/ ٢٢٣، وقد سمّاه أبو حيّان والألوسي (فَكُّ الأَزْرَارِ) هكذا مُختصرًا، بينما سمّاه الزركشي (فَكُّ الأَزْرَارِ عَنْ عُنُقِ الأَسْرَارِ)، والله أعلم.

بِكُمْ، فَإِنِّي تَعَجَّبْتُ لَهُ فَقُلْتُ [illegible] لَا إِلَهَ إِلَّا أَ[illegible]". فَسَجَدَ لِي، فَتَعَجَّبْتُ كَيْفَ سَجَدَ لِي. قَالَ هَذَا الشَّيْخُ: فَقُلْتُ لَهُ: ذَاكَ أَفْضَلُنَا وَأَعْلَمُنَا، وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ فَضْلَهُ، مَا رَأَى فِي الْوُجُودِ اثْنَيْنِ!! وَمَا رَأَى إِلَّا وَاحِدًا!! فَسَجَدَ لِذَلِكَ الْوَاحِدِ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ إِبْلِيسَ وَغَيْرِهِ، فَجَعَلَ هَذَا الشَّيْخُ ذَاكَ الَّذِي سَجَدَ لِإِبْلِيسَ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الرَّبِّ وَغَيْرِهِ؛ بَلْ جَعَلَ إِبْلِيسَ هُوَ اللهُ، هُوَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ جَعَلَهُ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ.

وَلِهَذَا عَابَ ابْنُ عَرَبِيٍّ نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللهُ ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ، وَأَنْجَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، وَأَهْلَكَ سَائِرَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَمَّا كَذَّبُوهُ؛ فَلَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَعَظَّمَ قَوْمَهُ الْكُفَّارَ الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ، وَأَنَّهُمْ مَا عَبَدُوا إِلَّا اللهَ، وَأَنَّ خَطَايَاهُمْ خَطَتْ بِهِمْ فَغَرِقُوا/ فِي بِحَارِ الْعِلْمِ بِاللهِ، وَهَذِهِ عَادَتُهُ يَتَنَقَّصُ الْأَنْبِيَاءَ، وَيَمْدَحُ الْكُفَّارَ كَمَا ذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَغَيْرِهِمْ. ١٠٠

وَمَدَحَ عُبَّادَ الْعِجْلِ، وَتَنَقَّصَ هَارُونَ، وَافْتَرَى عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: وَكَانَ مُوسَى أَعْلَمَ بِالْأَمْرِ مِنْ هَارُونَ، لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا عَبَدَهُ أَصْحَابُ الْعِجْلِ؛ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ اللهَ قَدْ قَضَى أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَمَا قَضَى اللهُ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَعَ، فَكَانَ عَتْبُ مُوسَى أَخَاهُ هَارُونَ لَمَّا وَقَعَ الْأَمْرُ فِي إِنْكَارِهِ وَعَدَمِ اتِّسَاعِهِ؛ فَإِنَّ الْعَارِفَ مَنْ يَرَى الْحَقَّ

في كل شيء؛ بل يراه عين كل شيء. فذكر عن موسى أنه عتب على هارون أنه أنكر عليهم عبادة العجل، وأنه لم يتسع ذلك فأنكره، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء؛ بل يراه عين كل شيء. وهذا من أعظم الافتراء على موسى وهارون، وعلى الله، وعلى عباد العجل، فإن الله أخبر عن موسى أنه أنكر العجل إنكاراً أعظم من إنكار هارون، وأنه أخذ بلحية هارون لما لم يدعهم ويتبع موسى لمعرفته، قال تعالى ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(١).

---

١) سورة طه، آية ٨٣-٩٤

قُلْتُ لِبَعْضِ هؤُلاءِ: هَذَا الكَلامُ الَّذِي ذَكَرَهُ هَذَا عَنْ مُوسَى وَهَارُونَ يُوافِقُ القُرْآنَ أَوْ يُخَالِفُهُ ؟ فَقَالَ: لا بَلْ يُخَالِفُهُ !!، قُلْتُ: فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ إِمَّا القُرْآنَ وَإِمَّا كَلامَ ابْنِ عَرَبِيٍّ !!.

وَكَذَلِكَ قَالَ عَنْ نُوحٍ قَالَ: لَوْ أَنَّ نُوحاً جَمَعَ لِقَوْمِهِ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ لأَجَابُوهُ، أَيْ ذَكَرَ لَهُمْ فَدَعَاهُمْ جِهَاراً ثُمَّ دَعَاهُمْ إِسْرَاراً، إِلَى أَنْ قَالَ: وَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ مَكْرٌ بِالمَدْعُوِّ [لأَنَّهُ مَا عُدِمَ مِنَ البِدَايَةِ فَيُدْعَى إِلَى الغَايَةِ ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1] فَهَذَا عَيْنُ المَكْرِ ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[2] فَنَبَّهَ أَنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ][3] فَأَجَابُوهُ مَكْراً كَمَا دَعَاهُمْ، / فَجَاءَ المُحَمَّدِيُّ وَعَلِمَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ مَا هِيَ مِنْ حَيْثُ هُوِيَّتِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ حَيْثُ أَسْمَاؤُهُ، فَقَالَ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[4] فَجَاءَ بِحَرْفِ الغَايَةِ وَقَرَنَهَا بِالاسْمِ، فَعَرَفْنَا أَنَّ العَالَمَ كَانَ تَحْتَ حِيطَةِ اسْمِ إِلَهِيٍّ، أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُتَّقِينَ، فَقَالُوا فِي مَكْرِهِمْ: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ

---

١) سورة يوسف، آية: ١٠٨

٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨

٣) ساقطة من (س) و(ك)، وثابتة في (م).

٤) سورة مريم، آية: ٨٥

وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾(1) فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من يعرفه، ويجهله من يجهله؛ كما قال في المحمديين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(2) أي حكم فالعارف يعرف من عبد، وفي أي صورة ظهر حتى عبد، وأن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة، وكالقوى المعنوية في الصورة الروحانية؛ فما عبد غير الله في كل معبود!!.

[ص/٥٦]
من صور الضلالة اعتماده على تحريف القرآن الكريم

وهو دائماً يحرف القرآن عن مواضعه/ كما قال في هذه القصة: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾(3) فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهي الحيرة، ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾(4) في عين الماء في المحمديين، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾(5) سجرت التنور أوقدته، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾(6) فكان الله عين

---

1) سورة نوح، آية : ٢٣

2) سورة الإسراء، آية : ٢٣

3) سورة نوح، آية : ٢٥

4) سورة نوح، آية : ٢٥

5) سورة التكوير، آية : ٦

6) سورة نوح، آية : ٢٥

أمضرجم فهلكوا فيه بين الأسباب، وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[1] بمعنى أمر بمعنى أمر وأوجب وفرض، وفي القراءة الأخرى[2]: (وَوَصَّى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) فجعل معناه: أنه قدر وشاء أن لا تعبدوا إلا إياه، وما قدره فهو كائن؛ فجعل معناها: كل معبود هو الله، وأن أحداً ما عبد غير الله قط!!.

وهذا من أظهر الفرية على الله، وعلى كتابه، وعلى دينه، وعلى أهل الأرض، فإن الله في غير موضع أخبر أن المشركين عبدوا غير الله؛ بل يعبدون الشيطان كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[3]، وقال تعالى عن يوسف أنه قال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ

---

١) سورة الإسراء، آية: ٢٣

٢) لا يقصد شيخ الإسلام أحد القراءات العشر المشهورة، فإنها ليست فيها، وإنما يقصد قراءة عبدالله بن مسعود؛ كما هي عند الطبري في تفسيره ١٤/ ٥٤٢، والله أعلم.

٣) سورة يس، آية ٦٠-٦٢

أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢)، وقال تعالى عن الخليل: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾(٣).

---

١) سورة يوسف، آية: ٣٩-٤٠

٢) سورة الأعراف، آية: ١٣٨-١٤٠

٣) سورة مريم، آية: ٤٢-٥٠

فهو سبحانه يقول: ﴿ هذا عرفت وما تعبدون من دون الله ﴾ وهؤلاء الملحدون يقولون: ما عبدنا غير الله في كل معبود.

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾[1].

قال أبو قلابة[2]: «هي [والله][3] لكل مفترٍ إلى يوم القيامة أن يذله الله»[4].

---

1) سورة الأعراف، آية: ١٤٨-١٥٢

2) هو عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري، أشتهر بأبي قلابة، بكسر القاف وبياء مُوحَّدة، ثقةٌ في الحديث مع كثرة إرساله، ومن الفقهاء العُبَّاد، كان شديداً على أهل البدع ويقول فيهم: «لاَ تُجَالِسُوا أَهْلَ الأَهْوَاءِ، وَلاَ تُجَادِلُوهُم، فَإِنِّي لاَ آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُم فِي ضَلاَلَتِهِم، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُم مَا كُنْتُم تَعْرِفُونَ»، مات بالشام سنة ١٠٤هـ.

يُنظر: حلية الأولياء ٢/ ٢٨٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٦٨.

3) ساقطة من (س) و(ك) و(م)، وأثبتها من تفسير ابن أبي حاتم، وتفسير الطبري.

4) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ٢٠٠، والطبري في تفسيره ١٠/ ٤٦٤.

والجهمية النفاة كلهم مفترون. كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إنما يقودون قولهم إلى فرية على الله، وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله فإن القائلين بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن يقول إنه يحل فيه، وهؤلاء يجهلون من يقول بالحلول، أو يقول بالاتحاد، وهو أن الخالق اتحد مع المخلوق، فإن هذا إنما يكون إذا كان شيئان متباينان ثم اتحد أحدهما بالآخر؛ كما يقوله النصارى من اتحاد اللاهوت مع الناسوت⁽¹⁾، وهذا إنما يقال في شيء:

---

وقد حكى السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٩٥ عن سفيان بن عيينة بمعناه فقال: «وأخرج أبو الشيخ عن سفيان بن عيينة قال: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه، وهو في كتاب الله، قالوا: أين هي؟ قال: أما سمعتم إلى قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ الآية قال: يا أبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا اقرأ ما بعدها ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ فهي لكل مفترٍ ومبتدع إلى يوم القيامة»

وأخرج ابن الجعد في مسنده ١٨٩ عن أيوب السختياني أنه رجلاً من أصحاب الأهواء، فقال: «إني لأعرف الذلة في وجهه»، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ ثم قال: «هذه لكل مفترٍ».

(١) فكان لهم شيء من خصائص الإله، وقضية الحلول والاتحاد (أو اللاهوت في الناسوت) عقيدة قديمة اعتنقها البراهمة والنصارى، واستمسك بها بعض الفرق كالرافضة وغلاة الصوفية، والعباد بالله

منفي. وهؤلاء عندهم ما ثم وجود بغيره حتى يتحد مع وجوده، وهم من أعظم الناس تناقضاً، فإنهم يقولون/ ما ثم غير ولا سوى[1]. [أ ١٠٠]

وتقول السبعينية[2]: ليس إلا الله، بدل قول المسلمين لا إله إلا الله، ثم يقولون هؤلاء المحجوبون لا يرون هذا، فإذا كان ما ثم غير ولا سوى!! فمن المحجوب!!، ومن الحاجب!!، ومن الذي ليس بمحجوب!!، وعم حجب!!.

فقد أثبتوا أربعة أشياء: قوم محجوبون، وقوم ليسوا بمحجوبين، وأمر انكشف لهؤلاء، وحجب عن أولئك، فأين هذا من قولهم: ما ثم اثنان ولا

---

١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٢٧: «وقال الفقيه أبو علي بن البناء: كان الحلاج قد ادعى أنه إله، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت، فأحضره الوزير علي بن عيسى فلم يجده إذ سأله يحسن القرآن والفقه ولا الحديث، فقال: تعلمك الفرض والطهور أجدى عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها، كم تكتب ويلك إلى الناس: تبارك ذو النور الشعشعاني!! ما أحوجك إلى أدب! وأمر به فصلب في الجانب الشرقي، ثم في الغربي».

٢) طائفة من طوائف غلاة الصوفية ينتسبون إلى إمام الصوفية في زمانه (عبدالحق ابن سبعين)، وسمى التقريري هذا سير (طائفة السبعينية الصوفية)، و(كتاب السبعينية) لشيخ الإسلام، والذي يرد فيه على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، والمشهور بـ(بغية المرتاد)

وُجُودَانِ ؟!؛ كَمَا حَدَّثَنِي الثِّقَةُ[1] أَنَّهُ قَالَ لِلتِّلِمْسَانِيِّ: فَعَلَى قَوْلِكُمْ لَا فَرْقَ بَيْنَ امْرَأَةِ الرَّجُلِ وَأُمِّهِ وَابْنَتِهِ؟! قَالَ: نَعَمْ الجَمِيعُ عِنْدَنَا سَوَاءٌ؛ لَكِنْ هَؤُلَاءِ المَحْجُوبُونَ قَالُوا:/ حَرَامٌ. فَقُلْنَا: حَرَامٌ عَلَيْكُمْ[2]. [ص/١٥٧]

فَقِيلَ لَهُمْ: فَمَنِ المُخَاطِبُ لِلمَحْجُوبِينَ أَهُوَ هُمْ أَمْ غَيْرُهُمْ ؟ فَإِنْ كَانُوا هُمْ فَقَدْ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا زَعَمَ أَنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ دُونَهُ، وَإِنْ كَانُوا غَيْرَهُ فَقَدْ أَثْبَتَ غَيْرَيْنِ، وَعِنْدَهُمْ مَا ثَمَّ غَيْرٌ.

وَهَؤُلَاءِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ الوَاحِدُ بِالنَّوْعِ بِالوَاحِدِ بِالعَيْنِ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: الوُجُودُ وَاحِدٌ، كَمَا يُقَالُ: الإِنْسَانِيَّةُ وَاحِدَةٌ، والحَيَوَانِيَّةُ وَاحِدَةٌ؛ أَيْ يَعْنِي وَاحِدٌ كُلِّيٌّ،

---

١) هو الشيخ كمال الدين عمر بن إلياس المَرَاغي، وقد صرّح شيخ الإسلام باسمه في حقيقة مذهب الاتحاديين، وهي ضمن مجموع الفتاوى ٢/ ٢٤٤، كما سبق.

٢) وقد نسب شيخ الإسلام مسألة استحلال الفروج مُطلقاً للنساء بل جميع المحرمات إلى أئمة الحلولية من الصُّوفية كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والقُونوي والتلمساني وسعيد الفرغاني، فبعضهم يستعمل التَّقِيَّة، وبعضهم يجاهر بها، وكان شيخ الإسلام يُصرّح بكفر التلمساني بقوله: «وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم، وأعمقهم في الكفر» كما في مجموع الفتاوى ٢/ ٤٧١، وقال عنه كذلك: «وهذا مع كفره العظيم متناقض [تناقضاً] ظاهراً» كما في مجموع الفتاوى ١١/ ٢٤١ وذلك في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٢٣٠، وما بين المعكوفين [ ] زيادة من (ت: اليحيى).

وعند الكليّ لا يكون كليًّا إلا في الذهن لا في الخارج، فمن جعل هذا الكلي ثابتًا في الخارج، ثم ظنّه هو الله[1]، وليس في الخارج كليّ مع كونه كليًّا، وإنما يكون كليًّا في الذهن، وإذا قُدِّر في الخارج كليّ فهو جزء من المعيّنات، وقائم بها ليس هو منفردًا قائمًا بنفسه؛ فحيوانية الحيوان، وإنسانية الإنسان سواء قُدِّرت معيّنة أو مطلقة هي صفة له، ويمتنع أن تكون صفة الموصوف مُبدِعة له، ولو قُدِّر وجودها مجرّدًا عن الأعيان على رأي من أثبت المُثُل الأفلاطونية، فتثبت الماهيات الكلية مجرّدة عن الموصوفات، ويُدّعى أنها قديمة أزلية؛ مثل إنسانية مجرّدة، وحيوانية مجرّدة، وهذا خيال باطل.

وهذا الذي جعله مجرّدًا هو مجرّد في الذهن، وليس في الخارج كليّ مجرّد، وإذا قُدِّر ثبوت كليّ مجرّد في الخارج - وهو مسمّى الوجود - فهذا يتناول وجود المحدَثات كلها، كما يتناول وجود القديم، وهذا لا يكون مُبدِعًا لشيء، ولا اختصاص له بصفات الكمال، فلا يوصف بأنه حيّ عليم قدير؛ إذ ليس وصفه بذلك بأولى من وصفه بأنه عاجز جاهل ميّت، والخالق لا بدّ أن يكون حيًّا عليمًا قديرًا سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

[١/١٠٦] ثم لو قُدِّر أن هذا هو الخالق فهذا غير الأعيان الموجودة المخلوقة، فقد/ ثبت وجودان أحدهما غير الآخر، وأحدهما محدَث مخلوق، فيكون الآخر

الخالق غير المخلوق، ولا يمكن جحد وجود الأعيان المباينة، ولكن الواجد من هؤلاء قد يغيب عن شهود المغيبات؛ كما يغيب عن شهود نفسه، فيظن أن ما لم يشهده قد عدم في نفسه وفني، وليس كذلك، فإن ما عدم وفني شهوده له، وعلمه به، ونظره إليه، فالمعدوم الفاني صفة هذا الشخص؛ وإلا فالموجودات في نفسها باقية على حالها لم تتغير، وعدم العلم ليس علماً بالمعدوم، وعدم المشهود ليس شهوداً للعدم.

ولكن هذه الحال يعتري كثيراً من السالكين، يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات، وقد يسمون هذا فناء واصطلاماً[1]، وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات؛ لا أنها في نفسها فنيت، ومن قال: فني ما لم يكن، وبقي ما لم يزل، فالتحقيق - إذا كان صادقاً - أنه فني شهوده لما لم يكن، وبقي شهوده لما لم يزل؛ لا أن ما لم يكن فني في نفسه فإنه باق موجود؛ ولكن يتوهمون إذا لم يشهدوه أنه قد عدم في نفسه.

ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد والحلول، فأحدهم قد يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله، ويستغرق في ذلك فلا يبقى له مذكور مشهود لقلبه إلا

---

(١) الاصطلام: قال المناوي: «نعت وله يرد على القلب تحت سلطان القهر».
ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ٦٨، مجموع الفتاوى ٢/ ٣١٣

الله، وَيَفْنَى ذِكْرُهُ وَشُهُودُهُ بِمَا سِوَاهُ، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّ الأَشْيَاءَ قَدْ فَنِيَتْ، وَأَنَّ نَفْسَهُ فَنِيَتْ؛ حَتَّى يَتَوَهَّمَ أَنَّهُ هُوَ اللهُ!!، وَأَنَّ الوُجُودَ هُوَ اللهُ!!، وَمِنْ هَذَا البَابِ غَلَطُ أَبِي يَزِيدَ[1] وَنَحْوِهِ حَيْثُ قَالَ: «مَا فِي الجُبَّةِ إِلَّا اللهُ»، وَقَدْ بُسِطَ هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُ يُعَبِّرُ بِالفَنَاءِ[2] عَنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

---

١) هو طَيْفُور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد الزاهد الصوفي، كان جدُّه مجوسياً فأسلم، كان ابن عربي يُسَمِّيه: أبا يزيد الأكبر، مات سنة ٢٦١هـ.

وقصة أبي يزيد هذه قال عنها الذهبي: «وجاء عنه أشياء مُشْكِلة لا مساغ لها، [الشأن] في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدَّهْشة والسُّكْر، والغَيْبة والمَحْو، فيطوى، ولا يُحْتج بها، إذ ظاهرها إلحادٌ مثل: سبحاني، وما في الجبة إلا الله، وما بين المعكوفين أظنه تصحيفاً لكلمة (الشَّكُّ) لم ينتبه له مُحققه بدلالة ما جاء في ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦: «وقد نقلوا عن أبي يزيد أشياء الشَّكُّ في صحتها عنه، منها: سبحاني، وما في الجبَّة إلا الله»، ولم يذكر سبب تشكيكه في صحتها، والجبت مُقدَّم على النافي، فكيف بالشاك !!

يُنظر: حلية الأولياء ١٠/ ٣٣، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦، الأعلام ٣/ ٢٣٥

٢) الفناء: «عَدَمُ الإحساس بعالم المُلْكِ والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحقِّ»، وقال المناوي: «عَدَمُ رؤية العبد لفعله لقيام الله على ذلك».

ينظر: التعريفات للجرجاني ٢٤٧، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٥٦٥، وقال شيخ الإسلام: «أن يَغِيبَ بِمَوْجُودِهِ عَنْ وُجُودِهِ، وَبِمَعْبُودِهِ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَبِمَشْهُودِهِ عَنْ شَهَادَتِهِ، وَبِمَذْكُورِهِ عَنْ ذِكْرِهِ، فَيَفْنَى مَنْ لَمْ يَكُنْ وَيَبْقَى مَنْ لَمْ يَزَلْ».

أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَفْنَى بِعِبَادَةِ اللهِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَبِمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ عَنْ مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ، وَطَاعَتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ، وَهُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ فَنِيَ مِنْ قَلْبِهِ التَّأَلُّهُ لِغَيْرِ اللهِ، وَبَقِيَ فِي قَلْبِهِ تَأَلُّهُ اللهِ وَحْدَهُ، وَفَنِيَ مِنْ قَلْبِهِ حُبُّ غَيْرِ اللهِ، وَخَشْيَةُ غَيْرِ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى غَيْرِ اللهِ، وَبَقِيَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ اللهِ، وَخَشْيَةُ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ، وَهَذَا الْفَنَاءُ يُجَامِعُ الْبَقَاءَ فَيَتَخَلَّى الْقَلْبُ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ مَعَ تَحَلِّي الْقَلْبِ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ؛ كَمَا قَالَ ﷺ لِرَجُلٍ (قُلْ: أَسْلَمْتُ [وَجْهِي](2) للهِ وَتَخَلَّيْتُ)(3)، وَهُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بِالنَّفْيِ مَعَ الْإِثْبَاتِ؛ نَفْيِ إِلَهِيَّةِ غَيْرِهِ مَعَ إِثْبَاتِ إِلَهِيَّتِهِ وَحْدَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَهٌ إِلَّا اللهُ، لَيْسَ فِيهِ مَعْبُودٌ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا اللهُ؛

---

(1) ذكر شيخ الإسلام هنا القسم الأول فقط، وذكر باقي التقسيمات في الاستقامة ٢/ ١٤٢، والرد على المنطقيين ٥١٧، التدمرية ٢٢١، الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم ٢/ ٣٦٩ ضمن الفتاوى، فلتراجع لأهميتها.

(2) ساقطة من (س) و(ك) و(م)، وأتممتها من كتب السنة، والله أعلم.

(3) رواه النسائي في كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم (٢٣٩٣)، بلفظ: (أسلمت وجهي إلى الله وتخليت)، والإمام أحمد ٥/ ٤، بلفظه، وكلاهما عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (مطولاً)، وحسنه الألباني في صحيح النسائي.

فيجب أن يكون هذا ثابتًا في القلب، فلا يكون في القلب من يألهه القلب ويعبده إلا الله وحده، ويخرج من القلب كل تألُّه لغير الله، ويثبت/ فيه تألُّه الله وحده؛ [إذ] [1] / كان ليس ثم إله إلا الله وحده.

وهذه الولاية لله مقرونة بالبراءة والعداوة لكل معبود سواه، ولمن عبدهم، قال تعالى عن الخليل عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [2]. وقال: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [4].

---

١) في (س) و(ك) إذا.

٢) سورة الزخرف، آية: ٢٦-٢٨

٣) سورة الشعراء، آية: ٧٦-٧٧

٤) سورة الممتحنة، آية: ٤

قلتُ لبعضِ مَنْ خاطبْته مِنْ شيوخِ هؤلاء: قولُ الخليلِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ مِمَّنْ تبرّأ الخليلُ ؟!، أتبرّأ مِنَ الله تعالى وعندكم ما عُبِدَ غيرُ الله قطُّ؟! والخليلُ قد تبرّأ مِنْ كُلِّ ما كانوا يعبدُونَ إلا مِنْ ربِّ العالمين، وقد جعلَهُ اللهُ لنا، ولِمَنْ معَهُ، أسوةً حسنةً لِمَنْ كانَ يرجُو الله واليومَ الآخِرَ، قالَ تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1]، وقد قالَ ﷺ: (أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعرُ كلمةُ لبيدٍ[2]: ألا كُلُّ شيءٍ

---

١) سورة الممتحنة، آية : ٤-٦

٢) يعني به الشاعر الكبير، والصحابي الجليل لبيد بن ربيعة العامري، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، مات في أول ولاية معاوية بن أبي سفيان، وله مائة وأربعون سنة، وتمام بيته:

ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ      وكُلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ.

ينظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ٢٥٤-٢٥٦

ما خلا الله باطلُ)[1]، وهذا تصديق قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[4]، قال طائفة من السلف: «كلُّ عملٍ باطلٌ إلا ما أُريدَ به وجهُهُ»[5].

---

1) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب: أيامُ الجاهلية، رقم (٣٥٥٣)، ومسلم في كتاب الشعر، بابه، رقم (٤١٨٧) كلاهما عن أبي هريرة.

2) سورة الحج، آية: ٦٢

3) سورة يونس، آية: ٣٢

4) سورة القصص، آية ٨٨

5) منهم ابن عباس ومجاهد والثوري كلهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ كما عند السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٤٧، وقال ابن كثير في التفسير ٦/ ٢٦١: «هذا إخبارٌ عن كل الأعمال بأنها باطلةٌ إلا ما أُريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة»

وقد قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[1].

معنى الإله المستحق للعبادة وحده دون سواه

والإلَهُ: هُوَ المَأْلُوهُ، أَيِ المُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُؤَلَّهَ ـ أَيْ يُعْبَدَ ـ ولَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤَلَّهَ وَيُعْبَدَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَرْشِهِ إِلَى قَرَارِ أَرْضِهِ بَاطِلٌ، وَفِعَالٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ؛ مِثْلُ لَفْظِ الرِّكَابِ وَالحِمَالِ؛ بِمَعْنَى المَرْكُوبِ وَالمَحْمُولِ.

وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَرْتَجِزُونَ فِي حَفْرِ الخَنْدَقِ يَقُولُونَ:

هَـٰذَا الحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَرْ هَـٰذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ[2].

وَإِذَا قِيلَ: هَذَا هُوَ الإِمَامُ، فَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُؤْتَمَّ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]، فَعَهْدُهُ بِالإِمَامَةِ لَا يَنَالُ الظَّالِمَ، فَالظَّالِمُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُؤْتَمَّ بِهِ فِي ظُلْمِهِ، وَلَا

[٥/١٠٨]

---

١) سورة القصص، آية: ٨٧-٨٨

٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم (٣٩٠٦)، عن عروة بن الزبير مرسلاً.

٣) سورة البقرة، آية: ١٢٤

يُرْجَى بَنِيهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[1]، فَمَنْ ائْتَمَّ بِمَنْ لَا يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، فَكَيْفَ بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَعَبَدَ مَنْ لَا يَصْلُحُ لِلْعِبَادَةِ، وَاللهُ تَعَالَى ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[2].

وَقَدْ غَلِطَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ فَظَنُّوا أَنَّ الإِلَهَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، وَجَعَلُوا الإِلَهِيَّةَ هِيَ الْقُدْرَةُ وَالرُّبُوبِيَّةُ، فَالإِلَهُ هُوَ الْقَادِرُ، وَهُوَ الرَّبُّ، وَجَعَلُوا الْعِبَادَ مَأْلُوهِينَ؛ كَمَا أَنَّهُمْ مَرْبُوبُونَ.

فَالَّذِينَ يَقُولُونَ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ مُتَنَازِعُونَ فِي أُمُورٍ؛ لَكِنَّ إِمَامَهُمْ ابْنَ عَرَبِيٍّ يَقُولُ: الأَعْيَانُ ثَابِتَةٌ فِي الْعَدَمِ، وَوُجُودُ الْحَقِّ فَاضَ عَلَيْهَا؛ فَلِهَذَا قَالَ: فَنَحْنُ جَعَلْنَاهُ بِمَأْلُوهِيَّتِنَا إِلَهًا، فَزَعَمَ أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ جَعَلَتِ الرَّبَّ إِلَهًا لَهَا حَيْثُ كَانُوا مَأْلُوهِينَ، وَمَعْنَى مَأْلُوهِينَ عِنْدَهُ مَرْبُوبِينَ، وَكَوْنُهُمْ مَأْلُوهِينَ حَيْثُ كَانَتْ أَعْيَانُهُمْ ثَابِتَةً فِي الْعَدَمِ، وَفِي كَلَامِهِمْ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ مِمَّا فِيهِ تَنَقُّصٌ بِالرُّبُوبِيَّةِ مَا لَا يُحْصَى، فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

---

١) سورة هود، آية: ١١٣

٢) سورة النساء، آية: ٤٨، وسورة النساء، آية: ١١٦

و التحقيق: أنّ الله خالق كلّ شيء، والمعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكنّ الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويكتبه، وقد يذكره، ويخبر به، فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب لا في/ الخارج، كما قال: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1]، والله سبحانه خالق الإنسان ومعلّمه، فهو الذي ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [2]، وهو ﴿ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [3].

ا ص ١٥٧

مخالفة شيخ الإسلام للمتكلمين في معنى الألوهية

ولو قدّر أنّ الإله بمعنى الربّ فهو الذي جعل المربوب مربوباً، فيكون على هذا هو الذي جعل المألوه مألوهاً، والمربوب لم يجعله ربّاً بل ربوبيته صفة، وهو الذي خلق المربوب وجعله مربوباً، وهو إذا آمن بالربّ واعتقد ربوبيته، وأخبر بها كان قد اتّخذ الله ربّاً، ولم يبغ ربّاً سوى الله، ولم يتّخذ ربّاً سواه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ

---

١) سورة يس، آية : ٨٢

٢) سورة العلق، آية : ٢

٣) سورة العلق، آية ٣-٥

٤) سورة الأنعام، آية : ١٦٤

رَبَّنَا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . وَقَالَ ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٢].

وَهُوَ أَيْضاً فِي نَفْسِهِ هُوَ الإِلَهُ الحَقُّ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فَإِذَا عَبَدَهُ الإِنْسَانُ فَقَدْ وَحَّدَهُ مَنْ لَمْ يَجْعَلْ مَعَهُ إِلَهاً آخَرَ، وَلَا اتَّخَذَ إِلَهاً غَيْرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [٤]، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٥].

فَالمَخْلُوقُ لَيْسَ بِإِلَهٍ فِي نَفْسِهِ لَكِنْ عَابِدُهُ اتَّخَذَهُ إِلَهاً، وَجَعَلَهُ إِلَهاً، وَسَمَّاهُ إِلَهاً، وَذَلِكَ كُلُّهُ بَاطِلٌ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ بَلْ يَضُرُّهُ؛ كَمَا أَنَّ الجَاهِلَ إِذَا اتَّخَذَ إِمَاماً وَمُفْتِياً وَقَاضِياً كَانَ ذَلِكَ بَاطِلاً؛ فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَؤُمَّ وَلَا يُفْتِيَ وَلَا يَقْضِيَ،

---

١) سورة الأنعام آية : ١٤

٢) سورة آل عمران آية : ٨٠

٣) سورة الشعراء آية : ٢١٣

٤) سورة الإسراء آية : ٢٢

٥) سورة الأنعام آية : ٧٤

وغيرُ الله لا يصلُح أن يُتخذ إلهاً يُعبد ويُدعى، فإنه لا يخلق ولا يرزق، وهو سبحانه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجدّ منه الجدّ.

حكم دعاء غير الله

ومن دعا من لا يسمع دعاءه، أو يسمع ولا يستجيب له، فدعاؤه باطلٌ وضلالٌ، وكلُّ من سوى الله إمّا أنه لا يسمع دعاء الداعي، أو يسمع ولكن لا يستجيب له، فإنّ غير الله لا يستقلّ بفعل شيءٍ ألبتة، وقد قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[1]، فغير الله لا مالكٌ لشيءٍ، ولا شريكٌ في شيءٍ، ولا هو معاونٌ للربّ في شيءٍ؛ بل قد يكون له شفاعةٌ؛ إن كان من الملائكة، والأنبياء، والصالحين.

شروط الشفاعة يوم القيامة

ولكن لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، فلا بُدّ أن يأذن للشافع أن يشفع، وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له، ومن دونه لا يملكون الشفاعة ألبتة، فلا يصلُح من سواه لأن يكون إلهاً معبوداً؛ كما لا يصلُح أن يكون خالقاً رازقاً لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير.

---

(١) سورة سبأ، آية ٢٢-٢٣

## فصلٌ

وهؤلاءِ كانَ مِنْ أعظمِ أسبابِ ضلالِهِمْ مشاركتُهُمْ للفلاسفةِ، وتلقّيهمْ عنهُمْ، فإنّ أولئكَ القومَ مِنْ أبعدِ الناسِ عنِ الاستدلالِ بما جاءَ بهِ الرسولُ، فإنّ الرسولَ بُعثَ بالبيّناتِ والهدى يبيّنُ الأدلّةَ العقليّةَ، ويُخبرُ الناسَ بالغيبِ الذي لا يمكنُهُمْ معرفتُهُ بعقولِهِمْ.

وهؤلاءِ المتفلسفةُ يقولونَ: إنّهُ لمْ يُفدِ الناسَ علماً بخبرِهِ ولا بدلالتِهِ، وإنّما خاطبَ خطاباً جمهوريّاً ليُصلحَ بهِ العامّةَ، فيعتقدُوا في الربِّ والمعادِ اعتقاداً ينفعُهُمْ؛ وإنْ كانَ كذباً وباطلاً.

وحقيقةُ كلامِهِمْ أنّ الأنبياءَ تكذبُ فيما تُخبرُ بهِ؛ لكنْ كذباً للمصلحةِ، فامتنعَ أنْ يطلبُوا مِنْ خبرِهِمْ علماً، وإذا لمْ تكنْ أخبارُهُمْ مطابقةً للمُخبَرِ، فكيفَ يُثبتونَ أدلّةً عقليّةً على ثبوتِ ما أخبرُوا بهِ. /

والمتكلّمونَ -الذينَ يقولونَ: إنّهمْ لا يُخبرونَ إلّا بصدقٍ، ولكنْ يسلكونَ في العقليّاتِ غيرَ طريقِهِمْ- مُبتدعونَ مع إقرارِهِمْ بأنّ القرآنَ اشتملَ على الأدلّةِ العقليّةِ فكيفَ بهؤلاءِ الملاحدةِ المفترينَ؟!

وَهَذَا لَا يَعْتَنُونَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا بِتَفْسِيرِهِ، وَلَا بِالْحَدِيثِ، وَكَلَامِ السَّلَفِ، وَإِنْ تَعَلَّمُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؛ فَلِأَجْلِ تَعَلُّقِ الْجُمْهُورِ بِهِ لِيَعِيشُوا بَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِ؛ لَا لِاعْتِقَادِهِمْ مُوجَبَهُ فِي الْبَاطِنِ!!، وَهَذَا بِخِلَافِ طَوَائِفِ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَإِنَّهُمْ يُعَظِّمُونَ الْقُرْآنَ فِي الْجُمْلَةِ، وَتَفْسِيرَهُ مَعَ مَا فِيهِمْ مِنَ الْبِدَعِ.

العموم من الملاحدة والمتكلمين

وَلِهَذَا لَمَّا اسْتَوْلَى التَّتَارُ عَلَى بَغْدَادَ، وَكَانَ الطُّوسِيُّ[1] مُنَجِّمًا لِهُولَاكُو اسْتَوْلَى عَلَى كُتُبِ النَّاسِ الْوَقْفِ وَالْمِلْكِ، فَكَانَ كُتُبُ الْإِسْلَامِ مِثْلُ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالرَّقَائِقِ يُعْدِمُهَا، وَأَخَذَ كُتُبَ الطِّبِّ وَالنُّجُومِ وَالْفَلْسَفَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ/ فَهَذِهِ عِنْدَهُ هِيَ الْكُتُبُ الْمُعَظَّمَةُ.

ص ١٦٠/١

وَكَانَ بَعْضُ مَنْ أَعْرِفُهُ قَارِئًا خَطِيبًا لَكِنْ كَانَ يُعَظِّمُ هَؤُلَاءِ، وَيَرْتَاضُ رِيَاضَةً فَلْسَفِيَّةً سِحْرِيَّةً حَتَّى يَسْتَخْدِمَ الْجِنَّ، وَكَانَ بَعْضُ الشَّيَاطِينِ أَلْقَى إِلَيْهِ أَنَّ

---

١) هو محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، نصير ذي الشرك، فيلسوف شيعي محترق، أصله من قرية جهرود ساوة من مدينة قم الإيرانية، وقد ولد بطوس واشتهر بها، قال عنه شيخ الإسلام في الدرء ٢/ ٣٥٥. «وهل كان الطوسي وأمثاله ينفقون عند المشركين من التتر إلا بأكاذيب المنجمين، ومكايد المحتالين المنافية للعقل والدين»، من تصانيفه (حل مشكلات الإشارات لابن سينا)، و(إثبات العقل الفعال)، مات سنة ٦٧٢هـ

ينظر شذرات الذهب ٥/ ٣٣٩، فوات الوفيات ٣/ ٢٤٦، الأعلام ٧/ ٣٠

هؤلاءِ يستولون على دارِ الإسلامِ. وكان يقولُ بعضُ أصحابِنا: «يا فلانُ عن قليلٍ يُرى هذا الجامعُ - جامعُ دمشقَ - يُقرأُ فيه المنطقُ والطبيعيُّ والرياضيُّ والإلهيُّ، ثم يُرضيه فيقولُ: «والعربيةُ أيضًا».

والعربيةُ إنَّما احتاجَ المسلمون إليها لأجلِ خطابِ الرسولِ بها، فلو أعرضَ عن الأصلِ كان أهلُ العربيةِ بمنزلةِ شعراءِ الجاهليةِ أصحابِ المعلقاتِ السبعِ ونحوِهم من حطبِ النارِ"[1].

---

(١) لشيخ الإسلام كلام نفيس في تعلم العربية، ومنها قوله: «فإنَّ نفس اللُّغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإنَّ فهم الكتاب والسُّنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللُّغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» كما في اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٥٢٧

## فصل

من أصول الخوارج مفارقة المسلمين

أوَّل التفرُّق والابتداع في الإسلام بعد مقتل عثمان وافتراق المسلمين؛ فلمَّا اتَّفق عليٌّ ومعاوية على التحكيم أنكرت الخوارج، وقالوا: «لا حُكمَ إلَّا لله»، وفارقوا جماعة المسلمين.

فأرسل إليهم ابن عبَّاسٍ فناظرهم، فرجع بعضهم، والآخرون أغاروا على ماشيةِ النَّاس، واستحلُّوا دماءهم، فقتلوا ابن خبَّابٍ[1]، وقالوا: «كلُّنا قتله»، فقاتلهم عليٌّ[2].

من أصول الخوارج عدم العمل بالسنة التي يظنونها تخالف القرآن

وأصل مذهبهم تعظيم القرآن، وطلب اتِّباعه؛ لكن خرجوا عن السُّنَّة والجماعة، فهم لا يرون اتِّباع السُّنَّة الَّتي يظنُّون أنَّها تخالف القرآن؛ كالرَّجم ونصاب السَّرقة، وغير ذلك، فضلُّوا؛ فإنَّ الرَّسول أعلم بما أنزل الله عليه، والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة.

من أصول الخوارج تكفير المسلمين بالذنوب

وجوَّزوا على النَّبيِّ ﷺ أن يكون ظالمًا؛ فلم ينفذوا لحكم النَّبيِّ ﷺ، ولا لحكم الأئمَّة بعده؛ بل قالوا: إنَّ عثمان وعليًّا ومن والاهما قد حكموا بغير ما

---

١) سبقت ترجمته

٢) ينظر تاريخ بغداد ١/ ٢٠٦، منهاج السنة ٥/ ١٦٥، البداية والنهاية ٧/ ٣٤٤

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(١)، فَكَفَّرُوا الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا [الذَّنْبِ](٢) وَبِغَيْرِهِ.

[١/١٠١ ب] وَتَكْفِيرُهُمْ وَتَكْفِيرُ سَائِرِ / أَهْلِ الْبِدَعِ مَبْنِيٌّ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ بَاطِلَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّ هَذَا يُخَالِفُ الْقُرْآنَ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ مَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ يَكْفُرُ، وَلَوْ كَانَ مُخْطِئًا أَوْ مُذْنِبًا مُعْتَقِدًا لِلْوُجُوبِ وَالتَّحْرِيمِ.

وَبِإِزَائِهِمُ الشِّيعَةُ غَلَوْا فِي الأَئِمَّةِ وَجَعَلُوهُمْ مَعْصُومِينَ، يَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَوْجَبُوا الرُّجُوعَ إِلَيْهِمْ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، فَلَا يُعَرِّجُونَ لَا عَلَى الْقُرْآنِ وَلَا عَلَى السُّنَّةِ؛ بَلْ عَلَى قَوْلِ مَنْ ظَنُّوهُ مَعْصُومًا، وَانْتَهَى الأَمْرُ إِلَى الِائْتِمَامِ بِإِمَامٍ مَعْدُومٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ؛ فَكَانُوا أَضَلَّ مِنَ الْخَوَارِجِ.

فَإِنَّ أُولَئِكَ يَرْجِعُونَ إِلَى الْقُرْآنِ وَهُوَ حَقٌّ، وَإِنْ غَلِطُوا فِيهِ، وَهَؤُلَاءِ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى شَيْءٍ؛ بَلْ إِلَى مَعْدُومٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، ثُمَّ إِنَّمَا يَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَنْقُلُ لَهُمْ عَنْ

---

(١) سورة المائدة، آية ٤٤.

(٢) زيادة من (م).

بعضِ المؤمنين، فيتمسكون بنقلٍ غيرِ مصدَّقٍ عن قائلٍ غيرِ معصوم؛ ولهذا كانوا أكذبَ الطوائفِ، والخوارجُ صادقون فحديثُهم من أصحِّ الحديث، وحديثُ الشيعةِ من أكذبِ الحديث.

ولكنَّ الخوارجَ دينُهم المعظَّمُ مفارقةُ جماعةِ المسلمين، واستحلالُ دمائِهم وأموالِهم، والشيعةُ تختارُ هذا، لكنَّهم عاجزون، والزيديةُ تفعلُ هذا، والإماميةُ تارةً تفعلُه، وتارةً يقولون لا نقاتلُ إلا تحتَ رايةِ إمامٍ معصوم.

نصرة الشيعة لأعداء عامة المسلمين

والشيعةُ استتبعوا أعداءَ الملةِ من الملاحدةِ والباطنيةِ وغيرِهم، ولهذا أوصتِ الملاحدةُ - مثلُ القرامطةِ الذين كانوا في البحرين، وهم من أكفرِ الخلقِ، ومثلُ قرامطةِ المغربِ ومصرَ، وهم كانوا يستترون بالتشيعِ - أوصَوا بأن يدخلَ على المسلمين من بابِ التشيعِ، فإنهم يفتحون البابَ لكلِّ عدوٍّ للإسلامِ من المشركين وأهلِ الكتابِ والمنافقين، وهم من أبعدِ الناسِ عن القرآنِ والحديثِ، كما قد بُسطَ هذا في مواضع.

والمقصودُ أنَّ النبيَّ ﷺ في [illegible] بيَّنَ تقديرَ كِتَابِ الله فحَضَّ عَلَى كِتَابِ الله، ثُمَّ قَالَ «وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثًا»[1]، فَوَصَّى الْمُسْلِمِينَ بِهِمْ؛ لَمْ يَجْعَلْهُمْ أَئِمَّةً يَرْجِعُ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهِمْ، فَانْتَحَلَتِ الْخَوَارِجُ كِتَابَ الله، وَانْتَحَلَتِ الشِّيعَةُ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَكِلَاهُمَا غَيْرُ مُتَّبِعٍ لِمَا انْتَحَلَهُ.

فَإِنَّ الْخَوَارِجَ خَالَفُوا السُّنَّةَ الَّتِي أَمَرَ الْقُرْآنُ بِاتِّبَاعِهَا، وَكَفَّرُوا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَمَرَ الْقُرْآنُ بِمُوَالَاتِهِمْ، وَلِهَذَا تَأَوَّلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ[2] فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب، رقم (٢٤٢٥) مطولاً، إلا لفظ (وعترتي أهل بيتي) فإنها عند الترمذي في كتاب المناقب، باب: مناقب أهل بيت النبي ﷺ، رقم (٣٧٨٦)، وقال: «وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ»، وكلاهما عن زيد بن أرقم.

(٢) كما عند البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣﴾، رقم (٤٧٢٨) عن مصعب بن سعد، قال: سألتُ أبي ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣﴾ هُمُ الحروريةُ؟ قال: لا هُمُ اليهودُ والنصارى، أمَّا اليهودُ فكذَّبوا محمداً ﷺ، وأمَّا النصارى كفروا بالجنةِ وقالوا لا طعامَ فيها، ولا شرابَ، والحروريةُ الذين ينقضونَ عهدَ الله من بعد ميثاقه، وكان سعدٌ يسميهم الفاسقين.

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾(١)، وَصَارُوا يَتَّبِعُونَ [١/١١٢] الْمُتَشَابِهَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِمَعْنَاهُ، وَلَا رُسُوخٍ فِي الْعِلْمِ، وَلَا اتِّبَاعٍ لِلسُّنَّةِ، وَلَا مُرَاجَعَةٍ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَفْهَمُونَ الْقُرْآنَ، وَأَمَّا مُخَالَفَةُ الشِّيعَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ فَكَثِيرَةٌ جِدًّا قَدْ بُسِطَتْ فِي مَوَاضِعَ.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦-٢٧

## فصل

تشابه الخوارج والقدرية

ثُمَّ حَدَثَ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ القَدَرِيَّةُ، فَكَانَتِ الخَوَارِجُ تَتَكَلَّمُ فِي حُكْمِ اللهِ الشَّرْعِيِّ: أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَحُكْمِ مَنْ وَافَقَ ذَلِكَ وَمَنْ خَالَفَهُ، وَمَنْ يَكُونُ مُؤْمِناً وَكَافِراً، وَهِيَ مَسَائِلُ الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ، وَسَمَّوْا مُحَكِّمَةً لِخُرُوجِهِمْ فِي التَّحْكِيمِ بِالبَاطِلِ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَالَ: لَا حُكْمَ/ إِلَّا للهِ، قَالُوا: هُوَ مُحَكِّمٌ، أَيْ خَائِضٌ فِي حُكْمِ اللهِ، فَخَاضَ أُولَئِكَ فِي شَرْعِ اللهِ بِالبَاطِلِ، وَأَمَّا القَدَرِيَّةُ فَخَاضُوا فِي قَدَرِهِ بِالبَاطِلِ.

ص ١٦٠

أصل ضلال القدرية والجهمية

وَأَصْلُ ضَلَالِهِمْ ظَنُّهُمْ أَنَّ القَدَرَ يُنَاقِضُ الشَّرْعَ، فَصَارُوا حِزْبَيْنِ:

حِزْباً يُعَظِّمُونَ الشَّرْعَ، وَالأَمْرَ وَالنَّهْيَ، وَالوَعْدَ وَالوَعِيدَ، وَاتِّبَاعَ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَهَجْرَ مَا يُبْغِضُهُ وَمَا يُسْخِطُهُ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القَدَرِ، فَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَنَقَضُوا عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ؛ كَمَا قَطَعَتِ الخَوَارِجُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ مِنِ اتِّفَاقِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَهْلِ الجَمَاعَةِ، فَفَرَّقُوا بَيْنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ الكِتَابِ وَجَمَاعَةِ

المُسْلِمِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ المُسْلِمِينَ. فَقَطَعُوا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، وَكَذَلِكَ القَدَرِيَّةُ.

فَصَارُوا جِزْبَيْنِ:

حِزْبًا يُغَلِّبُ الشَّرْعَ فَيُكَذِّبُ بِالقَدَرِ وَيَنْفِيهِ، أَوْ يَنْفِي بَعْضَهُ.

وحِزْبًا يُغَلِّبُ القَدَرَ فَيَنْفِي الشَّرْعَ فِي البَاطِنِ أَوْ يَنْفِي حَقِيقَتَهُ، وَيَقُولُ لا فَرْقَ بَيْنَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَمَا نَهَى عَنْهُ فِي نَفْسِ الأَمْرِ الجَمِيعُ سَوَاءٌ، وَكَذَلِكَ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَعْدَاؤُهُ، وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَ أَنَّهُ يُحِبُّهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ يُبْغِضُهُ؛ لَكِنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ المُتَمَاثِلَيْنِ بِمَحْضِ المَشِيئَةِ، يَأْمُرُ بِهَذَا وَيَنْهَى عَنْ مِثْلِهِ، فَجَحَدُوا الفَرْقَ وَالفَصْلَ الَّذِي بَيْنَ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ، وَبَيْنَ الإِيمَانِ وَالكُفْرِ، وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالمَعْصِيَةِ، وَبَيْنَ الحَلَالِ وَالحَرَامِ؛ كَمَا أَنَّ أُولَئِكَ وَإِنْ أَقَرُّوا بِالفَرْقِ، فَأَنْكَرُوا الجَمْعَ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونَ مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ فَعَّالاً لِمَا يَشَاءُ، وَأَثْبَتُوا لِغَيْرِ اللهِ الانْفِرَادَ بِالأَحْدَاثِ، وَشُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ؛ كَمَا فَعَلَتِ المَجُوسُ. وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الإِيمَانُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ/ إِلَّا مَعَ تَعْجِيزِهِ أَوْ [أ/ ١١٠٣]

تجهيله، وأنه لا يمكن أن يوصف بالإحسان والكرم إن لم يجعل عاجزًا، وإلا لزم أن يكون بخيلًا؛ كما أن القدرية المجبرة قالوا لا يمكن أن يجعل عالمًا قادرًا إلا بتسفيهه وتجويره.

فهؤلاء نفوا حكمته وعدله، وأولئك نفوا قدرته ومشيئته، أو قدرته ومشيئته وعلمه، وهؤلاء ضاهوا المجوس في الإشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقًا، وأولئك ضاهوا المشركين الذين لا يفرقون بين عبادته وعبادة غيره؛ بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته، ويقولون: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ الآية.

وهؤلاء منتهى توحيدهم توحيد المشركين، وهو توحيد الربوبية، فأما توحيد الإلهية المتضمن للأمر والنهي - ولكون الله يحب ما أمر به، ويبغض ما نهى عنه - فهم ينكرونه، ولهذا هم أكثر اتباعًا لأهوائهم، وأكثر شركًا وتجويزًا من المعتزلة، ومنتهى متكلميهم وعبادهم تجويز عبادة الأصنام، وأن العارف لا

---

١) سورة الأنعام، آية: ١٤٨

يَسْتَحْسِنُ حَسَنَةً، وَلَا يَسْتَقْبِحُ سَيِّئَةً، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ (مَنَازِلِ السَّائِرِينَ)»[1].

---

١) هو عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري، أبو إسماعيل الهروي الحنبلي، الإمام الحافظ الفقيه المُفسر، كان بارعاً في اللغة، عارفاً بالتاريخ والأنساب، وكان شديداً على أهل الكلام والسلاطين، قال عنه الذهبي: «بالغ أبو إسماعيل في (ذَمِّ الكَلَامِ) عَلَى الاتِّبَاعِ فَأَجَادَ، وَلَكِنَّهُ لَهُ نَفَسٌ عَجِيبٌ لا يُشْبِهُ نَفَسَ أَئِمَّةِ السَّلَفِ فِي كِتَابِهِ (مَنَازِلِ السَّائِرِينَ)، فَفِيهِ أَشْيَاءُ مُطْرِبَةٌ، وَفِيهِ أَشْيَاءُ مُشْكِلَةٌ، وَمَنْ تَأَمَّلَهُ لاحَ لَهُ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ، وَالسُّنَّةُ المحمدية صَلِفَةٌ، وَلا يَنْهَضُ الذَّوْقُ وَالوَجْدُ إِلاَّ عَلَى تَأْسِيسِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ سَيْفاً مَسْلُولاً عَلَى المُتَكَلِّمِينَ، لَهُ صَوْلَةٌ وَهَيْبَةٌ وَاسْتِيلاءٌ عَلَى النُّفُوسِ بِبَلَدِهِ، يُعَظِّمُونَهُ، وَيَتَغَالُونَ فِيهِ، وَيَبْذُلُونَ أَرْوَاحَهُم فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، كَانَ عِنْدَهُم أَطْوَعَ وَأَرْفَعَ مِنَ السُّلْطَانِ بِكَثِيرٍ، وَكَانَ طَوْداً رَاسِياً فِي السُّنَّةِ لاَ يَتَزَلْزَلُ وَلاَ يَلِينُ»، وله مصنفات عِدَّة من أشهرها (منازل السائرين)، و(ذم الكلام)، و(مناقب الإمام أحمد بن حنبل)، مات سنة ٤٨١هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٥، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ١١٣، أمَّا كتاب (منازل السائرين) فقد اعتنى بشرحه جماعةٌ كثيرون لربما تجاوزوا المائة، ومن أشهرهم الإمام ابن قيِّم الجوزية في كتابه (مدارج السالكين)، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة عن الهروي في منهاج السنة ٥/ ٢٤١: «وقع فيه - أي الحلول الخاص - خلقٌ كثيرٌ حتى من أهل العلم بالقرآن وتفسيره، والحديث والآثار، ومن المُعظِّمين لله ورسوله باطناً وظاهراً، المحبين لسنة رسول الله ﷺ، الذابِّين عنها، وقعوا في هذا غلطاً لا تعمُّداً، وهم

وأمَّا عِبَادَةُ الأَصْنَامِ فَصَرَّحَ بِهِ مُتَأَخِّرُوهُمْ كَالرَّازِيِّ صَنَّفَ فِيهَا مُصَنَّفاً، وَابْنِ عَرَبِيٍّ، وَابْنِ سَبْعِينَ، وَأَمْثَالِهِمَا، يُصَرِّحُونَ بِجَوَازِ عِبَادَتِهَا، وَبِالإِنْكَارِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَهُمْ مُتَنَاقِضُونَ فِي ذَلِكَ.

فَالقَدَرِيَّةُ أَصْلُهُمْ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِثْبَاتُ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ قَادِراً لَفَعَلَ غَيْرَ مَا فَعَلَ، فَلَمَّا لَمْ يَفْعَلْهُ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ، وَقَالُوا: تَثْبُتُ حِكْمَتُهُ كَمَا

---

يظنون أن هذا نهاية التوحيد، كما ذكر ذلك صاحب منازل السائرين مع جلالته وسُنّيته ومعرفته ودينه، وقد ذكر في كتابه منازل السائرين أشياء حسنة نافعة، وأشياء باطلة، ولكن هو فيه ينتهي إلى الفناء في توحيد الربوبية ثم إلى التوحيد الذي هو حقيقة الاتحاد»، وقال كذلك كما في الفتاوى ٥/ ٤٨٥ «وأما أبو إسماعيل الأنصاري صاحب منازل السائرين فليس في كلامه شيء من الحلول العام، لكن في كلامه شيء من الحلول الخاص في حق العبد العارف الواصل إلى ما يسميه هو مقام التوحيد»، وقد طبع الكتاب مفرداً في مكتبة الحلبي بمصر عام ١٣٨٦ بالطبعة الثانية، وهذا تسهيل

[١] دافع الإمام ابن قيم الجوزية عن شيخه الهروي، وحمل كلامه على المتشابه، وأنه لا يقصد حقيقة الاتحاد أو الحلول العام، وكلامه فيه من أنفس الأعذار عن أهل العلم والصدق والجهاد، وذلك في شرحه العظيم (مدارج السالكين).

[٢] هناك كلمة عظيمة متداولة بين طلاب العلم لابن قيم الجوزية وهي قوله: «شيخ الإسلام حبيب، ولكن الحق أحب إلينا منه»، وقد رأيت بعضهم نسبها وربطها في ابن تيمية، وهذا غلط، والصحيح أنه يقصد شيخه الهروي كما في المدارج ٣/ ٣٩٤

يثبت حكمه؛ لأن نفي ذلك يوجب السفه والظلم، وهو منزه عنه؛ بخلاف ما لم يقدر عليه، فإنه معذور إذا لم يفعله فلا يلام عليه

وقالت المجبرة: بل قدرته ثابتة بلا حكمة، ولا يجوز أن يفعل لحكمة؛ لأن ذلك إنما يكون لمن يحتاج إلى الفعل، وهو منزه عن الحاجة ولا عدل ولا ظلم؛ بل كل ما أمكن فعله فهو عدل، وليس في الأفعال ما هو حسن ينبغي الأمر به، وقبيح ينبغي النهي عنه، ولا معروف ومنكر؛ بل يجوز أن يأمر بكل شيء، وينهى عن كل شيء.

ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكلية، وأنكر النبوات؛ مع أنه مضطر إلى أن يأمر بشيء وينهى عن شيء: فإن هذا لازم لجميع الخلق لا يجدون عنه محيصاً؛ لكن من اتبع الأنبياء يأمر بما ينفعه، وينفع غيره، وينهى عما يضره، ويضر غيره، ومن خالف الأنبياء فلا بد أن يأمر بما يضر، وينهى عما/ ينفع، [١١٤/ا] فيستحق عذاب الدنيا والآخرة.

وأما من كان منهم مُقِرًّا بالنبوة، فأنكر الشرع في الباطن، وقال: «العارف لا يستحسن حسنة، ولا يستقبح سيئة»[1] صار منافقًا يظهر خلاف ما يبطن، ويقول الشرع لأجل المارستان[2].

ولهذا يسمون باطنية كما سموا الملاحدة باطنية، فإن كلاهما يبطن خلاف ما يظهر، يبطنون تعطيل ما جاء به الرسول من الأمر والنهي.

[ص ٦٢] فمنتهى الجهمية المجبرة إما مشركون ظاهرًا وباطنًا، وإما منافقون يبطنون الشرك؛ ولهذا يظنون بالله ظن السوء، وأنه لا ينصر محمدًا وأتباعه؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ

---

١) ينظر منهاج السنة ٥/ ٢٣٢

٢) المارستان: هو دار المرضى، كما في لسان العرب، مادة (مرس).

مَصِيرًا ﴾[1]، وَهُمْ يَتَعَلَّقُونَ بِقَوْلِهِ ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾[2]، وَبِأَنَّهُ ﴿ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[3].

وَلِذَلِكَ لَمَّا ظَهَرَ الْمُشْرِكُونَ التَّتَارُ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، كَثُرَ فِي عُبَّادِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ مَنْ صَارَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَارْتَدَّ عَنِ الإِسْلَامِ إِمَّا بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَإِمَّا بَاطِنًا، وَقَالَ: إِنَّهُ مَعَ الْحَقِيقَةِ وَمَعَ الْمَشِيئَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَصَارُوا يَحْتَجُّونَ لِمَنْ هُوَ مُعَظِّمٌ لِلرُّسُلِ عَمَّا [لَا][4] يُوَافِقُ عَلَى تَكْذِيبِهِ، بِأَنَّ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْخُرُوجِ عَنِ الشَّرِيعَةِ، وَمُوَالَاةِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، وَالدُّخُولِ فِي دِينِهِمْ، وَمُجَاهَدَةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُمْ، هُوَ بِأَمْرِ الرَّسُولِ!!

فَتَارَةً تَأْتِيهِمْ شَيَاطِينُهُمْ بِمَا يُخَيِّلُونَ لَهُمْ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ مِنْ نُورٍ، وَأَنَّ الرَّسُولَ أَمَرَ بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْكُفَّارِ؛ لِكَوْنِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ عَصَوْا، وَلِمَا ظَهَرَ أَنَّ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ خُفَرَاءَ لَهُمْ مِنَ الرِّجَالِ الْمُسَمِّينَ بِرِجَالِ الْغَيْبِ، وَأَنَّ لَهُمْ خَوَارِقَ تَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ!!.

---

١) سورة الفتح، آية: ٦

٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٣

٣) سورة آل عمران، آية: ٤٠، وسورة الحج، آية: ١٨

٤) زيادة من (م)

[و](١) صار الناس في هؤلاء على ثلاثة أحزاب:

حِزْبٌ يُكَذِّبُون بوجودِ هؤلاء، ولكنْ عايَنَهُمُ النَّاسُ، وثَبَتَ ذلكَ عمَّنْ عايَنَهُم، أو حدَّثَهُ الثِّقاةُ بما رأوه [و](٢) هؤلاء إذا رأوهم، أو تيقَّنوا وجودَهُم خضعوا لهم.

وحِزْبٌ عرفوهُم ورجعوا إلى القَدَرِ، واعتقدوا أنَّ ثَمَّ في الباطنِ طريقًا إلى الله غيرَ طريقةِ الأنبياءِ.

وحِزْبٌ ما أمكنَهُم أن يجعلوا أولياءَ الله خارجينَ عن دائرةِ الرَّسولِ، فقالوا: يكونُ الرَّسولُ هو مُمِدًّا للطَّائفتَينِ هؤلاءِ وهؤلاءِ، فهؤلاءِ مُعظِّمونَ للرَّسولِ جاهِلونَ بدينِهِ وشرعِهِ، والَّذينَ قبلَهُم يُجَوِّزونَ اتِّباعَ دينٍ غيرِ دينِهِ وطريقٍ غيرِ طريقِهِ.

وكانَتْ هذهِ الأقوالُ الثَّلاثةُ بدمشقَ/ لمَّا فُتِحَتْ عكَّا(٣)، ثُمَّ تبيَّنَ بعدَ ذلكَ أنَّ هؤلاءِ مِنْ أتباعِ الشَّياطينِ، وأنَّ رجالَ الغيبِ هُمُ الجِنُّ، وأنَّ الَّذينَ مَعَ

---

١) ليست في (س) و(ك) و(م)، ويقتضيها السياق.

٢) زيادة من (م).

٣) عكّا: آخرها ألف ممدودة، وتُقال بالهاء أيضاً، وهي مدينة حصينة على ساحل الشّام في فلسطين، وكان فتحها سنة ٦٩٠هـ.

ينظر: معجم البلدان ٤/ ١٤٣

الكفار شياطين، وأن من وافقهم من الإنس فهو من جنسهم شيطان من شياطين الإنس أعداء الأنبياء، كما قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[1].

وَكَانَ سَبَبُ الضَّلَالِ عَدَمَ الفُرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَأَصْلُهُ قَوْلُ الجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ يُسَوُّونَ بَيْنَ المَخْلُوقَاتِ، فَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ المَحْبُوبِ وَالمَسْخُوطِ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ جَرَتْ أُمُورٌ يَطُولُ وَصْفُهَا.

وقوع الزندقة من بعض الصوفية المتنهجة

وَلَمَّا جَاءَ قَازَانُ[2] ـ وَقَدْ أَسْلَمَ ـ دِمَشْقَ انْكَشَفَتْ أُمُورٌ أُخْرَى، فَظَهَرَ أَنْ

---

١) سورة الأنعام، آية : ١١٢

٢) هو محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان، السلطان معز الدين، وكان اسمه قبل الإسلام (غازان) بالغين المعجمة، والعامة تقول (قازان) بالقاف للتخفيف، أسلم في سنة ٦٩٤هـ ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رؤوس الناس، وفشا بملك الإسلام في التتار، وكان إسلامه على يد الشيخ صدر الدين إبراهيم بن سعد الله بن حمويه الجويني، وعمره يومئذ نيف وعشرون سنة، وكان يوم إسلامه يوماً عظيماً دخل الحمام فاغتسل وجمع علماء، وشهد شهادة الحق في الملأ العام، فكان لمن حضر ضجة عظيمة، وفرحة لا مثيل لها، مات سنة ٧٠٣هـ غروبين.

ينظر: الدرر الكامنة ١/ ٤١٥، فوات الوفيات ٤/ ٩٧، البدر الطالع ١/ ٤٩٦

يُونُسِيَّةً كَانُوا قَدِ ارْتَدُّوا، وَصَارُوا [illegible] مَعَ الْكُفَّارِ

وَحَضَرَ عِنْدِي بَعْضُ شُيُوخِهِمْ وَاعْتَرَفَ بِالرِّدَّةِ عَنِ الإِسْلَامِ، وَحَدَّثَنِي بِفُصُولٍ كَثِيرَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ - لَمَّا ذَكَرَ لِي احْتِجَاجَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ -: هَبْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَأَهْلِ بَغْدَادَ كَانُوا قَدْ عَصَوْا، وَكَانَ فِي بَغْدَادَ بِضْعَةَ عَشَرَ بَغِيًّا، فَالْجَيْشُ الْكُفَّارُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ جَاءُوا كَانُوا شَرًّا مِنْ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُنَّ

---

(١) هي فرق المرجئة، وتنتسب إلى يونس بن عون النميري، ويزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله، والخضوع له، وترك الاستكبار عنه، والمحبة بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان، ولا يضر تركها حقيقة الإيمان، ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصاً، واليقين صادقاً.

وقد ذكر شيخ الإسلام قوماً ممن لا يعرف طريقة أهل السنة كما في الفتاوى ٢/ ٥٨ فقال: «ويشبه هؤلاء من بعض الوجوه أكثر الأحدية، واليونسية، والجريرية، وكثير من العدوية، وأصحاب الأوحد الكرماني، وخلق كثير من المتصوفة والمتفقرة بأرض المشرق، ولهذا تغلب عليهم الإباحة، فلا يؤمنون بواجبات الشريعة ومحرماتها، وهم إذا تألهوا في تأله مطلق، لا يعرفون من هو إلههم بالمعرفة القلبية، وإن حققه عارفوهم الزنادقة، جعلوه الوجود المطلق».

تنبيه: اليونسية عند أصحاب المقالات فرقتان، الأولى من المرجئة، وقد ذكرها شيخ الإسلام في الصفدية ١/ ١٨٨، وهي المقصودة هنا، والثانية من الشيعة، وهم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي، وقد ذكرها شيخ الإسلام في منهاج السنة ٢/ ١٣٨.

انظر الملل والنحل ١/ ٧٣، الصفدية ١/ ١٨٨.

بِزَيْنِ اخْتِيَارًا، فَأَخَذَ أُولَئِكَ الْمُشْرِكُونَ عَشَرَاتِ الأُلُوفِ مِنْ حَرَائِرِ الْمُسْلِمِينَ وَسَرَارِيهِمْ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ، وَرَدُّوهُمْ عَنِ الإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ، وَأَظْهَرُوا الشِّرْكَ، وَعِبَادَةَ الأَصْنَامِ، وَدِينَ النَّصَارَى، وَتَعْظِيمَ الصَّلِيبِ؛ حَتَّى بَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مَقْهُورِينَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ تَضَاعِيفِ مَا كَانَ يَفْعَلُ مِنَ الْمَعَاصِي؛ فَهَلْ يَأْمُرُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِهَذَا، وَيَرْضَى بِهَذَا.

فَتَبَيَّنَ لَهُ، وَقَالَ: «لَا وَاللَّهِ»!!، وَأَخْبَرَنِي عَنْ رِدَّةِ مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الشُّيُوخِ عَنِ الإِسْلَامِ لَمَّا كَانَتْ شَيَاطِينُ الْمُشْرِكِينَ تُكْرِهُهُمْ عَلَى الرِّدَّةِ فِي الْبَاطِنِ، وَتُعَذِّبُهُمْ إِنْ لَمْ يَرْتَدُّوا.

فَقُلْتُ: كَانَ هَذَا لِضَعْفِ إِيمَانِهِمْ وَتَوْحِيدِهِمْ، وَالْمَادَّةِ الَّتِي يَشْهَدُونَهَا مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ، وَإِلَّا فَالشَّيَاطِينُ لَا سُلْطَانَ لَهُمْ عَلَى قُلُوبِ الْمُوَحِّدِينَ، وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ شَيَاطِينُ؛ بَلْ أَنَّهُمْ رِجَالٌ مِنْ رِجَالِ الْغَيْبِ الإِنْسِيِّ، وَكَّلَهُمُ اللَّهُ بِتَصْرِيفِ الأَمْرِ.

توضيح شيخ الإسلام لرجال الغيب

فَبَيَّنْتُ لَهُمْ: أَنَّ رِجَالَ الْغَيْبِ هُمُ الْجِنُّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1]، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُمْ إِنْسٌ فَمِنْ جَهْلِهِ

---

[1] سورة الجن، آية : ٦

وغيرهم، فإن الإنس يؤنسون أي يشاهدون ويرون(١)؛ إنما يحتجب الإنسي أحيانًا لا يكون دائمًا محتجبًا عن أبصار الإنس؛ بخلاف الجن فإنهم كما قال الله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾(٢).

[هـ ١٠٦] وكان غير هذا/ من المشايخ من يذكر عن [الشيخ محمد بن الزكي](٣) أن هولاكو - ملك المشركين - لما دخل بغداد رأى ابن الزكي شيخًا محلوق الرأس

---

١) سُمي الإنس بذلك لأمرين: إما لكونهم يأنسون خلاف الوحش، ومنه قول الصحابي: (نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية) يعني التي تألف البيوت، وإما لكونهم يؤنسون أي يشاهدون خلاف الجن، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾.
يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٧٩

٢) سورة الأعراف، آية: ٢٧

٣) في (س) و(ك) و(م) (الشيخ محمد بن السكران)!!، والذي يظهر لي أنه تصحيف، من (الشيخ محمد بن الزكي) لأمور منها:
[١] أن بهذا الاسم (ابن السكران) لم أره واردًا إلا عند شيخ الإسلام في هذا الكتاب فقط، وقد راجعت كتب التاريخ وتراجم أعلام الصوفية فلم أعثر على رجل بهذا الاسم في تلك الحقبة، وقد أورد القصة نفسها شيخ الإسلام في الصفدية ١/ ٢٦٩-٢٧٠ ولم يعثر على [illegible] الذين يقولون مثل هذا للمشركين عُبّاد الأوثان حتى أن رجلًا كبيرًا من القضاة

كان من غلمان ابن عربي فلمّا قدم ملك المُشركين التُّرك هولاكو خان المشرك إلى الشام وولاه القضاء، وأتى دمشق أخذ يُعظِّم ملك الملك الذي عمل في الإسلام وأهله ببغداد وحلب وغيرهما من البلاد ما قد شُهر بين العباد، فقال له بعض من شهده من طلبة الفقهاء ذلك الوقت: يا سيدي ليته كان مُسلماً!! فالح في حضوره شائعة أخاته، وقال: أيُّ حاجة بهذا إلى الإسلام!! وأيُّ شيء يفعل هذا بالإسلام سواء كان مُسلماً أو غير مسلم!!، ونحو هذا الكلام، وهذا كان من آثار مذهب الذين يدعون التحقيق، ويجعلون المتحقق الذي يُسوِّغ التدين بدين المُسلمين واليهود والنصارى والمشركين هو أفضل الخلق!!، ويجعله عندهم على ما ذكره ابن سبعين وإخوانه هو الصوفي بعنوان المُتصوف على طريقة الفلاسفة!!، ليس هو الصُّوفي الذي على مذهب أهل الحديث والكتاب والسُّنة»

وأورده أيضاً بإيجاز في الرّد على المنطقيين ٤٨٧ ولم يصرّح على اسمه كذلك، فقال: «ولمّا قدم هُولاكُو الشام، وتقلَّدَ القضاء من جهته بعض قُضاة الشام الذين كانوا يُعظِّمُون صُوفيّة الفلاسفة كابن عَرَبي ونحوه، ودخل إلى البلد أخذ يُثني على ملك الكُفّار، ويُعظِّمه، ويذكر ما يذكر من فضائله بزعمه، فقال لهُ بعض الحاضرين (يا ليتهُ كان مُسلماً)!!، فقال القاضي (وأيُّ حاجة لهذا إلى الإسلام، سواء كان مُسلماً أو لم يكنْ)، وهذا بناء على هذا الأصل».

وقد ذكر شيخ الإسلام في بُغية المُرتاد ٤٤٦ اسمه، وتعلقه بابن عربي، وخصومته مع ابنه القاضي بهاء الدّين ابن الزكي - من أقران شيخ الإسلام والمُحبين له - في ابن عربي، فقال «فإنَّ ابن عربي ذكر في أول الفتوحات المكيّة ثلاث عقائد، ورمز إلى الرابعة، وذكر العقيدة التي في كلام صاحب الإرشاد مُجردة، ثم ذكرها مع التنبيه بالكلامي الذي ذكره، ثم انتقل إلى عقيدة فلسفية أبعد عن اعتقاد أهل الإثبات، ثم رمز إلى هذا التوحيد الذي أفصح به في

عَلَى صُورَةِ شَيْخٍ مِنْ مَشَايِخِ الدِّينِ وَالطَّرِيقِ آخِذاً بِفَرَسِ هُولَاكُو، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُه أَنْكَرْتُ هَذَا، وَاسْتَعْظَمْتُ أَنْ يَكُونَ شَيْخٌ/ مِنْ شُيُوخِ الْمُسْلِمِينَ يَقُودُ فَرَسَ

ص ١٠

---

لفصوص، وعاد قولهم إلى تحقيق التعطيل الذي هو حقيقةُ قول فرعون، وكان نقلهم لكلام المتكلمة والمتفلسفة من كلام الرازي في المحصل وغيره، وهو يذكر أنَّ ذلك حصل له بالكشف، حتى كان القاضي بهاء الدين ابن الزكي يذكر أنه كان يقع بينه وبين والده منازعةٌ في كلامه إذ كان من الغلاة فيه، المعظِّمين لأمره»

[٢] سمَّى ابن كثير في تاريخه ١٣/ ٨٤، وابن تغري بردي في نجومه الزاهرة ٧/ ٧٤ القاضي الذي تعلق بالتصوف، وله الشعبة الثانية في دمشق آنذاك بأنه (محيِيّ الدين بنُ الزكيّ).

وهو محيِيُ الدين محمد بن علي بن محمد بن الزكيِّ القرشي، قاضي قضاة الشافعية بدمشق وخلفه من كبار الصوفية، ومن تلاميذ ابن عربي الطائي الصوفي، والمعظِّمين له، وكان مشهوراً بتزلُّفه للسلاطين، قال عنه الصفدي في الوافي ١٠٨/٣ «ولمَّا أخذ هولاكو الشام سافر ابن شمس الدولة ومحيِيُ الدين ابن الزكيِّ إلى حلب، فكان ابن الزكيِّ أحذق منه، وأفره في الدخول على التتار، فولوه قضاء القضاة، ورجع ابن شمس الدولة بخفي حنين، فلمَّا وصل إلى حماة مرض وحُمل إلى بعلبك في محفة، ومات بعد يومين»، مات سنة ٥٩٨هـ والله أعلم.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٥٨، طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ١٥٧، البداية والنهاية ١٣/ ٣٢، وفيات الأعيان ٤/ ٢٢٩، ولقد اجتهدت في تعديل (ابن الشكران) إلى (ابن الزكيّ) في المواضع الأربعة في الكتاب دون الإشارة في كُل موضع، ما عدا هذا الموضع الأول فليُنبه، ومن وجدت عنه ذلك فلينصحه لنا مشكوراً مأجوراً، وما حيلتي إلاَّ أني قد بذلتُ جهدي قرابة أربعة أشهر في البحث في هذه الجزئية فقط، والله هو الفتاح العليم.

ملك المشركين لقتل المسلمين، فقلت: يا هذا!! أو كلمة نحو هذا، فقال: تأمر بأمر، أو قال له: هل يفعل هذا بأمر، أو تفعلت هذا بأمر؟، فقلت: نعم بأمر، فسكت ابن الزكي، وأقنعه هذا الجواب!!

وكان هذا لقلة علمه بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وظن أن ما يؤمر به الشيوخ في قلوبهم هو من الله، وأن من قال: «حدثني قلبي عن ربي» فإن الله هو يناجيه، ومن قال: «أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت» هو كذلك، وهذا أصل يمن ادعى الاستغناء عن الأنبياء، وأنه لا يحتاج إلى واسطتهم.

وجواب هذا أن يقال له: بأمر من تأمر؟ فإن قال: بأمر الله. قيل: بأمر الله الذي بعث به رسوله، وأنزل به القرآن، أم بأمر وقع في قلبك؟، فإن قال: بالأول ظهر كذبه؛ فإنه ليس فيما يأمر الله به رسوله أن يأتي بالكفار المشركين وأهل الكتاب؛ لقتل المسلمين، وسبيهم، وأخذ أموالهم؛ لأجل ذنوب فعلوها، ويجعل الدار تعبد بها الأوثان، ويضرب فيها بالنواقيس، ويقتل قراء القرآن

وَأَهْلُ الْجَهْلِ بِالشَّرْعِ، وَبَعْضُهُمُ النَّجِسَةُ عِنْدَهُمْ: الْمُشْرِكِينَ وَفُسَّاقُ النَّصَارَى، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَعْظَمُ عَدَاوَةً لِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُمْ مِنْ جِنْسِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ قَاتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَأُولَئِكَ عُصَاةٌ مِنْ عُصَاةِ أُمَّتِهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مُنَافِقُونَ كَثِيرُونَ، فَالْمُنَافِقُونَ يُبْطِنُونَ نِفَاقَهُمْ.

وَإِنْ قَالَ: «بِأَمْرٍ وَقَعَ فِي قَلْبِي»، لَمْ يَكْذِبْ؛ لَكِنْ يُقَالُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ أَنَّ هَذَا رَحْمَانِيٌّ، وَلِمَ لَا يَكُونُ الشَّيْطَانُ هُوَ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟!، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَا يَقَعُ فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ.

---

(١) أي من المشركين النجس قال الله فيهم ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨)، سواء من أهل الأوثان أو أهل الكتاب الذين ﴿أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ۝﴾ (آل عمران: ١٥١)، وهذه النجاسة معنوية لفساد عقائدهم، وربما تكون حسية كذلك لأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم، أما نجاستهم البدنية فقد حُكي عن ابن عباس والحسن البصري أنه [illegible] وهو مذهب الظاهرية، بخلاف الجمهور الذين يرون أن نجاستهم في عقائدهم لأن الله أباح طعامهم ومناكحة نساء أهل الكتاب منهم، والله أعلم

فإنْ رجَعَ إلى توحيدِ الربوبيّةِ، وأنْ جميعَ بمشيئتِه، قيل له: فحينئذٍ يكونُ ما يفعلُهُ الشيطانُ والمشركون وأهلُ الكتابِ هو بالأمرِ، ولا ريبَ أنَّه بالأمرِ الكونيِّ القدريِّ، فجميعُ الخلقِ داخلون تحتَه؛ لكنْ مَنْ فعَلَ بمجرَّدِ هذا الأمرِ لا بأمرِ الرسولِ فإنَّما يكونُ مِنْ جنسِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ، / وهو مستوجبٌ لعذابِ اللهِ في الدُّنيا والآخرةِ، وهو عابدٌ بغيرِ اللهِ، متَّبعٌ لهواه، وهو ممَّنْ قالَ اللهُ فيه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾(١)، وممَّنْ قالَ فيهم الشيطانُ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾(٢)، قالَ اللهُ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾(٣)، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾(٤)، وقالَ تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا

اله ١١٠٣

---

١) سورة ص، آية: ٨٥

٢) سورة ص، آية: ٨٢-٨٣

٣) سورة الحجر، آية: ٤٢

٤) سورة النحل، آية: ٩٩-١٠٠

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾[1] فَكَيْفَ تَأْمُرُ بِالشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَتَسَلُّطِ الْكُفَّارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَتْلِ الْكُفَّارِ لِلْمُسْلِمِينَ. هَذَا لَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ كَمَا لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَفْحَشِ الْفَوَاحِشِ، إِذَا جُعِلَتِ الْفَاحِشَةُ اسْماً لِكُلِّ مَا يَعْظُمُ قُبْحُهُ، فَكَانَتْ جَمِيعُ الْقَبَائِحِ الشِّرْكِيَّةِ دَاخِلَةً فِي الْفَحْشَاءِ.

وَكَانَ أَيْضاً بِالشَّامِ بَعْضُ أَكَابِرِ الشُّيُوخِ بِبَعْلَبَكَّ[2] - الشَّيْخُ عُثْمَانُ[3] شَيْخُ دَيْرِ نَاعِسٍ - يَأْتِيهِ خَفِيرُ الْفِرَنْجِ النَّصَارَى زَاكِياً أَسَداً، وَيَغْلُو بِهِ وَيُنَاجِيهِ، وَيَقُولُ: «يَا شَيْخُ عُثْمَانُ وُكِّلْتَ بِحِفْظِ خَنَازِيرِهِمْ»، فَيَعْذُرُهُ عُثْمَانُ وَأَتْبَاعُهُ فِي ذَلِكَ،

---

١) سورة الأعراف، آية: ٢٧-٢٨

٢) بَعْلَبَك: مدينة يونانية قديمة مشهورة بقرب دمشق، وما زال فيها بعض الآثار اليونانية والرومانية، وفيها أبنية عجيبة، وآثار عظيمة، وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدُّنيا، كثيرة الأشجار والمياه والخيرات والثمرات، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وهي الآن من مُدن دولة لُبنان.

انظر: مُعجم البلدان ١/ ٤٥٣

٣) هو عثمان بن محمد بن عبدالحميد التنوخي العدوي، من كبار أئمة الصوفية في بعلبك، شيخ دير ناعس، كان كبير القدر، مات سنة ٦٥١هـ

انظر: تاريخ الإسلام ١١/ ١٠٣، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٤٥

ويرون أن الله أمره بهذا، كما أمر الخضر أن يفعل ما فعل؛ كما عند ابن الركي وأمثاله خفراء المشركين التتار، والجواب جدا كالجواب لذلك، يقال له: وكيف الله تعالى بهذا؟! (الذي) أنزل على لسان نبيه الدين، أمر أن يوالي المسلمين، وأن لا يتخذ اليهود والنصارى أولياء؛ بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت، هو أمرك أن تتوكل بحفظ خنازيرهم، فإن قال هذا؛ ظهر كذبه[1]!.
وإن قال: «بل هو أمر ألقي في قلبي»، لم يكذب، وقيل له: فهذا من أمر الشيطان لا من أمر الرحمن الذي أنزل به كتبه، وأرسل به رسله؛ ولكنه من الأمر الذي كونه وقدره كنزله المشركين الذين قالوا: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾[2].

---

١) سقط في (س) و(ك)، وهي مستدركة من (م).

٢) سورة الأنعام آية: ١٤٨

ومن هؤلاء من يعتقد أن بعض الذين يؤيدون الكفار من المشركين وأهل الكتاب هم أولياء لله، ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة/ الموكلة ببني آدم المعقبات⁽¹⁾.

فقلت لشيخ كان من شيوخهم: محمد أُرسل إلى الثقلين الإنس والجن ولم يرسل إلى الملائكة؛ فكل إنسي أو جني خرج عن الإيمان به فهو عدوٌّ لله لا وليٌّ له بخلاف الملائكة./

ثم يقال له: الملائكة لا يعاونون الكفار على المعاصي، ولا على قتال المسلمين، وإنما يعاونهم على ذلك الشياطين، ولكن الملائكة قد تكون موكَّلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم، فإن ذلك ليس بمعصية، فهذا الجواب بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين.

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لا من جنس الملائكة، وكان هذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار، وكان والده يقال له: محمد الخالدي، نسبة

---

(1) كما قال تعالى في سورة الرعد ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ⑪﴾.

والتعقيب: العود بعد البدء، كما قال الله في سورة النمل والقصص ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

إلى شيطانٍ كان يقرّبُه، يُقالُ له الشيخ حامد، وهم يقولون إنّه من الإنس من رِجالِ الغيْبِ، وحدّثني الثّقةُ عنه أنّه كان يقول «الأنبياءُ [ضيّقوا][1] الطّريق».

ولَعَمْري[2] لقد [ضيّقوا] طريق الشياطين، شياطين الإنس والجنّ، وهؤلاء المشايخ الّذين يحبّون المُسلمين ولكن يُوالون الشّيوخ الّذين يُوالون

---

١) في (س) و(ك) و(م) (ضيّعوا) وهو تصحيفٌ، والأظهر ما أثبته، وقد أورد شيخ الإسلام هذه الجملة في الفُرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان ١٢٥ (ت: اليحيى)، وابن القيّم في مدارج السالكين ٣/ ٤٤٨ بجملة «الأنبياءُ ضيّقوا الطّريق على النّاس»، ويظهر أنّ ابن أبي العز نقلها من ابن القيّم في شرح الطحاوية ٨٦ ولكنه أسقط كلمة (الطّريق) فجاءت عبارته هكذا «الأنبياءُ ضيّقوا على النّاس»، ونقلها العلماء عن ابن أبي العز هكذا، ومنهم علي القاري في كتابه الرّدّ على القائلين بوحدة الوجود ٣١ (ت علي رضا بن عبدالله)، وما رأيتُ أحداً من أهل العِلم ممّن حقق الكتاب أو شرحه أشار إلى ذلك، فالحمد على توفيقه ومنّه

٢) كلمة (لَعَمْري) أو (لَعَمْرك) ليست من الحلف بغير الله، فإن الحليف يلزم استفاؤه بالواو، أو بالباء، أو بالتاء، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال ذلك كما عند الإمام أحمد في مُسنده في قصة جمل جابر بن عبدالله (لعَمْري ما نفعناك لنُنزلك عنه)، وقال فيه الهيثمي: «هو في الصحيح باختصار رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير نبيح العنزي ووثّقه ابن حبان»، وكذلك قوله ﷺ. (كُل لَعَمْري مَن أكل برُقية باطلٍ لقد أكلتَ برُقيةِ حقٍّ) كما عند الإمام أحمد أيضاً في مُسنده، وقد مدح النبي ﷺ رجلاً عنده، وقد سأله حاجةً فلم يجد له ﷺ منها شيئاً، فقال (لعَمْري إنك لتُعطي من شئت)، فلم يُنكر عليه النبي ﷺ، وقد ثبت عن بعض

مُشْرِكِينَ أَتْبَاعَهُمْ عُمَرَاءَ بِكُفْرٍ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ اشْتَرَكُوا هُمْ وَهُمْ فِي أَصْلِ ضَلَالَةٍ، وَهُوَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا الخَوَارِقَ الشَّيْطَانِيَّةَ مِنْ جِنْسِ الكَرَامَاتِ الرَّحْمَانِيَّةِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

فَهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ عَشَوْا عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ، وَهُوَ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَعَنْ الرُّوحِ الَّذِي أَوْحَاهُ اللهُ إِلَى نَبِيِّهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ نُوراً يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَبِهِ يَحْصُلُ الفَرْقُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ

---

الصحابة والتابعين قول ذلك دون نكير، منهم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعائشة بنت أبي بكر، وأسماء بنت عميس، وأبو اليسر كعب بن عمرو، وأسيد بن حضير، وحبيب بن عدي، وعطاء بن أبي رباح، وعبدالله بن المبارك، وغيرهم.
وقد أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في كثير من كتبهما، وللشيخ حماد الأنصاري رسالة باسم (القول المبين في أن لعمري ليست نصاً في اليمين)، وقد ذكر شيخنا ابن عثيمين: أنه لا بأس في قول ذلك، ولا فرق عنده بين (لعمري) أو (لعمرك) لأنها كلها عمر إنسان معروف، والله أعلم.

(١) في (س) و(ك) و(م) (عشوا) وهو تصحيف كما سبق، والأظهر ما أثبت، والله أعلم.

(٢) سورة الزخرف، آية ٣٦.

يفرقوا بين آيات الأنبياء ومعجزاتهم وبين خوارق السحرة والكهان؛ إذ هذا مذهب الجهمية المجبرة.

وهؤلاء كلهم يشتركون في هذا المذهب، فلا يجعلون الله يحب ما أمر به، ويبغض ما نهى عنه؛ بل يجعلون كل ما قدره وقضاه فإنه يحبه ويرضاه، فتبقى جميع الأمور عندهم سواء، وإنما يتميز بنوع من الخوارق فمن كان له خارق جعلوه من أولياء الله وخضعوا له إما اتباعا له وإما موافقة له ومحبة، وإما أن يسلموا له حاله، فلا يحبونه ولا يبغضونه؛ إذ كانت قلوبهم لم يبق فيها من الإيمان ما يعرفون به المعروف، وينكرون به المنكر في هذا الموضع.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف/ [١١٧/١] الإيمان»(١)، وفي رواية لمسلم «من جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٧٠) عن أبي سعيد الخدري.

(بهن حبة خردل) ، ومثلو الأحياء الذين لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً !!.

وفي حديث حذيفة الذي في صحيح مسلم: (إن الفتنة تعرض على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، حتى تبقى القلوب على قلبين: قلب أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة ما دامت السماء والأرض، وقلب أسود مرباد لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه) .

فهؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بآرائهم وذوقهم ووجدهم لا بالأمر والنهي منتهاهم اتباع أهوائهم ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ (٣) لا سيما إذا كانت حقيقتهم هي قول الجهمية المجبرة، فرأوا أن جميع الكائنات اشتركت في المشيئة، ولم يميزوا بعضها عن بعض بأن الله يحب

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٧١) عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، رقم (٢٠٧) عن حذيفة بن اليمان.

(٣) سورة القصص، آية ٥٠

هذا وَيَرْضَاهُ، وَهَذَا يُبْغِضُهُ وَيُسْخِطُهُ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ المَعْرُوفَ، وَيُبْغِضُ المُنْكَرَ، فَإِذَا لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ هَذَا وَهَذَا نُكِتَ فِي قُلُوبِهِمْ نُكَتٌ سُودٌ، فَتَسْوَدُّ قُلُوبُهُمْ، فَيَكُونُ المَعْرُوفُ مَا يَهْوَوْنَهُ وَيُحِبُّونَهُ وَيَجِدُونَهُ وَيَذُوقُونَهُ، وَيَكُونُ المُنْكَرُ مَا يَهْوَوْنَ بُغْضَهُ وَتَنْفِرُ عَنْهُ قُلُوبُهُمْ؛ كَالمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾[1].

وَلِهَذَا يُوجَدُ فِي هَؤُلَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مَنْ يَنْفِرُونَ عَنِ القُرْآنِ وَالشَّرْعِ؛ كَمَا تَنْفِرُ الحُمُرُ المُسْتَنْفِرَةُ الَّتِي تَفِرُّ مِنَ الرُّمَاةِ، وَمِنَ الأَسَدِ، وَلِهَذَا يُوصَفُونَ بِأَنَّهُمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: «قَالَ المُصْطَفَى» نَفَرُوا.

وَكَانَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مِعْضَادٍ[2] يَقُولُ ـ لِمَنْ رَآهُ مِنْ هَؤُلَاءِ كَاليُونُسِيَّةِ وَالأَحْمَدِيَّةِ ـ : يَا خَنَازِيرُ!!، يَا أَبْنَاءَ الخَنَازِيرِ!!، مَا أَرَى للهِ وَرَسُولِهِ عِنْدَكُمْ رَائِحَةً

---

١) سورة المدثر، آية ٤٩-٥١

٢) هو إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبري، الملقب بالشيخ برهان الدين، من الزهاد العبّاد، قال عنه السبكي: «الشيخ الصالح المشهور بالأحوال والمكاشفات ... وكان يعظ الناس، ويتكلم عليهم، وتحصل في مجالسه أحوال سنية، ويحكى عنه كرامات بينة»، مات سنة ٦٣٧هـ.

ينظر: طبقات الشافعية ٨/ ١٢٢، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٧٠

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٥٢) ﴾[1]، كُلٌّ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يُحَدِّثَهُ قَلْبُهُ عَنْ رَبِّهِ،/ فَيَأْخُذُ عَنِ اللهِ بِلَا وَاسِطَةِ الرَّسُولِ ﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[2]، وَبَسْطُ هَذَا لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ قَوْلَ الْقَدَرِيَّةِ الْجَهْمِيَّةِ الْمُجْبِرَةِ أَعْظَمُ مُنَاقَضَةً لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ قَوْلِ النُّفَاةِ. وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ مُظْهِرِينَ لِهَذَا فِي زَمَنِ السَّلَفِ؛ بَلْ كُلَّمَا ضَعُفَ نُورُ النُّبُوَّةِ أَظْهَرُوا حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ. فَإِنَّهُ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ، وَمُنْتَهَاهُمُ الشِّرْكُ، وَتَكْذِيبُ الرُّسُلِ. وَهَذَا جِمَاعُ الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ وَتَصْدِيقَ/ الرُّسُلِ جِمَاعُ الْإِيمَانِ. وَلِهَذَا صَارُوا مَعَ أَهْلِ الْكُفْرِ الْمَحْضِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ. وَبَسْطُ هَذِهِ الْأُمُورِ لَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْقَدَرِيَّةَ الْمُجْبِرَةَ مِنْ جِنْسِ الْمُشْرِكِينَ؛ كَمَا أَنَّ النَّافِيَةَ مِنْ جِنْسِ الْمَجُوسِ، وَأَنَّ الْمُجْبِرَةَ مَا عِنْدَهُمْ سِوَى الْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَالنَّافِيَةُ تَنْفِي الْقُدْرَةَ الْعَامَّةَ وَالْمَشِيئَةَ التَّامَّةَ، وَتَزْعُمُ أَنَّهَا تُثْبِتُ الْحِكْمَةَ وَالْعَدْلَ،

---

[1] سورة المدثر، آية ٥٢

[2] سورة الأنعام، آية ١٢٤

وفي الحقيقة كلاهما ثابت لحكمته والعدل والمشيئة والقدرة كما قد بسط في مواضع.

وأولئك يتعلقون بقوله: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ (١)، و﴿ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢)، وهذا ذكره الله إثباتاً لقدرته لا نفياً لحكمته وعدله؛ بل بين سبحانه أنه يفعل ما يشاء، فلا أحد يمكنه أن يعارضه إذا شاء شيئاً، بل هو قادر على فعل ما يشاء؛ بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها.

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت؛ فإن الله لا مكره له، ولكن ليعزم المسألة» (٣)، وذلك أنه إنما يقال: افعل كذا إن شئت لمن قد يفعله مكرهاً، فيفعل ما لا يريد لدفع ضرر الإكراه عنه، والله تعالى لا مكره له، فلا يفعل إلا ما يشاء.

---

١) سورة الأنبياء، آية: ٢٣

٢) سورة آل عمران، آية: ٤٠، وسورة الحج، آية: ١٨

٣) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب: ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، رقم (٥٨٦٤)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت، رقم (١٨٣٩) كلاهما عن أبي هريرة

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١)، وقوله: ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٢)، ونحو ذلك هو لإثبات قدرته على ما يشاء، وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون إنه لم يشأ كل ما كان؛ بل لا يشاء إلا الطاعة، ومع هذا فقد شاءها، ولم تكن من عصاه، وليس هو قادراً عندهم على أن يجعل العبد لا مطيعاً ولا عاصياً.

فهذه الآيات التي تحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة؛ كما أن الآيات التي يحتج بها النفاة التي تدل على أنه حكم عادل لا يظلم مثقال ذرة، وأنه لم يخلق الخلق عبثاً، ونحو ذلك، تدل على فساد قول المجبرة.

وليس في هذه الآيات ولا هذه ما يدل على صحة قول واحدة من الطائفتين؛ بل ما تحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الأخرى، وكلا القولين باطل، وهذا هو الذي نهى عنه النبي ﷺ في الحديث الذي في المسند وغيره وبعضه في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر. هذا يقول: ألم يقل الله كذا؟، وهذا يقول:

---

(١) سورة الحج، آية: ١٨

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٢٩، وسورة المائدة، آية: ١٨، وسورة الفتح، آية: ١٤

أَمْ بِهَذَا أَمَرَكُمُ اللهُ كَذَا ؟، فَكَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ (أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ [الله ١٢١]
أَمْ/ إِلَى هَذَا دُعِيتُمْ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ؟) .

وَلِهَذَا قَالَ أَحْمَدُ فِي بَعْضِ مُنَاظَرَاتِهِ لِمَنْ صَارَ يَضْرِبُ الآيَاتِ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ: «إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنْ هَذَا»[٢].

فَمَنْ دَفَعَ نُصُوصاً يَحْتَجُّ بِهَا غَيْرُهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا؛ بَلْ آمَنَ بِمَا يَحْتَجُّ صَارَ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَيَكْفُرُ بِبَعْضٍ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الأَهْوَاءِ؛ هُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي

---

١) رواه ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب في القدر، رقم (٨٢)، والإمام أحمد ٢/ ١٧٨.
كلاهما عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
قال الألباني: «حسن صحيح» كما في صحيح ابن ماجة، وظلال الجنة.
وأما رواية مسلم فهي ما جاء في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم (٤٨١٨) عن عبدالله بن عمرو أنه قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً. قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية !! فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب. فقال (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب)
٢) وذلك في رسالته للخليفة المتوكل، وقد ذكر هذه الرسالة الإمام عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ١٣٤، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ٢١٦ - ٢١٧، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ٤٦١، بلفظ: «إنا قد نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض»، وقد ذكر ذلك أيضاً شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ١٤٦، والنبوات ١/ ٤٢٦

بكتب، مختلفون في الكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، وقد تركوا كلهم بعض النصوص، وهو ما يجمع تلك الأقوال، فصاروا كما قال عن أهل الكتاب: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [1].

فلمّا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء؛ إذ لم يبق هنا حقٌّ جامعٌ يشتركون فيه، بل ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝﴾ [2]، وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق إلا ما وافقوا فيه الرسول، وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به، وما أمر به.

وأمّا ما ابتدعوه فكلّه ضلالة كما قال ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ بدعة ضلالة» [3]. ص ١٦٦ وقد تكون تلك البدعة/ أعظم عندهم مما أخذوا به

---

١) سورة المائدة آية: ١٤

٢) سورة المؤمنون آية: ٥٣

٣) رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٣٩٩١)، وابن ماجة في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين رقم (٤٢) كلاهما عن العرباض بن سارية.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال الألباني «صحيح» كما في الصحيحة رقم (٢٧٣٥)، وغيرها.

مِنَ الشَّرْعِيَّة، يَجْعَلُونَ تِلْكَ هِيَ الأُصُولَ العَقْلِيَّةَ كَالقَدَرِيَّةِ المُجْبِرَةِ والنُّفَاة.
فَكِلَاهُمَا يَجْعَلُ مَا أَحْدَثُوهُ مِنَ الكَلَامِ فِي الأُصُولِ ـ وَهُوَ الَّذِي يُسَمُّونَهُ العَقْلِيَّاتِ
ـ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ مِمَّا تَلَقَّوْهُ مِنَ الشَّرْعِ.

من أعظم أسباب الضلال عند الفرق هو تقديمهم العقل البشري على الوحي الرباني

فَالمُعْتَزِلَةُ يَجْعَلُونَ العَقْلِيَّاتِ هِيَ الخَبَرِيَّاتِ وَالأَمْرِيَّاتِ جَمِيعاً كَالوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، لَكِنْ يَقُولُونَ أَيْضاً إِنَّ الشَّرْعَ أَوْجَبَهَا، وَلَكِنْ لَهُمْ فِيهَا تَخْلِيطٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ.

وَكَذَلِكَ مَا ابْتَدَعُوهُ فِي الخَبَرِيَّاتِ كَإِثْبَاتِ حُدُوثِ العَالَمِ بِطَرِيقَةِ الأَعْرَاضِ وَاسْتِلْزَامِهَا لِلأَجْسَامِ، وَهُمْ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ وَالقَدَرَ، وَيُسَمُّونَ ذَلِكَ التَّوْحِيدَ وَالعَدْلَ.

وَجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَأَتْبَاعُهُ هُمْ أَعْظَمُ نَفْياً مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَنْفُونَ الأَسْمَاءَ مَعَ الصِّفَاتِ، وَهُمْ رُءُوسُ المُجْبِرَةِ، وَالأَشْعَرِيَّةُ وَافَقَتْهُمْ فِي الجَبْرِ؛ لَكِنْ نَازَعُوهُمْ نِزَاعاً لَفْظِيّاً فِي إِثْبَاتِ الكَسْبِ، وَالقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ هَذِهِ الأُصُولَ العَقْلِيَّةَ ـ وَهِيَ العِلْمُ بِمَا يَجِبُ لِلرَّبِّ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ مِنَ الأَفْعَالِ ـ هِيَ أَعْظَمُ العُلُومِ وَأَشْرَفُهَا، وَأَنَّهُمْ بَرَزُوا بِهَا عَلَى الصَّحَابَةِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يُعَلِّمْهَا الصَّحَابَةَ، إِمَّا لِكَوْنِهِ وَكَلَهَا إِلَى اسْتِنْبَاطِ

الأمة. وإما لكون الصحابة كانوا مشغولين عنها بالجهاد. وإما لكونه قال لهم في ذلك ما لم يبلغوه ولم يشغلهم بالأدلة لاشتغالهم بالجهاد. ...»

وهذه هي الأصول العقلية التي يعتمدون عليها هم ومن يوافقهم كالقاضي أبي يعلى[1]، وأبي المعالي[2]، وأبي الوليد الباجي[3]، تبعاً للقاضي أبي بكر

---

(1) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، أبو يعلى الحنبلي البغدادي، الإمام القاضي الفقيه المجتهد الزاهد، انتهت إليه رياسة الحنابلة في زمانه، وله عدة مصنفات منها (إبطال التأويلات لأخبار الصفات)، و(مسائل الإيمان)، توفي سنة ٤٥٨هـ.
ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٨٩، طبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣، شذرات الذهب ٣/ ٣٠٦

(2) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، أبو المعالي النيسابوري، إمام فقيه أصولي متكلم، اشتهر بلقب إمام الحرمين، له مصنفات العديدة، من أشهرها (غياث الأمم في التياث الظلم)، و(البرهان في أصول الفقه)، مات سنة ٤٧٨هـ.
ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨، طبقات الشافعية ٥/ ١٦٥

(3) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي، أبو الوليد الباجي، الإمام القاضي الفقيه المالكي، له مصنفات عديدة منها (المنتقى شرح الموطأ)، مات سنة ٤٧٤هـ.
ينظر: ترتيب المدارك ٢/ ٨٠١، سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٤

وَأَمْثَالِهِ، وَهُوَ وَأَتْبَاعُهُ يُنَاقِضُونَ عَبْدَالجَبَّارِ[1] وَأَمْثَالَهُ، كَمَا نَاقَضَ الأَشْعَرِيُّ وَأَمْثَالُهُ أَبُو عَلِيٍّ[2] وَأَبُو القَاسِمِ[3].

---

١) هو عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الأسد أبادي، أبو الحسن الهمذاني الشافعي، رئيس قضاة المُعتزلة، إمامٌ فقيهٌ مُتكلمٌ، له المُصنفات الشهيرة منها (شرح الأصول الخمسة)، و(دلائل النبوة)، مات سنة ٤١٥هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٤٤، طبقات الشافعية ٣/ ٢١٩، شذرات الذهب ٣/ ٢٠٢.

٢) في (س) و(ك) و(م) [أبا علي] بالنصب، وهذا فيه إشكالٌ تاريخي لأن الأشعري توفي سنة ٣٢٤هـ وأبا عليٍّ ولد في سنة ٣٤٦، أي بعد وفاة الأشعري بـ ٢٢ سنة، فيستحيل أن يُناقض الأشعريُّ أبا عليٍّ وهو لم يولد بعد.

وأبو عليٍّ هو: محمد بن أحمد بن عبدالله بن الوليد الكرخي، رَأْسُ المُعْتَزِلَةِ البَغْدَادِيَّةِ وَزَعِيمُهُم، أتقن علم الاعتزال عن أبي الحسين البصري، وكان له الأثر الكبير في دخول العقلية المُعتزلية على الحنابلة حيث تتلمذ عليه ابن عقيل الحنبلي في عِلم الكلام، فتأثَّر به، وأثَّر به على تلاميذه كابن الجوزي وغيره، توفي سنة ٤٧٨هـ.

يُنظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٩، لسان الميزان ٥/ ٥٦، شذرات الذهب ٣/ ٣٦٢.

٣) في (س) و(ك) و(م) [أبا القاسم] بالنصب، وهذا فيه إشكالٌ تاريخي كذلك لنفس العلة السابقة، وهو من أقران وأصحاب أبي عليٍّ المعتزلي.

وأبو القاسم هو: ابن التبان البغدادي، من كبار أئمة المعتزلة في بغداد، تتلمذ كذلك على أبي الحسين البصري، ولم أقف له على ترجمة وافية فيما بين يدي من المراجع غير ذكر كُتبه ولقبه وبلده ومذهبه وشيخه فقط. وشيخُ الإسلام ابن تيميةَ يذكره دائماً قريناً لأبي علي ابن الوليد، كما في درء التعارض ٤/ ٢٦٩، وشرح حديث النزول ٢٠٣، وجوابه عن صفات الرحمن كما في الفتاوى ٣/ ٢٢٨، وجوابه عن التأويل في الصفات كما في الفتاوى ٦/ ٥٤، وكذلك غالب المؤرخين يجمعونهما في شيوخ أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي عند ترجمته، لأنهما من شيوخه، وبهما انحرف عن السنة، والله أعلم.

وقد قال عنهما شيخ الإسلام كما في الفتاوى ٣/ ٢٢٨ «كُنْتُ أُقَرِّرُ هذَا لِلحَنْبَلِيَّة، وَأُبَيِّنُ أَنَّ الأَشْعَرِيَّ وَإِنْ كَانَ مِنْ تَلَامِذَةِ المُعْتَزِلَةِ ثُمَّ تَابَ، فَإِنَّهُ كَانَ تِلْمِيذَ الجُبَّائِي، وَمَالَ إِلَى طَرِيقَةِ ابنِ كُلَّابٍ، وَأَخَذَ عَنْ زَكَرِيَّا السَّاجِي أُصُولَ الحَدِيثِ بِالبَصْرَةِ، ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ أَخَذَ عَنْ حَنْبَلِيَّةِ بَغْدَادَ أُمُوراً أُخْرَى، وَذَلِكَ آخِرُ أَمْرِهِ كَمَا ذَكَرَهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فِي كُتُبِهِمْ. وَكَذَلِكَ ابنُ عَقِيلٍ كَانَ تِلْمِيذَ ابنِ الوَلِيدِ وَابنِ التَّبَّانِ المُعْتَزِلِيَّيْنِ ثُمَّ تَابَ مِنْ ذَلِكَ، وَتَوْبَتُهُ مَشْهُورَةٌ بِحَضْرَةِ الشَّرِيفِ أَبِي جَعْفَرٍ، وَكَمَا أَنَّ فِي أَصْحَابِ أَحْمَدَ مَنْ يُبْغِضُ ابنَ عَقِيلٍ وَيَذُمُّهُ: فَالَّذِينَ يَذُمُّونَ الأَشْعَرِيَّ لَيْسُوا مُخْتَصِّينَ بِأَصْحَابِ أَحْمَدَ، بَلْ فِي جَمِيعِ الطَّوَائِفِ مَنْ هُوَ كَذَلِكَ».

وقد قال عنهما الدكتور محمد رشاد سالم في تحقيقه لدرء التعارض «لم أجد لهما ترجمة فيما بين يدي من مراجع»، وقال عنهم كذلك الدكتور محمد العيسى في تحقيقه لشرح حديث النزول «لم أقف على ترجمتهم». ثم من حقق ترجمة أبي علي هنالك لإتمام الفائدة، والله أعلم

وَكُلُّ الأُصُولِ العَقْلِيَّةِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ بَاطِلَةٌ فِي العَقْلِ وَالشَّرْعِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ تَعْتَقِدُ أَنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الدِّينِ، وَيُقَدِّمُونَهَا عَلَى الأُصُولِ الشَّرْعِيَّةِ.

فَإِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَا يُعَظِّمُهُ العُبَّادُ وَالزُّهَّادُ وَالفُقَرَاءُ وَالصُّوفِيَّةُ مِنَ الخَوَارِقِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَيُفَضِّلُونَهَا عَلَى العِبَادَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالعِبَادَاتُ الشَّرْعِيَّةُ هِيَ الَّتِي مَعَهُمْ مِنَ الإِسْلَامِ، وَتِلْكَ كُلُّهَا بَاطِلَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ مِنَ العِبَادَاتِ حَتَّى يَقُولُوا: «نِهَايَةُ الصُّوفِيِّ ابْتِدَاءُ الفَقِيهِ، وَنِهَايَةُ الفَقِيهِ ابْتِدَاءُ المُوَلَّهِ»[1].

---

(١) الوَلَهُ يأتي في اللغة على معانٍ منها ذهاب العقل، والتحير من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف، والوَلَهُ عند الصوفية من أعلى المراتب عندهم، ولا يأتي الصوفي البسيط عند الوهلة منهم شيئاً، وهم عادة يعيشون بين القمائم والقاذورات والنجاسات، ولا يُصلون، وكأنهم أشبه بالمجانين، ويستعينون بالجن والشياطين، ويُلصق بهم العامة الحكايات والكرامات!!، وقد قال شيخ الإسلام في قاعدة في المعجزات كما في مجموع الفتاوى ١١/ ٣٣٠: «وإن سلك ـ الصوفي ـ طريق الوَلَهُ والاختلاط بترك الشهوات ليتصل بالأرواح الجنية، وتغيب النفوس عن أجسامها كما يفعل مُولَّهو الأحمدية فقد أزال عقله، وأذهب ماله ومعيشته، وأشقى نفسه شقاء لا مزيد عليه، وعرض نفسه لعذاب الله في الآخرة، لما تركه من الواجبات، وما فعله من المحرمات».

وكذلك صاحب (ضرب المشتريين) يذكر في كل باب ثلاث درجات:

فالأولى: - وهي أعوتها عندهم - توافق الشرع في الظاهر.

والثانية: قد توافق الشرع، وقد لا توافق.

والثالثة: في الأغلب تخالف؛ لا سيما في التوحيد، والفناء، والرجاء، ونحو ذلك.

وهذا الذي ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل، وكثير من عبادهم يفضل نوافله على أداء الفرائض، وهذا كثير [الله أعلم آخره][1]"[2].

والحمد لله وحده.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

والحمد لله رب العالمين.//

م ٦٠ هـ ١٣٣

---

[1] في (م) (والله أعلم).

[2] الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فقد تم تحقيق ودراسة كتاب الفرقان بين الحق والبطلان لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية رحمه الله في غرة رمضان لعام اثنين وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة مع إضافة وتعليقات شيخنا الدكتور عبدالرحمن بن صالح محمود جزاه الله عني خير الجزاء، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الخاتمة

وقفتُ حائراً أتأملُ ماذا أختم عن سيرة الجبل الأشمّ، والأسد الغرنْزرَمْ، والبحر المتلاطِم، والكنز المتراكِمْ.

رأيتُكَ في الذِّهنِ أرَى مُلوكـاً كأنـكَ مُسْتقيـمٌ فـي مُحـالِ
فإنْ تَفُـقِ الأنـامَ وأنـتَ منهُـمْ فـإنَّ المسـكَ بعضُ دَمِ الغـزالِ

إنَّ شيخ الإسلام أبا العبَّاس ابن تيميَّة هِبةٌ من الله جَلَّ في عُلاه لأُمَّة تكالبت عليها الشُّهوات والشُّبهات، وأثخن في جراحها أهل الضلالات، فقد كان آية بيِّنة من آياته، وصدق فيه قول رب النَّاس: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ (١)، عاش في فترة من الزمن، ثم مات كما يموت العُظماء، عالِماً مُجاهداً، ومُعلِّماً تقيّاً، وصابراً مُحتسباً.

ولقد ظهرت لي منافع كثيرة خلال مسيرتي في هذا الكتاب المُبارك، ومن أهمها:

[١] ضرورة الاعتناء بكُتب السَّلف الصالح عموماً - وهي كثيرة - تحقيقاً ودراسة، وتحبيب الطُّلاب في التعلُّم منها، وتعليق النشء عليها، وتعظيم السَّلف في أعينهم وقلوبهم، ومعرفة آثارهم ومآثرهم.

---

(١) سورة الحج، آية ٧٥

[٢] ضرورة تحقيق ودراسة مصنفات ورسائل شيخ الإسلام ابن تيميّة التي لم يُعتن بها، أو ما كانت في بطون المكتبات الخاصّة والعامة، أو إعادة تحقيق ما يُجزم بأنّ في تحقيقه نقصاً، أو لم يكن على نُسخ خطّية.

[٣] مع قراءتي المتواصلة لمصنفات شيخ الإسلام ابن تيميّة في العقيدة أو التفسير أو الفقه أو غيرها وجدتُ أنّ بعضها حُقّق كرسائل علمية منذ زمن، ولم تظهر بعدُ على السّاحة العلمية؛ مع أنّ المطابع والدور تتنافس على طباعتها بأجود ورق، وأجمل تنسيق، ومع ذلك فما زالت حبيسة الأرفف، والله المستعان.

[٤] أتمنى من مشايخنا الكرام وأخص منهم من كتب في سيرة شيخ الإسلام ابن تيميّة أن يُصنّف كتاباً عن سيرة شيخ الإسلام كاملة بكل ما فيها من أحداث موثّقة، ودراسة منهجيته في العلم والتصنيف، فإنّي ما وجدتُ أحداً ـ على حسب علمي ـ كتب عنه السيرة الدقيقة مع التحقيق والتمحيص، ولو كان في أربع مجلدات فأكثر لكان أضبط وأبدع.

[٥] ما زلت أطمع من مشايخي وأهل العلم والفضل أن يتفضلوا علينا في تصنيف متين من كلام شيخ الإسلام، أمّا أحدهما ففي (توحيد الألوهية)، وأمّا الآخر ففي (الفقه الشرعي)، وأسأل الله أن نراهما قريباً بين أيدي طُلّاب العلم

[٦] أتمنى من مشايخي وأهل العلم والفضل أن يدعوا في تصنيف موسوعتين عن (المِلل والنحل عند شيخ الإسلام ابن تيميَّة، جمع ودراسة)، و(التعريفات العِلمية عند شيخ الإسلام ابن تيميَّة، جمع ودراسة)، وأمَّا الأول فقد أُخذ كرسائل عِلمية مُتفرقة، وبعضها لم يُطبع بعدُ!!، وأمَّا الثاني فقد أخذ الدكتور سليمان الرحيلي جزءاً منه بعنوان (التعريفات الأصولية في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة)، وقد نفس فيه جزاه الله خيراً، ولكنه ليس على الفِكرة التي أطمح إليها، وأرجو تحقيقها.

[٧] مع بداية تحقيقي لهذا الكتاب العظيم لم يخطر ببالي أنِّي سأقف أمام أكثر مِن خمسين سقطاً أو تصحيفاً، وأندهشتُ لكثرة الطبعات لهذا الكتاب، والتي بلغت قرابة العشر طبعات، ومع ذلك لم يُصحح تلك التصحيفات، أو يُسَدُّ تلك السقطات، وما أعلم إلاَّ أنَّ النَّاس مجبولون على السهو والغلط والنسيان، والله يعفو ويصفح بلا حُسبان.

[٨] جهد شيخ الإسلام في هذا الكتاب عظيمٌ، وله مِن الفوائد والدُّرر ما لا يكاد يوجد في غيره، فأتمنى مِن مشائخي وأهل العِلم والفضل النظر في ذلك، واعتماد تدريس هذا الكتاب في الجامعات وحِلق المساجد ليعُم النفع به.

[٩] الرَّد على الفِرق والطوائف المُخالفة لأهل السُّنة مِن منهج السَّلف القويم، ونحن في هذا الزمن أولى بأن نعرف مُعتقد أهل السُّنة وشبهات

منهم، وكيف ردّ عليهم بنفسه، ومن عجيب شبهات قد كفانا السلفُ مؤنة الرد عليها، وكشف عوارها، وإنما ينقل أهل البدع بعضهم من بعض، فأين هم من تقريرات أئمة السلف في هدم تلك الشبهات.

رحم الله شيخ الإسلام أبا العباس ابن تيميةَ وأنصاره، وخلّف لنا في هذه الأمة أمثالهم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

# الفهارس

## فهرس المراجع

١ - آراء باطلة وروايات خاطئة في سير الأنبياء والمرسلين، للشيخ عبدالعزيز سدحان، بدون دار.

٢ - آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور عبدالله السند، دار التوحيد للنشر.

٣ - أبجد العلوم لصدّيق حسن القنوجي، دار ابن حزم.

٤ - الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد.

٥ - الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: صالح العصيمي، دار الفضيلة.

٦ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبدالله ابن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: الدكتور رضا بن نعسان معطي، دار الراية.

٧ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبدالله ابن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: الدكتور عثمان بن عبدالله الأثيوبي، دار الراية.

٨ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبدالله ابن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: الدكتور يوسف بن عبدالله الوابل، دار الراية.

٩- البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: الدكتور عبدالستار أبو غُدَّة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت.

١٠- الإبهاج في شرح المنهاج، للإمام علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية.

١١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية.

١٢- إثبات الحدِّ لله عز وجل، وبأنَّه قاعدٌ وجالسٌ على عرشه، لأبي محمد محمود الدشتي، تحقيق مُسلط العتيبي، وعادل آل حمدان، بدون دار نشر.

١٣- الإثبات في مخطوطات الأئمة، للدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل، دار الرشد.

١٤- اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المُعطلة والجهميَّة، للإمام ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد.

١٥- الأحاديث المُسندة الواردة في الخوارج وصفاتهم جمعاً ودراسة، للدكتور عبدالعزيز الأمين، دار الرشد.

١٦- أخبار العُلماء بأخبار الحكماء، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، دار الكتب العلمية.

١٧- الإخنائية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الشيخ أحمد بن موسى العنزي، دار الخراز.

١٨- الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية

١٩- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي.

٢٠- الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيميةّ، تحقيق: الدكتور محمّد رشاد سالم، دار الفضيلة.

٢١- الاستغاثة في الرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيميةّ، تحقيق: الدكتور عبدالله بن دُجين السهلي، مكتبة دار المنهاج.

٢٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للحافظ ابن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: عادل مرشد، دار الأعلام.

٢٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، تحقيق: علي البجاوي، دار الكتب العلمية.

٢٤- أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميةّ لابن قيّم الجوزية الد تحقيق: صلاح الدّين المنجد، دار الكتاب الجديد.

٢٥- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ببيروت.
٢٦- أصول الدين عند أبي حنيفة، للدكتور محمد الخميس، دار الصميعي.
٢٧- الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، مكتبة التوحيد.
٢٨- الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبدالرحمن الشقير، وآخرون، دار ابن الجوزي.
٢٩- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية.
٣٠- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن عبدالحميد الحلبي، دار ابن الجوزي.
٣١- أعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن الجوزي.
٣٢- أعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
٣٣- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للشيخ علي بن أبي الخير العمراني، تحقيق: الدكتور سعود الخلف، أضواء السلف

٣٤- الأنساب، للإمام عبدالكريم السمعاني، تعليق: عبدالله عمر البارودي، دار الجنان.

٣٥- الإيمان، للإمام ابن أبي شيبة، تحقيق: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف.

٣٦- الإيمان، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلاَّم، تحقيق: العلاَّمة محمَّد ناصر الدّين الألباني، دار المعارف.

٣٧- الإيمان الأوسط (شرح حديث جبريل)، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي.

٣٨- الإيمان الأوسط، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: محمود أبو سن، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٣٩- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تخريج: العلاَّمة محمَّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي.

٤٠- الإيمان الكبير، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمَّد سعيد إبراهيم، رسالة دكتوراه غير منشور.

٤١- الإيمان عند السَّلف وعلاقته بالعمل، للشيخ محمَّد بن محمود آل خضير، مكتبة الرشد.

٤٢- إجابة السائل شرح بغية الأمل، للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: القاضي حسين السياغي، والدكتور حسن الأهدل، مؤسسة الرسالة.

٤٣- أحكام القرآن، لابن العربي المعافري، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٤٤- أحكام القرآن، لابن العربي المعافري، تخريج وتعليق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية.

٤٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد الأزرقي، تحقيق: الدكتور عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي.

٤٦- اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى، لأبي يوسف الأنصاري، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، مطبعة الوفاء بمصر

٤٧- أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور أحمد بن عبدالعزيز الحليبي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر.

٤٨- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، للإمام البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة.

٤٩- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية.

٥٠ - إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر.

٥١ - إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيميَّة، للدكتور محمَّد العواجي، مكتبة دار المنهاج.

٥٢ - إقامة الدَّليل على بُطلان التحليل، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور فيحان المطيري، دار لينة.

٥٣ - اقتضاء الصراط المستقيم لُمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور ناصر العقل، مكتبة الرشد.

٥٤ - الأعلام، لخير الدِّين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين.

٥٥ - الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيميَّة، لعُمر البزَّار، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

٥٦ - الأم، للإمام محمَّد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة ببيروت.

٥٧ - الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيَّان التوحيدي، تحقيق: محمَّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية.

٥٨ - إملاء ما منَّ به الرَّحمن من وجوه الإعراب والقراءات، لأبي البقاء العُكبري، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية بباكستان.

٥٩- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للباقلاني، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث

٦٠- أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيميَّة، للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيميَّة بالكويت.

٦١- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا بن محمد أمين البابانى، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٦٢- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي وآخرون، دار هجر.

٦٣- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي.

٦٤- البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاَّق، دار ابن كثير.

٦٥- البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية.

٦٦- البُرهان في أصول الفقه، للإمام الحرمين الجويني، تحقيق: الدكتور عبدالعظيم الديب، دار الأنصار بالقاهرة.

٦٧ - البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق: الدكتور يوسف المرعشلي، وآخرون، دار المعرفة.

٦٨ - البُرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، لأبي الفضل السكسكي الحنبلي، تحقيق: الدكتور بسّام العموش، مكتبة المنار.

٦٩ - بُغية المُرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الاتحاد، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: الدكتور موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم.

٧٠ - بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُحاة، لجلال الدّين السيوطي، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية.

٧١ - بيان تلبيس الجهْميّة في تأسيس بدعهم الكلامية، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: الدكتور يحيى الهنيدي، وآخرون، مُجمع الملك فهد لطباعة المُصحف الشريف.

٧٢ - تاج التراجم، للحافظ قاسم بن قطلوبُغا، تحقيق: محمّد خير يوسف، دار القلم.

٧٣ - تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض الزّبيدي، تحقيق: مجموعة من المُختصين، دار الهداية.

٧٤ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذّهبي، تحقيق: الدكتور عمر تدمري، دار الكتاب العربي

٧٥- التاريخ الإسلامي، للأستاذ محمود شاكر، المكتب الإسلامي.

٧٦- التاريخ الكبير، للإمام أبي عبدالله البخاري، تحقيق: السيّد هاشم الندوي، دار الكتب العلمية.

٧٧- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.

٧٨- تبيين كذب المُفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لعلي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي.

٧٩- تثبيت دلائل النبوة، للقاضي عبدالجبار بن أحمد المُعتزلي، تحقيق: عبدالكريم عثمان، الدار العربية للطباعة والنشر.

٨٠- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العُلا المباركفوري، دار الكتب العلمية.

٨١- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور يحيى الهنيدي، مكتبة الرشد.

٨٢- التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمَّد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان.

٨٣- تذكرة الحُفّاظ، للذّهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.

٨٤- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض اليحصبي، تصحيح: محمَّد سالم هاشم، دار الكتب العلمية.

٨٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: محمد الطنجي، وآخرون، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية.

٨٦- التسعينية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمد العجلان، مكتبة المعارف.

٨٧- التعريفات، لعلي الجرجاني، تحقيق: الدكتور محمد المرعشلي، دار النفائس.

٨٨- التعريفات الاعتقادية، للشيخ سعد بن محمد آل عبداللطيف، دار الوطن.

٨٩- تغليق التعليق على صحيح البُخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: شيخ سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمَّار.

٩٠- تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القُرآن العظيم)، تحقيق: أسعد الطيِّب، مكتبة نزار.

٩١- تفسير ابن الجوزي (زاد المسير)، تحقيق: محمَّد بن عبدالرحمن، دار الفكر.

٩٢- تفسير ابن الجوزي (زاد المسير)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

٩٣- تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق: محمَّد النمر، وعثمان ضُميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة.

٩٤- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)، دار إحياء التراث العربي.

٩٥- تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، تحقيق. مركز هجر للبحوث، دار هجر.

٩٦- تفسير الشنقيطي (أضواء البيان)، اعتنى به: الشيخ عطية محمد سالم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٧- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة.

٩٨- تفسير أبي حيان (البحر المحيط)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر.

٩٩- تفسير الألوسي (روح المعاني)، تحقيق. علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية.

١٠٠- تفسير الطبري (جامع البيان)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

١٠١- تفسير الطبري (جامع البيان)، تحقيق: محمود شاكر، دار المعارف.

١٠٢- تفسير الطبري (جامع البيان)، تحقيق: المكتب العلمي بدار هجر.

١٠٣- تفسير الطبري (جامع البيان)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

١٠٤- تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، تعليق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.

١٠٥- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب.

١٠٦- تفسير الطاهر ابن عاشور (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر.

١٠٧- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد.

١٠٨- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: صغير أحمد الباكستاني، دار العاصمة.

١٠٩- تلخيص الاستغاثة المعروف بالرّد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمّد علي عجال، مكتبة الغُرباء الأثرية.

١١٠- التمهيد في أصول الفقه، لأبي الخطّاب الكلوذاني الحنبلي، تحقيق: الدكتور مفيد أبو عمشة، طبع جامعة أم القُرى.

١١١- التنبيه والرّد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، تحقيق: يمّان الميادينى، دار رمادي للنشر.

١١٢- تهذيب الأسماء واللُّغات، لأبي زكريا النووي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية.

١١٣- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة.

١١٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ أبي الحجّاج يوسف المزي، تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة.

١١٥ - توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيّم، للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١١٦ - التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمّد المناوي، تحقيق: الدكتور محمّد رضوان الداية، دار الفكر المُعاصر.

١١٧ - الثقات، لأبي حاتم ابن حبّان البستي، تحقيق: السيّد شرف الدّين أحمد، دار الفكر.

١١٨ - جامع بيان العلم وفضله، للإمام ابن عبدالبر النمري القرطبي، حققه أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي.

١١٩ - جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: الدكتور محمّد رشاد سالم، دار المدني.

١٢٠ - جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: فواز زمرلي، دار ابن حزم.

١٢١ - الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيميّة خلال سبعة قرون، جمع: محمّد عُزير شمس، وعلي محمّد العمران، دار عالم الفوائد.

١٢٢ - الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٢٣ - جزءٌ فيه امتحان السُّني من البدعي، لأبي الفرج عبدالرّحيم المقدسي، تحقيق: الدكتور فهد المقرن، دار الإمام مالك.

١٢٤- جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، للعلامة أبي البركات الآلوسي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية.

١٢٥- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي الظاهري، دار الكتب العلمية.

١٢٦- جواب الاعتراضات المصرية على الفُتيا الحموية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: محمَّد عُزير شمس، دار عالم الفوائد.

١٢٧- جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به الرسول ﷺ من أنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثُلث القرآن، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: عبدالعزيز فتحي السيِّد، دار القاسم.

١٢٨- الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور علي الألمعي، والدكتور عبدالعزيز العسكر، والدكتور حمدان الحمدان، دار الفضيلة.

١٢٩- الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، لابن دقماق العلائي، تحقيق: الدكتور سعيد عاشور، طبع جامعة أم القُرى.

١٣٠- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، للقاضي زكريا الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المُبارك، مطبوعات مركز جمعة الماجد بدُبي، دار الفكر المُعاصر.

١٣١ - تهذيب سنن أبي داود، للإمام ابن القيم، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر والشيخ محمد حامد الفقي، دار المعرفة.

١٣٢ - حاشية رد المحتار على الدُّر المختار، للشيخ محمد أمين المشهور بابن عابدين، دار الفكر.

١٣٣ - حاشية الروض المربع، للشيخ عبدالرحمن بن قاسم، بدون دار.

١٣٤ - حاشية مختصر الخرقي، للشيخ محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، مكتبة المعارف.

١٣٥ - الحاوي للفتاوي، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية.

١٣٦ - الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للدكتور محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى.

١٣٧ - حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، لجلال الدين السيوطي، اعتناء: خليل المنصور، دار الكتب العلمية.

١٣٨ - الحِطّة في ذكر الصحاح الستة، لصدّيق حسن القنوجي، تحقيق: علي حسن عبدالحميد الحلبي، دار الجيل ببيروت، دار عمّار بعمّان.

١٣٩ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية ببيروت.

١٤٠- الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور حمد التويجري، مكتبة دار المنهاج.

١٤١- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، للأستاذ محمد بهجة البيطار، المكتب الإسلامي.

١٤٢- ختم الأولياء للحكيم الترمذي، تحقيق: عثمان إسماعيل يحيى، المطبعة الكاثوليكية ببيروت.

١٤٣- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية، للإمام أبي عبدالله البخاري، تحقيق: الدكتور فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء.

١٤٤- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، ١١ مجلد.

١٤٥- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، ٤ مجلدات.

١٤٦- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور سعود الخلف، أضواء السلف.

١٤٧- الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل.

١٤٨- الدرة العثيمية بشرح فتح رب البرية، للشيخ محمد بن صالح عثيمين، أعده: عزاي الأسلمي، وفهد العامدي، مكتبة الإمام الذهبي.

١٤٩ - دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور عبدالله بن صالح الغصن، دار ابن الجوزي.

١٥٠ - دلائل النبوة، للإمام أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، وعبدالبر عباس، دار النفائس.

١٥١ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للإمام البيهقي، تحقيق. الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث.

١٥٢ - دليل المكتبة العقدية، للشيخ محمد بن عبد العزيز الشايع، دار زدني.

١٥٣ - دليل الرسائل الجامعية في علوم شيخ الإسلام ابن تيمية، لعثمان بن محمد الأخضر شوشان، مؤسسة الوقف الإسلامي.

١٥٤ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق: مأمون الجنان، دار الكتب العلمية.

١٥٥ - ديوان أبي تمام، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق: الدكتور شاهين عطية، دار الكتب العلمية.

١٥٦ - ديوان المتنبي، لأبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، دار صادر.

١٥٧ - ديوان الإمام الشافعي، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، دار صادر.

١٥٨ - ديوان عمر بن أبي ربيعة، جمع وشرح محمد العناني، مطبعة السعادة بمصر.

١٥٩ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري وشرحه، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.

١٦٠ - ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: الدكتور عبدالرّحمن العثيمين، مكتبة العبيكان.

١٦١ - ردّ الإمام الدارمي على بشر المريسي العنيد، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، صححه وعلّق عليه: الشيخ محمّد حامد الفقي، دار الكتب العلمية.

١٦٢ - الرّد على الجهميّة، للإمام عثمان بن سعيد الدّارمي، تحقيق: بدر البدر، دار ابن الأثير بالكويت.

١٦٣ - الرّد على الزنادقة والجهميّة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار غراس.

١٦٤ - الرّد على القائلين بوحدة الوجود، لعلي بن سلطان القاري، تحقيق: علي رضا بن عبدالله بن علي رضا، دار المأمون للتراث.

١٦٥ - الرّد على مَن أنكر الحرف والصوت، لأبي نصر السجزي، تحقيق: الدكتور محمّد باكريم باعبدالله، دار الراية بالرياض.

١٦٦ - الرّد على المنطقيين، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: الشيخ عبدالصمد الكتبي، راجعه: محمّد طلحة بيلال، مؤسسة الريان.

١٦٧ - الرّد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيميّة شيخ الإسلام كافر، لابن ناصر الدّين الدمشقي، تحقيق. زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١٦٨ - الرُّدود، للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة.

١٦٩- الرسالة المدنية، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: الدكتور الوليد الفريان، دار طيبة.

١٧٠- الرسالة المدنية، ضمن جامع الرسائل، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: فواز زمرلي، دار ابن حزم.

١٧١- الروضتين في أخبار الدولتين، لأبي شامة المقدسي، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة.

١٧٢- روضة الناظر وجنة المناظر، لأبي محمّد المقدسي، تحقيق: الدكتور عبدالعزيز السعيد، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

١٧٣- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيّم الجوزية، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

١٧٤- الزهر النضر في حال الخضر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: صلاح الدّين مقبول، مكتبة أهل الأثر، ودار غراس.

١٧٥- زيادة الإيمان ونقصانه، الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، مكتبة دار القلم والكتاب.

١٧٦ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف.

١٧٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف.

١٧٨ - السنن، لأبي داود السجستاني، دار الكتاب العربي.

١٧٩ - السنن، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتاب العربي.

١٨٠ - السنن، لأبي عبدالرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية.

١٨١ - السنن، لأبي عبدالله ابن ماجة القزويني، تعليق: محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي.

١٨٢ - السنن، لأبي محمد الدارمي، تحقيق: فواز زمرلي وخالد السبع، دار الكتاب العربي.

١٨٣ - السنن، لأبي عبدالرحمن النسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم حسن شلبي، دار الكتب العلمية.

١٨٤ - السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية.

١٨٥ - السُّنة، للإمام ابن أبي عاصم، تخريج العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

١٨٦ - السُّنة، للإمام ابن أبي عاصم، تحقيق: الدكتور باسم الجوابرة، دار الصميعي بالرياض.

١٨٦ - السُّنة، لأبي بكر الخلال، تحقيق: الدكتور عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية بالرياض.

١٨٧ - السُّنة، لأبي عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد، تحقيق: الدكتور محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم.

١٨٨ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة.

١٨٩ - سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

١٩٠ - السيرة الذاتية لشيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور يوسف البدوي، دار الحامد للنشر والتوزيع بالأردن.

١٩١ - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لمحمد خليل أفندي المرادي، دار البشائر الإسلامية، ودار ابن حزم.

١٩٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد عبد الحي الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير

١٩٣- شرح إحياء علوم الدين، للزبيدي، دار الكتب العلمية.

١٩٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي، تحقيق: الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة بالرياض.

١٩٥- شرح حديث النزول، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمَّد الخميس، دار العاصمة.

١٩٦- شرح حديث النزول، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١٩٧- شرح الزركشي على مختصر الخرقي، لشمس الدِّين الزركشي الحنبلي، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالرَّحمن الجبرين، مكتبة العبيكان.

١٩٨- شرح السُّنة، للبغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمَّد بن زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١٩٩- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للسيوطي، أعتنى به: عبدالغني مستو، المكتبة العصرية.

٢٠٠- شرح العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج

٢٠١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، مجلد واحد

٢٠٢- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تخريج: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٢٠٣- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان، دار العاصمة.

٢٠٤- شرح الكوكب المنير، لأبي البقاء ابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، مكتبة العبيكان.

٢٠٥- شرح ملحة الإعراب، للقاسم بن علي الحريري، تحقيق: الدكتور أحمد محمد قاسم، مكتبة دار التراث.

٢٠٦- الشريعة، للإمام محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عمر الدميجي، دار الهدي النبوي، ودار الفضيلة، مجلدان.

٢٠٧- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، مؤسسة الرسالة.

٢٠٨- شيخ الإسلام ابن تيمية رجل الإصلاح والدعوة، للشيخ إبراهيم العلي، دار القلم.

٢٠٩- شيخ الإسلام ابن تيمية السلفي، للدكتور محمد خليل الهراس، دار الكتب العلمية.

٢١٠- شيخ الإسلام ابن تيميَّة، للدكتور محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٢١١- شيخ الإسلام ابن تيميَّة جهاده ودعوته وعقيدته، للشيخين أحمد القطان ومحمد الزين، مكتبة السندس.

٢١٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الشيخ محمد الحلواني، والشيخ محمد كبير شودري، دار رمادي للنشر، ودار المؤتمن للتوزيع.

٢١٣- صحيح ابن خُزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خُزيمة، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.

٢١٤- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: الدكتور مصطفى البُغا، دار ابن كثير.

٢١٥- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن لإسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر.

٢١٦- صحيح مُسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج النيسابوري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر.

٢١٧- صحيح سُنن أبي داود، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٢١٨- صحيح سُنن الترمذي، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٢١٩- صحيح سُنن النسائي، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٢٢٠- صحيح سُنن ابن ماجة، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٢٢١- صحيح الترغيب والترهيب، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٢٢٢- الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمَّد رشاد سالم، دار الهدي النبوي، ودار الفضيلة.
٢٢٣- الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: سيِّد الجليمي، وأيمن عارف الدمشقي، دار أضواء السَّلف.
٢٢٤- صفة الصفوة، لابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمَّد قلعه جي، دار المعرفة ببيروت.

٢٢٥- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: الدكتور علي بن محمَّد الدخيل الله، دار العاصمة.

٢٢٦- صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتصحيف، للشيخ ناصر الفهد، دار أضواء السلف.

٢٢٧- ضعيف الترغيب والترهيب، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٢٢٨- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي.

٢٢٩- ضعيف سُنن أبي داود، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٢٣٠- ضعيف سُنن الترمذي، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٢٣١- ضعيف سُنن النسائي، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٢٣٢- ضعيف سُنن ابن ماجة، للعلاَّمة محمَّد ناصر الدِّين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٢٣٣- طبقات الحفّاظ، للسيوطي، تحقيق: علي البجاوي، دار الكتب العلمية ببيروت.

٢٣٤- طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسين الفرّاء الحنبلي، تحقيق: الدكتور عبدالرّحمن العُثيمين، طبعة خاصة بالاحتفال بالمئوية على تأسيس المملكة العربية السعودية.

٢٣٥- طبقات الشّافعية، لابن قاضي شهبة، تحقيق: الحافظ عبدالعليم خان، دار عالم الكتب ببيروت.

٢٣٦- طبقات الشّافعية الكُبرى، لأبي نصر السُّبكي، تحقيق: محمود الطناحي، وعبدالفتّاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية.

٢٣٧- الطبقات الكبير، لمحمّد بن سعد الزهري، تحقيق: الدكتور علي عمير، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٢٣٨- طبقات المُفسرين، لأحمد بن محمّد الأدروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

٢٣٩- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيّم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيّم.

٢٤٠- عالم الجن في ضوء الكتاب والسُّنة، للدكتور عبدالكريم عبيدات، دار أشبيليا

٢٤١ - العبر في خبر من غبر، للإمام الذهبي، تحقيق. محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية.

٢٤٢ - العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي حسن عبدالحميد الحلبي، دار المغني.

٢٤٣ - العُدّة في أصول الفقه، للقاضي أبي يعلى ابن الفراء، تحقيق: الدكتور أحمد بن علي المباركي، بدون دار.

٢٤٤ - العُقود الدُّرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيميَّة، لابن عبدالهادي، تحقيق: طلعت الحلواني، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

٢٤٥ - العقيدة الطحاوية، تعليق: العلاّمة محمّد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي.

٢٤٦ - العلو للعلي العظيم للذهبي، تحقيق: الدكتور عبدالله بن صالح البراك، دار الوطن.

٢٤٧ - عُمدة القاري شرح صحيح البُخاري، لبدر الدِّين العيني الحنفي، دار الكتب العلمية.

٢٤٨ - العُلماء العُزَّاب الذين آثروا العِلم على الزواج، للشيخ عبدالفتّاح أبو غُدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية.

٢٤٩- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لموفق الدين أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة.

٢٥٠- غريب الحديث، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلاَّم، تحقيق: الدكتور حسين محمَّد شرف، وآخرون، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

٢٥١- فتاوى ومسائل ابن الصَّلاح، للإمام عبدالرَّحمن بن عثمان الشهرزوري، طبعة دار المعرفة ببيروت.

٢٥٢- الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: محمَّد ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية.

٢٥٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تعليق: عبدالسلام علّوش، مكتبة الرشد.

٢٥٤- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي.

٢٥٥- فتح المنَّان في جمع كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة عن الجان، جمع: مشهور حسن سلمان، الدار الأثرية.

٢٥٦- الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور حمد التويجري، مكتبة دار المنهاج.

٢٥٧- فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، للأستاذ محمد صالح الزركان، دار الفكر.

٢٥٨- الفرق بين الفرق، لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا.

٢٥٩- الفرقان بين الحقّ والباطل، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان.

٢٦٠- الفرقان بين الحقّ والباطل، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار الجمعي.

٢٦١- الفرقان بين الحقّ والباطل، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار لجنة التراث العربي.

٢٦٢- الفرقان بين الحقّ والباطل، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق حسين عرابي، دار إحياء العلوم.

٢٦٣- الفرقان بين الحقّ والباطل، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تعليق محمد أبو الوفا عيد، مطبعة العاصمة بالقاهرة.

٢٦٤- الفرقان بين الحقّ والباطل، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة، بدون تحقيق.

٢٦٥ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الدكتور عبدالرحمن اليحيى، مكتبة دار المنهاج.
٢٦٦ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر، والدكتور عبدالرحمن عُميرة، دار الجيل.
٢٦٧ - فصوص الحكم، لابن عربي الطائي، تعليق: أبو العُلا عفيفي، دار الكتاب العربي.
٢٦٨ - فضائل القرآن، للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: مروان العطية، وآخرون، دار ابن كثير
٢٦٩ - الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر.
٢٧٠ - فقه السُّنة، للشيخ السيِّد سابق، دار الفتح للإعلام العربي.
٢٧١ - الفهرست، لأبي بكر محمد بن خير الأشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية.
٢٧٢ - الفهرست، لأبي محمد عبدالحق بن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي.
٢٧٣ - فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر.

٢٧٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية.

٢٧٥- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور ربيع المدخلي، دار لينة.

٢٧٦- القاعدة المراكشية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار ابن حزم.

٢٧٧- قاعدة في المعجزات والكرامات، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: حمَّاد سلامة، مكتبة المنار.

٢٧٨- القاموس المُحيط، للفيروز آبادي، دار الرسالة.

٢٧٩- القصيدة التائية في القدر، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمَّد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة.

٢٨٠- القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدِّين ابن تيميَّة الحنبلي، للشيخ محمَّد صفي الدِّين البُخاري الحنفي، تحقيق: الدكتور سالم الدخيل، دار الوطن.

٢٨١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذَّهبي، تحقيق: محمَّد عوَّامة، وأحمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن.

٢٨٢- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي محمَّد عبدالله المقدسي، دار الفكر.

٢٨٣- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن محمد ابن الأثير الجزري،
تصحيح: الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية.
٢٨٤- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي الجرجاني، دار الكتب العلمية
٢٨٥- كتاب الأسماء والصفات، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي،
تحقيق: عبدالله الحاشدي، مكتبة السوادي.
٢٨٦- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، للإمام ابن خُزيمة،
تحقيق: الدكتور عبدالعزيز الشهوان، مكتبة الرشد.
٢٨٧- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، للإمام ابن مندة، تحقيق: الدكتور علي فقيهي، طبع الجامعة الإسلامية.
٢٨٨- كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمّد علي التهانوي، تحقيق: الدكتور علي دحروج، وآخرون، مكتبة لبنان.
٢٨٩- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين البُخاري، تحقيق: عبدالله محمود عمر، دار الكتب العلمية.
٢٩٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل العجلوني، دار إحياء التراث العربي.
٢٩١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني (حاجي خليفة)، دار إحياء التراث العربي ببيروت

٢٩٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي الهندي، صححه. بكري حياني وآخرون، دار الرسالة.

٢٩٣- الألى البهيّة في شرح لاميّة شيخ الإسلام ابن تيميّة، للعلامة أحمد مرداوي، تعليق: الدكتور صالح الفوزان، دار المُسلم.

٢٩٤- لاميّة شيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: خالد بن علي بن محمّد الحيّان، دار ابن الأثير.

٢٩٥- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت.

٢٩٦- لسان الميزان، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالفتاح أبو غُدّة، مكتب المطبوعات الإسلامية.

٢٩٧- اللباب في تهذيب الأنساب، لأبي الحسن ابن الجزري، دار صادر بيروت.

٢٩٨- المُتحف في أحكام المُصحف، الدكتور صالح بن محمّد الرّشيد، مؤسسة الريّان.

٢٩٩- مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعين، للإمام ابن قيّم الجوزية، تحقيق: محمّد حامد الفقي، دار الكتاب العربي.

٣٠٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدّين الهيثمي، دار الفكر.

٣٠١- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، جمع الشيخ عبدالرّحمن بن قاسم وابنه، بدون دار.

٣٠٢- مجموعة الرسائل الكُبرى، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، دار إحياء التراث العربي.

٣٠٣- مجموعة الرسائل والمسائل، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق وتعليق محمّد رشيد رضا، دار لجنة التراث العربي.

٣٠٤- المحصول في علم الأصول، لمحمّد بن عمر الرّازي، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، طبعة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٣٠٥- المحلى، لأبي محمد ابن حزم الأندلسي الظاهري، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار الفكر.

٣٠٦- مختصر سيرة الرسول ﷺ، للشيخ محمّد بن عبدالوهاب التميمي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار طيبة الخضراء.

٣٠٧- مُختصر العلو، للشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني، المكتب الإسلامي.

٣٠٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، لعبدالله بن أسعد اليافعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

٣٠٩- المُرجئة وموقف أهل السُّنة منهم، للدكتور محمّد اللأحم، رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة غير منشورة.

٣١٠- المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع، للشيخ خالد الجعيد، والشيخ علي العلياني، والشيخ ناصر الجهني، دار الهدي النبوي، ودار الفضيلة.

٣١١- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت.

٣١٢- المستصفى في أصول الفقه، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة.

٣١٣- المسودة في أصول الفقه، لأبي البركات وأبي المحاسن وأبي العباس آل تيمية، تحقيق: الدكتور أحمد الذروي، دار الفضيلة.

٣١٤- المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة.

٣١٥- المسند، للإمام أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث.

٣١٦- المسند (البحر الزخار)، لأبي بكر البزار، تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم.

٣١٧- مسند الشاميين، للحافظ أبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة.

٣١٨- مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، تحقيق: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
٣١٩- المصنف، لأبي بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة.
٣٢٠- المصنف، لأبي بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي.
٣٢١- المطالب العالية، للرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي.
٣٢٢- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، للدكتور محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي.
٣٢٣- المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين البصري، تحقيق: محمد حميد الله، وآخرون، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية.
٣٢٤- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار الفكر ببيروت.
٣٢٥- المعجم الصغير، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي.
٣٢٦- المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين.
٣٢٧- المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب.

٣٢٨- المعجم الكبير، لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية.

٣٢٩- مُعجم المُحدثين، للذهبي، تحقيق: الدكتور محمَّد الحبيب الهيلة، مكتبة الصدِّيق بالطائف.

٣٣٠- مُعجم المناهي اللفظية، للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة.

٣٣١- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسَّلام هارون، دار الفكر.

٣٣٢- مُعجم المؤلفين، لعُمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي.

٣٣٣- معرفة السُّنن والآثار، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار قتيبة.

٣٣٤- المُغني في الفقه الحنبلي، لأبي محمَّد المقدسي، تحقيق: الدكتور عبدالله التركي، والدكتور محمَّد الحلو، دار هجر.

٣٣٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، للإمام ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: علي حسن عبدالحميد الحلبي، دار ابن عفَّان.

٣٣٦- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السخاوي، دار الكتاب العربي

٣٣٧- مقالة التعطيل والجعد بن درهم، للدكتور محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف.

٣٣٨- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية.

٣٣٩- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال.

٣٤٠- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيّم الجوزية، تحقيق: عبدالله التهامي، دار عالم الفوائد.

٣٤١- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيّم الجوزية، تحقيق: الشيخ عبدالرّحمن المُعلمي، أعده: منصور السماري، دار العاصمة.

٣٤٢- منازل السائرين إلى الحقّ عز شأنه، للإمام أبي إسماعيل الهروي الحنبلي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

٣٤٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمّد ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية.

٣٤٤- مَن تُكلم فيه وهو موثق، للذّهبي، تحقيق: محمّد شكور المياديني، مكتبة المنار بالزرقاء.

٣٤٥- المحصول في أصول الفقه للإمام الرازي، تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر.

٣٤٦- منهاج السُّنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، دار قرطبة، ٨ مجلدات.

٣٤٧- منهاج السُّنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، دار الفضيلة ٤ مجلدات.

٣٤٨- المنهاج في شرح صحيح مُسلم بن الحجاج، للإمام أبي زكريا النووي، تحقيق. الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة.

٣٤٩- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، لأبي اليُمن العُليمي، تحقيق: محمَّد محي الدِّين عبدالحميد، راجعه وعلَّق عليه: عادل نويهض، عالم الكتب.

٣٥٠- المُوجز في الأديان والمذاهب المُعاصرة، للدكتور ناصر بن عبدالله القفاري، والدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل، دار كنوز أشبيليا.

٣٥١- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، برواية محمَّد بن الحسن، تحقيق: الدكتور تقي الدِّين الندوي، دار القلم بدمشق.

٣٥٢- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، برواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق: الدكتور بشَّار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي.

٣٥٣- موقف الإمام أحمد بن حنبل من الزنادقة والجهمية، لعيسى مصطفى. رسالة علمية غير منشورة.

٣٥٤- موقف شيخ الإسلام ابن تيميّة من آراء الفلاسفة، للدكتور صالح بن غرم الله الغامدي، مكتبة المعارف.

٣٥٥- موقف شيخ الإسلام ابن تيميّة من الأشاعرة، للدكتور عبدالرّحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد.

٣٥٦- موقف شيخ الإسلام ابن تيميّة من فخر الدّين الرازي في الإلهيات، للدكتورة إبتسام أحمد محمّد جمال، رسالة علمية غير منشورة.

٣٥٧- ميزان الاعتدال، للذّهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة ببيروت.

٣٥٨- ميزان الاعتدال، للذّهبي، تحقيق: علي معوض، وعادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية ببيروت.

٣٥٩- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تحقيق: الدكتور عبدالعزيز الطويان، أضواء السّلف.

٣٦٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، دار الكتب العلمية.

٣٦١- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار.

٣٦٢- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن علي ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته الشيخ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية.

٣٦٣- نقض أساس التقديس، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الدكتور موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم

٣٦٤- نقض الدارمي على المريسي الجهمي العنيد، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: الشيخ منصور بن عبدالعزيز السماري، أضواء السلف.

٣٦٥- نقض الدارمي على المريسي الجهمي العنيد، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: الدكتور رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد.

٣٦٦- نقض المنطق، لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، تحقيق: الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، والشيخ سليمان الصنيع، وصححه الشيخ محمد حامد الفقي، دار السُّنة المحمدية.

٣٦٧- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأبي العباس أحمد القلقشندي، دار صادر بيروت.

٣٦٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: علي حسن عبدالحميد الحلبي، دار ابن الجوزي.

٣٦٩- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، لبهاء الدين بن شداد، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي بالقاهرة

٣٧٠- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، للإمام ابن قيّم الجوزية، تحقيق: الدكتور محمّد أحمد الحاج، دار القلم، والدار الشّامية.

٣٧١- الهدى والبيان في أسماء القرآن، للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، طبعة جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية.

٣٧٢- هدية العارفين، لإسماعيل باشا البابانى، دار إحياء التراث العربي.

٣٧٣- الوابل الصيّب ورافع الكلام الطيّب، للإمام ابن قيّم الجوزية، تحقيق: عبدالرّحمن بن قائد، دار عالم الفوائد.

٣٧٤- الوافي بالوفيات، لصلاح الدّين خليل الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣٧٥- الوافي بالوفيات، لصلاح الدّين خليل الصفدي، اعتناء: إحسان عبّاس، دار صادر ببيروت.

٣٧٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسّان عبّاس، دار صادر.

## فهرس الموضوعات